



حَبْلُ التَّجَانِي



أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني

قَدَّمَ لَهَا
الْعَلَّامَةُ الْمَرْهُومَةُ حَسَنُ حُسَيْنِي عَبْدُ الْوَقَّابِ

الطبعة الأولى: ١٩٨٥

© جميع الحقوق محفوظة الطبع العربي للكتاب
ليبيا - تونس 1981

رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَدَمَّة

أصحاب الرحلات من المغاربة - أفارقة وأندلسيين - يعدون
بالعشرات بين قديمهم والجديد . وما تركوه لنا من أثر تقايدهم
في السفر يتفاوت قيمة وأهمية بطبيعة الامر ، لا من ناحية الوجهة
والغاية فحسب ، بل من ناحية التحقيق والتحرير وشدة الرغبة
في الاطلاع على حقائق الاشياء وأصولها .

وليس من شك أن فريضة الحج في الاسلام كانت من أعظم
البواعث على سفر آلاف من المغاربة في كل عام الى الحجاز للقيام
بهذه الفريضة . وبعد زيارة الحرمين الشريفين كان الكثير منهم
يقصدون المقامات المباركة بالشرق كالمسجد الاقصى بالقدس ، وقبر

ابراهيم الخليل فى حبرون ، ثم يعرجون على دمشق ومدائن أخرى من الشام ، وطالما زاروا بغداد عاصمة العباسيين بالعراق . وفى رجوعهم يقفون برهة بمصر حيث جامع عمرو بالفسطاط ، والجامع الازهر وحلق تعليمه ، والمشهد الحسينى ، ومقام الشافعى . ثم يقطعون مفازة برقة الى طرابلس - ان كان السفر فى البر - ثم الى تونس ومنها يتجهون الى قرارهم الاصلى بالمغرب الأوسط أو الاقصى أو بالاندلس وهى نهاية العالم الاسلامى وقتئذ .

وكان علماء نبهاء من بين هؤلاء الحجاج يدونون مشاهداتهم ، فيصفون تجوالهم فى مختلف تلك الاقطار ، ويسجلون الاحداث التى عرضت لهم مدة ترحالهم تخليدا لذكورهم ، وهداية لآخوانهم وبقية مواطنيهم ، وتعريفا بالمسالك التى يجب سلوكها ، أو المهالك التى ينبغى اتقاؤها .

ومن بين هؤلاء الرواد من وصف ما اجتاز به من الافاق من وقت مفارقه لوطنه الى حين عودته اليه ، وصفا يتشى مع ما تصبو اليه نفسه ، ويرتاح اليه خاطره ، ويتفق مع ميله الفريزى وتكوينه العلمى ، فيقصر تقييده على ما كان يقصد من ترحاله كالتعرف برجال العلم الدينى ولا سيما بأهل الحديث وأئمة الفقه ، فيذكر لنا أسماء من لقي منهم ، وما اخذ عن كل واحد ، وما اتصل به من أسانيدهم ، وطرائق رواياتهم ، ويجتهد فى الحصول على أكثر ما

يمكن من الاجازات ، وينفض الطرف عما سوى ذلك من وصف
البلاد وما امتازت به ، وما احتوت عليه من معالم ورسوم وعادات .
وهذا الصنف من التقاليد قليل الفائدة ، محدود النفع اذ كان
محصورا في لون خاص من المشاهدة التي لا تهم الا من يعنى
بعلوم الدين الحنيف . ومنهم من انصرفت عنايته الى الادب ، فحصر
تدوينه في سرد أسماء الادباء المعاصرين والشعراء الذين اجتمع بهم ،
فيثبت ما روى من نتائج قرائحهم ، ويسوق نماذج مختارة من
قصائدهم ، ولا يلتفت الى التعريف بالبلاد ، وما رأى فيها من
معاهد جليلة ومنشآت بارزة ، كما انه لا يكثر بالبيئة الاجتماعية
التي أقام بين ظهرانيها ، ولا بأنظمتها وأخلاقها ، ولا يعبأ بأصناف
مصنوعاتها وتجاراتها ، ومحصول فلحها وما الى ذلك من أوضاع
اقتصادها .

وفريق آخر من الرحالين - وهم النادر القليل - وفق الى مراعاة
ذوق جمهور القراء فأتى بمشاهداته عامة متنوعة تشمل كل ما
يمكن أن يقال ويكتب عن البلد المزور من سائر نواحيه - الجغرافية
والتاريخية والعمرانية والاقتصادية ، بحيث يجعل القارىء رفيقا
ملازما له في سفره وصاحبها في تنقلاته ، ومنصتا لحديثه ، ومشاركها
له في مشاهداته .

وعلى هذا المنوال نسج أبو بكر بن العربي الاشبيلي حافظ

الاندلس المتوفى سنة ٥٤٣ هـ فى تقييد رحلته الذى لم يزل فى حيز المخطوطات . وكذا فعل ابن جبير الوزير الاندلسى فى تذكرة الاخبار ، عن اتفاقات الاسفار ، وهى بلا ريب من غرر الرحلات المغربية ، وقد طبعت مرات وترجمت الى السنة كثيرة .

ولا ننس ان المقدم فى هذا الميدان ، المتأخر فى الزمان هو الرائد المغامر ابن بطوطة الطنجى الذى طبق الافاق ، ودون ذلك التقييد الحلاب الذى وصف فيه آثار المعمورة شرقا وغربا أبدع وصف ، ونقل عن لقيه من اخوانه السياح نعت ما لم تشاهده عيناه ، ولم تطأ قدماه ، فأتى بالصحيح الموثوق به ، وكذلك ضمن رحلته شوارد من الاخبار تثير الاستغراب والاعجاب ، مما هو من نوع الاساطير المسبوقة التى كان لها رواج فى أفكار أهل ذلك العصر ، وعلى كل فان هذا الصنف من مؤلفى الرحلات - على ندرته - هو المرغوب فيه ، والمنظور اليه بعين الاشتياق من المطالعين مع الرغبة والتقدير من الباحثين .

ومن حسن حظ القطر التونسى أن أنجب من بين أبنائه العلماء ، وكتابه الادباء ، رحالة من هذا النمط الممتاز ، ونعنى به : عبد الله التجانى ، ذلك الموظف الحضرى والكاتب الضليع الذى قام برحلة فى أنحاء القطرين التونسى والطرابلسى فى صحبة أحد ملوك بنى

حفص في اوائل القرن الثامن للهجرة ، وسجل أنباء سفرته في
تقييد زاهر بالفوائد ، مفعم بالآخبار الجغرافية والتاريخية والادبية
والاجتماعية قلما اجتمعت في دفتر مسافر رحال .

وقبل الاقبال على مطالعة أثره ، ومرافقته في سفره ، يجعل بنا أن
نتعرف الى شخصية المؤلف ونشأته العلمية وما كان للجو الذي
نشأ فيه وعاش في كنفه من التأثير في تفكيره .

التعريفُ بصاحب الرحلة

كل من يبحث عن تراجم رجال الحركة العلمية في عصر الدولة الحفصية يعجب كيف أغفل أصحاب الطبقات ذكر فحول من الأدباء ومشاهير من الكتاب البلقاء أهلتهم صفاتهم وميزتهم نجائزهم بأن يكونوا في صف من يجب الاعتراف بأخبارهم وتعريفهم بما يستحقون . وإذا ما أجهد الباحث نفسه في التنقيب عنهم لم يجد من أنبائهم سوى نتف مبعثرة هنا وهناك في غضون المخطوطات لا تستقيم إلا بلم الشتات .

ومن بين هؤلاء المهملين المجهولين «بنو التجاني، التونسيون، وقد نجب منهم غير واحد من الفحول ممن أكسبوا القطر الإفريقي

- مدر طويلة - صوتا بعيدا وسمعة شريفة فى العلوم والاداب .
يتسبب أفراد هذه الاسرة الماجدة الى قبيلة « تجان » ، - بكسر التاء
- من قبائل المغرب الاقصى ، ويظهر أن أول من قدم منهم تونس
هو « أبو القاسم التجانى » ، وكأنه جاء مع جيش الموحدين الفاتح
للافريقية بقيادة رجل المغرب ومنقذه : الخليفة عبد المؤمن بن على ،
ذلك البطل الذى قضى على أمراء الطوائف المستقلين فى أنحاء البلاد
كما قهر نصارى « النرمند » المتغلبين وقبض على الساحل التونسى
وقاعدته المهدية . وبفضل هذا الانتصار تمكن عبد المؤمن من
انشاء وحدة المغرب الكبير سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م
وبعد الظفر وأمد الاستقرار وقع اختياره على مدينة تونس
فاتخذها مركزا لجيشه ، ومقرا لولاياته ونوابه فى تسير شؤون
البلاد ، ونصب بها هيئة عليا تشرف على الادارة وهم (مشائخ
الموحدين) اصطفاهم من خيرة دعائه ، كما رتب بها مصالح
الحكومة الفتية ، فكان « أبو القاسم التجانى » من جملة من استوطن
حينئذ تونس ، ويظهر أنه كان فى ديوان الكتبة - وقد تزوج فيها
واشترى دارا لسكناه مع جملة رباع أخرى - لا ندرى فى أية ناحية
من المدينة - وبعد حين كان لابی القاسم ولد وهو « محمد » اقتفى
أثر أبيه فى الخدمات المخزنية .

ويستفاد من خبر أورده حفيده الاصغر عبد الله الرجال الاتى (١)

(١) رحلة التجانى

أن في مدة حياة محمد هذا كانت ثورة « بنى غانية الميورقين » ،
وهم من بقايا المرابطين الذين شاغبوا الحلفاء الموحدين بالعيش في
بلاد افريقية ، فقد خربوا عمرانها وأرهبوا سكانها بالظلم والعسف
بما لا يطيقون كما هو مبسوط في التاريخ .

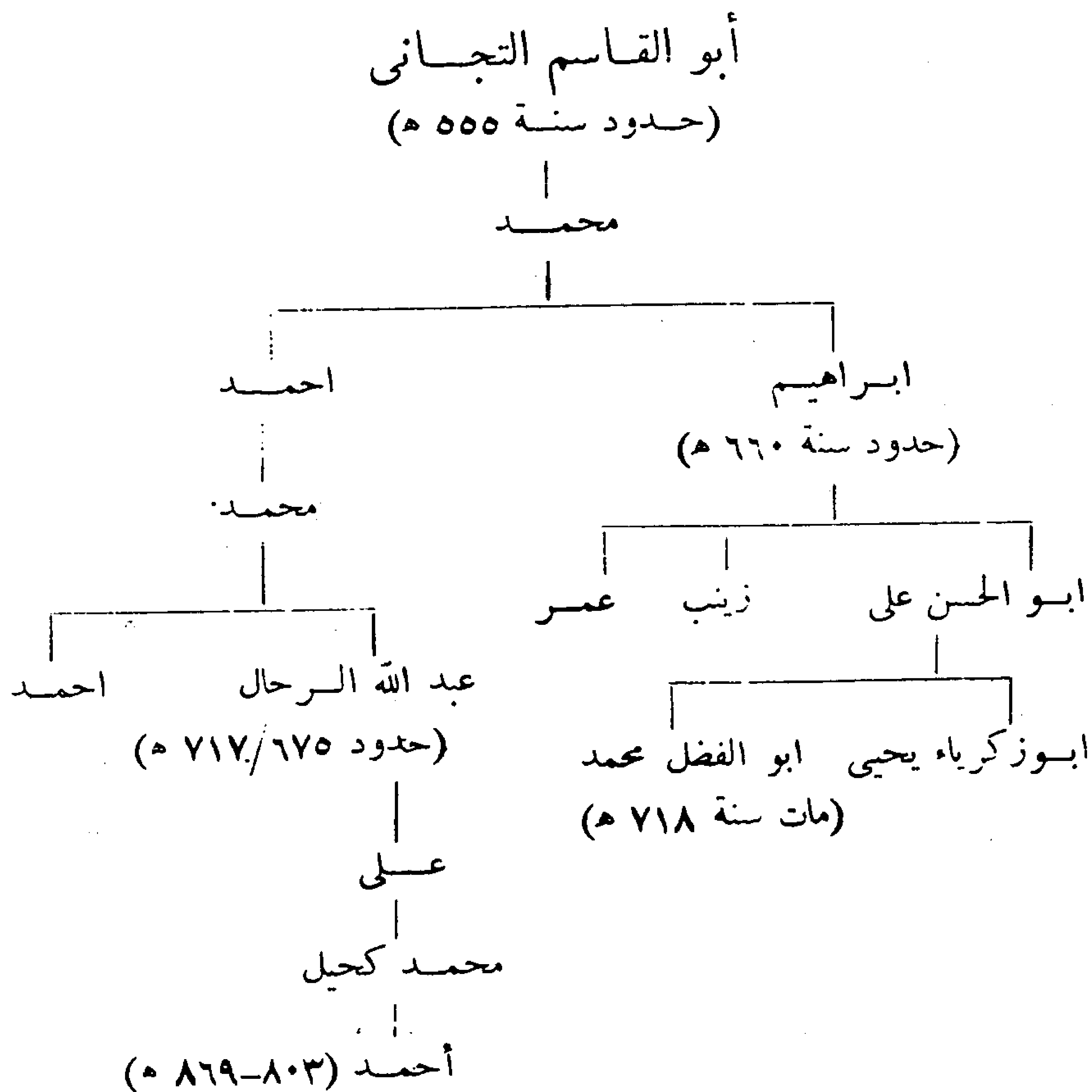
وقد تمكن أحد الثائرين الميورقين وهو « يحيى بن اسحاق » من
اغتصاب مدينة تونس من يد المشائخ الموحدين ، فألحق بأهلها من
القساوة والتنكيل بالغرم المالى ما باعوا فيه أملاكهم . ومن جملة
من نالته عقوبة التفريم الفادح « محمد التجانى » المتقدم . قال
حفيده (١) : « ووقف له - يعنى الثائر الميورقى - على ظهير بصرف
بعض أملاك بنى التجانى عليهم ، مما تطرق اليه النزول - أى
المغرم - حين دخوله وقبل ذلك وتاريخ الظهير الشامن لذى
القعدة من سنة ستمائة » .

ثم تدارك الموحدون حال افريقية فحاربوا الثائر وشردوه شر
مشرد . وعاد بنو التجانى الى مناصبهم المخزنية .
ابراهيم وأحمد التجانيان :

حتى اذا ما استقل (بنو حفص الهنتاتيون) بملكة افريقية - سنة
٦٢٥ هـ - رأينا أفراد آل التجانى فى زمرة رجال دولتهم وكتاب
دواوينهم . منهم الاخوان : « ابراهيم » و « أحمد » ابنا محمد بن

(١) راجع ازهار الرياض للمقرئ مخطوط بمكتبتى - و ك - نفع الطيب للمؤلف

أبى القاسم المتقدم ، فأنهما كانا من كبار الموظفين المنظور اليهم
بغين التجارة والاعتبار فى بلاط أبى زكرياء الاول مؤسس الاسرة
الحفصية ، وقد ذكر رواة الاخبار أن « ابراهيم التجانى ، كان ممن
انتصر للحافظ الكبير محمد بن الابار القضاعى لما وفد سفيراً من
قبل أهل الاندلس مستصرخاً بالملك الحفصى لنجدة بلده بنسبة
وقد تقدم الى أبى زكرياء بتلك القصيدة العصماء التى مطلعها :
أدرك بخيلك خيل الله أندلساً ان السبيل الى منجاتها درسا
فانتقدها جماعة من أدباء العصر المفرضين ممن يحسد قائلها ،
فانتصر له ابراهيم التجانى فى تأليف مستقل أسماه (مؤازرة الوافد
ومبارزة الناقد ، فى الانتصار لابن الابار) . وقد نال هذا التأليف
اعجاب المعاصرين لما احتوى من تحقيق علمى وبلاغة تحرير .
وهكذا تهيأ للاخوين « ابراهيم ، و « أحمد ، الظهور فى المحافل
الادبية والاشتهار بالعلم الواسع والادب الغض ، ومن الاخوين
المتقدمين تفرع نسل التجانيين حسبما هو مبين فى الشجرة التى
رسمناها بقدر ما علمنا من الانباء عن أفراد الاسرة .



ونحن موردون هنا بعض أخبار من أمكننا الوقوف على ذكره
من أعيان هذه الاسرة التي رفعت راية العلم والادب في البلاد
لتونسية مدة لا تقل عن الثلاثمائة سنة ، ولبتدىء بنسل ابراهيم
ابن محمد بن أبي القاسم الذي ترك ابنين وبنتا وهم : علي
وعمر وزينب .

(١) أما أبو الحسن علي بن إبراهيم ، فهو ممن أخذ عن علماء أعلام مثل ابن الأبار ، وحازم القرطاجني ، وعلي بن عصفور ، والكلاعي وغيرهم من جهابذة الأندلس المهاجرين إلى تونس في منتصف القرن السابع للهجرة ، لكن يظهر أن أبرز أستاذ تخرج عليه هو أحمد بن محمد المعروف بابن الغماز قاضي الجماعة بتونس ومحدثها الكبير ، وقد انتفع علي بالقراءة عليه والأسناد إليه ، فلما توفي شيخه هذا - سنة ٦٩٣ - جمع تلميذه أخباره وآثاره وما قيل فيه من النثر والشعر في سفر خاص (١) .

والتقى بعلي الرحال المغربي محمد البدرى الذى زار تونس مرتين في طريق ذهابه إلى الحج - سنة ٦٨٨ هـ وعند رجوعه - سنة ٦٩١ هـ - قال البدرى (٢) : « ولقيت بتونس الشيخ ، الأديب الحبيب الكاتب البليغ ، ذا الفضائل المذكورة ، والمثائر الماثورة ، شيخ الأدباء ، وواحد البلغاء ، وزين الناظرين والشعراء ، (أبا الحسن علي بن إبراهيم التجاني التونسي) له بيت عريق في العلم والأدب ، قال لي بمسجد أقرائه : « أنا الثانى عشر مدرسا من آبائى على نسق كلهم قد قعدوا هنا للاقراء - وبيتهم بالعلم

(١) كـ الديباج المذهب لابن فرحون ص ٧٩

(٢) رحلة البدرى - خط بمكتبتى

شريف شهير وقل من لم يقل الشعر ، وأما أبو الحسن فهو فيه آية
الزمان اجادة معنى ، وتنقيح لفظ ، وسرعة بديهة ، وكثيرا ما يلميه
ارتجالا فيجود ويتقن وهو بالجملة من خواص أهل العلم
وآحادهم ، جالسته كثيرا وسمعت كلامه فى الادب وغيره وقرأت
عليه مقامات الحريرى وكان يرد فيها وينتقدها نقدا محققا
وقرأت عليه قصيدة الشيخ الحافظ أبى عبد الله ، ابن الابار ، التى
مدح بها الامير أبا زكرياء بن عبد الواحد أبى حفص وهى
مشهورة ، واولها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ان السيل الى منجاتها درسا
وحدثنى بها عن مؤلفها سمعا منه وقرأت عليه قصيدة
الشيخ الاديب الفاضل أبى الحسن حازم بن محمد بن حازم
القرطاجنى الاندلسى وهى المقلوبة من قصيدة امرئ القيس فى
مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد حدثنى بها عن منشئها
المذكور وهى :

لعينك قل ان زرت أفضل مرسل
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفى طيبة فانزل ولا تفش منزلا
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فيا حادى الامال سر بى ولا تقل
عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل ...

وقد ساق العبدري أخبارا وأشعارا كثيرة مما روى عن أبى
الحسن على التجانى ، ومن جهة أخرى نعلم أن عليا هذا كان
استوطن طرابلس برهة من الزمن ، ومنها توجه الى الحج - سنة
٦٨٤ - ثم عاد الى وطنه واجتمع بالعبدري كما مر وتوفى على بعد
سنة ٧٠٨ هـ يعنى بعد عودة ابن عمه عبد الله الرحال كما سيأتى ،
ونسب السيوطى - نقلا عن غيره - المقطوع الاتى الى أبى الحسن
على (١) .

ان الذى يروى ولكنه يجهل ما يروى وما يكتب
كصخرة تتبع أمواهها تسقى الاراضى وهى لاتشرب

(٢) زينب بنت ابراهيم التجانى :

وهى من شهيرات هذا البيت ، بل من شهيرات الادبيات
التونسيات فى العصر الحفصى ، ذكرها العبدري أيضا فى رحلته
عرضا ولم يسمها ، وكنت عثرت اتفاقا على اسمها فى بعض
المخطوطات وخصصتها بترجمة فى غير هذا (١) وأورد لها العبدري
مقطوعين من شعرها أنشدهما له أخوها على . فمن ذلك قولها

(١) بغية الوعاة للسيوطى ط مصر ص ٢٢٦

ملنزة فيمن اسمه تميم :
يقولون لي هذا حبيبك ما اسمه ؟
فما اسطعت افشاء وما اسطعت اكرم
فقلت اسمه ميم وحرف مقدم
فهذا اسم من أهوئي فديتكم افهموا
ومن قطعة لها في وصف شعر احدى صويحباتها :
اذا انسدت منه عليها ذؤابة كفنن أراك غانقته أراقم
أثيث طويل فهو يستر جسمها اذا نزعته عنه الملابس اسحم
كأن الصباح ارتاع من خوف طالب
بشار فألوى بالدجى يتكتم
أقول : وكان مقطوعها الاخير ينظر الى قول زميلتها الشاعرة
الاندلسية حمدة بنت زياد النوادي آثية من أبياتها المشهورة ،
وعلى كل فان الواقف على هذا النزر القليل من نظم الادبية التجانية
يحكم بانه كلام عارفة بقوانين الصنعة، متمكنة من الادب وأوضاعه
تمكنا صحيحا وهي مع ذلك ذات خيال واسع مما لا يقع مثله الا
لحذاق الشعراء ، ولم نقف على طريقة تعلمها ولا على تاريخ وفاتها

(١) راجع شيئا من اخبارها في كتابنا « شهورات التونسيات » ط تونس سنة ١٣٥٣ ص ٧١

(٣) عمر بن ابراهيم التجاني :

هو أخو كل من علي وزينب المتقدمين ، وكان أيضا من العلماء.
الكتاب اجتمع به الرجال العبدري في تونس وأورد له مقطوعا من
شعره :

سرك ان أعلمته ثانيا فاعلم بأن قد آن أن تفشيه

لان ما أضمرت في حالة الافراد ستخرجه التثنيه

وعلق العبدري على البيتين بقوله : . وهذا الاستدلال بالتمثيل
النحوى مليح مناسب جدا ، ولا نعلم من أنباء هذا التجاني الا ما
تقدم .

(٤) - و من ولد أبي الحسن علي السابق الذكر . أبو الفضل محمد ،

أحد أعلام البيت التجاني ، كان في جملة كتاب ديوان الانشاء
واشتهر بالادب وتميز في فن الرسائل ، خدم الدولة الحفصية بثارائه
وقلمه في أيام السلطان أبي عصيدة ثم السلطان أبي يحيى زكرياء
الليثاني ثم ابنه السلطان محمد الملقب بأبي ضربة المستبد بأمر
افريقية بعد أبيه ، فكان أبو الفضل كاتب سره ومدبر أمره ، وقد
ضحب مخدومه هذا لما زحف السلطان أبو بكر الحفصي صاحب
المملكة الغربية على تونس فأوقع بأبي ضربة وجموعه في فحوص
مصوج - من تراب أولاد عون الان - وقتل جماعة من أنصاره

ومن بينهم أبو الفضل - سنة ٧١٨ هـ (١) - والحق أن هذا التجاني كان من نوابغ أهل بيته ومن مشاهير شعراء عصره ، وقد أوردنا له شيئا من نظمه في غير هذا (٢) ، وكان ابن عمه وتربيه عبد الله يحبه كثيرا ويعجب ببلاغته وطالما يروى له في تقييد رحلته نض رسائله وقصائده ، فمن ذلك قوله يصف إحدى عشاياه بقابس في بعض حدائقها المعروفة ، بساحة عنبر ، :

الجو يتحفنا بنكهة عنبر	أذكر عشتينا بساحة عنبر
بسطا لها من أخضر أو أصفر	حيث النخيل عرائس بسط الحيا
عنا بستر للعروس محبر	والشمس تستحي فتستر وجهها
والنور بين مدرهم ومدنر	والنور بين مفضض ومذهب
أذ صفت الغابات صف معسكر	والنهر والغدر ادرعن تحصنا
والبر يرمقنا بمقلة أعفر	والبحر يرمقنا بمقلة أزرق

وهذا القول - على تدلى الشعر في ذلك العصر - من أروع النظم في وصف ناحية ما زالت معروفة في واحة قابس

ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا الفضل هذا له مصنفات حسان في التاريخ والأدب منها كتاب « الناسم » جمع فيه تراجم ومختارات

(١) ك - تاريخ ابن خلدون ج ١ من طبع الجزائر ١٨٥٠ وجاءت هناك نسبه معروفة الى البجاني بدلا من التجاني - ونفع الطيب ٢ - ٤٠٥ طبع مصر
(٢) ك - المنتخب التونسي - ط مصر سنة ١٩٤٤

لشعراء عصره وله « الحللى التيجانية والحلل التيجانية » أثبت فيه
أخبار النابغين من أفراد يتهم وما لهم من الآثار العلمية والأدبية .
ومن المؤسف أنه لم يبلغنا من ذلك كثير ولا قليل .

أما أعيان الأسرة الثانية المتفرعة من نسل أحمد بن محمد أخى
إبراهيم المتقدم فقد اشتهر من بينهم :

(٥) محمد بن أحمد التجانى :

نعلم أنه قرأ بتونس على من كان بها من وجوه العلماء وكبار الأدباء
من جمعتهم البيئة الحفصية فى أول نشأتها فامتزج بحلق تدريسهم
العالى ، وكانت حضرة تونس أو - الحضرة كما كانوا يسمونها -
حافلة بأعلام الوافدين عليها من الأندلس والمغرب مثل الحافظ
الجليل محمد بن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨ - وأبى محمد بن برطلة
وأحمد الفماز البلسى قاضى الجماعة بتونس المتوفى سنة ٦٩٣ هـ
والحسن بن عمر الهوارى الطرابلسى وسواهم كثير ، وانخرط
محمد بعد تعليمه فى سلك ديوان الانشاء وظهرت عليه البراعة فى
الترسل ، ونجده بعد سنين قليلة يتحول الى مدينة بجاية بطلب من
أميرها ، فيتولى كتابة العلامة السلطانية للوائح بالله أبى زكرياء
يحيى بن أبى اسحاق - سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م - صاحب المملكة
الحفصية الغربية ، ويعرف هناك محمد بصدق اللهجة وصفاء الطوية
والمقدرة على التحرير الراقى ، وبقي بين بجاية وقسنطينة الى أن تولى

الامير أبو يحيى زكرياء بن أحمد المشهور بالحياني مشيخة
الموحدين في تونس فاجتهد في إعادة محمد الى مستط رأسه وأسند
اليه خطة عالية في ديوان الرسائل وكان يرأسه وقتئذ العلامة أحمد
ابن الحجاز المهدوي، فاستعان به في مهمات مكاتباته، وأقام محمد على
هذا الوظيف مغمود السيرة الى أن عزم الامير زكرياء هذا على
السفر الى المشرق مظهرا الرغبة في الحج وهو غير ما كان يضر في
باطنه، فترك على ديوانه لمباشرة شؤونه الكاتب الامين محمد
التجاني - سنة ٧٠٦ هـ - حسبما تراد مفصلا بعد . وتوفي محمد في
حدود سنة ٧١٠ هـ - بعد عودة ابنه الرحالة بستين او أقل من
ذلك، وكان شيخا وقورا حنكته التجارب محبوبا عند الخاصة
والعامة لطهارة سيرته، وسلامة سريرته .

عرف به أحد أمراء الاندلس في كتابه (١) فقال :
« ومنهم - اي كتاب العلامة - الكاتب الاديب صاحب القلم
الاعلى محمد بن أحمد التجاني التونسي، صاحب الشعر النفيس،
المجرب واديه كنفيس، المتطلى صهوة النثار، والحائض في نفعه
المثار، ورب الاحاجي المرموزة، ومعدن سر الاداب التي ليست
بمغموزة، ومثبت حروفها الساكنة والمهموزة »

(١) ك - مستودع العلامة، تصنيف الامير اسماعيل ابن السلطان يوسف النصري الفرناطي
- مخطوط في بعض المكتبات التونسية - ص ٢٣

ويفهم من كلامه هذا أنه يشير الى تأليف - أو مقامات أدبية -
من وضع محمد التجاني ، ولم نتوصل الى معرفته ، ولا الوقوف على
حقيقته .

وعلى كل فانه كان أدبيا ضليعا يقرض الشعر الطيب بالمناسبات ،
كقوله يتشوق الى ابنه عبد الله حينما كان فى رحلته وكتب بها اليه
حملتم القلب اذ جد الرحيل بكم

من الصبابة ما لا تحمل الابل
فلو سلكتم سيلف الحزم ما عجزت

اذ ذاك منى عن دفع النوى الحيل
لكن عراني زهول يوم بينكم

كما يكابد من أجابه رحلوا
فالله يجمع منا الشمل عن عجل

فالخير أجمل ما فى نيله العجل

وترك محمد من الابناء - فينا علمنا - ولدين هما : أبو محمد عبد
الله صاحب الرحلة الاتى ، وأبو العباس أحمد وهو أصغرهما .

(٦) صاحب الرحلة :

فى تلك البيئة المخزنية الراقية ، وفى تلك الاسرة العلمية الماجدة
نشأ ، عبد الله ، أبو محمد ، نشأة جد وعمل ومحافظة على تقاليد
موروثة من لدن جده الاعلى ، ولد عبد الله بحضرة تونس - ما بين

٦٧٠ ٦٧٥ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٦ م) وتربى فى حجر أبيه العالم الاديب المتقدم الذكر وهو أول من لقنه القراءة والكتابة كما صرح به الابن غير مرة . فيقول مثلاً : « وقد أخبرنى بهذا الحديث الوالد قراءة عليه ، قال أخبرنا الشيخ الحافظ محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى (أى ابن البار) ، وأقبل من صفره على حضور دروس الشيوخ فى التفسير والحديث وأنواع العلوم ما بين دينية ولسانية وأدبية حتى ترعرع وحصل ملكة التميز ، ويناسب أن نشير هنا الى المشاهير من الشيوخ الذين أخذ عنهم الحديث والفقہ والتاريخ ، والادب ، غير والده محمد .

شيوخه :

وفى مقدمتهم أبوبكر بن عبد الكريم العوفى العلامة المغربى الوافد على تونس والمتوفى بها سنة ٦٩٨ هـ قال صاحبنا التجانى وقد ذكره فى أحد تصانيفه (١) :

« أخبرنى الشيخ الفقيه العدل الصالح أبو يحيى أبو بكر بن أبى محمد عبد الكريم العوفى فيما أجازنيه وقرأته بلفظى عليه سنة ثلاث او أربع وتسعين وستمائة ، وهو أول من استفدت منه بالقراءة عليه ومثلت بالتعليم بين يديه . وكان - رحمه الله - قد نال من المعارف ما انتهى ، وحاز فيما حاز من الاحاطة بأقوال الفقهاء

(١) ك - د الوفاء ببيان فوائد الشفاء ، من تأليف عبد الله التجانى مخطوط ، وسيأتى ذكره

غاية المنتهى

ومنهم الشيخ أبو القاسم بن أبي محمد عبد الوهاب بن قائد بن
على الكلاعى قريب صاحب السيرة النبوية المشهورة بالسيرة الكلاعية،
أحد علماء الاندلس اللاجئين الى تونس ، روى عنه التيجانى كثيرا
ويقول فى اسناده : « أخبرنى الشيخ الاكرم أبو القاسم بقراءتى
عليه . »

ويظهر ان دراسته المتينة فى الحديث والادب انما تلقاها عن
الاخوين التجانيين على وعمر وقد تقدم التعريف بهما ، فيقول
عن الاول :

« وهذا الحديث حدثنا به الشيخ اللغوى الاكتب أبو الحسن على
ابن الشيخ ابراهيم التيجانى ابن عم الوالد بقراءتى عليه عام سبعة
وتسعين وستمائة ، قال حدثنا . . . الخ . »

ويقول فى مكان آخر عن الثانى :

« أنشدنى الشيخ الجامع المتفنن أبو على عمر بن الشيخ المرحوم
أبى اسحاق ابراهيم التيجانى وهو ابن عم والدى »

ومن شيوخه : أبو على عمر بن محمد بن علوان التونسى . وكان
أخذ التجانى عليه فى خلال سنة ٧٠٢ وتوفى بتونس عام ٧١٠ هـ
حسما نص عليه صاحبنا (١) .

(١) تحفة العروس - ط مصر سنة ١٣٠١

فهذه نخبة من الشيوخ الذين لقن عنهم . أما لو أردنا استقصاء من عرفهم من رجال العلم المبرزين ومن الادباء المجيدين للزمانا قطر ضخم لحصر مكاتباتهم له ، ومساجلاته لهم ، لكن سيري القارىء جانبا مهما منها فى غضون الرحلة ، ومن فحواها يتهيا لنا تقدير علاقات التجانى وصلاته الوثيقة بالعلماء وأهل الادب المعاصرين له داخل القطر وخارجه ، وذلك أظهر دليل على اجتهاده - طول حياته - فى ميدان العرفان وعنايته الكاملة بالعلم والادب ، وسعيه المتواصل فى التعرف بأهله والمتسبين اليه .

مكتبته :

وتعجبنى من صاحبنا ظاهرة أخرى يتضح منها شغفه القوى بالثقافة ووسائلها ، وهو اهتمامه الزائد بالكتب فى كل صنف وفى كل فن ، يتبين ذلك جليا من مطاعة ما وصل اليها من تآليفه ، فانظر مثلا الى وصفه المخطوطات النادرة التى يلاقيها فى سبيل رحلته فى طرابلس وغيرها .

وليس من شك أنه كان يملك مكتبة ضخمة من مختار المصنفات كما هو الشأن غالبا فى ذلك العصر لكبار الكتاب ، ومن يتتبع مؤلفاته يعجب من كثرة ما يذكر منها وينقل عنها ، وها هو ذا يخبرنا أنه كان لديه نسخة كاملة من « سيرة الرسول » لابن اسحاق فينقل عنها مباشرة ، ولا يخفى ان هذه السيرة مفقودة الان ولا

نعرف منها الا ما نقل ابن هشام ، كما كان لديه نسخة من « تفسير يحيى بن سلام » الذى حرره بالقيروان حوالى سنة ١٢٥ هـ .
ومن ناحية أخرى نعلم انه كان تحت تصرفه مصنفات وتقايد بخطوط أصحابها منها كتاب (العمدة) فى صناعة الشعر ، قال التجانى : « ونقلت من خط أبى على الحسن بن رشيق حكاية عن المفصل فى هذا البيت (١) » ، ومنها بعض تاليف على بن سعيد الغرناطى الاديب الطائر الصيت ، قال : « ونقلت من خط أبى الحسن على بن موسى بن سعيد فى بعض تقاييده (٢) »

وفيدنا أيضا عن تصانيف اللغوى الكبير « ابراهيم بن اسماعيل الاجدابى » صاحب ك « كفاية المتحفظ » فى فقه اللغة وغيره ، أنها كانت فى خزائنه ، قال التجانى (٣) : « وأكثر هذه التاليف ملكتها بخطه وكان - رحمه الله - من أحسن الناس خطا » ، عدد منها نحو الاثنى عشر كتابا .

ولا ننس أنه كان فى متناول صاحبنا مجموعة بديعة متنوعة من الكتب المتقاة ، وهذه المجموعة هى مكتبة السلاطين الحفصيين بقصبة تونس . ونعلم انها اشتملت على عشرات الالاف من المخطوطات

(١) ك - « الوفاء » للتجاني مخطوط

(٢) الرحلة ١٨١

(٣) الكتاب المذكور ١٨٩

الخزائنية النادرة الوجود ، وقد بذل السلاطين السالفون جهدا كبيرا ومالا كثيرا لجمعها وتكوينها في مائة سنة أو أكثر . ويمكن الحكم الان على نفاسة ما احتوت عليه من خلال الكتابين أو الثلاثة الواصلة الينا مما سلم منها ، وهذه المكتبة هي التي لجأ اليها عبد الرحمان بن خلدون لما أراد مراجعة الاصول التاريخية والتوسع في كتابه ، ديوان العبر ، وكان ذلك بعد وفاة التجاني بنحو نصف قرن .

وفي اعتقادنا أن صاحبنا كان يستعين بالمكتبة الحفصية التي بالقصبة استعانة مستمرة ويثابر على مواصلة المطالعة والمراجعة بها علاوة على ما كان يملكه شخصا من الكتب الثمينة كما هو الشأن في كل بيت من بيوت العلماء والكتاب والادباء . ناهيك ما كان عند التجانيين من المخطوطات على مختلف ميولهم وأذواقهم ، ومن يظالم مصنف واحد ما وضع التجاني ويحصى ما يذكر من أسماء الكتب التي ينقل عنها أو يحيل عليها يجد المئات من المؤلفات ذات القيمة الثمينة ، وكثير منها لم يصل الينا .

ولا يخال لنا شك أن كثيرا مما كان في خزائن القيروان قبل خرابها بسبب الزحفة الهلالية - سنة ٤٤٩ هـ - انتقل الى حضرة تونس ثم تسرب الى مشارق الارض ومغاربها .

حياته الادارية والادبية :

ولما تهيأت الاسباب للتجاني الشاب، وقد امتلا وطابه علما وأدبا ،

انخرط في سلك الكتاب في ديوان الانشاء حيث كان يباشر أبوه
وأخرون من أقاربه ، مثتهجا صراط الالباء والاجداد منذ أجيال ، وقد
امتزج في ذلك الوسط الادبي بثلة من أصحاب الاقلام المعروفين
مثل أبي ابراهيم بن حنينة ، وأبي زيد عبد الرحمان بن نزار ، وأبي
عبد الله محمد الهوارى ، ومحمد بن أبي زالى البلوى ، ومحمد بن
يعيش ، وأحمد الرصافى وغيرهم كثير ، وما منهم الا من يتتهج
الترسل البديع ، ويقول الشعر ، وفي غضون تقييد الرحلة يرى
القارىء اتصالهم الوثيق بصاحبنا وما جرى بينه وبينهم مدة انتقاله
من المراسلات الادبية المناسبة لذوق العصر .

كان انخراط التجانى في زميرتهم في مدة السلطان محمد المعروف
بأبى عصيدة في بداية القرن الثامن ، ولم يكد يستقر في الديوان
حتى ظهرت عليه مخايل النجابة وعلامات النبوغ فاستصفاه لنفسه
كبير الدولة وشيخ الموحدين الامير أبو يحيى زكرياء بن اللحيانى
وقرب منزلته منه ورسمه في خواص كتابه ، فلما عزم هذا الامير على
تفقد شؤون المملكة وأذاع نيته على محاربة الاسبان المفتصبين لجزيرة
جربة وحدد بموعد سفره الى تلك الوجهة ، عين ، أباً محمد عبد الله
التجانى ، لمصاحبته وفوض اليه الاشراف على رسائله ، وذلك في
منتصف سنة ٧٠٦ هـ (ديسانبر ١٣٠٦ م) فكانت تلك الانتقالات
والجولات التى يراها المطالع مبسوطة في تقييد الرحلة التجانية
وتنتهى بعودة صاحبنا الى حضرة تونس في شهر صفر من سنة

٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) وقد فارق مؤلفنا مخدومه من تراب طرابلس لاسباب
صحية وسياسية معا : « فكان أمد الغيبة عامين وثمانية أشهر وأياما ،
وهي بحساب كمال الاشهر ونقصها تسعمائة يوم وخسة وسبعون
يوما ، كما نبه عليه التجاني .

ويهمنا من هذا أن عبد الله كان فى كامل تلك المدة محل الثقة
والعناية الفائقة من مخدومه شيخ الموحدين ، أنظر الكتاب الذى
ارسله الامير حين مقامه بطرابلس الى والد التجاني فى تونس ، نقل
الىنا رحالنا فحواد قال : « وكان الامير - أعزه الله - وجه لوالدى كتابا
بخطه يعرفه فيه بحالتي معه ويصفنى فيه بما يليق بذاته الشريفة
ومرتبته الرفيعة المنيفة ... »

الاضطراب الداخلى :

ويعود التجاني بعد رجوعه الى تونس الى ديوان الرسائل ويقيم
على خطته السابقة الى ان يرجع مخدومه من تجوله فى المشرق وحجه
الى البيت الحرام ، وفى أثناء مغيب الامير طرقت البلاد أحداث جسام
غيرت وضعية الحكم من جراء ثورات المتوثبين على الملك بمجرد وفاة
السلطان الواثق بالله الملقب بابى عصيدة فى خلال سنة ٧٠٩ هـ
(١٣٠٩ م) وقد أشرنا آنفا ان هذا السلطان كان اتخذ ابن عمه الامير
زكرياء بن اللحياني وزيرا مفوضا لمباشرة سياسته وذلك من حين
توليه الملك سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) - اعنى مدة خمسة عشر عاما ،

وبوفاته انفتح باب الثورات والتنازع بين المتزعمين من الاسرة الحفصية وهم كل واحد منهم باغتصاب العرش ومحاولة اعتلائه ، ودامت الحرب على قدم وساق مدة عامين بين الامراء : ابي بكر ابن ابي زيد المسمى بالشهيد ثم ابي البقاء خالد وغيرهما ولم يستقر لهم الملك الا قليلا .

وفي اثناء هذه الاضطرابات المتوالية كان شيخ الموحدين ابو يحيى زكرياء بن اللحياني قد عاد من الحج كما اسلفنا واستقر بمدينة طرابلس يراقب الامور من بعيد ويتربص الفرص لما عسى ان يحدث في تونس ، فلما ايقن ان الظروف قد سنحت برفع القناع عن مرغوبه هجم من مكمنه على البلاد التونسية في جموع عظيمة من اعراب وحضر وقصد العاصمة وتمت له البيعة العامة في (المحمدية) من احواز تونس - ٢ رجب ٧١١ هـ (١٤ نوفمبر ١٣١١ م) - ودخل القصة وتلقب بالقائم بامر الله وتسلم زمام الامر ، ومن اول اعماله ان عهد لكتاب سره القديم صاحبنا عبد الله التجاني برئاسة دواوين رسائله - وهي خطة العلامة الكبرى - ووزع بقية المناصب على من يثق به ، ومن باكورة اعماله ايضا ان اسقط من الخطبة اسم المهدي الموحدي التي جرت بها عادة الحفصيين واستبدلها باسم محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام لما كان بينه وبين هذا السلطان المملوكي من

الولاء والمجاملة (١) .

ولامراء ان عبد الله التجاني باشر ما القى على عاتقه من المهمات احسن مباشرة طيلة اقامة هذا السلطان في الملك ويظهر ان والده قد مات قبل ذلك بقليل ، ولم يزل صاحبنا يخدم بعمله وعلمه وقلبه البلاد، ويؤلف بين الفينة والفينة التصانيف المفيدة، الى ان عقد مخدمه العزم على مغادرة تونس لما كان يتوقع من سوء عاقبة الاحداث وكأنه أحس بعدم اقتداره على مقاومة قريبه وقريعه الامير ابي يحيى ابي بكر صاحب الملكة الحفصية الغريبة ، فتهياً ابن اللحياني لمبارحة البلاد وباع كل ما لديه من غال ونفيس واخرج حتى المجموعة النادرة للمخطوطات التي كانت بقصورهم في القصبة واشهرها للبيع بالمزايدة في الاسواق ففرقت ايدي سبا ، ولم يسمع لها بعد نبأ .

تخلي اللحياني :

وخرج السلطان ابن اللحياني من الحضرة بدعوى تفقد الاوطان

(١) ولد السلطان ابو يحيى زكرياء بن احمد اللحياني في تونس سنة ٦٥١ (١٢٥٣ م) واما مسيحية تسمى « محرم » وكان عالماً محدثاً كاتباً شاعراً أخذ في صغره بالمشرق عن علماء مشهورين منهم شيخ الاسلام ابن تيمية وقد استقر آخره بعد تخليه عن الملك الحفصي بالاسكندرية حيث وافاه أجله المحتوم في المحرم ٧٢٧ هـ (ديسمبر ١٣٢٦ م) وقد جمع ديوان شعره مدة اقامته بمصر والف خطيباً جمعية اسمها « روضات الجنات » طبعت على الحجر في الهند .

وترك مكانه ابنه وولى عهده محمد المعروف بابى ضربة فى زمن الربيع سنة ٧١٧ (١٣١٧ م) ولم يمض غير قليل حتى فاجأ الامير ابو يحيى ابو بكر تونس فى جنود جرارة واسطول عتيد ، وحاول أبو ضربة مدافعتة بصبر وشجاعة نادرة فلم يقدر وتحول ميدان الحرب الى اوساط المملكة فانهزم آخر جيش الامير ابى ضربة فى فحص مصوج قرب سليانة فى خلال ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) ولاقى حتفه هناك الكاتب ابو الفضل محمد التجانى المتقدم ذكره ، وخلا الجو للسلطان ابى بكر الذى تمكن من توحيد المملكة الحفصية وارجاع شىء من نضارتها المفقودة وفاز بالعرش الافريقى بعد ذلك دهرا طويلا .

مصير التجانى :

وهنا تقف بنا احداث الاضطرابات السياسية والخطوب الدموية التى عبّاش فى غمارها رحالنا عبد الله التجانى ، وهنا ايضا يحل بخاطرنا مشكل من اعصى المشاكل على الحل اذ لم نهتد لكشف القناع عن غامض سره وهو ما ذا كان مصير صاحبنا اثر تلك الانقلابات ؟ فانا لم نعد نسمع له بخبر بعد سنة ٧١٧ ، ويختفى عنا نبؤه - وأنباء آل التجانى جميعا - سواء فى ذلك الكبير منهم والصغير . ولم نعر على ذكر لواحد منهم ، فماذا دهاهم يا ترى من وقت تسيطر السلطان أبى بكر على تونس ؟ فهل قتلوا عن آخرهم كما استشهد أبو الفضل محمد فى المعركة ؟ أم فروا بحشاشات أنفسهم فى أثناء

تلك المحنة الى بعض الاماكن القاصية البعيدة لسبب انتسابهم لمن
سلف من الملوك واخلاصهم في خدمتهم ، فاختفوا هنالك ؟ هذا ما
لم ندرك حقيقته (١)

ومبلغ الظن أن الذوات البارزة من أفراد الاسرة ممن شارك
مشاركة فعلية في مقاومة المتوطين قد أيدوا بالقتل في تلك
المشادات الدموية وفي مقدمتهم عبد الله صاحب الرحلة ، وشرذ من
بقي منهم ممن لم يقاوم شر مشرد ، فاختفوا وأصبحوا كأمس الدابر .
وكلنا يعلم ان قتل نفس - وان كانت بريئة - في تلك الظروف كان
شيئا تافها لا يعاب به ولا يعد جريمة تنكر ، وهذه حال الافذاذ من
الرجال في دول ملك الاطلاق ، والله الامر من قبل ومن بعد .

أعقاب التجاني :

فيمر قرن كامل من الدهر ، ويطوى الزمان - على عاداته -
الصحيفة المشوهة لتلك المحن ، فيظهر تحت سماء تونس الصافية
آخر عقب للتجاني ...

(١) لا عبرة لمن ادعى ان وفاة عبد الله التجاني كانت في خلال سنة ٧٢١ هـ فليس هناك مبرر
تاريخي لهذا الزعم الذي لم تقم عليه أدنى حجة .

أورد السخاوى فى كتابه الكبير للتعريف بأهل عصره (١) ترجمة عالم تونسى كان يعيش فى القرن التاسع للهجرة ويمت نسبه الى بيت التجانى وهو آخر من وقفنا عليه من رجال هذه الاسرة ونحن نختصر هنا ما جلب السخاوى : « أحمد بن محمد بن على بن عبد الله التجانى التونسى المالكى ويعرف بأبى العباس ابن كحيل - ولد فى ربيع الاول سنة ٨٠٢ - (١٣٩٩ م) - بتونس ونشأ بها وقرأ على محمد الصنهاجى صاحب الاجرومية وأخذ عن محمد بن خلفه الابى ، وعن البسيلي والشماع وابى القاسم البرزلى والزعبى وابن مرزوق وعبد الواحد الفريانى وأبى مهدى الفبرينى وشيوخه كثيرة ولقى (بمصر) شيخنا - ابن حجر العسقلانى - فى سنة ٨٤٦ هـ ولقيته بالقاهرة فى الجامع الازهر فكتبت عنه ما تقدم وصنف متنا فى الفقه سماه « المقدمات » فى مجلد لطيف ، وكتابا فى الوثائق سماه « الوثائق العصرية » وكتابا فى التصوف سماه « عون السائرين الى الحق » - وكان فاضلا، مفوها، طلق العبارة، حسن المحاضرة، بهى المنظر، حسن الخبر والمخير ، والغالب عليه التصوف والصلاح وقد الزمه صاحب تونس (السلطان أبو عمرو عثمان الحفصى المتولى من سنة ٨٣٩ الى

(١) « الضوء اللامع » لاهل القرن التاسع ، ط مصر ١٣٥٤ ج ٢ - ١٢٦ ، وقد حصل تقديم وتأخير فى نسب المترجم له وهذا كثيرا ما يحصل فى فصول الضوء اللامع وغيره فلينبه له - وعن السخاوى نقل هذه الترجمة أحمد بابا التبيكى فى ك - « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ط مصر ١٣٢٩ ص ٨١ - وكذا - درة المجال - لابن القاضى ط فاس ١ - ٤١

سنة ٨٩٣) فى السنة المشار اليها أن يكون قاضى الركب - أى
ركب الحجاج - وبلغنا أنه مات قريبا من سنة ٨٦٩ - ١٤٦٤ م - وله
اقارب علماء مصنفون رحمه الله وايانا .

والظن الغالب أن أحمد التجانى هذا هو حفيد عبد الله رحالنا ،
وأنه - فيما علمنا - آخر من تيسر الوقوف على ذكره من تلك
الاسرة ، وأما أبوه محمد الملقب بكحيل وكذا جده على بن عبد الله
صاحب الرحلة فلم نعثر لهما على خبر فيما راجعنا من المصادر
العديدة التى لدينا .

وإذا قدرنا أن الحفيد الاصغر كان من العلماء المؤلفين وأنه توفى
سنة ٨٦٩ هـ أو قريبا منها وأن « أقاربه كانوا علماء مصنفين ، كما
يذكر السخاوى فيكون السند العلمى وأسبابه قد أقامت فى البيت
التجانى ولم تفارقه أكثر من ثلاثمائة عام ، وهو مقدار نادر فى حياة
الاسرات العلمية ، وربما يتاح لنا بعد حين أن نعثر على ما يوضح
النواحى الغامضة المجهولة من أخبار البيت التجانى الذى تعدد
مفخرة جليلة من مفاخر القطر حسبما يشيد به بعض الشعراء
المعاصرين له فيصدق قائلهم :

لا غرو ان حاز الكمال فانما وقف الكمال على « بنى تيجان ،

مؤلفاته :

واذا ما أردنا أن نحصى ما صنف التجانى من المؤلفات ترانا فى عجز عن معرفة اسمائها كلها اذ أن كثيرا منها لم ينص عليه أصحاب الاخبار ، وها نحن نحاول هنا ذكر ما توصلنا الى الوقوف على تسميته بعد جهد جهيد نبذله من عهد بعيد ، واليك ما عرفناه مشيرين الى الموجود منها والمفقود ...

(١) « أداء اللزم ، فى شرح مقصورة حازم ، وهى الفية - ذات الف بيت - وضعها أبو الحسن حازم القرطاجنى من قرطاجنة الاندلس - المهاجر الى تونس والمتوفى بها فى رمضان ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) وقد مدح بها الخليفة محمد المستنصر بالله بن أبى زكرياء الاول الحفصى وذكر فيها مفاخره وصنائه وهى من البلاغة والمثانة بمكان ، وكان وضع التجانى لهذا الشرح فى المحرم من عام ٦٩٩ هـ (١) فهو من اقدم مؤلفاته ، والظاهر انه صنفه وله من العمر عشرون سنة أو نحوها ، وهذا الشرح مفقود الان بكل أسف ولا نعلم بوجود نسخة منه .

(٢) « الوفا ، بيان فوائد الشفاء ، قال التجانى فى مقدمته : « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... هذا كتاب مبارك اعتمدت وضعه على كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، من تأليف

(١) كما شرح هذه المقصورة - بعد ذلك - قاضى غرناطة أبو القاسم محمد بن احمد الغرناطى المتوفى ٧٦٠ (١٣٥٩ م) وطبع هذا الشرح فى جزءين بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ

القاضى ابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى وسميته بكتاب
الوفاء ببيان فوائد الشفا (١) ، ولا ريب أنه من أمتع شروح الشفا
تحرى فيه صحة النقل ودقة النقد للاخبار المروية ونبه على الاحاديث
الضعيفة والمرسل منها وبسط القول فى كثير مما أورد من الاخبار
والقصص والتراجم ، وهذا الشرح يخرج فى نحو اربعة اجزاء أو
اكثر ، والموجود منه فى مكتبة جامع الزيتونة قطعة صالحة لجزئين
وهى بخط تونسى قريب العهد مرسومة تحت رقم ١٣٢١ - وقد
استفدت كثيرا من مراجعتها فيما يتعلق بحياة التجانى ودراسته
وتلقيه للعلوم وبالجملة فهو كتاب متع بالافادات العلمية الدالة على
سعة معلومات المؤلف وسلامة ذوقه ومعرفته القوية باللغة والاخبار
الاسلامية الماضية .

ونسوق اليك على سبيل التمثيل اعتراضه على استعمال كبار الكتاب
بعض الكلمات فى غير معناها الاصلى ، كقوله بمناسبة كلمة
« سائر » :

« ووجدت أنا فى شعر أبى العلاء المعرى بيتا يستعمل فيه
لفظ « سائر » بمعنى الجميع ، وذلك قوله فى الشريف ابى ابراهيم
العلوى ، »

الزم العالمون حبك طرا فهو فرض فى سائر الاديان

(١) الوفاء للتجاني ، خط

وهذا البيت غريب وانما الاكثر فى كلام العرب استعمال سنائر
بمعنى الباقي لا غير ، وهو الذى يدل عليه حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم المتقدم واختلف القائلون بأنه انما يستعمل بمعنى
الباقي الاقل دون الاكثر ، وذهب بعضهم الى الباقي مطلقا ، قليلا
كان او كثيرا وهذا هو الصحيح . .

أقول : ويا حبذا لو وفق بعض شبابنا الناشط للعناية ببحث
هذا الشرح العلمى المفيد .

(٣) « الدر النظيم » فى الادب والتراجم ، والظاهر انه مصنف
كبير جمع فيه التجانى أخبار أدباء الدولة الحفصية من تقدم عصره ،
وكان وضعه له قبل ابتداء الرحلة اذ يقول فيها : « وقد ذكرناه
(أى فلان) وأخاه فى كتاب « الدر النظيم » ، بأنتم من هذا (١) ومن
دواعى الاسف أن يضع مثل هذا الكتاب الذى كان يفيدها كثيرا
عن الحركة الفكرية فى بداية العصر الحفصى ، ولم نقف له على أثر
ولولا ذكر المؤلف له فى رحلته لما كنا نهتدى لوجوده .

(٤) « تقييد على صحيح مسلم » ، بن الحجاج القشيري ، حرره مدة
اقامته بطرابلس - سنة ٧٠٧ هـ حين قراءته بها على الشيخ عبد
العزيز بن عبيد السبائي من علمائها . قال التجانى : « وقد كنت

ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة ، وأفادته المحاضرة ، مما جاء كالاكمال لكتاب الاكمال ، ويعنى كتاب « اكمال المعلم على صحيح مسلم ، وهو زيادة شرح للقاضى عياض السبتي على شرح « المعلم بفوائد مسلم ، للامام محمد المازرى دفين المستير .

(٥) « تقييد على المسند الصحيح للبخارى ، وضعه أيضا بطرابلس فى التاريخ المتقدم بعد أن انتهى من قراءة صحيح مسلم قال التجانى : « ثم بعد ذلك فى الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى »

وكل من التقيدين السالفين مفقود ولا نعلم عنهما شيئا .
(٦) « نفحات النسرين ، فى مخاطبة ابن شبرين ، مجموع أدبى فى سفر ضخيم جمع فيه التجانى المخاطبات والمجاوبات الدائرة بينه وبين الاديب الاندلسى محمد بن أحمد بن شبرين الجذامى السبتي الاصل والمقتل الى غرناطة ، وقد تولى قضاءها ، قال التجانى :

« وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقا ، وأحسنه فى النظم والنثر طريقا ، وقد كنت اجتمعت به فى تونس ووصل اليها فى عام ٧٠٣ هـ وكانت نيته التوجه الى الحج فلم يقض له ذلك (١)

وقد اعتنى التجانى بجمع الرسائل الدائرة بينهما ، مما مثلاً سفره
جميعته وسميته ، نفحات السرين ، وهذا السفر مفقود أيضاً .
ومن المناسب أن نعرض هنا لونا مما كانت تحويه تلك المكاتبات ،
فمن قصيدة لابن شبرين يتشوق فيها الى الاجتماع بأحبابه
التجانيين فى تونس يقول :

يا نسمة سحبت فضول ذبولها

ما بين ورد بالعذيب ونرجس

حتى رحال تحيتى فى معهد

بين الجوانح منه عهد ما نسى

والحى من « تيجان » فاشرح عندهم

فرط اشتياقى نحو ذاك المجلس

(٧) « علامة الكرامة فى كرامة العلامة ، ولا نعرف من هذا

التأليف سوى اسمه ، والظاهر انه نوه بذكر وظيفة « العلامة

الكبرى » و « الصغرى » وهو ما كان يوضع من الكتابة بالقلم

الغليظ فى أعلى الظهائر السلطانية والاوامر الرسمية للملوك بنى

حفص ولغيرهم من ملوك المغرب ، وفى الحقيقة أن « صاحب

العلامة » كان يشغل منصب الرئاسة العليا لدواوين الانشاء ،

فالمعاهدات والمراسيم والرسائل التى تصدر عن السلطان للملوك

العالم كانت تحلى بالعلامة الكبرى ، كما أن المكاتيب العادية

والاذون للعمال والفضاة وسائر نواب الحكومة فى داخل القطر

وكذا تسمية الموظفين يوضع عليها العلامة الصغرى من تحرير غيره من كتاب الديوان ، والعلامة نفسها هى عبارة عن جملة مختارة فى معنى حمد الله تعالى وشكره وتمجيده ، ويختلف رسمها وعبارتها عند استيلاء كل ملك من ملوكهم (١) .

أما تأليف « العلامة » ، هذا فالغالب على الظن أن التجانى ترجم فيه للكتاب الذين تداولوا هذه الوظيفة - مثل ابن الأبار ، وابن أبى الحسين ، وابن الحجاز ، وقد تقدم ذكر البعض منهم ، ولو قدر لهذا السفر أن يصل إلينا لكنا نستفيد منه كثيرا عن نظام ديوان الرسائل فى الدولة الحفصية ، وعن تولائها من أعيان الأدباء .

(٨) « تحفة العروس ، ونزهة النفوس ، هذا التصنيف مفاير فى موضوعه لما مر بك من كتب التجانى ، اذ انه مجموع أدبى رائق رتبته على خمسة وعشرين بابا فى معاشره النساء ، وأخلاقهن وخصالهن ، وصفة أعضائهن من حسن وقبح ، وفى العفاف والصون وفى الزينة والتطيب ، وفى حقوق المرأة على الرجل وفى الغيرة وبيان ما يحمد منها وما يذم ، وختمه بباب متسع فى الملح والمفاكهات من هذا النوع ، وأورد فيه من الايات القرآنية والاحاديث النبوية مع تفسيرها وشرحها ، ومن الحكايات الطريفة ما يناسب كل مقال .

(١) راجع ما قال ابن خلدون عن العلامة فى مقدمة تاريخه .

وقد وهم بعض مستشرقى الافرنج - مثل بروكلمان وغيره - اذ ظن انه من نوع كتاب « رجوع الشيخ الى صباه » ، والحقيقة انه ليس هو من النمط المشار اليه ولم يوضع لهذا الغرض ، بل يلوح من خلاله أن المؤلف أراد أن يثبت - على عادته - سعة احاطته بالادب العربى القديم ، ورسوخه فى فهم نصوصه مع شرحها وتفسير الغامض منها ، ثم انه أبان فى مقدمة كتابه الغرض الذى رمى اليه من وضعه ، خشية منه أن يظن به النزول الى صف الكتب المصنفة فى المجون والفحش المستهجن على ما كان جائزا فى عصر تقهقر الاداب العربية ، فيقول فى خطبة « تحفة العروس » : « وليس كتابنا هذا فى الحقيقة كتاب سمر وانما هو كتاب علم ونظر ، والواقع يؤيد ذلك تأييدا كاملا .

وعلى كل فان عبارة « تحفة العروس » عبارة سهلة التناول ، ذات طلاوة واضحة وطريقة ظريفة فى عرض الحكايات والاشعار ، مع الحرص منه على نقدها وتمحيصها كما هو شأنه فى جميع تحريراته - ومن المحقق أنه ألفها بعد رجوعه من الرحلة بسنوات .

ويوجد منها نسخ مخطوطة فى غالب مكتبات الشرق والغرب ، منها نسخة صحيحة بمكتبتى الخاصة تاريخ نسخها سنة ٨٠٦ هـ اى اقل من مائة سنة بعد المؤلف ، وطبعت « التحفة » فى القاهرة عام ١٣٠١ وترجمها الى اللغة الفرنسية باختصار وبأغلاط كثيرة روسو

Rousseau. ونشرت في الجزائر وباريس سنة ١٨٤٨ تحت عنوان :

« Touhfat El Arous, ou Cadeaux des Epoux ».

تحقيق اسم المؤلف :

والجدير بالملاحظة أن اسم المؤلف التجاني وقع فيه اضطراب كبير ، فقال بعضهم انه : « محمد بن أحمد بن ابراهيم » ، وجعله آخر : « محمد بن عبد الله بن ابراهيم » ، وسماه ناشر : « تحفة العروس » بمصر ... أبو عبد الله محمد بن أحمد التجاني ، وكأنه توهم انه (احمد التجاني) صاحب الطريقة الصوفية المغربية المعروفة أو انه ابنه علي الاقل ، فوصفه بقوله : « صاحب السرب الرباني » ،

والذي يخطر ببالنا أن هذا التشويش ناشىء عن أمرين : الاول - عدم وجود تعريف لحياة مؤلفنا في الكتب المتداولة للتراجع ، والثاني - اللبس الذي يحصل من ابدال اسماء الرجال بالكنى وكانت طريقة مستعملة كثيرا في أثناء القرون الوسطى الاسلامية في المغرب ، مثال ذلك : من اسمه محمد لا يقال فيه إلا أبو عبد الله ، وعبد الله لا يعرف إلا بأبي محمد ، وزكرياء بأبي يحيى ويحيى بأبي زكرياء ، واسحاق بأبي ابراهيم ، وابراهيم بأبي اسحاق ، وهلم جرا مما يؤدي بطبيعة الحال الى الالتباس والتشويش في تعيين الاشخاص عند ما تذكر كناههم دون أسمائهم .

وهذه الكنى هي فى الحقيقة اصطلاحية ومصطنعة ولا تتفق مع الواقع، لا كما كان الشأن عند العرب وجرت به عادتهم فى القرون الاولى من استعمال الكنية من باب التبجيل والترحيب وفى دائرة خاصة ، فينسب الرجل الى اسم البكر من أولاده ، ويتعاقب الزمان صار الامر على خلاف ذلك من لدن الدولتين : الموحدية والحفصية بالمغرب ، واستمر كذلك الى عهد غير بعيد .

وربما كانت البلية عامة فى جميع البلاد الاسلامية فى الوقت نفسه اذ أنه أضيف الى الاسماء فى المشرق خاصة القاب كأنما يقصد بها المباهاة وزخرف القول فقل : فخر الدين الرازى ، وعز الدين بن عبد السلام ، وسعد الدين التفتزاني وما لا يعد كثرة من النعوت التى لا تمت الى الحقيقة بشيء ولا ييسر التوصل منها الى الاسم الاصلى الذى النى تماما ، فاذا قيل مثلاً « ولى الدين بن خلدون » لا يهتدى الى معرفة أنه عبد الرحمن ، فيشتبه حينئذ الامر مع أسماء بقية أفراد أسرته الكثيرين .

وقد رأينا من إلتهم التنبيه على هذه الاوضاع المتفشية فى العصر الحفصى حتى لا يستغرب من استعمال الكنى بدل الاسماء .

أما تحقيق اسم صاحبنا التجانى فهو ما رسنا فى طالعة الكلام عليه وعلى المشهورين من آل بيته ، ولنعذ الى ذكر مؤلفاته ، فمنها : (٩) « تقييد الرحلة » ، أخرنا ذكر هذا التصنيف لسبب واضح اذ أنه الغرض الاصلى من هذه المقدمة .

وماذا عسى أن نقول عنها وسيطالعها القارىء، ويتبع خطاها
مرحلة مرحلة، لكن سبق أن عرفنا بما وصل لعلنا من مؤلفات
التجاني، فلا بأس بأن نبدي رأينا في قيمتها .

الحق أن « الرحلة » من غرر المصنفات التونسية، وكأنها الوحيدة
من نوعها في وصف البلاد الافريقية والتعريف بعمرانها أوائل
القرن الثامن للهجرة، أحد العصور الغامضة الانباء في تاريخ تونس
الاجتماعى والسياسى لندرة النصوص الواصلة إلينا عنه .

فمن أهم خصائصها أنها تبسط لمطالعها أخبار المدائن والقرى
التي يمر بها الرحال كل واحدة بانفرادها، وتجعله يحيط علما بما
مضى من أحداثها، مع التعريف بالنابعين من أبنائها ما بين فقهاء،
وقواد، وأدباء، وصلحاء قدامى ومعاصرين، ثم انها لا تقتصر على
وصف المدائن التي يجتازها بما فيها من معاهد ومعالم ذات شهرة
وقية بل تبين - نقلا ومشاهدة - أسماء الاوطان والنواحي، ومن
يسكنها من القبائل، وما يتفرع عن كل قبيلة من بطون وأفخاذ.
من البدو الرحل، فيميز بين أصولها وفروعها، وينسب كلا منها
الى أن ينتهى الى مشهور الاصل الجامع .

وهكذا يزور التجاني الساحل التونسى الزاخر بال عمران قديما
وحديثا ويمر بصفاقس، ثم ينزل الى الجنوب ناحية قابس وجزيرة
جربة فيعرفها أحسن تعريف، متعرضا للعقائد والعادات المحلية

الشاذة مثل وصفه لطريقة دفن الاموات بقرية « المقدمين » بجبال
مطماطة ، وهى من تقاليد قدماء البربر ، وقد انقطع استعمالها اليوم ،
ثم يدخل الواحات الجنوبية بقسميها الشرقى (مطماطة ونفزاوة)
والغربى (بلاد الجريد) ويقطع سبخة تاكمرت ، ثم يعود فى ركاب
مخدومه فيجوز الى التراب الطرابلسى ويزور منازل الساحلية
ومداشره كزواة وزواغة وزنزور وينعتها بما تستحق ، ويقوم
بمدينة طرابلس مدة يتصل فيها بمن هو متصف بالعلم ، ويحضر
مجالس بعض محدثيها ، وبعد برهة من الزمن يسافر مخدومه الى
المشرق فيفارقه التجانى ويلوى عنان جواده عائدا الى وطنه على
طريق الجادة الازلية التى تربط افريقية بالمشرق ، ويعود الى وصف
ما يمر به على غير الطريق الاولى الى أن يبلغ فى آخر ترحاله الى
حضرة تونس عاصمة البلاد وقصبتها الشامخة من حيث ابتداء الرحلة
ومن طريف أوضاع المؤلف فى تقييده أن يعرض على قارئه
تفصيل ما يرد عليه من المكاتبات العائلية والاخوانية ، وينشر بين
يديه ما تشمله الرسائل من شعر ونثر ، وكلها محررة على ذلك
النمط المسجع الذى ولع به أهل القرون الوسطى الاسلامية ، وهى
- على سذاجتها - تعرفنا بشال بيت رحالنا وبأحبابه ومعارفه فى
داخل القطر وخارجه .

ومما يلفت النظر فى الرحلة أن صاحبها أورد فى غضوناتها وثائق
تاريخية بنصها الاصلى ، وقلما رأينا رحالا يأتى بمثل هذه النصوص

المهمة ، ومن أخطرها ذلك السجل الصادر عن الحسن بن علي آخر
الامراء الصنهاجيين المعلن بانتصاره على جيش (البرماندين) في
وقعة الديباس بالساحل التونسي ، أضف الى ذلك جملة أحداث
معاصرة لم نكن نعرفها لولا ما أثبت من أنبائها وتفصيلها .

وجملة القول أن رحلة التجاني مرآة صقيلة صافية تمثل فيها
صورة البلاد التونسية من حيث عناصر السكان وهيئتهم الاجتماعية
والاقتصادية علاوة على تفصيل جغرافية القطر وتاريخه وتراجم
مشاهير أنبائه مع التعرض للنباتات الخاصة بكل جهة من جهاته ،
وهو مقدار من الافادات قلما اجتمع في رحلة واحدة ، وفي ذلك
بلاغ .

تحقيق أصل الرحلة :

في خلال ١٩٢٣ خطر لادارة المعارف السابقة أن تعهد الى لجنة
تتألف من سبعة أشخاص لتحقيق مخطوطات عربية مختارة من بين
المصنفات التونسية في الادب والتاريخ والجغرافية بقصد نشرها
وترجمتها الى اللغة الفرنسية ان اقتضى الحال .

ووقع اختيار اللجنة على نحو عشرين مخطوطا منها ، وقع توزيع
الاشتغال بها على الاعضاء فتكفل الاستاذ المرحوم د وليم مرسى ،
رئيس اللجنة بالاشراف على تحقيق د رحلة التجاني ، وكان من
نصيب كاتب هذه الاسطر تجهيز كتاب د آداب المعلمين ، لمحمد

ان سحنون ، وكلف بقية الاعضاء بمخطوطات اخرى ، وأقبل الجميع على العمل مع مراجعة بعضهم لبعض عند الحاجة .
وأول ما صدر من المجموعة المتفق على نشرها « آداب المعلمين ،
فطبع على نفقة ادارة المعارف ، وتأخر ظهور « الرحلة التجانية ، الى
ما بعد ذلك ، لما لزم من المراجعات والمقابلات والتحقيقات وكانت
الاصول التي اعتمد عليها من الرحلة ست نسخ خطية استعيرت من
عدة مكتبات ، فمن الزيتونة ، ومن المكتبة الشعبية بالجزائر ، ومن
تلمسان ومن خزانتى الخاصة ، وقد بذل الاستاذ « مرسى ، جهدا
وكاملا عنايته وخبرته العلمية فى العمل .

وفى الواقع أن جميع هذه النسخ المجلوبة كانت على جانب
عظيم جدا من التحريف والتصحيف والسهو والاغلاط الفادحة ،
ولم يكن من بينها واحدة قديمة ثابتة يرجع اليها ويعتمد عليها ،
فكلها متأخرة النسخ ، وكأنما نقل بعضها من بعض حتى فى
أغلاطها وأوهامها التى لا تحصى عددا ، لا سيما فى القصائد
الشعرية الواردة فى الاصل ، ومن المراجع التى عدنا اليها
ك « الحلل السندية فى الاخبار التونسية » تأليف محمد الوزير
السراج الذى أتى على غالب الرحلة فأدمجها فى كتابه ، ويظهر أنه
كلما عرض له تحريف أو تصحيف فى النسخة - أو النسخ - التى
بين يديه كان يعوضه بلفظ من عنده بدلا عن الحلل أو النقص
الموجود فى الاصول المنسوخ منها خصوصا فى القصائد الشعرية .

ولما انتهى من اثبات النص الكامل بعد ضبطه وتصحيحه حرص
الإستاذ « وليم مرسى » على نشره وتم ذلك فى « المطبعة الرسمية
التونسية » القديمة ووقف بنفسه على مراجعة التجارب بقدر
الاستطاعة فبرزت الرحلة فى خلال سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م)
من غير أن تصدر بتوطئة مناسبة ولا فهارس ، وحال دون ذلك
من بعد نشوب الحرب الكبرى الثانية ، وتسلمت إدارة المعارف
يومئذ ما طبع من النسخ واخترنته فى دواوينها ، وبقيت هنالك
هى وصاحبها كتاب « آداب المعلمين » عرضة للربطوبة والاهمال ،
ممنوعة عن أنظار المتشوقين الى مطالعتها ، ولم يفلت منها سوى
نسخ قليلة تهافت عليها من كان من القراء فى حاجة اليها .

فلما ظفرت البلاد التونسية باستقلالها وفازت بحريتها المنشودة
وتهيأت لها وسائل النهوض ودعائم الوعى القومى ، انبعشت
(وزارة التربية القومية) بنشاط حيث لتدارك ما فات ، وارجاع ما
كاد يضمحل أو يموت ، وما فتئت دائبة على جد العمل لتأييد
حركتنا العلمية المباركة ، باذلة السعى المتواصل لاجلاء تراثنا
القومى الزاخر ، وبعث ماثرتنا الزاهرة من مرقدتها وتشخيص
مزاياها الفاخرة .

ويحق لنا أن نشيد هنا بتوجيهات فخامة رئيس جمهوريتنا ،
الساعى لاعلاء كلمتنا ، وتحقيق نهضتنا ، المجاهد الاكبر السيد
* (الحبيب بورقيبة) * اذ اليه يرجع الفضل فى الاشارة باعادة طبع

« رحلة التجاني ، وغيرها من الذخائر التونسية ، وقد أذن كاتب دولته للتربية القومية بالمبادرة لاعادة طبعها ، وبعثها من مرقدتها وازالة غبار النسيان عن سفرها ، لينتفع بها أهل الابحاث ، وهواة الرحلات ، فلفخامته المحبوبة الشكر الاوفر من تونس الناهضة على عنايته بكل ما من شأنه أن يزيد في معرفة البلاد ويرفع بين الاقوام من قدرها ، ويدل على مجدها وفخرها . »

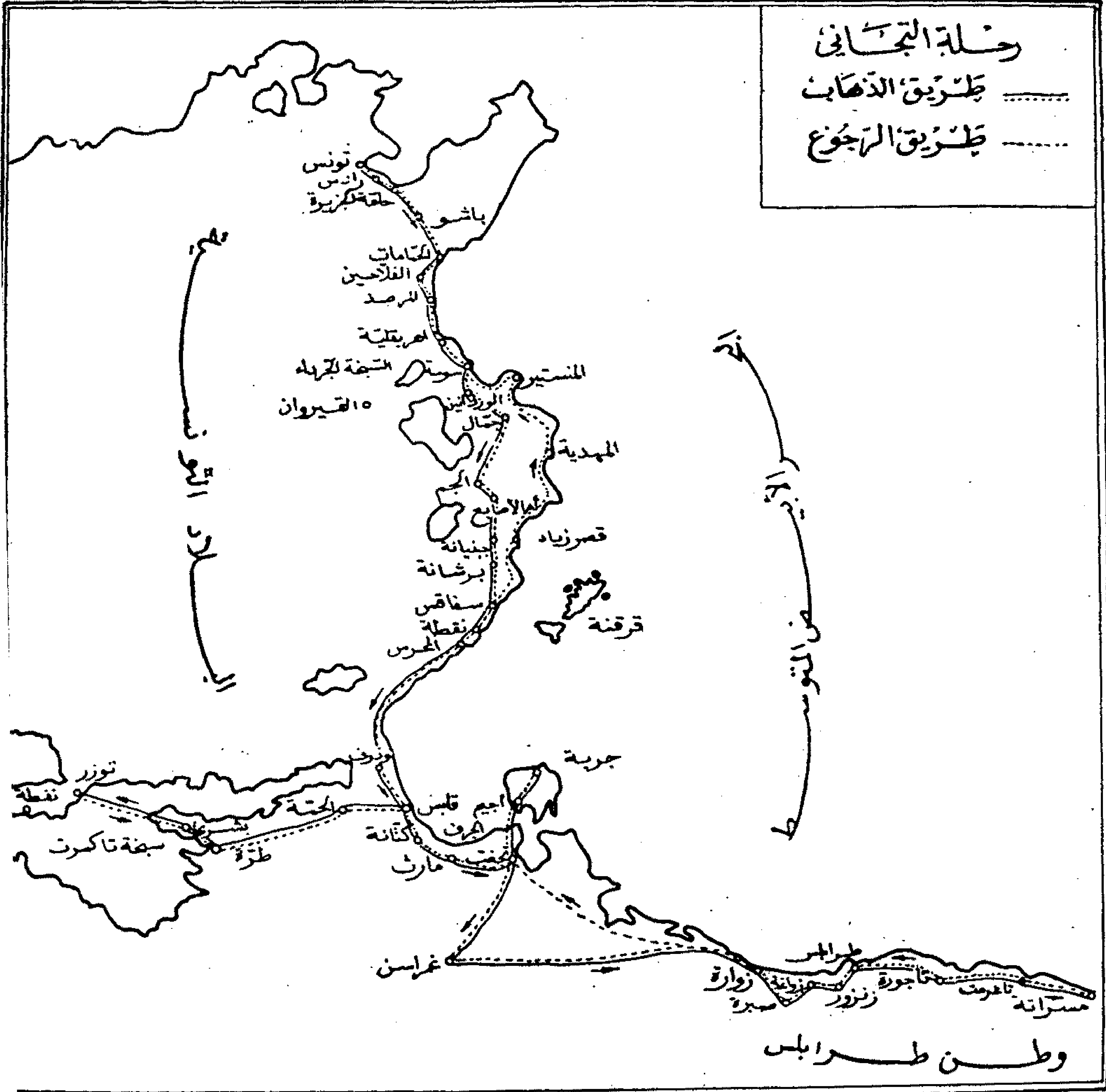
وأبناء القطر التونسي العزيز في حاجة ملحة اليوم الى معرفة ماضي بلادهم والاحاطة بما كانت عليه من العزة والعظمة في غابر الزمان حتى يضطلعوا بالزيادة من محبتها ، والتضافر لرفع منزلتها ، والظروف تفرض عليهم هذا الواجب الاقدس في عصر تستشرف فيه تونس لمستقبل مجيد ، وها هي تناشد أبناءها الابرار التفاني في الاجتهاد ، وتدعوهم لاقتفاء أثر الاجداد الامجاد .

واذا عظم البلاد بنوها أنزلتهم منازل الاجلال !

عن مكي عبد الوهاب

عن سلام بو - مستهل ربيع الاول ١٣٧٧

رحلة التَّجَانِي
طَرِيقُ الذَّهَابِ
طَرِيقُ الرَّاجِعِ



رَحْلَةُ الْحِجَابِ

قونس - طرابلس

٧٠٦ / ٧٠٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما (١) بعد حمد الله الذى سوغ عوارف فضله ، وأسبغ موارد
ظله ، وقاد العبد بسائق حكمه ، الى ما جرى فى سابق علمه ، من
حالتى ارتحاله وحله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى
أظهر الله بهجرتة الدين الحنيفى على الدين كله ، وقضى له
بالبركة ، فى تلك الحركة ، فقال به الايمان لعزه والكفر لذله ،
وعلى آله وجميع أصحابه الذين هجروا حلالهم للهجرة الى محله ،
وأحرزوا من الثنا ، بما لهم من صفات السنا ، ما لا يفى (٢) كثير
العبارة بأقله ، فهذا تقييد يشتمل على وصف ما شاهدته فى هذه
السفرة المباركة من البلاد مضمن ذكر أحوالها وصفاتها ، وبيان
طرقها ومسافاتها ، والاشارة الى مفتحيها وبناتها ، وأحوال من
اشتملت عليه من أصناف العوالم ، وما يتميز به كل بلد من الآثار
والمعالم ، وما تشوف اليه ، ويتشوق الى الاطلاع عليه ، وقد البس
ذلك من حلة النظم والنثر مما ورد فى هذه السفرة الى او صدر
عنى استفتاح خطاب ، او رد جواب ، ما تحسن المحاضرة به ،
وتحصل الافادة ان شاء الله تعالى بسببه .

(١) اختلفت النسخ فى صدر الخطبة ففى بعضها : أما بعد حمد الله الخ كما ترى وفى بعضها :
الحمد لله الذى سوغ الخ ثم : وبعد فهذا تقييد الخ .
(٢) فى نسخة يكفى

فكان خروجي من تونس المحروسة صحبة الركاب العلى
المخدومي الليمومي (١) أعلى الله مقامه ، وأطال في العز دوامه ، ففى
آخر جمادى الاولى من عام ستة وسبعمئة وكان مراده منها بالقصد
الاول انما هو التوجه لاداء فريضة الاسلام ، التى لا يسع تركها
بعد الاستطاعة عليها أحدا من الانام ، بهذا تعلقت آماله ، وعليه كان
عن الخلافة (٢) انفصاله ، الا أن أمر الحج طوى على الناس فى هذه
الحركة ذكره ، وأخفى عنهم امره ، وسبب ذلك أنه لما علم فى تدبير
الرعية من حسن غنائه ، وما اجتمعت عليه قلوب الجمهور واستتم
من محبته وثنائه ، لو بين لهم انطلاقه ، لا بدى (٣) كل منهم به اعتلاقه
فصدوه عن حجه ، وردوه عما يسم من نهجه ، فرأى أن كتم الحج
أصلح ، وأنه الاكد فى طريق السياسة والارجح ، فجعل أمر جربة
سببا الى نيل ذلك المرام ، ورجا مع ذلك ان يكون على يده
استرجاعها الى الاسلام ، فاعلن بذكر التوجه اليها وأشاع انها
المقصودة بالحركة وأنه اذا انفصل عنها ، بعد ان يقضى وطره منها ،
يتوجه بالمحلة الى البلاد الجريدية ثم يعود صحبة المحلة الى الحضرة
وبنى فى باطن الامر على أنه عند تمام حركة الجريد يرد الجيش الى
تونس ويقيم هو ببعض البلاد الى أن يصل الركب بهدية ملك
المغرب أبى يعقوب المرينى الى ملك المشرق فيتوجه معه وقد كان

(١) هكذا فى جميع النسخ التى بايدينا

(٢) لعله دار الخلافة

(٣) فى بعض النسخ « لا بد »

ملك المشرق وجه الى المرينى هدية صلبة بعض أمرائه اجتازت على تونس متوجهة اليه (١) فى أوائل شهر ربيع الثانى من عام التاريخ فكان يظن أن هؤلاء المشاركة يسرع اياهم ، ولا يبطؤ انقلابهم .

هذا بيان ما بطن من هذه القضية وما ظهر ، وشرح ما استتر منها وما اشتهر ، ولم يعلم بأمر الحج فيها إلا ناس قليلون غير أن العامة ربما كان حصل لهم به شعور فكانوا يشيعونه ولا يتحققونه وتعينت للتوجه الى جربة حصتان برية وبحرية وتقدم اقلاع البحرية عن ارتحالنا نحن بناء على أن يكون اجتماعنا بجزيرة جربة فكان اقلاعها فى أوائل جمادى الاولى وتأخر ارتحالنا نحن الى أواسطه فكان خروجنا من تونس يوم الثلاثاء الرابع عشر منه فنزلنا يومنا ذلك برادس على ستة اميال من تونس وأقمنا بها ثلاثة عشر يوما الى أن استوفى الاجناد من الحضرة مرادهم ، وأكملوا لما يستقبلون من السفر استعدادهم .

ورادس هي المنزلة الاولى للمحال والعساكر دائما اذا خرجوا من تونس لا يتجاوزونها الى غيرها وهي قرية قديمة الرسم ، شهيرة الاسم ، وبها كروم كثيرة ومزارع متسعة وجامع للخطبة عتيق وابتنى بها فى وقتنا هذا جامع أضخم منه الا أن الخطبة لم تنقل اليه (٢)

(١) انظر كتاب العبر لابن خلدون (ط الجزائر) ج - ٢ - ص - ٢٢١ - ٢٢٢
(٢) الخطبة الان فى الجامع الجديد

ولم تنزل رادس في القديم رباطا مشهورا بالفضل ، وقد روى ابو عبيد في المسالك عن زيد بن ثابت وانس بن مالك موقوفا عليهما انهما قالوا : من رابط برادس يوما واحدا فله الجنة (١) وذكر ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق (٢) في تاريخه : ان علماء المشرق وفقهاء كتبوا الى اهل افريقية : من رابط عنا برادس يوما واحدا حججنا عنه حجة . وكان الروم اغاروا عليها في ولاية عبد الملك بن مروان في مراكب لهم فقتلوا من بها وسبوا وغنموا ولم يكن للناس اذ ذاك شيء يحصنهم فبلغ أمرها من المسلمين كل مبلغ فانتقل اليها أمير افريقية حسان بن النعمان الفسائي فاقام مرابطا بها وكتب بذلك الى عبد الملك وارسل مع كتابه اربعين رجلا من اشراف العرب يخبرونه بما نال المسلمين من الجهد فعظم ذلك عليه ، وكان التابعون اذ ذاك موفورين وفيهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت وانس بن مالك فقال (٣) لعبد الملك : أمد (٤) هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا من العدو فانها من البلاد المقدسة المرحوم اهلها . فبعث عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو أميره على مصر يأمره ان يوجه الى حسان الف قبطي والـف قبطية يستعين بهم فحملهم عبد العزيز في البر فلما وصلوا الى حسان اثبت كثيرا منهم في رادس وفرق باقيهم في مراسي افريقية . وأمر عبد الملك حسانا ان يخرق البحر الى

(١) انظر كتاب المسالك للبكري (ط الجزائر) ص ٣٧ - ٣٨

(٢) انظر المنتخبات التونسية لحسن حسني عبد الوهاب ص ٧١ - ٧٣

(٣) في بعض النسخ - فقالا

(٤) في بعض النسخ - امدد

تونس من جهة رادس وكان موضع البحيرة اليوم على ما ورد في التاريخ مزارع وبساتين فحفره حفرا وخرقه الى ان وصل الى دار صناعتها وانشا فيها مراكب كان يغير فيها الى ساحل الروم فشغلهم بانفسهم عن الاغارة على افريقية . هكذا ذكر المؤرخون هذا الخبر وفيه بينهم اختلاف

ففى كتاب أبى عبيد ما تقدم (١) من ان ذلك كان فى ولاية عبد الملك بن مروان وفى كتاب أبى اسحاق الرقيق ان ذلك كان فى ولاية الوليد بن عبد الملك وان الوليد كتب بذلك لعمه عبد العزيز والصحيح فى ذلك ما ذكره ابو عبيد فان وفاة عبد العزيز ابن مروان متقدمة على ولاية الوليد بن عبد الملك وانما مات عبد العزيز فى حياة اخيه عبد الملك . وقول الراوى فى هذا الخبر : وكان التابعون اذ ذاك موفورين وفيهم رجالان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك وزيد بن ثابت ، هذا مما زاده أبو عبيد ولم يذكره الرقيق وهو كلام غير صحيح فان زيد بن ثابت توفى فى ايام مروان بن الحكم وهو الذى صلى عليه لا خلاف فى ذلك بين المؤرخين على الجملة وان اختلفوا فى تعيين السنة ولم يكن الوليد اذ ذاك خليفة على قول الرقيق ولا عبد الملك على قول أبى عبيد بل لعل الوليد اذ ذاك لم يكن وليدا فانما تصح الرواية بذلك ان صحت عن انس فقط ،

فان وفاته تأخرت الى آخر ولاية الوليد. وانا اعجب من ابي عبيد على اتساع باعه وقوة حفظه للتاريخ والوفيات كيف يتعرض لمثل هذا الخبر مع ظهور وهنه ووهيه

وقد روى ان السفينة التي هي مذكورة في القرآن انما خرقتها الحضر ببحر رادس هذا وان الملك الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا هو الجلندي ملك قرطاجنة وان الجدار اقيم بطنبذة القرية المعروفة بالمحمدية على أميال من تونس (١) وهناك فارق الحضر موسى عليهما السلام والله اعلم ، وكان هذا مخالفا لما ذكره المؤرخون من ان الانبياء عليهم السلام لم يدخل منهم أحد شيئا من ارض المغرب ، ولكن خرج الحافظ أبو أحمد ابن عدي (٢) من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : فلما بلغنا مجمع بينهما ، قال افريقية قال عبد الحق (٣) في الاحكام بعد ذكره لهذا الحديث يرويه محمد ابن أبان بن صالح وكان من رؤوس المرجئة يتكلم فيه من أجل ذلك ومع ذلك يكتب حديثه قال الامام أبو الحسن بن القطان (٤) وفي سند هذا الحديث أيضا ممن لم ينه عليه عبد الحق يحيى بن عبد الحميد الجمانى وهو راويه عن محمد بن أبان فان أكثرهم يضعفه ،

(١) اعتنى بعمارتهما احمد باشا باي ١٢٥٣ - ١٢٧١ وهى الان على حالة خراب

(٢) هو ابو احمد عبد الله بن محمد الجرجاني المعروف بابن عدي صاحب كتاب الكامل فى معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة

(٣) هو ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الازدى الاشبيلي المتوفى سنة ٥٨١ صاحب كتاب الاحكام الكبرى فى الحديث

(٤) هو ابو الحسن على بن القطان الفاسى المتوفى سنة ٦٢٨ صاحب كتاب الوهم والايهام الواقعين فى كتاب الاحكام تتبع فيه زلل عبد الحق الاشبيلي فى تاليفه المذكور اعلاه وبهرج له زائفة

وكان أحمد بن حنبل يرميه بالكذب ولم يوثقه إلا ابن معين . قال
ابن القطان وخرج عبد الحق هذا الحديث موقوفا على ابن عباس
وهو في كتاب أبي أحمد بن عدي الذي نقله عبد الحق منه ، مرفوع
إلى النبي صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام ابن القطان

ونحن إنما وجدنا هذا الحديث فيما وقفنا عليه من نسخ الأحكام
مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا موقوفا عن ابن عباس ،
فقد ابن القطان هذا ساقط عنه ، وقول من قال إن السفينة خرقت
ببحر رادس وإن الجدار أقيم بالمحمدية هو قول يخالفه أكثر المفسرين
فمن بعضهم أن القرية التي استطعم أهلها برقة ، وعن بعضهم أنها
الجزيرة الخضراء بالاندلس ، وقال بعضهم هي انطاكية وعن بعضهم
الأيلة وأهل الأيلة معروفون بالبخل ، ويروى أنهم أتوا إلى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فرغبوا إليه أن يثبت في المصحف قوله سبحانه
فأبوا أن يضيفوها بالتاء المثناة

وأمام رادس على قرب منها الوادي المعروف بوادي مليان وعليه
القنطرة الشهيرة ضخامة وارتفاعا ، والتونسيون يذكرون أنها
ابتئت بمال رجل من الغرباء كان يتكفف الناس فيتصدقون عليه
ولا يعلمون بحاله وسعة ماله إلى أن توفي فوجد له مال ممدود فأمر
الأمير زكرياء أن يصرف في بنائها

ثم انتقلنا عن رادس يوم الاثنين فاجتزنا في اول المرحلة بالحامة المعروفة بحامة الجزيرة وماؤها مفرط السخانة وهي موصوفة بإبراء ذوى العاهات يطلبون الجلوس على مائها لدوائهم ، قال البكرى فى المسالك : وهذه الحامة جليلة مجربة النفع انتهى كلامه (١) وكانت قبل هذا محجورة عن الناس ببناء محدد بها ثم ابيحت بعد للناس والبناء المحدق بها باق الى الان (٢)

وهذه الحامة هى منتهى الارض المعروفة بمرناق سميت باسم بعض من ملكها من النصارى بعد افتتاح المسلمين لارض افريقية وكان ملكه لها بخديعة تمت على حسان بن النعمان، وذلك أن مرناق هذا كان صاحب قرطاجنة فلما دخل المسلمون الى أرض افريقية وافتتح حسان مدينة تونس نهض لقتال مرناق فكان يغدو كل يوم اليه ثم يروح الى تونس وكانوا اذا غدوا للقتال قابلتهم الشمس فثأذتهم فى أعينهم فكتبوا بذلك الى عثمان رضى الله عنه فأمرهم بقتالهم بعد الزوال فضاقت الروم بها وكيانت لهم سفن بباب النساء فحملوا فيها نساءهم وأولادهم ليلا وأسلموا المدينة ولم يبق فيها الا الملك المسمى بمرناق وأهله وولده فكتب الى حسان : هل لك أن تباهدنى فى أهلى وولدى وأشترط لنفسى ما شئت من المنازل وأسلم لك المدينة ؟ ولا علم عند المسلمين بفرار من فر منها فاجابه

(١) انظر مسالك ابى عبيد البكرى - ص ٤٥

(٢) تعرف الآن بحمام الانب قرية عامرة بهاقصر ظنوك العائلة الحسينية كانوا يشتون به وبها عينان حارتان تقصدان للاستشفاء

حسان الى ذلك فاشترط هذه الارض المسماة به الان وهى اذ ذاك
قرى كثيرة (١) ثم أمكنهم من المدينة فلم يجدوا فيها غيره وغير ولده
واهلكه فوفى له حسان بما أعطاه من العهد واقام مرناق مالكا لهذه
الارض

ودخلنا بعد الخروج من أرض مرناق فى أول ارض الجزيرة
المعروفة فى القديم بجزيرة شريك تنسب الى شريك العيسى أحد
العاملين عليها فى قديم الزمان وهو والد قرّة بن شريك والى مصر
من قبل الوليد بن عبد الملك (٢) الذى يقول فيه الشاعر (٣) (خفيف)
عجبا ما عجبت ممن أتانا حين أمرت قرّة بن شريك

وهذه الجزيرة لم تزل معروفة بالحصب والبركة وهى كما قال
الشريف حيث وصفها فى كتابه المؤلف للجّار : طيبة مباركة ذات
دارات متصلات ، وبركات وخيرات ، ومياد وغللات ، وبالجملة
ففيها خصب زائد على غيرها من الارضين (٤) قال أبو اسحاق
ابراهيم بن القاسم الرقيق فى كتابه : ولم تخل هذه الجزيرة قط
من عابد مذكور (٥) وذكر أن عبد الله بن الاغلب أراد أن يحدث على
الناس مظالم من جملتها أن يرفع عنهم طلب العشر ويضع على كل

(١) هى الان مشهورة بجودة الزيتون وطيب الهواء
(٢) هو قرّة بن شريك بن مرثد بن حازم العيسى القيسى مات سنة ٩٥ وقيل ٩٦ انظر الكامن
فى التاريخ لابن الاثير - ج - ٥ - ص - ١٣ والنجوم الزاهرة لابن حنبل - ج
١ - ص ٢٤١
(٣) يوجد البيت فى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم - ص - ١٢١ وفى حسن المجاورة للسيوطى
ج - ١ - ص - ٦ بروايات اخرى
(٤) انظر نزعة المشتاق للشريف الادريسي ص - ١١٨ ولفظ الادريسي « ذات عمارات متصلات »
(٥) والآن بها زوايا كثيرة واحباس وافرة على قراء القرآن وتقصد لذلك من جميع جهات تونس

زوج ثمانية دنانير أصابوا أو لم يصيبوا فاشتد ذلك على الناس وقدم حفص بن حميد الجزري ومعه قوم صالحون من أهل الجزيرة وغيرها فاستأذنوا عليه وكان من أجمل الناس فكلمه حفص بن حميد وقال له : اتق الله أيها الأمير وارحم جمالك وشبابك فان النار أمامك ، فلم يجبه الى شيء مما أراد وأظهر الاستخفاف به وبمن معه فخرج حفص بن حميد (١) وأصحابه فلما صاروا ببعض الطريق قال لهم حفص : انا قد يشنا من المخلوق ولن نياس من الخالق فلم يفتح باب الدعاء حتى فتح باب الاجابة ، فنزلوا واسبغوا الوضوء فصلى بهم حفص ركعتين ودعوا على ابن الاغلب ان ينعه الله مما أراد من اذاية (٢) المسلمين ويكف عنهم جوره قال : فبعد خمسة ايام خرجت له قرحة تحت أذنه فقتلته في اليوم السابع من دعائهم ، قال : فحكى المتولى لنفسه قال كشفت عنه الثوب فوجدته قد عاد أسود ، كانه زنجى بعد ذلك الجمال العظيم

وذكر (٣) أيضا عن فضل بن أبي العنبر وكان واليا على الجزيرة قال : تقدم غلمانى مرة فنزلوا ببعض قصور الجزيرة التى على ساحل البحر فأدخلوا الى مسجد من مساجد القصر أسبأبا وادخلوا طيورا كانت معهم وكلابا فوصل الى اسماعيل بن رباح من أهل الجزيرة

(١) فى بعض النسخ « عمير » وفى بعضها « حمير » واخذنا تحرير الاسم من البيان المغرب لابن عذارى ج - ١ - ص ٨٧

(٢) كذا فى جميع النسخ والمعروف فى اللغة اذية او اذاة

(٣) انظر طبقات علماء افريقية لابى العرب - ص ٧٠ - والترجمة الفرنسارية - ص ١٣٥ - (ترجمة اسماعيل بن رباح الجزرى)

وقال : ألا ترى ما فعل غلمانك فى بيت من بيوت الله تعالى ؟ قال
فخرجتهم وأخرجتهم وأمرت بأدبهم ، فنظر الى اسماعيل وقال لى
حقن الله دمك ، قال فشهد فضل بعد ذلك حروبا كثيرة وكان يقول :
والله لو شعبت على الاسنة ما خرجت منى محجمة دم لان دعوة
الرجل الصالح قد سبقت الى ومات فضل بعد ذلك على فراشه .
وبجزيرة شريك هذه اجتمع الروم عند دخول عبد الله بن سعد بن
ابى سرح المغرب ثم ارتحلوا منها الى مدينة اقلية وركبوا منها الى
جزيرة قوسرة ، فيقال انهم أقاموا بها الى خلافة عبد الملك بن مروان
فأغزى عبد الملك بن قطن فى البحر فافتتح جزائر افريقية كلها (١)
وكانت جزيرة شريك هذه محتوية على أقاليم كثيرة أعظمها
المنزل الكبير المعروف بمنزل باشو - بالباء المفردة والشين المعجمة
المشددة - وكان بلدا كبيرا أهلا به جامع وحمامات وأسواق عامرة
وبه كان قصر عيسى بن احمد القائم على بنى الاغلب ، وهذا المنزل
الان خراب لم يبق منه الا مكانه ، ويقال ان عمدا الجامع الذى كان
به وشى (٢) من الرخام المنجور المحكم الصنعة نقلت فى هذا الزمان
القريب الى تونس فاقيم عليها (٣) جامع قصبتها ، ينسب الى مدينة
باشو هذه صلحاء وفضلاء منهم أبو عبد السلام مفرج بن بياضة
يأتى بعض اخباره فى موضع آخر من هذا التقييد

(١) أخذه التجانى من كتاب المسالك للبكرى - ص ٤٥

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « ومى »

(٣) فى بعض النسخ « اليها »

وفى تاريخ ابن شداد (١) وذكر شدة ما انتهى اليه حال افريقية
ايام استيلاء على بن اسحاق الميورقي عليها فقال : أخبرني أبو عبد الله
محمد بن البراء المهدوي وقد وصل الى دمشق فى هذه السنة يعنى
سنة اثنين وثمانين (٢) وخمسمائة قال فسأله عن احوال افريقية
فقال : هلك العباد وخرب البلاد ثم قال : وسأخبرك ببعض ما تستدل
به على الحال : لما نزل على بن اسحاق على منزل باشو من الجزيرة وهو
على بعض يوم من تونس سأله أهله الامان فامنهم ودخل عسكره
الى انزل المذكور فانتهبوا جميع ما فيه وسلبوا أهله حتى ثيابهم
التي تواردهم وامتدت أيدي العبيد وجفاة الاعراب الى البنات (٣)
فاضطر أهله الى الفرار ففروا بأجمعهم الى تونس ونزلوا بين سوريها
فدخل عليهم فصل الشتاء هنالك فأهلكهم البرد والماء ، واحصى من
مات منهم بتونس فكانوا اثني عشر الفا ، انتهى كلام ابن شداد

وفى مياومة الفاضل ابن البيهاني (٤) أن الخبر وصلهم فى جمادى
الآخرى من سنة خمس وثمانين ان يحيى بن اسحاق الميورقي وأبا

(١) هو أبو محمد عبد العزيز بن شداد من ذرية المعز بن باديس الصنهاجى ملك افريقية مؤلف
كتاب (الجمع والبيان فى اخبار المغرب والقيروان) من رجال آخر القرن السادس للهجرة
وفى هاجر الى الشام ومات به وكان من امراء العساكر فى دولة صلاح الدين الايوبى

(٢) سقط لفظ ثمانين فى بعض النسخ

(٣) فى بعض النسخ « البناء » وفى بعضها « النساء » انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير - ج
١ - ص ٣٤٣

(٤) هو القاضي الفاضل أبو على عبد الرحيم بن محمد اللخمي الفسائى المعروف بابن البيهاني
حرف اسمه فى اكثر النسخ التي بايدينا

زياد المغربي (١) دخلا الى جزيرة باشو بقرب من تونس واستأصلا
أهلها فانتقلوا الى تونس ودخلوا حفاة عراة فمات منهم بالجوع
والبرد والانقطاع نحو اثني عشر الفا ، هكذا ذكر الفاضل ان ذلك
من فعل يحيى بن اسحاق وفي الحديث المتقدم ان ذلك من فعل علي
بن اسحاق اخيه فيمكن أن تكون قضية واحدة وقع الغلط في نسبتها
ويمكن أن تكونا قضيتين وهذا هو الظاهر فان سنة اثنين وثمانين
على ما ذكر ابن شداد انما كان الامر فيها لعلي بن اسحاق وبعده ولي
اخوه يحيى والله اعلم . وفي موضع آخر من تاريخ الفاضل أن الاجناد
وصلت من الاسكندرية في سنة ثمان وثمانين وان قراقوش الارمني
عاث في جزيرة باشو وافسد نضرتها ونضره صفاقس والمهدية ،
انتهى ما نقلناه من كلام الفاضل

ومن اول الجزيرة هذه ابتدأنا بالسلوك في منازل العرب المتولين
لارض افريقية ، وهذه الارض الان من منازل بني دلاج وهم فرقة
من بني عوف بن سليم وكانت قبل هذا من منازل الرياحيين فلم
تزل وفود الاعراب عند وصولها من المشرق تزع (٢) من بين يديها
من العربان الذين كانوا وصلوا قبلهم الى أن حصلت هذه الارض
في وقتنا هذا لمن ذكرنا

(١) اختلفت النسخ اختلافا لا يمكن معه ضبط هذا التعليل فنها ما اتى به على صورة « ابا زيد
المغربي » ومنها ما اورده على صورة « ابا زياد المغربي » او « القرى » الى غير ذلك ولا
يبعد ان تكون تلك الروايات كلها محرقة من اسم « يوزيا » او « يوزبا » او « يوزابة »
الغزى الذي ذكره ابو شامة في كتاب الروضتين ج ٢ - ص ١٧١ - س ١١ - وص ١٧٧ -
س ١٨ وكذلك ابن الاثير في كامل التاريخ ج ١١ - ص ٣٤٢

(٢) في بعض النسخ « تفزع » ولعل الصواب هو « تدع »

وجور هذه الطائفة المعروفة بدلاج فى فعلها وعيها فى البلاد
وأهلها أشهر من ان نشير اليه ، أوندل بعبارة مختصرة عليه ،
وأنصف الله من الجرجرائى الاقطع فهو الذى أمكن العرب من
الدخول الى هذه البلاد ، وعن فكره السيىء نشأ بأرض افريقية ما
نشأ من الفساد ، فانهم كانوا قبل ذلك نازلين بصعيد من ارض
مصر لا يحدثون أنفسهم بالجواز الى هذه البلاد الى أن ندبهم
الجرجرائى الى ذلك وأفرج لهم عن طريقهم ، فأغص منهم أهل
هذه البلاد بريقهم ، لحاجة كانت فى نفسه من افساد هذه البلاد
تعجل قضاءها ، ووجد عند الله بما لقيه جزاءها ،

وقد رأينا أن نلمع هاهنا بطرف من الخبر عن ذلك فهو من تمام
فوائد هذا التقييد ، ونعتمد فيما ننقله على فصل من كلام ابن بسام
رحمه الله تعالى فى « الذخيرة » ثم نضيف بعد تمامه اليه ، ما نستدركه
بعد ذلك عليه .

قال ابن بسام : « لما تغلب بنو عبيد الناجمون بافريقية على مصر
فخلص لهم صميمها ، وتم لهم ملكها ونعيمها ، وأراد معد بن
اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله اقتعاد صهوتها ،
واثبت قدمه على ذروتها ، دعا زيرى بن مناد وهو يومئذ من
صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفس
الطالب ، وكان له عشر من الولد آساد شرى وأقمار شرى ، فقال
ادع لى بنيك ، فقد علمت رأى فيهم وفيك ، وكان اصفرهم سنا ،

واهو نهم عليه شأننا ، يوسف بن زيرى فدعا ولده ما عداه ، والمعز ما يريد سواد ، وكانت عند المعز - زعموا - أثارة من الحدثان قد علم بها مصائر احواله ، وأهل الفناء من أعيان رجاله ، وكانت عنده خليفته على افريقية اذا صار إليه ملك مصر علامة يأنس بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفان العاشق بديار أحبابه ، فنظر فى وجود بنى زيرى فأنكرها ، حين تفقد تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيرى هل غادرت من بنيك أحدا ، فليست أرى لمن هاهنا منهم أيدا ولا يدا ، فقال له الا غلاما وطفق يصغر شأنه ، والمقدار قد عناه وأعانه ، ويطوى أخباره ، والاختيار يدير عليه مداره ، فقال له المعز لا أراك حتى أراد ، فليست أريد سواد ، فلما رآه عرفه ، وفوض إليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الأمور ، وزاحت مهابته الأهواء فى الصدور ، وبعدت أسفاره ، واشتهرت أخباره ، واشتمل على طرف الايام والليالى ايراده واصداره ، بلغ بغزواته سبته فى خبر طويل ليس من جنس ما ألفت ، ولا فى معنى ما صنت ، ثم اجاب صوت مناديه ، وخاع الامارة على أعطاف بنيه ، حتى انتهت منهم الى المعز بن باديس شرف العشيرة ، وآخر ملوكه المشهورة ، فأول ما افتتح به شأنه ، وثبت به فيما زعم سلطانه ، قتل الرافضة ومراسلة أمير المؤمنين ببغداد فكتب اليه بعهدده ، وجاءته الخلة واللقب من عنده ، واتصل ذلك بالجرجرائى وهو المتحكم فى دولة العبيدى فاضطفتها عليه ، وفوق سهام مكروهه اليه ، وكان بطون

من بنى عامر بن صعصعة: زغبة، وعدى، والاثبج، ورياح وغيرهم تنزل
بالصعيد لا يبيع لها بالرحيل ، ولا يخلى بينها وبين اجازة النيل ،
فأفرج لهم الجرجرائى عن السبيل ، وأذن لهم فى المعز امنية طالما
سرت اليها أطماعهم ، وعكفت عليها أبصارهم واسماعهم ، فغشيه
منهم سيل العرم ، ورماء منهم بدؤلول وابنة الرقم ، وتهانون المعز
بهم أولا فشغلهم بخدمته ، وأثقلهم بأعباء نعمته ، وهم فى خلال
ذلك يترسون بجهاته ، ويدبون الى انصاره وحماته ، ويطلعون على
مقاتله وعوراته ، حتى بان لهم شأنه ، وهان عليهم سلطانه ،
فجأهروه بالعداوة ، وأرادوه على الاتاوة ، وجرت بينهم أثناء ذلك
حروب كان من افراها لاديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعة « حيدران ،
فى سنة أربع واربعين فانها اوهنت بطشه ، وثلت عرشه ، وأحاط
الاعراب بالقيروان وانسطوا فى البلاد يخطون حريمها ،
ويتعرضون راحلها ومقيمها ، الى أن أعطاهم الدنية وناشدهم التقية ،
واشترط المهدية ، وقد كان نظر فى ماله ، وفكر فيمن بازائه من
أقياله ، فزف الى زعمائهم بنات كن نجوم الليالى ، وأمانى المغالى
فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، ثم استجاش من قبله ،
واحتل حرمه وثقله ، وترك الملك لمن حماه وحمله ، وجاء أنصاره
فكانوا بحيث يسمعون نثيه ، ويمنعون من عساه أن يكيدوه او يضيئه ،
حتى بلغ المهدية أسقط من الشمس فى الميزان ، وأهون من الفقير
على القيان ،

قوله فى هذا الفصل فأول ما افتتح به شأنه، وثبت به فيما زعم (١) سلطانته، قتل الرافضة، كان المعز لا يزال يتحامل على بنى عبيد الله ويلعنهم خفية ويؤذى أشياعهم ثم آل الامر به الى التصريح فلعنهم على المنابر وقتل أشياعهم المرة بعد المرة وتتبعهم فى الاقطار بالقتل وكان قبل ذلك يكتب الوزير الجرجرائى مستميلا ومعرضا بالتحزب معه على بنى عبيد الله وانما يفعل ذلك رمزا وتعريضا له لعله يرى منه قبولا له فيجد فى السعى معه على القوم، وكتب الى الجرجرائى مرة بخطه قطعة تمثل بها منها (بسيط)

وَفِيكَ صَاحِبْتَ قَسَوماً لَا خَلَاقَ لَهُمْ

لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ أَدْرِى أَنَّهُمْ خَالِقُوا

يشير الى بنى عبيد الله ويزعم أنه انما ابقى عليهم بعض الابقاء من اجل حبه فيه فلما وقف الجرجرائى عليها قال : الا تعجبون من هذا الامير، صبي مغربى بربرى يريد ان يخدع شيخا بغداديا عربيا، وانما اتهمه بانه فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم ان عثروا على هذه الرموز، ثم قال الجرجرائى : والله لا جيشت له جيشا ولا تحملت فيه نصبا وكاف العرب العبور بمجاز النيل ولم يأمرهم بشىء لعله انهم لا يحتاجون الى وصاية (٢) وكتب اليه معهم : أما بعد فقد أرسلت اليك خيلا فحولا، وحملنا عليها رجالا كهولا، ليقضى الله امرا كان مفعولا، وقد كان كتب اليه قبل ذلك كتاب وعيد

(١) فى بعض النسخ « به رغم سلطانه » وفى بعضها « به فيما دعم سلطانه » وكلامنا تحريف واحصاوب ما اعتمدناه هنا طبقا لما هو مثبت اعلاه - ص ١٧ س ١٧

(٢) فى بعض النسخ « وصية »

وتهديد ، قال فيه : وان لم ترجع عن رأيك أتتك الجيوش موصلة
سنابك خيلها ، ناسخة بنقعها ووميضها حكم نهارها وليلها

وقوله : فأفرج لهم على السبيل أمنية طالما سرت (١) اليها أطماعهم ،
ليس كذلك فالمنقول أنه لما كلفهم العبور امتنعوا فجعل لكل عابر
فروا ودينارا فحينئذ جازوا ، ثم انهم لما وصلوا الى بلاد افريقية
واستطابوها كتبوا الى اخوانهم في اللحاق بهم فلم يتركهم
الجرجرائي أو يؤدي كل عابر فروا ودينارا فأخذ بذلك أكثر ما
أعطى ، وقوله (٢) وكان من افراها لاديمه وقعة حيدران ، « حيدران »
اسم جبل معروف بمقربة من القيروان كانت الواقعة به وكان
جيش المغز فيها ثلاثين الفا ومبلغ جيش الاعراب ثلاثة آلاف فهزم
جيش المغز ومن ستم منهم من القتل لم يسلم من النهب ، وفي ذلك
يقول على بن رزق الرياحي أحد أولئك الاعراب من قصيدة
اشتهرت في زماننا أولها (٣) (طويل) :

لَقَدْ زَارَ وَهْنًا مِنْ أُمَيِّمٍ خَيَالُ وَأَيْدِي الْمَطَايَا بِالذَّمِيلِ عِجَالُ
ويقول فيها عند ذكر الواقعة :

(١) كفى بعض النسخ « شهرت » انظر ما ثبت قبله - ص ١٨ - س ٤

(٢) انظر ما قبله - ص ١٨ - س ١٠

(٣) انظر كتاب العبر لابن خلدون (طبع الجزائر) ج ١ - ص ٢٠ والنسخة البولاقية - ج ٦ - ص ١٥ - برواية اخرى

وان ابن باديس لا فضل مالك لعمرى ولكن ما لديه رجى
ثلاثون الفا منهم هزمتهم ثلاثة آلاف وذلك ضل

وإِنَّ ابْنَ بَادِيسَ لَأَخْزَمُ مَالِكٍ وَلَكِنْ لَعَمْرِي مَا لَدَيْهِ رِجَالُ
ثَلَاثَةِ آلَافٍ لَنَا غَلَبَتْ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا إِنْ ذَا لِنُكَالِ

وكان الوزير الجرجرائي مجيز هذه الاعراب واسمه احمد بن
علي ويكنى بأبي القاسم ، أحد رجال الدنيا سياسة ودهاء وبعد غور
ونفوذ فكرة ووزير الظاهر العيديدى بمصر ثم لابنه المستنصر وعتب
عليه الظاهر فى أمر ، فأمر بقطع يديه فقطعتا معا فخرج من فوره
وجلس بدسته لخدمته على عادته وقال ان الخليفة انما قطع يدي عتوبة
لى ولم يعزلى فاستعظم له الظاهر ذلك وشرف لديه وكان ذلك
سبب ارتقائه الى الوزارة وانما كان قبل ذلك فى أحد الدواوين (١)
وكان كثير المصادرة للعمال وربما صرح لهم بقوله : أيتيم الا اخيانة
فقال فيه أبو طالب محمد بن عبد الله الانصارى (مجزوء الكل)

إِغْمِدْ لِسَانَكَ وَالتَّزِمِ طُرُقَ السَّلَامَةِ وَالصِّيَانَةِ
كُنْ مَا تَقُولُ أَبْيَتِمِ إِلَّا الْجِنَايَةَ وَالْحِيَانَةَ
أَتَرَاهُمُ قَطَعُوا يَدَيْكَ كَ عَلَى النَّزَاهَةِ وَالْأَمَانَةِ

وتوفى سنة ست وثلاثين واربعمائة .

ومن الناس من نسب اجازة العرب لغير الجرجرائي واستدل على
ذلك بما قدمنا من تاريخ موت الجرجرائي وانما كان جواز العرب

(١) وفى بعض النسخ « الزاريتين » وفى بعضها « الراويتين »

بعد ذلك بأعوام ، وذكر ان المجيز لهم انما هو اليازورى واسمه الحسن بن علي ويكنى بأبى احمد وقد كانت وزارته بعد موت الجرجرائى وله اخبار مدونة لشهرته وغلبته على الدولة العبيدية ولا يبعد ان يكون هذا هو الصحيح والله اعلم ، فيكون هذا من جملة ما يستدرك على ابن بسام .

وقد أرخينا للقلم فى هذا الفصل فضل عنانه ، وفسحنا له فى ميدانه ، وفاء بما عنيانا ببيانه ، فلنعمد (١) الى ما يبنى عليه هذا التقييد من ذكر المراحل والمنازل مستعينين بالله تعالى ، فكان نزولنا من المرحلة المتقدمة بصلتان وسميت بذلك لان اقواما من البربر يعرفون ببني صلتان نزلوا بها فى اول الزمان ، وكذلك تعرف فى القديم قرية بنى صلتان وبها كانت الواقعة بين عمار بن علي بن الحسين وبين مستوية النكارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وذلك ان ابا يزيد لما ملك القيروان وجه مستوية هذا الى تونس لما بلغه من مخالفتهم عليه - وقد كانوا دخلوا فى طاعته قبل هذا - وعلم بذلك القائم فوجه عمارا ليسيقه اليها فلما قرب عمار منها وجد مستوية قد دخلها وأخذ كثيرا من اهلها وأخرب كثيرا من مساجدها فعزم على الرجوع ، فخرج اليه مستوية فيمن معه من النكاراة فالتقوا بصلتان هذه فانهزم عمار بن علي والكتاميون هزيمة شنيعة ، وقتل من الناس جماعة وحال الليل بينهم فلجأ عمار الى الرحيل فسرب الى جبل

(١) فى بعض النسخ « فليعمد » ويكنى ان يكون « فليعمد »

الرصاص فامتنع به ليلته وأصبح مرتحلاً فأتبعه مستوية بجنوده
فالتقوا ثانية فانهزم النكارة وقتل بشر كثير منهم وجرح مستوية
وبلغ ذلك اهل تونس فأخرجوا من كان عندهم من النكارة وقتلوا
كثيراً منهم .

وأقمنا بصلتان بقية يومنا ثم ارتحلنا عنها صباح الغد فنزلنا
بالفلاحين . والفلاحين هي آخر أرض الجزيرة المعروفة بجزيرة شريك
كما تقدم وأول الأرض المعروفة بوادي الرمل وتنتهي أرض وادي
الرمل الى حيث انتهت بنا مرحلتنا من الفلاحين وذلك المبنى المعروف
بالمنازة وهو بناء مستدير الشكل مفرط الارتفاع قد انتظم من
فصوص الحجارة المربعة الضخمة ينسب بناؤه لابن الاغلب باني
هذه القصور والمحارس الافريقية كلها ، وهي متصلة فيما بين
الاسكندرية وبحر الزقاق الذي بسبته واليه تنسب المنازة الاخرى
المشهورة بقرطاجنة تونس ، وترايت لنا في هذه المرحلة على بعد منا
منازل البلدة المعروفة بالحمامات وهي على شاطئ البحر ، ثم ارتحلنا
من هناك صباح الغد وهو يوم الخميس غرة جمادى الاخرة فمررنا
في اول المرحلة بالقرية المعروفة بالمرصد وسيأتى لها ذكر بعد هذا
وقطعنا الرمل المتصل بها .

ثم قطعنا بعدد السبخة المعروفة بالجرداء وأخذنا ذات اليمين سالكين
وسط الشعراء متجنبين لطريق الشاطئ مؤثرين لقرب الطريق ،

وهناك قام بين أيدينا القصر المعروف بالمدفون وضخامته تشعر
بضخامة بانيه وهو منسوب لابن الاغلب المتقدم الذكر وهو فى
زماننا هذا خال خرب ، وتسميته بالمدفون تسمية مفهومة فان
الشعراء قد حفت به من جميع جهاته فكأنه مدفون هناك .

وانتهى السير بنا فى هذه المرحلة الى القرية المعروفة باهرىقلية
وهى قرية كبيرة على سفح جبل (١) مشرف على البحر وأهلها
يزعمون انهم من العرب ، وبهذا الموضع الذى نزلنا به كانت الواقعة
بين أيوب بن خيران الزويلي النكارى أحد قواد أبى يزيد وبين
بشرى الصقلبي (٢) خادم أبى القاسم القائم ، وكان القائم لما سمع
باطلال أبى يزيد عليه ووصوله الى باجة وذلك فى أول اقباله الى
البلاد وجه خادمه بشرى المذكور ليأذن أبا يزيد بدخول باجة
فيضبطها ويعسكر بها فتوجه بشرى اليها وعسكر بها ووصل أبو
يزيد الى باجة فوجد بشرى قد سبقه اليها فوقع القتال بينهما فانهزم
اصحاب أبى يزيد هزيمة فاحشة فلما رأى أبو يزيد ذلك نزل عن
فرسه واستدعى بجماره الاشهب فركبه وقال لمن معه : ليست هذه
حال من يريد الهرب بل حال من يطلب الموت ، ثم خالف بشرى الى
أخييته فجازها (٣) فعلم بشرى بذلك (٤) فأدركه رعب وانهزم موليا

(١) فى بعض النسخ بزيادة « عال »

(٢) كذا فى كتاب العبر (طبع الجزائر) ج ٢ - ص ١٨ - وفى كامل التاريخ لابن الانير
« بشرى » غير منسوب وفى جل النسخ التى بأيدينا « بشر الصقلي »

(٣) وفى بعض النسخ « فجازها »

(٤) وفى بعض النسخ « ذلك »

وتبعه أصحاب أبي يزيد بأسرون ويقتلون ووصل بشرى منهزما الى تونس ودخل أبو يزيد باجنة بالسيف ثم خرج بشرى عن تونس متوجها الى سوسة فكتب أهل تونس الى أبي يزيد فأمنهم وولى عليهم واليا من قبله ، ولما اتصل بالقائم خبر انهزام بشرى ووصوله الى سوسة أمدده بالجيش والاموال وأمره ان يستعد (١) للقاء أبي يزيد ثانية ، فخرج بشرى من سوسة متوجها الى أبي يزيد ثانية فوصل الى المرصد وهي القرية الكبيرة المذكورة قبل فلما علم أبو يزيد بخروجه وجه للقاءه أيوب بن خيران المذكور قبل فوصل الى بشرى وهو بالمرصد فتقهقر بشرى راجعا الى اهريقلية هذه وتحيز الى سور القلعة وأقبل اليه أيوب فالتقيا بهذا الموضع ، فانهزم أيوب وقتل من أصحابه آلاف وأسر منهم مئون فرجهم بشرى الى المدينة فقتلهم العامة بالعصى (٢) والحجارة ، وانقلب أيوب الى أبي يزيد فاخبره بالوقعة فساءه ذلك ورحل بنفسه قاعدا بشرى فوجده قد انصرف الى المهديّة فوقف على المعترك وترحم على قتلاهم وأمر بمواراتهم .

ثم ارتحلنا عن اهريقلية يوم الجمعة ثاني جمادى الاخرى فنزلنا بسوسة وهي مرحلة قريبة ، وسوسة مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منيع من الصخر ينتهي البحر اليه ويضرب فيه

(١) وفي بعض النسخ « يعتد »
(٢) وفي بعض النسخ « بالعصا »

وبها آثار الاول واليها تنسب الثياب الرفيعة السوسية ، والمسافرون يقصدونها من الافاق وبها جامع الخطبة حسن كان بناؤه في ولاية أبي العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام ، وكانت سوسة اذ ذاك قرية وأتى بعده ابن أخيه أبو ابراهيم أحمد بن الاغلب فجدد سورها وألحقها بالمدن وكان تجديده لسورها سنة تسع وأربعين ومائتين . وبصحن جامعها المذكور بيت قد كتب فيه بخط قديم نقشا في الحجر « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وكتب مثل ذلك ايضا في عمد الجامع وذلك كله تنبيه على مذهب أهل السنة وتثبيت له بسبب كثرة ما كان بها وبجميع بلاد افريقية في القديم من مذاهب المنحرفة عن المذهب السني ثم ما كان بها منها في زمن ملك الروافض لها ثم في زمن تغلب الخوارج عليها .

ومن سوسة هذه ركب أسد بن الفرات البحر غازيا الى صقلية سنة اثنتي عشرة ومائتين فافتتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير من مدنها ومات في العام الذي يليه وهو محاصر لها ، قالوا ونزل الروم على سوسة في الزمن القديم في ثلاثين الف مقاتل فبلغ ذلك معاوية بن حديج السكوني وقيل التجيبي وقيل الكندي قال أبو عمر ابن عبد البر والصواب ان شاء الله السكوني وخطأ الرشاطي (١) وقال اذا كان سكونيا فهو تجيبي وكندي ، وكان معاوية هذا واليا

(١) في بعض النسخ « الرصاحي »

على فريقية من قبل عمرو بن العاص فبعث عبد الله بن الزبير الى
سوسة في جمع كثيف ليحميها فتوجه عبد الله ونزل بجمعه على
شرف عال بينه وبينها اثنا عشر ميلا أو نحوها فلما علم الروم بوصوله
رفؤوا (١). جميع سفنهم الى شاطئ البحر وازمعو (٢) الارتحال
فوصل عبد الله بجمعه من الغد حتى انتهى الى سور المدينة ، ثم نزل
عن فرسه وقام يصلي بالناس بعض الصلوات الحاضرة فجعل الروم
يتعجبون من اقدمه وقلة اكترائه بهم فاخرجوا له جمعا من حماتهم
فرحفوا (٣) اليه وهو مقبل على صلاته لا يهوله ذلك حتى اذا قضى
صلاته ركب فرسه وحمل عليهم فانكشفوا عنه وولوا ادبارهم
فصعدوا الى مراكبهم واقلعوا الى بلادهم

ولم تزل سوسة معروفة بالامتناع على من رامها واهلها يوصفون
بالباس والنجدة، وحسبك من امتناعها ونجدتهم ان أبا يزيد لما تملكها
وفعل فيهم الافاعيل (٤) الشنيعة من قتل الرجال وسبى النساء وقطع
الاعضاء وبقر البطون خالفوا عليه وبايعوا ابا القاسم القائم الشيعي
ووجهوا عامل ابي زيد اليه وذلك كله عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة ،
فوصل اليها ابو يزيد بنفسه في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة
وحاصرها حصارا شديدا وكان ما اخذه التحصيل من جند ابي يزيد

(١) رفؤوا - قربوا

(٢) في بعض النسخ « عزموا »

(٣) في بعض النسخ « رجعوا » وفي بعضها « خرجوا »

(٤) في بعض النسخ « الافعال »

مائة الف خص يسكن فى الحص الواحد الثلاثة والاربعة فصاعدا ،
فكان يقاتل سوسة كل يوم فمرة له ومرة عليه ولم يزل محاصرا لها
الى ان توفى القائم فى ذلك العام وولى بعده ابنه اسماعيل الملقب
بالمصور فوجه الى ابى يزيد جيشا كان سبب ارتحاله عنها ، وفى
ذلك يقول بعض شعرائها : (١) (كامل)

إِنَّ الْخَوَارِجَ صَدَّهَا عَنْ سَوْسَةَ مِنْهَا طِمَعَانُ السُّمْرِ وَالْإِقْدَامُ

وَجِلَادُ أَسْيَافٍ تَطَايَرُ بَيْنَهَا فِي النَّقْعِ دُونَ الْمُخَصِّنَاتِ الْهَامِ

وقال أحمد بن أفلح من قديم شعرائها : (٢) (كامل)

مَدِينَةُ سَوْسَةَ بِالْمَغْرِبِ ثَغْرٌ تَدِينُ لَهُ الْمَدَائِنُ وَالثُّغُورُ

لَقَدْ أَعْنَى الَّذِينَ بَعَثُوا عَلَيْهَا كَمَا لَعِنْتَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرُ

أَتَاهَا الْخَارِجُونَ لِيَمْلِكُوهَا فَكَانَ مِنَ الْإِلَهِ لَهَا نَصِيرُ

وَلَوْلَا نَصْرُهُ لَدَهَّتْ دَوَاهُ يَشِبُّ لَهْوُهَا الْطِفْلُ الصَّغِيرُ

سَيَبْلُغُ ذِكْرُ سَوْسَةَ كُلِّ أَرْضٍ وَيَغْشَى أَرْضَهَا الْجُمُ الْفَقِيرُ

وقد خالف اهل سوسة ايضا على المعز بن باديس صاحب افريقية
سنة خمس واربعين واربعمئة ومنعوه ما كانوا يحملون اليه من المال
وقالوا نحن اولى به لنذب به عن بلدنا ، وتوفيت اخت المعز عندهم

(١) هو سهل بن ابراهيم الوراق كما ورد فى كتاب المسالك للبكرى - ص ٣٥
(٢) فى بعض النسخ و احمد بن فلع ، وفى كتاب المسالك للبكرى و احمد بن بلع ، وللايات
زيادة مع اختلاف ما فى الروايات فى البيان المغرب لابن عذارى ج ١ - ص ٣٢٧ - وفى
كتاب المسالك - ص ٣٥

فضموا اموالها وابوا من توجيهها اليه فبعث المعز اليهم في ذلك فقالوا لرسله : كيف ندفع له اموالا نتقوى بها نحن على مدافعته وحربه ، فبعث المعز اليهم من المهدية اسطولا ضخما فصبح (١) مرسى سوسة فاحرق ما فيه من المراكب وكانت نيفا وستين مركبا اكثرها لاهل سوسة ، فعمد اهل سوسة الى من كان عندهم من اهل القيروان فاخذوا امرالهم واهانوهم اشد الاهانة فوجه المعز اليهم جيشا فيه مائة فارس وامرهم ان يتظاهروا (٢) مع الاسطول على حصار سوسة لياخذوا بمخنقها برا وبحرا ، فكان من قدر الله الغريب الاتفاق ان اجتاز على سوسة يوم خروج هذا الجيش اسطول من قبل صاحب صقلية فتهيئه اسطول المعز فانصرف راجعا الى المهدية ولا علم عند المعز بذلك ، ووصل جيش المعز الى سوسة فسالوا عن الاسطول فاخبروا باقلاعه ، فسقط في ايديهم فخرج اهل سوسة ومن حفر بها من الاعراب اليهم فادخلوهم الى المدينة واجالوا السيف على جميعهم ونصبوا رؤوسهم على السور ، قال ابن شرف : اخبرني من شاهدها ان عدتها نيف وخمسون راسا قال وانما سلم من سلم من الجيش لضعف في دوابهم منهم من الاحاق باخوانهم فلما تحققوا الخبر ولوا راجعين فسلموا بذلك ومات المعز بعد ذلك سنة اربع وخمسين وسوسة مخالفة عليه فلما ولي ابنه تميم اتابوا له فعنا عنهم وتغمد ذنوبهم وذلك سنة ست وخمسين .

(١) في بعض النسخ « اصبح بمرسى سوسة »
(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « يتظاهروا »

وتوالت على سوسة بعد ذلك أمراء من العرب ملكوها حين استولوا على البلاد وانتزعوها من أيدي صنهاجة واستقرت آخرًا تحت ملك جبارة بن كامل بن سرحان بن أبي العنين (١) الفادعي البعيد الصيت المشتهر بالجود ، ومن يده أخذها النصارى حين أخذوا المهديّة من يد الحسن واستولوا على سائر بلاد السواحل ، ولما وصل عبد المؤمن إلى إفريقية واستنقذ المهديّة من يد النصارى وقام أهل كل بلد على من عندهم منهم أمثال أهل سوسة ذلك ورحل أشياخهم إلى عبد المؤمن ورحل (٢) إليه أيضًا جبارة بن كامل المذكور فقدم على أهل سوسة حافظًا من الموحدين يعرف بعبد الحق بن علفاس الكومى فطرقهم اسطول النصارى ثانية وهم على غرة فاستولى على البلد وقتل من أهله من قتل وسبى من سبى وخرب البلد تخريبًا عظيمًا لانه لم يبق على الإقامة فيه وأسر الحافظ المذكور وأهله وولده وتوجه بهم إلى صقلية فأقاموا بها مدة ثم افتدوا (٣) بعد ذلك وخرجوا (٤) ومن حينئذ استولى الخراب على مدينة سوسة وهلم جرا

وكفى فخرا لسوسة أن المنستير الذى وردت الأحاديث فى فضله محرس من محارسها ومنسوب إليها ، روى أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم فى كتاب الطبقات من تأليفه بسنده إلى سفيان بن

(١) فى بعض النسخ « أبى العنين »

(٢) فى بعض النسخ « وصل »

(٣) فى بعض النسخ « افتقدوا »

(٤) كذا فى جميع النسخ ولعل « نصواب » ورجعوا »

عينة عن عبد الله بن دينار (١) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رابط بالمنستير ثلاثة ايام وجبت له الجنة، وبسند الى خالد بن معدان (٢) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بمدينة قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير ينقطع الجهاد في آخر الزمان من كل موضع فكأنى اسمع صرير المحامل من مشارق الارض ومغاربها الى ساحل قمونية

وبسند عن عباد بن كثير عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بساحل قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ومن خرج منه فبعفو الله ، وعباد بن كثير الواقع في هذا السند متروك الحديث عندهم ، وليث بن ابي سليم لا يحتج به من كتاب ابي العرب (٣)

وبسند ابي العرب الى عبد الرحمان بن زياد بن أنعم عن مطرف ابن عبد الله قال : المنستير باب من ابواب الجنة فينما هم في الصلاة اذ سمعوا هدة (٤) فبعثوا رسولهم لياتيهم بالخبر فما لبثوا ان انصرف فقالوا له ما صرفك؟ فقال لهم : سirt الجبال فيخرون سجدا لله فيقول الله تعالى يا اهل المنستير لولا ان كتبت الموت على خلقى لا دخلتكم

(١) في بعض النسخ « ابي يسار » انظر طبقات ابي العرب - ص ٣ - ونزعة الانظار لتقديش

ج ١ - ص ١٩٧

(٢) كذا ورد في جميع النسخ ولا ذكر لخالد بن معدان في ميزان الاعتدال

(٣) انظر طبقات ابي العرب - ص ٢

(٤) في بعض الروايات هاتفا بدل هتفا

الجنة يعنى قبل الموت فتخرج عليهم ريح صفراء ما بين القبلة والمشرق فتخرج ازواجهم من الحور العين وخدمهم (١) . وعبد الرحمان بن زياد ايضا متروك الحديث ضعفه ابن معين والبهلول بن راشد ، سمعت سفيان بن عيينة يقول : جاءنا عبد الرحمان بن زياد الافريقى بسة احاديث رفعها الى النبی صلى الله عليه وسلم لم اسمع احدا من العلماء رفعها وذكرها

وبسند ابى العرب الى سفيان بن عيينة موقوفا عليه قال : الفضل فى ثلاثة مواضع : المصيصة باب من ابواب الجنة ليحشرن منها يوم القيامة سبعون الف شهيد ، وعسقلان باب من ابواب الجنة ، وموضع هنالك بالمغرب يقال له الياقوتة بالمنستير داخل فى البحر الى جانبه سبخة على تلك السبخة قنطرة من قناطر الاولين يحشر منها يوم القيامة سبعون الف شهيد (٢) وفى كتاب الرقيق قال : يقال ان بافريقية ساحلا يقال له المنستير هو باب من ابواب الجنة وبها جبل يقال له مطور هو باب من ابواب جهنم انتهى كلام الرقيق . وهذا الجبل هو المعروف فى وقتنا هذا بجبل وسلات يسكنه اخلاط من البربر

قال الرقيق وسبب تسميته مطور ان معاوية بن حديج لما وصل الى افريقية نزل على هذا الجبل فاصابه فيه مطر شديد فقال : ان هذا

(١) انظر طبقات ابى العرب - ص - ٥ - ٦

(٢) لم نعثر على هذا الحديث فى نسخة انطبقات الطبوعة بالجزائر

الجل منطور اذهبوا بنا الى ذلك القرن فسمى ذلك الجبل منطورا
وسمى ذلك الموضع القرن ، واما ما ادعاه ابن شرف فى تاريخه
من ان اهل سوسة فى الاصل عبيد لاهل القيروان قال: وذلك انه لما
افتتحت افريقية اشتدت اغارة الروم على مدن البحر فابتليت القصور
على السواحل كقصور سوسة وغيرها وجعل بها من عبيد اهل
القيروان ومن انتدب معهم قوم للرباط فكثروا هنالك واستقلوا
بمدينتهم فمجرد دعوى حملت عليها العداوة والعدوى ، والواجب
ان لا يقبل كلام قروى على سوسى وبالعكس لما صح بينهم من
العداوة المتوارثة (١)

ومن شعراء سوسة المتقدمين بالزمان ، المشهورين باصابة غرض
الاحسان ، محمد بن الحسين بن ابي الفتح بن ميخائيل القرشى
قال ابن رشيق فى الالانمؤذج (٢) : هو من اهل سوسة وسكن
القيروان قال : وكان يسلك مسلك قدامة فى انتقاد الشعر ومطالبة
الحقائق وربما سهل الفاظه وعبث بملح (٣) كقوله (سريع) :

صُورَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مِسْكَةٍ وَصُورَ الْإِنْسَانُ مِنْ طِينِ
أَبْدَعَهُ الْخَالِقُ بُجَاهَهُ كَمَا يَثَلُ حُورِ الْجَنَّةِ الْعَيْنِ

(١) فى بعض النسخ « المتواترة »

(٢) هو « انمؤذج الزمان فى شعراء القيروان » ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون - ص ٦٥ :
(طبع ليبزيك)

(٣) فى بعض النسخ « نملح »

..... (١) سَيْفٌ عَلِيٌّ يَنُومُ صَفِين

في مثله يُوصَلُ حَبْلُ الصفا (٢) وَتُؤَثَّرُ الدِّينَا عَلَى الدِّينِ

قال ابن رشيق : لم اتصفح هذه الايات الا مرة واحدة فوجدتها قد علقت بنفسى وخفت على لسانى حتى كدت اتهمه فيها لولا علمى به ، قال وكثيرا ما يجرى ذلك فى الشعر المطبوع حتى ان قائل الايات ربما استراب بها لسهولةها عليه فاسقطها ، وشعر ابن ميخائيل هذا فى الانموذج وغيره كثير مشهور .

ومنهم على بن احمد بن الصفار السوسى قال ابن رشيق : وهو شاعر متسع القافية عالم باللغة فمن قصائده (طويل) :

أَنَسْتُ بِالْعَلْيَاءِ نَارًا لَهَا سَنَى لِلَّيْلِ بَلِيلٌ قَدْ دَجَا وَتَغَضَّنَا
وَمَا أَوْقَدْتُ إِلَّا لِخَابِطٍ ظُلْمَةً مُضِلٌّ وَضَيْفٌ جَاءَ بِقَتَادٍ ضَيْفَنَا
فَمَا بَلَّغْنَا حَتَّى أَكَلَا وَالصَّقَا (٣)

قَلَّوَصِيْهِمَا بِالْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْوَنَى

قال : وهذا كلام عربى صريح قلما ياتى مثله للمتقدمين المحسنين فضلا عن المتأخرين لا سيما فى مثل هذه القافية ، قال : وانت ترى حال ابى نواس فيها على جلالته وجرأته (٤) . ولا بن الصفار المذكور

(١) بياض فى جميع النسخ

(٢) فى بعض النسخ « الصفا »

(٣) وفى بعض النسخ « والنبا »

(٤) اشار ابن رشيق الى قصيدة ابى نواس التى يمدح بها الفضل بن يحيى بن خاند ومطلعها (طويل)

طرحتم من الترحال ذكرنا ففنا فلو قد شغصتم صبح الموت بعضنا
انظر ديوان ابى نواس (طبع اسكندر آصف) ص ٧٥

قصيدة اخرى فى ذكر الشباب والشيب قال ابن رشيق : وهو مليح
جدا (طويل)

أَرَى الْبَيْضَ لَا يَمْنَحُنْ ذَا الْبَيْضِ مَنَحَةً
سِوَى مَنَحَةٍ تُهْدِي الْكَآبَةَ وَالْثُّكْلَا

كَأَنَّ لَأَيَّامِ الشَّبَابِ بَسَالَةً
طَلَبْنِ لِأَيَّامِ الْمَشِيبِ بِهَا ذُحُلَا

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي كَالشَّبَابِ وَحُسْنِيهِ (١)
أَقْبِرْ لَأَجْفَانِ الْقِيَانِ وَلَا أُحْلَى

وَلَا كِبْيَاضِ الشَّيْبِ فِي أَغْنِ الدَّمَى
قَدْ بَشِمَا (٢) يَغْشَى الْقَذَى الْاَغْنِ الْأَجْلَا

فَلَا غَرَوْ أَنْ أَرْعَى الشَّبَابَ وَعَضْرَهُ
وَلَا لَنُومَ أَنْ أَنْعَى الْمَشِيبَ وَلَا عَذْلَا

قال ابن رشيق : ما رأيت اعجب من البيت الثانى من هذه
الايات اما ينظر الناس الى هذا المعنى الغريب ، والتخلص العجيب ،
فى اللفظ الرائع المتكّن ، والنظم الرائق المستحسن

ومنهم أبو الفتوح بن محمد قال ابن رشيق : نشأ بسوسة وهو

(١) فى بعض النسخ « واهته »

(٢) فى بعض النسخ « مزلما »

من اهلها وشعره سهل وطىء لا يتكلف فاذا تكلف ظهر عليه اثر
ذاك ، وانشد له يمدح حسن ابن البليل متولى سوسة ، وقد رفع
عليه مال ، وقيلت فيه اقوال ، فلم يضره ذلك (يسيطر)

دُمْ هَكَذَا دُمْ عَلَى رَغَمِ الْعِدَى أَبَدًا

عَلَاكَ فِي الْيَوْمِ تَغْلَاهَا عَلَاكَ غَدًا

فَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنَّ تَعْطَى مِنْكَ وَمَا

أُعْطَى حَسُودَكَ إِلَّا الْبَثَ (١) وَالْكَمَدَا

ومنهم أبو موسى عيسى بن ابراهيم البسوسى المعروف بالقطان
قال ابن رشيق : كان شاعرا مشهورا بالشعر مليح المقطعات كنت
اسمع بذكره وهو بسوسة الى ان اجتمعت به فأنشدنى بعض شعره
ثم قال كيف رضاك عما سمعت فقلت أحسن رضا واتمه فتكلم
بكلام جميل ولم أره بعد ذلك الاجتماع وأنشد له فى الانموذج
(كامل) :

أَهْدَى إِلَى الْغُصْنِ الرُّطِيبِ قَبَومًا

وَإِلَى فُؤَادِي لَبْوَعَةً وَغَرَامًا

ظَلَمِي أَعَارَ الظُّبْيَ مِنْهُ مَجَاجِرًا

وَأَعَارَنِي مِنْ سُقْمِهِنَّ سَقَامًا

ما ضَرَّه لَوْ كَانَ مَعَكَ كَلْفِي بِهِ
يَهْدِي إِلَيَّ مَعَ الرِّيحِ سَلَامًا

قال وهذه الفاظ طيبة ومعان رائعة

ومنهم عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسي ويعرف بابن
الغساس قال ابن رشيقي : هو من أبناء سوسة ومستوطنها وهو
شاعر متدرب قد جمع الى زقة المعنى متانة اللفظ وقرب المقصد
وأنشد له (طويل)

كَمْ لَيْلَةٍ جَاذَبْتُ مِنْ رَاحَتِي بِهَا
نُهُودَ الْعَذَارَى فِي قَمِيصِ الدُّجَى الْوَحْفِ
وَبِتُّ يُعَاطِينِي الْعُقَارُ مُهْفَهْفُ

هَضِيمُ الْحَشَا مَخْطُوفُهُ وَافِرُ الرِّدْفِ
وَأُظْمَأُ فَأُسْتَسْقِي ثَنَائَهُ ظَامئاً

فَتَغْنِي (١) ثَنَائَهُ عَنِ الْقَهْوَةِ الصَّرْفِ
وَأَجْفَانُ دَهْرِي مُغْضِيَاتٌ عَلَى الْقَدَى

وَأَيَّامُهُ يُقْطَعْنَ بِاللَّهْوِ وَالْقَصْفِ

وأنشد له أيضا يصف خيارا (مخلع البسيط)

(١) في بعض النسخ « تنوب ثنياه »

جِثْمٌ لَجِينٌ يَكَادُ يَجْرِي لَوْلَا تَرْدُ بِهِ ثَنُوبٍ سَامٍ
مَا اغْتَرَضَتْهُ الْعُيُونُ إِلَّا رَأَتْ بِهِ مَقْبِضَ الْحُسَامِ

ومنهم محمد بن عبدون السوسي قال ابن رشيق : أصله من
الغبروان ، وهو من أكابرها ، وابوه هو المنتقل الى سوسة ، قال : وهو
شاعر وطىء ، الكلام كلف بعذوبة اللفظ والتوصل الى المعنى البعيد
بلطافة وسكون جأش لا يكاد يلغى بالشعر الا قال ، وكانت له
رحلة الى ثثة الدولة يوسف (١) بن عبد الله يعنى الى صقلية فامتدحه
وأضافه الى ولده جعفر فأدناه وقربه وكان من أكرم الناس عنده
وسأله الرجوع الى وطنه ورفع اليه قصيدة يتشوق فيها معا هذه منها
(سريع)

بالله يا جبل المسكردع	رييح الجنوب لعلها (٢) تسري
كيا أسائلها فتخبرني	ما يفعل الجيران بالقصر
يا قصر طارق الذي طرقت	أخشاي فيه بلايل الصدر
والله ما قصرت عن قلق	لكني قصرت بالقصر
فسقاك منهل الحيا وسقى	عصراً تقضى فيك من عصر

(١) هو ابو اختوج يوسف بن عبد الله بن محمد بن حسن الكلبي المتولى امر صقلية للعزير
بأمر سنة ٣٧٧ انظر كتاب اعمال الاعلام للسان الدين الخطيب ص ٧٩ من طبعة بالرمو
سنة ١٩١٠

(٢) فى بعض النسخ و توت أو ،

يَنَارُ بَع كَم لِي فَيْكَ مِنْ غُصْنٍ يَهْفُو صَبَاهُ بِهِ وَكُم بِدَرٍ
وَمُنَاسِبِ الْأَوْصَافِ أَثْقَلَهُ حَقْفٌ يَسْكَادُ يَنْوُءُ بِالْخَضِرِ
قَدْ طَالَمَا عُقِدَتْ قَلَائِدُهُ مَنِي مَكَانٍ قَلَائِدِ النَّخْرِ
وَلَثِمْتُ صَدْرًا فَاخَ غُبْرَهُ مِنْ غَيْرِ مَا طِيبٍ وَلَا عَطْرِ
وَضُمْتُ أَنْفَاسِي عَلَيْهِ وَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ نَفْسِي الَّذِي يَسْرِي
وَكَأَنَّ صَدْرِي لَا ضَلُوعَ لَهُ وَكَأَنَّ قَلْبِي بَانَ عَنْ صَدْرِي
أَعْطَى عَهْدَ اللَّهِ عَفْوَ مَنْ أَعْطَى الْعَهْدَ بِجَانِبِ الْحَجْرِ
لَوْ أُسْتَطِيعَ سَبَحْتُ مِنْ طَرَبٍ شَوْقًا إِلَيْكَ سَوَادَ ذَا الْبَحْرِ
حَتَّى أَقْبِلَ جَانِبَكَ كَمَا قَبَّلْتُ فَيْكَ مَرَّاشَفَ الْبَدْرِ
وَأُفِضَ أَجْفَانِي لَدَيْكَ كَمَا فَاضَتْ عَلَيْكَ وَمَا بِهَا تَدْرِي

قال ابن رشيقي : رقة الشوق ظاهرة على هذا الشعر ولطف الحضارة مع مياء تكاد تتبع من جانبه فهو أندى من الزهر غب القطر، وأحلى من الوصل بعد الهجر ، قال ولما سمعها جعفر ازداد به إعجابا وفيه رغبة فمنعه من السفر فكتب الى ثقة الدولة يسأله فيما سأل فيه ولده ويشكر ما ناله من الجود ويذكر وطنه أيضا (بسيط)

لَا يَقْصُرُ طَارِقُ هَنِي (١) فَيْكَ مَقْصُورُ
شَوْقِي طَلِيقٌ وَخَطْبُوي عَنْكَ مَأْسُورُ

إني نام جارك إنني ساهر أبدا
أبكي عليك وبأبكي البين معذور

عدي من الوجد ما لو فاض من كبدي
إليك لا احترقت من حولك الدور

ومدح فيها ثقة الدولة فلم يجد عندهما ما يشتهي فخرج عنهما
مسارقة قال ابن رشيقي : ومن ملح ما رأيت له قوله لجعفر حين
استأذنه في الرجوع الى وطنه فعتب عليه وحجبه (طويل)

ولما رايت البدر قمت مسلما عليه وأظهرت الخضوع لديه
وقلت له إن الأمير ابن يوسف شيهك قد عز الوصول اليه
فكن لي شفيعا عنده ومذكرا إذا جئته تبغى السلام عليه
قال فكتب هذه الايات ولقيه بها في منزله له فطرب وأعجب
بها اعجابا شديدا وأمر له بمال كثير ، قال والايات مأخوذة من قول
ابن الرومي (كامل)

بالله يا قمر السما كن لي لمن أهوى شفيعا

قال ومن عجيب كلامه قوله (مقارب)

أَتَبْصُرُ أم انت لا تبصر هو الحب يجري بما يقدر

تذلل وكن خاضعا خاشعا فذل الهوى عزك الا كبر

ولا تُنْكِرَنَّ احْتِكامَ الهَوَى فَأَحْكُمُهُ فَوْقَ مَا يُنْكِرُ
إِذَا عَزَّ دَمْعٌ فَأَغْرَ الهَوَى بِهِ وَابْكِ إِنَّ الْبُكَاءَ أُعْذِرُ
أَيَا وَاحِدَ الْحَسَنِ أَوْحَدَتَنِي لِمَا بِي وَإِنْ كَانَ لِي مَعْشَرُ
يَحَامُونَ دُونِي وَلَكِنْ حِمَى فَوَّادِي أُبَيِّحُ وَلَمْ يَشْمُرُوا
عَزَمْتُ (١) بِهِجْرِي وَغَرَّقَتَنِي بَدَمْعٍ يَفِيضُ وَلَا يَقْطُرُ
وَعَايَتَنِي (٢) كَيْفَ أَشْكُو الهَوَى كَمَا يَشْكِي فَقْرَهُ الْمَعِيرُ

قال ابن رشيقي : لله خفة أنفاس البغداديين النفيسة لم يخنها طبع
ولا أعجزتها صنعة ، ولو مزج هذا الكلام بكلام العباس بن الاحنف
ظريف الشعراء لامتزج به امتزاج الحمر بالماء ، والنور بالهواء ،
ولا بن عبدون في ملعب سوسة وهو مما أنشد ابن رشيقي (خفيف)
أَيْنَ مَنْ شَادَ ذَا وَمَنْ رَفَعَ السَّمْعَ نَكَ وَأَعْلَاءَ فَوْقَ مَا يَحْتَاجُ
أَيْنَ ذَاكَ الْمَلِكِ الشَّدِيدِ الَّذِي كَان وَذَاكَ الرَّوَاحِ وَالْإِدْلَاجُ (٤)
أَيْنَ تِلْكَ الْحُدُورِ أَيْنَ بُدُورُ حِجَّتِهَا الْجَبُوشُ وَالْأَغْلَاجُ
أَيْنَ أَرْبَابِهِمْ وَمَنْ رَفَعَ التَّاجَ جَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَيْنَ التَّاجُ
ضَمَّتِ الْأَرْضَ وَالْبِلَادَ عَلَيْهِمْ فَطَوَّتْهُمْ وَطَيَّهَا إِدْمَاجُ

(١) في بعض النسخ « عذبت »

(٢) في بعض النسخ « علمتني »

(٣) ورد الشعر في الحلل السندية (ص ١٢٢) بزيادة بيت بين هذا البيت والذي يليه
والمزيد هو :

أَيْنَ ذَاكَ الدَّمْعِ الَّذِي يَرْجِفُ الْإِزْ فِي جِيوشِهِ يَضِيقُ عَنْهَا الْفَجَاجُ

طجنتهم طحن الرجا فاذا الان - ساف - والدهر صخرة وزجاج

ومنهم عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسي الكاتب
لم يذكره ابن رثيق ، وذكره ابو الصلت (١) في الحديقة وانشد له
(طويل)

هممت بأن تخفى بقايا شية كغرة ليل أو حشاشة مهزوم

تري الشمرات السود والبيض حولها

كمثل أسارى الزنج في عنكر الروم

وانشد له في عرد نشابة اتخذ نصابا لمذبة (٢) (خفيف)

لليالي في نقض حالي عظات حار في وصفها ذوو الألباب

صرت في الخوص بعد ليس الحوافي واعتمادى بأزرق كالشهاب

بعد ذب الكمأة في جومة (٣) اله (٤) تنقات بي لذب الذباب

وله ما لم يشده ابو الصلت (سريع)

نذرت لله إذا ما النقت شافها بعد النوى للقبيل

سومي على الراح سوى ما حوى مبسمها العذب وراح المقل

(١) وفي النسخ التي بأيدينا ، ابو الصلت ، هو ابو الصلت امية بن عبد العزيز صاحب
الحديقة في شعراء الاندلس المتوفى بالمهدية سنة ٥٢٩ هـ نسخ في تاليفه على منوال النعالي
في نبتة الدهر

(٢) سقط في بعض النسخ

(٣) وفي بعض النسخ ، حرم

(٤) وفي بعض النسخ ، الفز

وله (بسيط) :

عيني دَهْتَنِي (١) والعين الكاحيلة مع

عين الرقيب واخذُ الناس بالعين

هَبْنِي اتَّقَيْتُ عَدَوًا مَن لَأَرْبَعَة

ما أَجْلَبَ العين مذ كانت إلى حَيْنِي (٢)

ومنهم التراب السوسى ذكره عماد الدين الاصبهاني فى

« الحريدة » ، وأنشد له من قصيدة يمدح بها جبارة بن كامل المتولى

على سوسة وقد قدما الحبر عن تملكه لها (رمل)

بات بالابرق برق يتسامى فجفا الجفن لرؤياه (٣) الأناما

طلعت راياته خافقة خفقان القاب أمسى مستهاما

بذمام الحب يا بريق عسى لك علمٌ حُبهم أغيا الأناما (٤)

أنسوا عاما فلما ملكوا رِقَ قلبي أوحشوا عاما فعاما

واستمالوني بوصل خادع فكما ملتُ راوا وضلي حراما

ومنها فى مدح جبارة :

فاذا ابصرتَه أَكْبَرْتَه وإذا خاطبتَ خاطبتَ هُماما

(١) وفى بعض النسخ « مدتنى »

(٢) وفى بعض النسخ « إلى الحين »

(٣) فى بعض النسخ « وانرام »

(٤) فى بعض النسخ « حُبهم أيقن أقيام »

وإذا استصرخت في حادثة فعلی الحادث جردت حساما
وله فيه هذه القصيدة التي اولع أعراب زماننا بانشادها ، وكثرة
تردادها ، ولاجل ذلك ذكرناها بكمالها وان كان فيها بعض طول
فان الحسن غير مملول : (مجزوء الرجز)

سَلِّمْ عَلَى ذِي سَلَمٍ	مَغْنَى الْهَوَى الْمُسْتَقَمِ (١)
وَقِفْ بِهَا مُسَائِلًا	عَنْ سَاكِنِ وَالْحَيِّمِ
وَاسْتَمِطِرِ الْعَيْنَ بِهَا	صُوبَ دُمُوعِ وَدَمٍ
فَهَذِهِ اَطْلَالُهُمْ	مُنْدَرِسَاتُ الْأَرْسَمِ
وَهَذِهِ عِرَاضُهُمْ	مُسْتَوْحِشَاتُ الْمَعْلَمِ
كَأَنَّهُنَّ أَسْطَرٌ	فِي كُتُبٍ لَمْ تَفْهَمْ
لَمْ تَبْقَ مِنْهُنَّ الصَّبَا	وَوَاكِفَاتُ الْيَدِيمِ
سِوَى ثَلَاثِ صَائِمَا	تِ قَائِمَاتِ جِشَمِ
وَاشْعَثَ مَطَرٌ ح	بِرَبْعِهَا الْمَهْدَمِ
اضْحَتِ خِلَاءُ بَلَقَعَا	بِوَالِنَا كَالرِّمَمِ
لَا تَسْمَعِ الْأَذْنَ بِهَا	إِلَّا نَعِيبَ الْأَنْحَمِ
إِلَى صَرِيرِ جُنْدُبٍ	إِلَى عَوَاءِ دَنَسَمِ

إلى ضبيح ثعلب إلى زئير ضيفم
ولا ترى العين سوى حذر نوق مخيم
وشو ذق ونقنق ولقلق وشيهم
بعد السرور والمنى والأمل المتهم
والغانيات كالدمى يسجن كل معالم
من ابيض مجبر واخضر مننم
واحر معتسق واصفر مسهم
من كل خود كحلت مقلتها بالسقم
جبنها من قمر وفرعها من ظلم
وقدّها من غصن وخدّها من عذم
يلوح في بنائها وكفّها بالمعصم
رقم من الوشمي في سلخ اديم الارقم
تفتر عن مفلج عذب الثايبا شيم
مفضض مذهب مدبج مرسم (١)
حلو اللمى وإنما لحظي جناه لافمي

من كل رثم مائس	كالفن المنقم
وصالته من سكر	وصده من عقم
مبتسم عن جوهر	في عسجد منظم
إن ضياء في بزرقمه	كالشرفي المخدم
قامت له مدامعي	مقام مهراق الدم
سقى للذاتي بها	وعيشي المنصرم
أيام كانت لمتي	مسودة كالحمم
وقامتني قويمه	شبابها لم يهرم
والدهر لم يخط إلى	مساءتي بقدم
فلا نهاني عذلي	ولا لحاني لومي
ثم انقضت بسرعة	ايام ذاك الموسم
كانني كنت ارى	عيشي به كالحلم
يا رب مع أحباب نأوا	عن مدنف متيم
إنعم صباحا واسلم	سقيت نوء المرزم
إن لم أمت من أسف	وحسرة عليهم
كذبت في دعوى الهوى	لست بهم بغيرم

كانني بالوصل من	احبتي لم أنعم
ولم ايت ريان من	رشف عقار الميسم
في ليلتين ليلتي	وليل شعر اسحتم
ما بين تفاح الخدو	د العاطر الموشم
وين رمان النهو	د الارج المكرم
في فرش وثيرة	لم تفتش للحرم
حتى تولى الليل في	حميسه المنهزم
وأقبل الصباح في	جحفله القرمزم
كانه لما بدا	يشرق تحت الظلم
وجه الامير ابن الامير	رالا كرم ابن الاكرم
جبارة بن كامل	سيف الندى والكرم (١)
الفارس الذي إذا	أسرج كل شينظم
وسل كل مرهف	وطر كل لهذم
وأضربت نار الوغى	وفر حامي الحرم
واشفق الابطال من	وقع القنا المقوم

وَخَشُرَجَتْ نَفْسُ الْجَبَا نِ مِنْ كَرِيهِهِ الْمَقْدَمِ
 وَافَى عَلَى ظَامِي الْحَشَا عَابِلِ الشَّوَاءِ مَقَرَمِ (١)
 مِنَ الْهَلَالِ مُسْرَجِ مِنْ الثَّرِيَّا مَذْجَمِ
 مِنَ الضَّحَى مَحْجَلِ مِنَ الصَّبَا مَجْجَمِ
 مَقْلِدًا بِصَارِمِ عَضِبِ الْمَضَاءِ مِخْذَمِ (٢)
 ثُمَّ انْتَشَى يَسْبَحُ فِي بَحْرِ الرَّدَى الْمَلْطَمِ
 فَأَجْفَلُوا أَمَامَهُ بَعْضًا عَلَى بَعْضِهِمْ
 كَانَ ضِيَاعُ سَطَتْ بِسَرِّ الْقَتَمِ
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَجَا وَانْهَلَ صَوْبُ الدِّيمِ
 وَوَعَوَعَ السَّرْحَانُ مِنْ طَوَّلِ الطَّوَى الْمُخَيِّمِ
 وَجِئْتُ مَعْتَرًا إِلَى مَنْزِلِهِ فِي الْقَتَمِ
 أَلْفَيْتُهُ خَيْرَ فِتَى طَرَقَتْهُ فِي الظَّلَمِ
 يَلْقَاكَ مِنْ قَبْلِ النَّدَى بِالْبِشْرِ وَالتَّبَسُّمِ
 إِلَى (٣) كَرِيمِ خِيَمِهِ سَمَحَ وَفِيهِ الدِّمَمِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « مَقْدَمِ »

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ « الْمَهْزِ » وَفِي بَعْضِهَا « انْجَا » عَوَضَ « الْمَضَا »

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخِ « السُّوَى »

آراؤه في الحادشا ت نَفَّذُكَالاسْهُمْ
 وحلمه (١) أَمْنَعُ من رَضَوِي لِكُلِّ مُجْرِمٍ
 وخلقُه أحسن من بُرءُ بِإِثْرِ السَّقَمِ
 نما به (٢) الى الفعا ل والمَقَامِ الاعْظَمِ
 صيد من العرب الألى كانوا ملوك الأُمَمِ
 وكانت الارض ارتسوت منهم بجود ودم
 من دير سنعان (٣) الى نجد بوادي إضم
 بجانبِ وادي القرى فالدَّوح من ذي سَلَمِ
 ثم انقضوا وذكُرهم كالشَّهْد في كَلِّ فَمِ
 من بعد ما أوصوا بـ هم مُكْرَمًا عن مُكْرَمِ
 بالصبر في وقت الوغى والكفِّ عند المغنمِ
 فجاء يقفوا مجدهم وحُسن تلك الشِّيمِ
 يا حاسديه اتبهاوا من رَقْدَةِ التَّوْهِمِ
 أَتَطْمَعُونَ في علا قد حازها او هَمِ

(١) في بعض النسخ « حمله »

(٢) في بعض النسخ « نهى »

(٣) انظر معجم البلدان لياقوت ج ٢ - ١٣٩

كَلَّا وَلَوْ رَقَيْتُمْ إِلَى السَّمَاءِ بِسُلْمٍ
 أَبَا عَنَانَ زِدْ عَلَا عَلَى مَحَلِّ الْأَنْجَمِ
 أَقْسَمْتُ بِأَلَيْتِ الْحَرَا م وَالصَّفَا وَزَمَنَزَمِ
 لَأَنْتَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ ه الْمُصْطَفَى الْمُكَرَّمِ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلُ الْوَفَا وَالذِّمَمِ
 أَجَلٌ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ ه مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ
 لَوْ كُنْتُ يَا ابْنَ الْكَرَمِ سَنَ فِي الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
 لَأُنْزِلَتْ فِي فَضْلِكَ نِكَمَلُ التَّنَمِ
 مَفْصَّلَاتُ سَوْدٍ مِنْ الْكِتَابِ الْمُخَكَّمِ
 أَنْتَ الَّذِي لَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْ عَزَّةٍ فِي حَرَمِ
 مَا قُلْتُ (١) لِلدَّهْرِ الظُّلُو مِ الْجَائِرِ الْمُحْتَكَمِ
 يَا دَهْرَ أَنْ شِئْتَ فَصَلِّ حَبْلِي أَوْ شِئْتَ اضْرَمْ (٢)
 وَأَنْ تَشَأْ لِيْنَ وَاسْتَقِمِ وَأَنْ تَشَأْ جِرْ وَأَظْلِمِ
 فَمَا أَبَالِيكَ وَلَا أَلْقَاكَ كَالْمُسْلِمِ
 أَنِّي مِنْ ابْنِ كَامِلٍ ذِي الْبَأْسِ وَالتَّكْرَمِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « لَقُلْتُ »

(٢) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « حَبَالِي أَوْ اضْرَمْ »

في ظل سيف مُرْهَفٍ	ونائل منسجِمٍ
وعِزَّةٌ قَدْ خِيَّتْ	بين السُّهَى والمِرْزَمِ
قَدْ رُفِعَتْ مِنَ الثَّرَى	إلى الثَّرِيَّا قَدَمِي
فالنَّجْمُ لِي مُجَالِسُ	كَأَنَّهُ مِنْ حَرَمِي
والسَّعْدُ لِي مُسَاعِدُ	كَأَنَّهُ مِنْ خَدَمِي
هُوَ الَّذِي لَوْ أَمَّهُ	كُلُّ الْوَرَى لَمْ يَسَامِ
وَلَوْ سَخَّاهُ بِنَفْسِهِ	إِسَائِلُ لَمْ يَنْدَمِ
عَلَّمَنِي الْجُودَ بِمَا	قَلَدَنِي مِنْ أَنْعَمِ
فَرُحْتُ وَالْدِينَارُ فِي	يَدَيَّ مِثْلَ الدَّرْهَمِ
فَإِنْ غَدَوْتُ مَادِحًا	لَغَيْرِهِ مِنْ عَدَمِ
فَجَائِزُ ضَرُورَةٍ	عَلَى حُدُودِ الْحَرَمِ
كَالْمَاءِ إِنْ عِدْمَتُهُ	صَلَّيْتُ بِالْتِمَمِ
لَا جَعَلَنِّي مَا حَيٍّ	تُذَكِّرُهُ شُغْلُ فَمِي
وَإِنْ أَمْتُ فَشُكْرُهُ	فِي الْقَبْرِ شُغْلُ أَعْظَمِي
لَا زَالَ طُولُ عَمْرِهِ	مُؤَيَّدًا بِالْعِصَمِ (١)

مستسكاً من سعدة بعروة لم تُفصم
ربوعه مأهولة بسابغات النعم
وسنره مخمرة من العداة بالدم
ما اومضت بوارق في جنح ليل مظلم
وما شدت حمائم على فروع السلم

ومن ينسب الى سوسة هذه شيخ شيوخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي قديم المولد كان يسمى ملحق الالباء بالابناء لطول أمدته وقدم مولده توفي بتونس في الثاني والعشرين لذي القعدة سنة اثنتين وستين وستمائة وأنشد له ابن سعيد في خزانة الادب (مقارب)

عكفنا على الكاس في جنة نعا كي بها ميل أغصانها
ورسل النسيم بها سخرة تحرّش ما بين زئحانها
أظن تغاريد الحانها زهتها فاضفت بأذانها

ولأبي عبد الله شعر حسن والموجود منه قليل ، ومنه قوله من بداية قصيده يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد الله ابن الشيخ المقدس أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص (كامل)

جردت عزمك صارماً مسلولا ماء ولكن ما يبّل غليلاً

وقوله يخاطب بعض الرؤساء وقد قدم له فرس أشهب حديدى
لركوبه (١) (كامل)

إِزْكَبْ بِإِقْبَالِ السَّعَادَةِ أَشْهَبًا مِثْلَ الصُّبْحِ إِذَا يَشُوبُ الْغَيْهَبَا
مَا شَابَ مِنْ مَرِّ السِّنِينَ وَإِنَّمَا لَاقَى سَنَّاكَ فَلَاحُ (٢) يَحْكِي الْأَشْيَبَا
قَدْ أَلْجَمُوهُ بِالْثُرَيَّا فَاْنْهَوَى (٣) يَنْقُضُ فِي لَيْلِ الْعِجَاجَةِ كَنُوكْبَا
وَكَانَ يَدَاعِبُ طَلْبَتَهُ مِنْ أَهْلِ تُونِسَ بِسُؤَالِهِمْ عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ
(خَفِيف)

لا تَلْمَنِي عَلَى الْ—دَنَاءَةِ إِنِّي تُونَسِي وَجُرْتُ يَوْمًا بِسُوسَةِ (٤)

اى البلدين يقتضى الشعر ان يكون اعظم دناءة؟ فيقولون له سوسة، وهذا البيت ذكره جعفر بن شرف فى تاريخه كما انشدته ، وسمعت كثيرا من اشياخنا يقولون انه مغير وان البيت المشهور انما هو غير ذلك مما اضربنا عن ذكره

ونختم هذا الفصل من ذكر سوسة وشعرائها بحكاية ذكرها الحميدى فى تاريخه (٥) قال : اخبرنا بعض اصحابنا بالاندلس عن سليمان بن محمد المهرى (٦) الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل

(۱) فی بعض النسخ « یرید رکوبہ ».

(٢) في بعض النسخ «مراح»

(٣) في بعض النسخ « اعتدى »

(٤) في بعض النسخ « وقد مررت بسوسة »

(5) ~~مب ابن عبد الله محمد بن احمد نصر الحميدى الاندلسى~~ ~~جذوه المقتبس في تاريخ~~
الاندلس المتوفى سنة ٤٨٨

(٦) في بعض النسخ المهدوى

اديب شاعر و كان يهوى غلاما جميلا من غلمانها و كان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه ، قال فينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر عن نفسه وقد غلب عليه غالب من السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قيس نار ويحرق عليه داره لتجنيه عليه فقام من حينه وفعل ذلك واتفق ان رآه بعض الجيران فبادروا النار بالاطفاء ولما اصبحوا نهضوا الى القاضى فاعلموه فاحضره القاضى وساله عما فعل فانشا يقول (مخلع البسيط)

لَمَّا تَمَادَى عَلَى بَعَادَى وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فَوَادَى
وَلَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بُدًّا وَلَا مَعِينًا عَلَى السُّهَادِ
حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وَقُوفِي بِبَابِهِ حَمْلَةَ الْجَوَادِ
فَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارِ قَلْبِي أَقْلٌ فِي الْوَصْفِ مِنْ زِنَادِ
فَأَخْرَقَ الْبَابَ دُونَ عِلْمِي وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ مَرَادِي

قال فاءتظرفه القاضى وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان لا يعود وخلي سيله

قال الحميدى : كنت اظن ان هذا المعنى مما تفرد به هذا الشاعر حتى حدثنى ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد بالفسطاط قال : قال لنا القاضى ابو الحسن ابن صخر اخبرنى بعض شيوخ البصريين ان ابا القاسم نصر بن احمد الحزازى الشاعر (١) دخل على ابي الحسن

(١) هو نصر بن احمد الحزازى الشاعر (١) دخل على ابي الحسن الحزازى ترجم له الثعالبي فى الجزء الثانى من اليتيمة ص ١٣٢

ابن المثنى فى اثر حريق المربد فقال له هل قلت فى هذا شيئا فقال
ما قلت شيئا فقال او يحسن بك وانت شاغر البصرة والمربد اجل
شوارعها واعظم اسواقها ولا تقول فيه شيئا فقال ما قلت شيئا
ولكنى اقول الان وانشا مرتجلا (١) (متقارب)

أنتكم شهود الهوى تشهد	فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم	على انني منكم مكمّد
جرى نفسي صعدا نحوكم	فمن اجل ذا احترق المربد
ولولا دموع جرت لم يكن	حريقكم أبداً يخمد
وهاجت رياح حيني لكم	فظلت بها ناركم توقد

قال الحميدى : فاتى بالمعنى وزيادة وذكر هذه الحكاية ابن
بشكروال فى الصلة ناقلها عن الحميدى (٢)

فاقمنا بظاهر سوسة يوم الجمعة كما تقدم ويوم السبت والاحد
بعدد بسبب بعض من تاخر عن صحبتنا من الاجناد وانتقلنا عن
سوسة صباح يوم الاثنين ففارقنا بمفارقتها ارض دلاج وابتدانا
بالسلوك فى ارض حكيم وطرود وكان نزولنا فى هذا اليوم بمنزلة
بين زرمدين وجمال وزرمدين مفتوحة الزاي ساكنة الراء مكسورة

(١) اورد ياقوت الحموى الحكاية والابيات (مع اختلاف ما فى الرواية) فى معجم البلدان ج ٤
ص ٤٨٣ وكذلك النزول فى مطالع البدور

(٢) انظر كتاب الصلة لابن بشكروال ص ٢٠٤٠

البدال المهمة وجمال مفتوحة الجيم مشددة الميم ، وبزرمدين حصن حصين اسفله حجارة واعلاه طين ياوى اليه اهله وبخارجها مقبرة الشيخ ابي محمد عبد السيد الزرمديني من اهلها يذكر عنه صلاح وفضل زرنا قبره ودعونا عنده واكتنفنا في اثناء هذه المرحلة من اليمين والشمال قصور متفرقة وقرى كثيرة قد اخلتها العرب واجلت ناسها .

وهناك قصور الوردانيين وهى القرية التى ازمع اهلها على قتل الشيخ الصالح ابي يوسف الدهماني (١) رحمه الله ايام سكناه بسجد غانم على قرب منهم واتفقوا مع بعض العرب فظهرت له معهم الكرامة المشهورة ولقيه العربى فخر عن فرسه لاثما قدمى الشيخ طالبا منه الدعاء وعرفه القضية وسال منه ان يركب فرسه فاسعفه بذلك وقال له : يا بشى علم الله ضعفى وقلة قدرتى على المشى فاتانى بك وتاب العربى وحسنت حاله ، ينسب الى الوردانيين هذه ابو محمد يونس بن محمد الوردانى كان صالحا جليل القدر ثبتا فى روايته اخذ العلم عن سحنون بن سعيد وصحح عليه جميع كتبه ودعا الله تعالى ان يخلد ذكره فكان لا يولد له

ولما دخل عبد الله الشيعى افريقية وغلب الشيع على اهلها جمع ابو محمد هذا اهله وقال لهم ان امر هؤلاء القوم قد اشتهر فاما ان

(١) ترجم له الدباغ فى كتاب معالم الايمان ج ٣ - ص ٢٦٣ - ٢٨٩ وافرد له الدباغ كتابا على حدة توجد منه نسخة خطية فى خزانة الجزائر عدد ١٧١٨ ونسخة بمكتبة ج - ح - عبد الوهاب بتونس

تركونى أفر بدنى الى بلاد لا حكم لهم عليه واما ان أحمل نفسى على (١) الاشتغال برعى البقر لعلى أسلم من فقتهم فعظم ذلك عليهم ثم راوا ان رعى البقر خير لهم من مفارقتة فاجابوه الى ذلك فكان يحمل مصحفه معه ويعد عن العمران ويقبل على القراءة فاذا جن الليل اقبل بالبقر الى منزله وربما اراد بعض الناس زيارته فاذا رآهم من بعد صاح وهرول يريهم أن فى عقله اختلا لا توفي سنة تسع وتسعين ومائتين

ثم انتقلنا من مناخنا ذلك يوم الثلاثاء فنزلنا بالحصن المعروف بالجم (٢) وهو اعظم حصون افريقية واشهرها على القدم وليس بافريقية بعد الحنايا التى بقرطاجنة بناء اضخم منه ولا اعجب ، وشكله مستدير وارتفاعه فى الهواء مائة ذراع - وذكر البكرى ان تكسير دائرته فى الارض ميل (٣) ويقال ان الكاهنة المعروفة بكاهنة لواتة حصرها عدوها بهذا الحصن فحفرت منه سربا فى الحجر الصلد نفذت به الى مدينة سلقطة وكانت اختها هنالك فكان الطعام يجاء به اليها فى ذلك السرب على ظهور الدواب

ولما قتل بافريقية زهير بن قيس البلوى وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان عظم عليه فاستشار المسلمين فيمن يوجه لافريقية عوضا عنه فاشاروا عليه بحسان بن النعمان فتوجه حسان لافريقية بجيش

(١) فى بعض النسخ « ان احمل نفسى بالاشتغال »

(٢) فى بعض النسخ « بالاجم »

(٣) انظر البكرى ص ٣١

يقال انه لم يدخلها جيش للمسلمين اضخم منه فحاصر قرطاجنة وافتتحها وخربها وتوجه الى هذه الكاهنة فهزمته واسرت كثيرا من فرسانه واتبعته حتى اخرجته من قابس ، فكتب بالهزيمة الى عبد الملك وسار الى دمشق مشيا رويدا طمعا ان يلحق به من افلت من المسلمين فعاد اليه جواب عبد الملك يأمره أن يقيم حيث وافاء كتابه ولا يبرح منه فوصل اليه الكتاب وهو ببرقة فأقام هناك وابتنى بها القصور المعروفة به الان الى ان وصل الجيش اليه من قبل عبد الملك فعاد الى افريقية واخذت الكاهنة في قطع الشجر وتغوير الماء لترهد المسلمين في افريقية ، وقد علمت بكهانتها انها ستقتل فامرت ولديها بالتوجه لحسان ففعلوا ووقع اللقاء حتى ظن الفريقان انه الفناء وانهزمت وتبعها حسان حتى قتلها عند البئر المنسوبة اليها ، وعقد حسان لابنيها (١) على البربر فاتخذهم اجنادا مع العرب فلم ينازعه احد طول حياته

ويروى ايضا عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما بعثه عثمان رضى الله عنه الى افريقية فلقى جرجير وكان من قتل عبد الله بن الزبير له ما كان اصاب الروم رعب شديد فلجؤوا الى الحصون والقلاع فاجتمع اكثرهم بهذا الحصن فطلبوا من عبد الله بن ابي سرح أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهباً على ان يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم وقبض المال ، وكان من

(١) وفي بعض النسخ « لآخيه »

شرطه ان ما اصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما اصابوه بعد الصلح ردوه يريد والله اعلم بعد الصلح وقبل علمهم به .

وقد قاتل اهل هذا الحصن يحيى بن اسحاق الميورقي فاعياه وارتحل عنه خائبا ويذكر انهم رموه منه بعد الحصر الطويل بالسلك حيا وانهم جلبوه من ذلك النقب النافذ الى سلقطة فحينئذ أيس منهم وارتحل عنهم ، والى جانب هذا الحصن قرية عامرة بها جنات ومزارعات متسعة ومسجد جامع واسواق نافقة يسكنها قوم من البربر كانوا قبل هذا ساكنين بقصر مليئة من ارض زوارة وقد رأته وسيأتى ذكره بعد هذا فأخلته العرب واجلتهم منه فسكنوا بهذه الارض ، وماء هذا الحصن فيما ذكر فى بشر شروب وانما كان وردنا فيه من غدر غادرها (١) المطر هنالك

ومن هذا الموضع ظهر لنا الكوكب المعروف بسهيل وليس يظهر بتونس ولا ما قاربها وانما مبدأ ظهوره فيما يظهر فيه من ارض افريقية لمن وصل من المغرب مشرقا بهذا الموضع فما سامته من ناحيتى الجنوب والشمال ، ويقال انه لا يظهر فى شيء من جزيرة العرب كلها ولا فى شيء من بلاد الاندلس الا فى جبل سهيل من اعمال مالقة وبه سمي الجبل واليه ينسب أبو القاسم السهيلي العالم الفاضل (٢)

(١) فى بعض النسخ « غادرتها »
(٢) هو ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن احمد السهيلي صاحب كتاب الروض الانف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام

وجزم عاصم في كتاب الانواء بأنه لا يظهر في شيء من بلاد
الاندلس البتة ، وهو كوكب منفرد من الكواكب لا يقطع الى
الغرب كسائرهما ولكنه يطلع من افق القبلة شيئاً يسيراً ثم يغيب في
ذلك الافق ولذلك قال جران العود (طويل)

أراقب لَوْحاً من سُهَيْل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يَطْرِفُ
يُعَارِضُ عن مجرى النجوم ويتمي كما عارض الشَّوْلَ البعيرُ المؤلَّفُ

يشبهه لاعتزاله النجوم وميله عنها ببعير ضم الى ابل وليس منها
فهو يتف منفرداً عنها ، وقال ابو العلاء المعري يصف متغرباً في
البلاد مائلاً الى الانفراد (وافر)

كَأَنَّكَ من كَوَاكِبِ سُهَيْل إذا طلع اعتزالاً وانفراداً (١)

ومبدأ ظهوره فيما يظهر فيه من بلاد افريقية عند الفجر في السابع
من شهر شتبر ، وعلى قريب اذا كانت الجوزاء سحراً في وسط
السماء رثى سهيل في المواضع التي يظهر منها واذا كانت غائبة او
هابطة في أقصى المشرق لم ير وهو من الكواكب اليمانية ولذلك
قال عمر بن ابي ربيعة في الثربا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية
الاصغر بن عبد شمس لما تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان
(خفيف) (٢) :

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ١٦٩
(٢) انظر كتاب الاغانى ج ١ - ص ٩٤

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي
وَفِيهِ فِيمَا يَظْهَرُ لِنَاضِرِهِ احْمَرَارٌ وَاضْطِرَابٌ شَدِيدٌ وَذَلِكَ لِقُرْبِهِ مِنْ
الْأَفَقِ فَإِنَّ الْكَوَاكِبَ تَكْثُرُ حَرَكَاتُهَا هُنَاكَ وَكَلَّمَا ارْتَفَعْتَ قَلْتَ
حَرَكَاتُهَا وَقَدْ تَعَرَّضَ لَهَا حَرَكَةٌ أَيْضًا وَهِيَ مَرْتَفَعَةٌ إِذَا كَانَ فِي
الْهَوَاءِ تَمَوْجٌ وَقَدْ قَالَ أَبُو الْعَلَا الْمَعْرِيُّ (خَفِيفٌ) (١) :

وَسُهَيْلٌ كَوَجْنَةُ الْحَبِّ فِي اللَّوْنِ وَقَلْبُ الْحَبِّ فِي الْخَفَقَانِ
يُسْرِعُ اللَّمَحُ فِي احْمَرَارٍ كَمَا تُسْرِعُ فِي اللَّمَحِ مُقْلَةُ الْغَضْبَانِ
قَدَمَاهُ وَرَاءَهُ وَهُوَ فِي الْعَجْزِ كَسَاعٍ لَيْسَتْ لَهُ قَدَمَانِ
قَدَمَاهُ كَوَكَبَانِ تَحْتَهُ يَعْرِفَانِ بِقَدَمِي سُهَيْلٍ يَقُولُ : قَدْ ثَبَتَ أَنْ لَهُ
قَدَمَيْنِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْرَحْ فَكَأَنَّهُ لَا قَدَمَيْنِ لَهُ يُشِيرُ إِلَى طَوْلِ اللَّيْلِ ،
وَأَنشَدَ أَبُو عَلِيٍّ فِي الْأَمَالِيِّ لِأَعْرَابِيٍّ يَصِفُ نَارًا (٢) (وَافِرٌ)

رَأَيْتُ بِحُزْنٍ عِزَّةً ضَوْءَ نَارٍ تَلَالُأًا وَهِيَ وَاضِحَةٌ الْمَكَانِ
فَشَيْءٌ صَاحِبَايَ بِهَا سُهَيْلًا فَقَلْتُ تَثْبِتَانِ مَا تُبْصِرَانِ
أَنْنَارًا أَوْقَدْتَ لِتَنْوَرَاهَا بَدَتْ لِي كَمَا امَّ الْبَرْقُ الْيَمَانِي
كَأَنَّ النَّارَ يَقْطَعُ مِنْ سَنَاهَا بَنَائِقَ جُبَّةٍ مِنْ أَرْجُوفَانِ

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ٩٢
(٢) انظر أمالي القالي ج ٢ - ص ٢٠٨

كل ذلك اشارة الى احمراره واضطرابه

وتتقدم قبل سهيل خمسة كواكب تسمى العذارى ، وهى فى
المجرة اسفل من الشعري العبور ، وكوكب آخر يسمى حضار على
وزن حذام ويقال له ايضا الميخنت ، وذلك لانه شبيه بسهيل فيظن من
رآه انه هو ويحلف على ذلك فاذا طلع سهيل تبين له انه غيره
فيحنت ، وكانت العرب تزعم ان سهيلا كان رجلا يعشر الناس
بضم الشين اى يأخذ عشر اموالهم ، وكذلك الضب وأنها كانا
مكاسين على تجار البر والبحر اتاوة فسخهما الله عقوبة لهما وجعل
أحدهما نجما فى السماء والاخر حيوانا فى الارض ، والى هذا اشار
الحكيم بن عمر البهراني الاعمى بقوله وكان أتى ابن العنبر (١)
بالبادية وأقام معهم فكان يتفقه بفقهم ويفتى بفتياهم (خفيف) :

إِنَّ رَبِّي لِمَا يَشَاءُ قَدِيرٌ مَا لِمَا إِنْ أَرَادَهُ مِنْ مَقَرٍّ

ماسخ الماكسين نجما وضبا حين جاء بكل مكس وعشر

وذلك من خرافات الاعراب وباطلهم وانما الغريب من أمر
سهيل وهو صحيح مشاهد ان الابل ساعة طلوعه تستدبره فلا
تزال مولية بوجوهها عنه ما دام طالعا وان كانت حين طلوعه مستقبلة
لجهته استدار فى الحين فولته اذ بارها ، وهذا امر شائع مستفيض
لم أر من اهل الابل الا مقرا به مصدقا له ، وكانوا يزعمون ان

(١) كذا فى جميع النسخ والمعروف « بلعير »

طلوعه سبب موت الابل ووقوع الوباء فيها فلاجل ذلك تكرهه
وتستدبره وقد أشار الساجع الى ذلك بقوله طلوع سهيل ، طلوع
ضر للابل وويل ، وقال الشاعر (وافر) :

وكان أضرّ فيهم من سهيل إذا وافى وأشأم من قُزاح

وعليه بنى أبو العلاء قوله (١) (كامل)

لا تحسبي إيلي سهيلا طالما بالشام فالمرثئي شمة قايِس

يريد ان ابله رات قبسا بالشام حسبته سهيلا فخشيت الموت فقال
لها ليس سهيل من الكواكب الطالعة بالشام فتخافيه وانما رأيت
قبسا فلا تراعى ، وكذلك ايضا قول ابى الطيب (٢) (وافر)

وتُنكر موتهم وأنا سهيل طلعت بموت أولاد الزَّناء

وذلك انه جعل حساده وأضداده بهائم لجهلهم فسهيل يميتهم
بطلوعه وجعلهم اولاد زنا لانتسابهم للفضل وليسوا منه كما ينسب
اولاد الزنا لآباء ليسوا منهم ، وسألت أعراب زماننا عن هذا الذى
يذكر من تأثيره فى الابل فقالوا لا نعلم له تأثيرا فيها الا أن طلوعه
عندنا أمان للابل المغشوشة من الموت ، والغش داء معروف عندهم
قالوا فما لم يمت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده ، وكانت العرب
عند طلوعه تفصل الجوران (٣) من أمهاتها يقال ان ذلك هو سبب

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ٨٧

(٢) انظر شرح العكبرى على المتنبي ج ١ - ص ١١

(٣) فى بعض النسخ « الخيران » وفى بعضها « الحيوان »

كراهة الابل لسهيل ولهذا قال ساجعهم اذا طلع سهيل ، برد الليل وخيف السيل ، وامتنع القيل ، وكان لام الحوار الويل ، فانما كان هذا الويل لفراقها له ، ويروى كان للحوار الويل لفصله ومنعه من الرضاعة ، وقد تكون الرواية الاولى موافقة لهذه فيكون معنى قوله وكان لام الحوار الويل اى للحوار نفسه ، والقيل فى هذا السجع اما من القائلة وهى نومة الظهيرة أو من الشرب فى ذلك الوقت فانه يسمى القيل ، وقالوا ايضا فى سجع آخر اذا طلعت الجبهة ، تحانت الولهة ، وتنازعت السفهة ، وقلت فى الارض الرفهة فالولهة بتحريك اللام النوق تحن الى اولادها وتوله عليها لاجل ما ذكرناه فان طلوع الجبهة مقارن لطلوع سهيل ، وقوله وتنازعت السفهة بفتح السين والفاء يعنى أن السفهاء توثبوا بطرا فأكثروا الغارة والفساد ، وانما بطروا لانهم فى خصب من اللبن لما فصلت الاولاد عن أمهاتها والرفهة بضم الراء وفتح الفاء قصب الزرع بعد اخراج الحب منه يعنى أنه لم يبق من الحبوب اذ ذاك الا الرفهة (١) لاحتياجهم الى حفظ نعمهم لما تنازع السفهاء خوف الغارة ، أعرف (٢) ان ابن السيرافى لما تعرض لشرح قول الشاعر (وافر)

ألم ألك جار كم فتر كتموني لكلب في دياركم عؤواء
وأخرت العشاء إل سهيل أو الشغرى فطال بى الاناء

(١) فى بعض النسخ « فيطلبه اهل الرفاهية لاحتياجهم الى علف انعامهم »

(٢) فى بعض النسخ « اعلم »

قال : انما قال الشاعر هذا لان سهيلا انما يطلع سحرا وكذلك الشعرى فاراد انى انتظرت معروفكم حتى أيسر منكم كما يشي صاحب العشاء اذا طلع سهيل لانه لو أتى اذ ذاك بما يأكله لم يسم عشاء نفوات اسم العشاء بدخول السحر ، ورد (١) الذى قال ابن السيرافى بأن (٢) سهيلا يختلف باختلاف الازمان واختلاف البلدان فرب بلد يطلع فيه سحرا وقد طلع فى غيره عشاء وكذلك انفصول ربما طلع فى فصل عشاء وربما طلع فى ذلك الموضع بعينه فى فصل آخر سحرا وهو فى هذا كسائر الكواكب الا ان يعنى أنه فى ذلك الزمن الذى قيل فيه الشعر كان يطلع فى ذلك البلد سحرا فحيث يصح قوله على بعد هذا التأويل من كلامه .

وارتحلنا عن الجمل يوم الاربعاء ففارقنا بمفارقتة أرض حكيم وطرود ودخلنا فى أرض اخوتهم حصن وكان مسيرنا منذ فارقنا الجمل فى الزيتون القديم المتصل المعروف بزيتون الساحل وقد أذهب افساد الغرب أكثره ، وغير بعد الاستواء أسطره ، فكأنه كان مغروسا على حالة مغلومه ، وأسطر متناسبة منظومه ، فأبطل الافساد أكثر ذلك ، وعلى هذا الزيتون كان مدار غلات افريقية فى القديم ، وقد روى ان ابن أبى سرح لما افتتح افريقية وقتل ملكها وعبد أكثر أموالهم الذهب والفضة فغنم منها مل (٣) أيدي جنده وسألهم أنى

(١) فى بعض النسخ « وهذا »

(٢) فى بعض النسخ « ان »

(٣) فى بعض النسخ « ماملا »

لكم هذا فجعل أحدهم يلتبس شيئا فى الارض حتى أتاه بنواة زيتون فقال له من هذا أصبنا هذه الاموال (١)

قال الرشاطى فى كتابه المسمى « باقتباس الانوار » وانما سمي هذا الموضع الساحل وليس بساحل بحر لكثرة ما فيه من سواد الزيتون والشجر والكرم ، قال وهو كله قرى متصلة البعض ببعض ، وذكر من المنسوبين اليه من العلماء اسرائيل بن روح الساحلى وأخبر أنه لقي مالك بن أنس وحدث عنه قال : أبوبكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب أخبرنا أبو الفرج أحمد بن على قال حدثنا أحمد الواعظ قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن زياد قال حدثنا اسماعيل بن حصن قال حدثنا اسرائيل بن روح الساحلى قال : سألت مالك بن أنس فقلت يا أبا عبد الله ما تقول فى اتيان النساء فى أدبارهن فقال أما أنتم قوم عرب ؟ هل يكون الحرث الا فى موضع الزرع ؟ أما تسمعون الله يقول نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قائمة وقاعدة وعلى جنبها ولا تعدوا الفرج ، فقلت يا أبا عبد الله انهم يقولون انك تخبر بذلك (٢) فقال يكذبون على وكررها ثلاثا

وانتهى السير بنا فى غابته المتصلة الى منزلة تعرف بأم الاصابع (٣) لدى قصر قد شيد فى سالف الزمن بنيانه ، وأحكم

(١) انظر الى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ١٨٥

(٢) فى بعض النسخ « نجيز ذلك »

(٣) المكان المعروف قديما بأم الاصابع هو المسمى اليوم بالرقعة وبه آثار رومانية عظيمة منها قوس نصر قائم الذات ومواجه للمياه ومسرح وغير ذلك

تأسيسه واتقانه ، وجعلت أبراجا مستديرة اركانها ، الا أن طول الزمن المتباعد ، قوض أحد تلك الاركان من القواعد فتداركه أربابه الآن ، ببناء لا مناسبة بينه وبين ما كان ، وبذلك الابراج المستديرة فيه سمي ام الاصابع لانها بقيت لارتفاعها عما اتصل بها من البنيان كأنها اصابع قائمة ، واحتطب الناس من هذه الشجر ما استصبحوا لمرحلة الغد لان الحطب بها معدوم ، ثم سرينا منها آخر ليلتنا فاجتزنا صباحا على قرية صغيرة ذات قصور مفترقة تعرف ببرشانة ، وحاذانا على بعد ساحل البحر القصر المعروف بقصر زياد وهو قصر حصين وفي أهله نجدة موصوفة ، وشجاعة معروفة ، قال الليدي في أخبار الشيخ أبي اسحاق الجبنياني نفع الله به : وكان قصر زياد يسمى دار مالك لكثرة من به من أهل العلم في ذلك الزمان

وبعد مجاوزتنا له سامتنا من البحر جزيرة قرقنة على مسافة بعيدة لا يمكن ظهورها منها وموضعها بين هذا القصر وصفاقس وسطا ، وهي جزيرة قوية العمارة شهيرة الذكر على القدم والنصارى في وقتنا هذا متغلبون عليها متحكمون في أهلها ، وليس لها سور ولا دور وانما سكنى أهلها في أخصاص يجعل كل واحد منهم في أرضه ما أحب منها وفي الجهة الغربية منها كهوف يتحصنون بها ، وطول هذه الجزيرة ستة عشر ميلا في البحر وعرضها ثلث ذلك

ووصلنا الى صفاقس ظهرا فرأيت مدينة حاضرة ذات سورين
يمشي الراكب بينهما ويضرب البحر في الخارج منهما ، وكانت بها
قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها فأفسدتها العرب فليس بخارجها
الان شجرة قائمة وفواكهها مجلوبة اليها من قابس ، وماؤها شراب
لا يساغ وانما يعتمدون في شربهم على ما يدخرونه من مياه الامطار ،
ويصطاد بها من السمك أنواع تفوت الاحصاء ويبحرها يوجد
صوف البحر الذي يعمل منه الثياب الرفيعة الملوكة وربما وجد في
بحرها صدف يشتمل على لؤلؤ صغير الحب ، ومرساها مرسى حسن
ميت الماء والماء يمد به ويجزر عنه كل يوم فاذا جزر استوت السفن
على الحماة واذا مد عامت ، وفي هذا المد والجزر يقول بعض المجيدين
من شعرائها وهو علي بن حبيب التنوخي وسياتي ذكره بعد هذا
(مجزوء الكامل) :

سقياً لأرض صفاقس ذات المصانع والمُصَلَّى
فحمى القصير إلى الخليج فقَصَّرَها السامي المَعْلَى (١)
بلد يكاد يقول حين تزوره أهلاً وسهلاً
وكأنه والبحر يحسرتارة عنه ويملاً
صَبُّ يريد زيارة فإذا رأى الرُقَباء ولَّى

١ في بعض النسخ « حسي » « وبقصرها »

وأين هذا من قول أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح أبي
تسيم المعز بن سليمان يذمها ويخيل أن هذا الجزر هروب من البحر
عنها لقيحها وقد كان ولي اشرافها سنة خمس وستين وستمائة
فقال فيها (بسيط)

صفاقس لا صفا عيش لسا كنها ولا سقى أرضها غيث إذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها عانى بها العاديين الروم والعربا
كم ظل في البر مسلوبا بضاعته وبات في البحر يشكو الاسر والعطبا
وليتها فتولتني الهموم وقد لقيت من سفري في أرضها نصبا
قد عاين البحر قبحا في جوانبها فكلما همم أن يدنو لها هربا

وبها جامع حسن ، ذكر الليدي في أخبار الشيخ أبي اسحاق
الجنياني أن علي بن سالم جد الشيخ أبي اسحاق هو الذي بناه
وكان سحنون ولاد قضاء صفاقس وهو ولده من الرضاة أرضعته
زوجه أم محمد بن سحنون مع محمد قال : وهو الذي بنى أيضا سور
صفاقس بالطوب وبالطين ، وبنى المحرس المعروف في القديم
بمحرس على وعرف بعد بالمحرس الجديد ، وقد شاع في الناس
تسمية صفاقس بلعنة الله وبلغ الامر في ذلك أن بعض الملوك قال
لمن راجعه الكلام اذهب الى لعنة الله ، فأخذ في الارتحال الى صفاقس
وكانت ولايتها في القديم تتردد عليها من قبل صنهاجة الى أن

ولى المعز بن باديس عليها منصور البرغواطى وكان من الفرسان المعروفين بالاقدام فأراد أن يثور بها وأخذ فى مخالفة العرب فعاجله ابن عمه حمو بن مليل وقتله غدرا فى الحمام وذلك سنة احدى وخمسين وأربعمائة ، ولما قتله وصل حلفاء منصور من العرب فحاصروا حمو بصفاقس فبعث اليهم يسألهم هل قصدهم الاخذ بثار ابن عمه منه أو المال فقالوا نحن لا ندخل بينكم فى الدماء وانما غرضنا الاموال ، فالتزم لهم من المال ما رضوا به وعجل لهم ما تيسر وانفصلوا ، وثار حمو بصفاقس وأظهر العناد على بنى مناد ومات المعز بن باديس سنة أربع وخمسين وولى تميم ولده قطع حمو فى تمام الاستبداد والتغلب على غير صفاقس من البلاد فحالف جماعة من العرب عديا والاثبج ومن ضامهم وزحف بهم وبمن معه من رجاله الى بعض القرى فملكها واستحوذ عليها ثم نهض الى المهدية يريد حصرها فنهض تميم للقائه فولت فئة حمو أدبارها ، واسرعت فرارها ، ورجعوا الى صفاقس

ودام أمر حمو فى صفاقس زمانا ثم وجه تميم ابنه يحيى لمحاصرته فحاصره أياما ثم رجع عنها ، ويقال ان يحيى أخب الإبقاء على حمو فلم يبالغ فى حصاره وكان حمو يقول ان هذا لعجب بالامس أخلص يحيى من القتل الى حكاية ذكرها أبو الصلت وغيره من المؤرخين ، قال كان فلان التركى هاجر من المشرق الى تميم فى جماعة من أصحابه فأكرمه تميم ورتب له جراية فلم ترضه وبلغه

عن تميم ما أوحشه ، وكان داهية ذا مكر وخبت فخرج يوماً في جماعة مع يحيى بن تميم يتصيد فأبعدوا عن المدينة فقبض التركي على يحيى وعلى جماعته وتوجه بهم (١) هارباً وأفلت رجل من حضر فوصل يركض إلى تميم فأعلمه وأنفذ الحيل في طلبه فقات ولجأ إلى صفاقس فأكرمهم حمو بن مليل وبالف في التحفى يحيى وحبيه عنده ثم خاف أن يوليه أهل صفاقس عليهم فأحب اخراجه من البلد فكتب إلى أبيه يعرفه أنه إن بعث أموال الترك الهاربين وأهلهم وجه إليه ابنه يحيى ففعل تميم ذلك ووجه إليه حمو ابنه يحيى فلما وصل يحيى إلى تميم رده لحصار (٢) صفاقس كما ذكرنا فرجع عنها ولم يفتحها

فلما كان سنة ثلاث وتسعين توجه إليها تميم بنفسه فافتحها وفر حمو منها فاستجار بمكي بن كامل الرياحي بقابس ، وكان لحمو ابن مليل أيام ملكه لصفاقس كاتب يعرف بمظفر بن علي مشهور بالبلاغة وحسن الكتابة ، وكان يكتب عن حمو إلى تميم ما يفيظه ويبلغ منه كل مبلغ ، فلما فر حمو إلى قابس لم يشعر تميم إلا ومظفر قائم بين يديه يطلب العفو فعفا تميم عنه مع شدة حقه عليه ، قال أبو الصلت : ومثل هذا الذنب لا تغتفره الملوك بل يجاوز التريب ، فيه إلى التعذيب ، ويتعدى العقاب ، إلى ضرب الرقاب ، وذكر أبو

(١) في بعض النسخ : بها .
(٢) في بعض النسخ : إلى حصار .

الصلت جبلة مما تمثل به مظفر في الكتب عن مخدومه الى تميم
قال : أمكنت حمو فرصة في طائفة من جند تميم فقتلهم بصفاقس
وكتب مظفر في ذلك الى تميم متمثلا بقول أبي الطيب (١) (متقارب)

إذا كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى حمص في القابل

فإن الحسام المصيب الذي قُتِلتم به في يد القاتل

قال وتحدث مرة بالمهدية بموت حمو وبلغه ذلك فأمر مظفر أن
يكتب الى تميم في هذا المعنى فكتب اليه متمثلا بقول أبي الطيب
أيضا (٢) (بسيط) :

كم قد دفنت وكم أقبرت عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وكتب اليه تميم يوعده ويهدده ويتمثل فيه بقول الشاعر (طويل)
ستعلم لي أي دين تداينت وأي غريم للتقاضي غريمها
فراجعته عنه مظفر متمثلا بقول قيس بن ذريح (طويل)

ستعلم إن شطت به غربة النوى وزالوا بليلى أن عقلك زائل
وفي رواية أن مظفرا تمثل له في مراجعته عن هذا الكتب بقول
جرير (٣) (كامل) :

(١) انظر شرح العكبري على المتنبي ج ٢ - ص ٢٧ (برواية أخرى)
وان كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى حمص من قابل

(٢) انظر العكبري على المتنبي ج ٢ - ص ٤٧٨

(٣) انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٩٧٢

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشُر بطول سلامة يا مربِعُ
وكتب اليه في اثر وقية كانت له عليه كتاب ايناس والطاف
فراجعته متمثلاً بقول عبد الله بن محمد العطار (رمل) :

لا تظننَّ امرأً أغضبه سبب ثم انقضى ذاك السَّبب
سالمَ الصدر من الحقد ولو أظهر الودِّ ولم يبدِ الغضب
كرماد النار يبقَى حرُّها كامناً فيه وإن زال اللهب

ولما افتتح تميم صفاقس كانت ولايتها تتردد من قبله الى ان
توفي سنة احدى وخمسمائة ، وولى ابنه يحيى فولى عليها ابنه
ابا الفتوح فقام عليه اهلها ونهبوا قصره وارادوا قتله ، فغضب يحيى
لذلك واخذ في تفريق كلمة اهل صفاقس وتشيت شملهم ولم يزل
يوالى عليهم البؤس ، ويملا منهم الجبوس ، الى ان شفى نفسه منهم
ثم عفا عنهم بعد ذلك ، وفي الواقعة يقول ابو الصلت يذكرها ويشكر
ليحيى عفوه عنهم من قصيدة طويلة (طويل) :

وربَّ أناس أججوا نار فتنة يجنبها الاتقى ويضلى بها الاشقي
وجرَّ عليهم جهلهم حلم مالك يرق ويحنو كلما ملك الرِقا
ولو شاء روى السيف منهم فطالما نضاه فسَّاهُ من الدم ما استسقى
ولكن دعاه الحلم والفضل والحجى إلى أن يكون الاحلم الاكرم الاتقى

سجّية مجبول السجاياء على الهدى إذا غضب استأنى وإن ملك استبقى
وإول هذه القصيدة :

قضى الله أن يفنى عداك وأن تبقى وتخلد حتى تملك الغرب والشرقا
قال أبو الصلت : أنشدت يحيى هذه القصيدة وخاصة بين يديه
وعبد العزيز بن عمار فى الجملة وكان فى هذه الصناعة أبصر الجماعة
فقال له يحيى : كيف ترى ما تسمع فقال حسن الحوك محكم السرد
فقال : أتعرف قائله قال لا ، قال : هو ذاك الجالس يشير الى فعلاه فتور
ونفور عن الاستماع ، بحسب ما يعرض من العوام الرعاع ، عند
ما يشدون لمن جمعهم وإياه مكان وزمان ، وإن كان فى أول جريدة
ذوى الاحسان ، وإنما عنوا بامتداح القديم ، وتعظيم العظم الرميم ،
وسبب ذلك الحسد فكثيرا ما يعيد الصواب محالا ، والعداء آلا ،
والقوام اعوجاجا ، والعذب ملحا اجاجا ،

ثم ولى يحيى على صفاقس ابنه عليا وهو ولى عهده فلما كانت
سنة تسع وخمسمائة توفى يحيى وعلى بصفاقس فوصل واستبد بالملك
وكان يبعث الكولاة الى صفاقس الى ان توفى ، وولى ابنه الحسن فوقعت
الوحشة بينه وبين « لجار » فوجه لجار اساطيله لحصار المهدية وكان من
تغلبه عليها وخروج الحسن منها ما يأتى ذكره مستوفى بعد هذا ان
شاء الله تعالى ، فلما تملك المهدية واستقر عامله بها وذلك فى سنة
ثلاث وأربعين أنفذ منها أسطولا الى مدينة صفاقس فملكها وأمن

اهلها وقد أسكن بها جملة من النصارى الذين افتتحها بهم وحصل
منها رهائن منها شيخ البلد وصالحه ابو الحسن الفريانى ، وبقي ولده
عمر بن ابي الحسن متصرفا فى اعمال البلد ، وكان ذا اقدام وشهامة ،
ولما ودعه ابوه قال له : يا بنى انى قد كبرت واشرفت على الموت وقد
هدقت نفسى على المسلمين فان امكنتك الفرصة فى هؤلاء النصارى
فانتهازها ودعنى اقتل ! ،

فلما كانت سنة احدى وخمسين امثل أبو على وصية ابيه وثار على
من بصفاقس من النصارى فقتلوا قتلا ذريعا فبلغ ذلك طاغية صقلية
«غليام بن لجار» فقيده الشيخ ابا الحسن وسجنه وارسل الى ابنه عمر يوعده
بقتل ابيه ان لم يرجع الى الطاعة ، قال الرسول : فوصلت الى صفاقس
فلم امكن من النزول الى البر ولما كان من الغد سمعت فى البلد ضجة
ثم فتح باب البحر وخرج الناس يكبرون ويهللون ومعهم نعش قد
رفعوه على رؤوسهم فخطوه ثم تقدم عمر فصلى عليه ودفنه وعزاه
الناس وانفصلوا ، قال : فاستدعيت الجواب فقبل لى : ان الشيخ مشغول
بالعزاء فى والده الذى بصقلية والنعش الذى قد رأيت نعشه وقد
عزم على موته والسلو عنه وليس لك جواب الا ما رايت . فلما بلغ
ذلك طاغية صقلية امر بالشيخ ابي الحسن فسحب الى المشنقة بوادى
عباس فشلق وهو يتلو كتاب الله تعالى الى ان فاضت نفسه رحمه الله
وكان انتقاض صفاقس على النصارى سببا فى انتقاض سائر بلاد
السواحل وزوالها من ايديهم ، واقام عمر يدبر امر البلد الى ان نزل

الخليفة عبد المؤمن الى افريقية بحصار المهدية فوصل اليها عمر المذكور مع جماعة من اشيّخ صفاقس فاذعنوا له بالطاعة وعين لهم عبد المؤمن حافظا من الموحدين وامر عمر بالرجوع الى بلده وان تكون الاشغال المخزنية تتصرف على يده ، فأقام على ذلك الى ان توفي ، وخلفه في ذلك ولده عبد الرحمن بن عمر وقام مقامه فوصل الميورقي الى صفاقس واستولى عليها فرغب اليه عبد الرحمن ان يسرحه الى الحج فارتحل بأهله ولم يعد ، وبقي بعض ولده بصفاقس وذريتهم بها الى الان ومنهم من له شعر وسياتي الذكر على ما أمكن منهم في هذا التقييد ان شاء الله تعالى .

وممن ذكر ابن رشيق في الانموذج من شعراء صفاقس : علي بن حبيب التنوخي قال : موطنه صفاقس وبها نشأ وهو شاعر عذب اللفظ، لطيف المعنى، سهل الطريقة، قليل التكلف، رحل الى المشرق ولقى جماعة من رؤساء العرب فحظى عندهم وأقام بمدينة « لك » الى ان تشاجرت القبائل على يديه ونجا بشعره من شر عظيم قال :
وانشدني لنفسه في غلام جاء في طلبه الى الحضرة بعد أن امتحن عليه (كامل)

يا معطشي من عذب مورده بجرّ ذ غليل جوانحي العطشي
أترى الذي أرجو أفوز به منكم فقد كان الذي أخشى
ولقد شخصت إليك من بلد قد أظلمت أرجاؤه وخشا

وتنكرت للعين بهجته منذ ارتحلت كأنني أغشى
والله ما من ساعة عبرت إلا علي لذكركم بفتى
قال ومن جيد كلامه قوله من قصيدة (خفيف)

يا ليلى في ذرى ابن حسين هل معاد قبل الممات إيا
قد نشرنا صحائف الحزن نشرأ وطوينا الغزاء بمدك طيا
واطلنا البكا عليك وأنسي لعليم أن ليس يرجع شيئا
فإلى الله من فراق رماني (١) عنك (٢) بعد الدنو مرمى قصيا
ولكم قد حذرت منه ولكن كان أمرا مقدرأ مقضيا

قال وفوق النهاية من شعره قوله في الوعظ والزهد (سريع) :

للمرء في أيامه واعظ لو فكر المغرور في أميه
كم من قرير العين في غبطة أعراه صرف الدهر عن لبه
قفارق الأجاب عن كرهه واستبدل الوحشة من أنسه
يارب غفرانك يرجو الذي اسرف في الدنيا على نفسه

ومنهم : مضر بن تميم الفزاري قال ابن رشيق : موطنه صفاقس

وهو شاعر حسن الطريقة في الشعر وأنشد له (بسيط) :

(١) في بعض النسخ « ومنى » .
(٢) في بعض النسخ « منك » وفي بعضها « عند »

يَا مَنْ عَذِيرِي مَنْ شَوْقِي وَتَسْهِدِي

وَمَنْ مُعْنِي عَلَى نَوْحِي وَتَعْدِيدِي (١)

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ وَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ فَالْصَبْحُ وَرَدَ لَيْسِي غَيْرَ مُرَوِّدٍ
لَا أَطْعَمُ الْغَمُضَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ بِهِ طَيْفٌ وَيَذْهَبُ مَفْقُودٌ بِمَفْقُودٍ
قَالَ هَذَا مِنْ حَرِّ الْكَلَامِ وَنَفْسِهِ وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ (بَسِيطٌ) :

وَمَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى بَحْرِ الْهَوَى سَفُنٌ (٢)

شَطَّتْ بِهِمْ عَنْ كَيْبِ الْقَلْبِ مَعْبُودٍ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مِنْ وَلِيٍّ وَأَوْدِعُنِي شَوْقًا إِلَيْهِ جَدِيدًا غَيْرَ مَجْدُودٍ
قَالَ قَوْلُهُ جَدِيدًا غَيْرَ مَجْدُودٍ مِنْ عَجِيبِ الشَّعْرِ وَالْمَجْدُودِ هُنَا
الْمَحْظُوظُ وَلَوْ جَعَلْتَهُ مِنَ الْجَدِّ الَّذِي هُوَ الْقَطْعُ كَأَنَّهُ قَالَ غَيْرَ مَقْطُوعٍ
لَكَانَ جَدًّا وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ

وَمِنْ عُلَمَاءِ صَفَاقِصٍ وَشُعْرَائِهَا وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ رَشِيقٍ فِي الْإِنْمُودَجِ
وَهُوَ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو وَعثْمَانُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَمُودِ الصَّدْفِيِّ
الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الضَّابِطِ لَهُ رَحْلَةٌ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَخَذَ
فِيهَا عَنْ جَمَاعَةٍ يَطُولُ تَعْدَادُهُمْ ، مِنْهُمْ الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ صَحْبُهُ بِاصْبَهَانَ
وَكُتِبَ عَنْهُ كَثِيرًا ذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَ عَنْهُ بِخَطِّهِ مِائَةُ أَلْفِ حَدِيثٍ وَكَانَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « تَفْرِيدِي »
(٢) أَخَذْنَا هَذَا الْمَصْرَاعَ مِنَ الْحُلَلِ السَّنْدِيَّةِ ص ١٤١ وَفِي مَوْضِعِهِ بَيَاضٌ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ
الَّتِي بَايَدِينَا

يقول لم ألق مثل أبي نعيم علما وعملا ، ثم توجه الى الاندلس سنة ست وثلاثين وأربعمائة فأقرأ بها وأخذ عنه علماءؤها وأثنوا عليه وعاد منها الى القيروان فوجهه صاحبها الصنهاجي رسولا الى القسطنطينية فمات في طريقه أما واردا وأما صادرا وذلك بعد سنة أربع وأربعين ، ذكره أبو عمر بن الحذاء (١) في تسمية رجاله الذين التقى بهم فقال : قدم علينا طليطلة وسنه نحو الخمسين وكانت له رواية واسعة ومعه كتب كثيرة قد رواها بالعراق والشام والحجاز ومصر ونجول عندنا بالاندلس نحو غامين ثم انصرف الى القيروان ، وكان لي صديقا وتكرر كتبه الى من القيروان الى ان أرسله الصنهاجي الى القسطنطينية فبلغتنا وقاته ، وذكره الحميدى ايضا فقال كان حافظا عاقلا قرأت عليه كثيرا وكتبت عنه وأنشدني (متقارب) :

إذا ما عدوك يوما ساءا إلى حالة (٢) لم تطق نقضها
فقبل ولا تأفن كفه إذا أنت لم تستطع عضها
وذكره أبو القاسم بن بشكوال في الصلة (٣) وأثنى عليه وأخبر عنه انه قال : بعث الى شعراء القيروان حين مقامي بها منهم ابن رثيق وابن شرف وابن حجاج والطار يسألوننى ان أرسل اليهم بشعري ، فقلت للرسول انه في مسوداته فقال أحمله كما هو فأخذته وكتبت عليه ارتجالا ثم بعثت به (متقارب)

(١) انظر الصلة لابن بشكوال عدد ٨٧٦

(٢) في بعض النسخ « الى رتبة »

(٣) انظر الصلة عدد ١٣١

خطبتَ نباتي فأرسلتهنَّ إليك عواطلَ من كل زينه
لتعلم أنني ممّن يجود بحض الوداد وليس ضيننه

قال فأجابوني عن بطة بهذه الايات :

أتنا نباتك يرفلن في ثياب من الوشي يفتن زينه
فلما سفرن فضحن الشمس وسرب الظباء وأنجلن عينه
ولما نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه
أفي بابل نحن أم في العراق وفوق البسيطة أم في سفينه
فدعني اراقب ضوء الجميع لنسمع من كل مدح عيونه

وأبو عمرو هذا هو أول من أدخل الى الاندلس كتاب « غريب
الحديث » للخطابي وله جزء تضمن عوالى كتبها لابی محمد عبد
الرحمان بن عتاب (١) تعرف بعوالى الصفاقسى

ومن منازل صفاقس الراجعة الى عملها المحتوية على من يذكر من
الفضلاء جنيانة التى منها الشيخ الصالح العالم أبو اسحاق بن أحمد
ابن على بن سالم، وقد قدمنا ان جده على بن سالم كان قاضيا بصفاقس
فلما مات ولى ابن الاغلب ابنه أحمد خراج افرنجية فتورط معهم ،
وكان من أهل الادب والفهم ثم ارتقت حاله معهم الى ان صار

(١) هو أبو محمد عبد الرحمان بن عتاب المتوفى سنة ٥٢٠ بقرطبة

مشاورا ووزيرا و كان اذا مشى ، مشى فى عسكره وبين يديه وخلفه الجنائب كما كان الوزراء يشون اذ ذاك ، وكانت له بصفاقس ما ينيف على الاربعين دارا ، وربى الشيخ أبو اسحاق رحمه الله فى مثل هذا الحال أخبر من رآه وهو صبي وقد وكل بحفظه خمسة عشر صقليا (١) يحفون به اذا مشى ، ثم ترك ذلك كله لما ناهز الحلم ولبس عباءة وفر عن والده ووالدته على تلك الحال التى ذكرنا مع بنى الاغلب

وكان أبو اسحاق يتطوف على من بالسواحل من العلماء والصالحين فاذا علم ان أباه طلبه أخفى نفسه الى ان اختلفت (٢) الدولة وطلب أبوه فيمن طلب وأخذت أملاكه ومنازله ورباعه وأمن نفسه (٣) فلزم الخير وقراءة القرآن ، ثم توجه الى الحج فحج ومات رحمه الله تعالى ، واشتهر أبو اسحاق بالعلم والعبادة ولزم سكنى جنيانة الى ان توفي فيها رحمه الله تعالى وكانت وفاته فى التاسع عشر من محرم مفتتح تسعة وستين وثلاثمائة ودفن فى شرقى جنيانة ، زرت قبره ودعوت عنده ، وأخبره رحمه الله مؤلفة مشهورة ، وولده أبو الطاهر كان صالحا فاضلا وكان لابی الطاهر ولد يسمى عبد الله أديب شاعر ظريف ذكره ابن رشيق فى الانموذج وأخبر ان صفاقس موطنه وان بها منشأه ، وقال : وكانت له نياهة وظرافة فى

(١) كذا فى النسخ التى بايدينا والظاهر ان يكون الصواب « صقليا »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « اختلفت » أى استوصلت

(٣) فى بعض النسخ « امن فى نفسه »

جميع أحواله مع نزاهة نفس وبعد همة قال : واجتمعت به في صفاقس فكنت اقطع الغربية بقربه ، ثم انفصلت الى الحضرة فلم يكن الا قليل حتى اجتاز علينا متوجها الى الاندلس فسألته عن سبب ذلك فأخبرني ان عليه دينا ثقيلا قد استغرق ذمته وأنشدني لنفسه وهو يتمايل وكان متعلق النفس بجارية له أم ولد تركها بموضعه (وافر) :

سأضربُ في بلاد الناس بَرًّا	وبخرا بالسفائن والركاب
الى أن تُنكِرَ الاحباب مني	ثوائي بالمغارب واغترابي
ليأْكسِبَ ثروة وافيد مالا	وأبلى عذر نفسي في الطلاب
فإن نلتُ المراد فذاك حسبي	وإن أحرَمَ فَإِنِّي ذو احتساب
وما فارقتُ اخواني وأهلي	ومن أُحْبِبتُ إلاَّ عن غلاب

قال وارتحل فاتصل بالحاجب الموفق مجاهد بن عبد الله فأكرمه وعظمه وادناه وقربه وكشف عنه فوجد فضلا وجلالة فاستمسك به وحسد على مكانه منه فوجد في منزله مذبحا وسكين الاقلام بين يديه مغالطة كانه فعل ذلك بنفسه وبقية الروح فيه فسأله من به فإشار الى فقيه الموضع ، وكان الفقيه المذكور كثير الملازمة له وهلك من ساعته فقال الفقيه انما اشار الى بالوصية فقيده وسجن اثنى ان جاء ولى الدم فطلبه فلم يتوجه عليه حق فاطلقه وكانت وفاة عبد الله المذكور سنة خمس عشر واربعمائة

ومن منازل صفاقس ايضا قرية ليدي كذا تحققتها وسماها
الرشاطي لييدة ، ينسب اليها الفقيه الصالح ابو القاسم عبد الرحمن بن
محمد الحضرمي الليدي ، قال ابن شرف في صلتها لتاريخ الرقيق : كان
بقية اهل العلم وله تصانيف في الفقه وبر (١) في الفتوى وذكر
الرشاطي ان كتابه المسمى « بالشرح والتفصيل لمسائل المدونة » كتاب
كبير . قال : وتوفي قريبا من سنة ثلاثين واربعمئة ، وابن شرف قد نص
في تاريخه على ان وفاته كانت سنة اربعين ، وهو المؤلف لخبار الشيخ
ابي اسحاق الجبنياني التي نقلنا منها ما تقدم ، وانشد لنفسه في كتابه
المذكور شعرا ضعيفا وولده ابو بكر بن عبد الرحمان كانت له رئاسة
وسعة حال ، وكان من اهل الادب والفهم وله شعر حسن أخبر عنه
ابن شرف في تاريخه .

ومن شعراء صفاقس ايضا ثم من الفريانيين ورؤسائها عبد الله بن
عبد الرحمان بن علي الفرياني ممن تقدم عصرنا قليلا مولده بمالقة
من بلاد الاندلس وابوه هو المنتقل اليها من صفاقس ، له رحلة ابعد
النجعة فيها شرقا وغربا اخبرنا عنه صاحبنا ابو العباس احمد بن
عبد السلام الاموي التاجوري وقد رآه وجالسه بطرابلس وسمع منه
بعض شعره وكان هجاء مقذعا (٢) ومن شعره حين ولي السعيد
مراكش وكان السعيد أسود اللون (كامل) :

(١) كذا في النسخ التي بأيدينا ولعل الصواب هو « برز في الفتوى »

(٢) في بعض النسخ « مقزعا »

كان الحلائف قبل في مراکش صَوْرًا من الكافور يعجب خالصه
فأتى علي بعدهم ختمًا لهم كالمسك لونا ليس فيه خصائصه
وله في مثل ذلك (كامل) :

أستفا على مرّا كش وولاتها لم يبق للأيام فيها رونق
كانوا حمامًا فالليالي لم تدع في دارهم إلا غرابا ينمق

والم ابن الابار في التحفة (١) بذكر جماعة من هجاء الشعراء
فذكر اولهم ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني ، وكان
باشيلية ناظرا في المواريث لابي سليمان داود بن ابي داود وأنشد له
بيتين في هجاء ابن زهر وهو غير الذي ذكرنا وان توافقا في الاسم
والاب والنسب والصفة لبعدهما بين زمانيهما فان مولد الفرياني الذي
ذكرناه سنة تسع وستمئة ولعلها سنة وفاته .

فاقمنا بصفاقس يوم وصولنا اليها وهو يوم الخميس كما تقدم ،
واصبحنا يوم الجمعة مرتحلين عنها فاجتزنا على طينة - بكسر الطاء
وفتح النون - ثم على نقطة - بفتح النون وتشديد القاف - وهما
قصران عامران ويقال ان جماعة من اصحاب معروف الكرخي (٢)
رحمه الله رابطوا بقصر نقطة هذا وماتوا به فقبورهم هنالك

(١) هي تحفة القادم لابن الابار المتوفى سنة ٦٥٨

(٢) هو معروف بن نيروز الصوفي المتوفى ببغداد سنة ٢٠٠

وانتهى السير بنا الى المحرس وهو قصر قديم البناء سام للسماء
ينسب بناؤه الى ابن الاغلب ، والى هذا الحصن يلجأ جملة (١) أهل
تلك القصور اذا وصل اليهم عدو واضطروا الى قتال ، ويقال
ان الميورقي اجتاز عليه واراد محاصرته ففتح اهله باب
الحصن ووقفوا ذونه يقاتلون فعلم انه لا مطمع له فيه فتجاوزوه
الى غيره ولم يتعرض له ، وأهله قوم من هوارة كانوا
ساكنين قبل هذا بالقصور المعروفة بقصور بنى خيار فاجلبتهم العرب
منها فانتقلوا الى هذا الحصن ، وكان مسجدا خاليا للعبادة والرباط
فابتنوا ديارا الى جانبه وجعلوا على الجميع سدا ، وقد اجتزت على
القصور المذكورة المعروفة ببنى خيار فرأيتها خالية خربة وهى فى
جبال مسلاتة من شرقى طرابلس

وارتحلنا عن المحرس يوم السبت فاجتزنا فى اول المرحلة على المورد
المسمى بصعيب وهم يتكرهون هذا الاسم فيكنونه بابى سهيل ،
ووصلنا بعد جهد جهيد ومشقة الى قصور المباركة وهى كلها عامرة
واهلها موصوفون بالبخل وقد شاهدت من منعهم للماء ما يصدق
ما اشتهروا به من ذلك

ومن هذا الموضع فارقنا أرض بنى عوف - ودخلنا فى أرض
اخوتهم بنى دباب بن ربيعة بن زغب بن جرو بن مالك بن خفاف بن

امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور، كذا تلقينا هذا النسب من علماء الاعراب المعلومين بحفظ الانساب و كذا ذكره الرشاطى فى كتابه ، وهذه الارض لطائفة من الدبايين يعرفون بالنوائل ينسبون الى نائل بن عامر بن جابر بن فائد بالفاء بن رافع بن دباب وهم أخوة لبنى وشاخ بن عامر وبنى سنان بن عامر وسياتى بعد مزيد بيان وارتحلنا يوم الاحد فنزلنا بمنزل فيه نخيلات قليلة وعيون ماء جارية وقصر متسع يعرف بوذرف وفى هذا الموضع يقول ابو عبد الله محمد بن محمد المزدورى الهتاتى ايام اضطرته الحال الى الخروج من تونس ^{الى} وألكنى بتلك الجهات انشدنيه (رجز) :

هذي عيون وذرفٍ دعِ العيونِ تذرفِ
بُدلتُ من ارضي بها وأأسفي وأأسفي

فبتنا بوذرف تلك الليلة واصبحنا يوم الاثنين مرتحلين، فاشرفنا على غابة قابس ، ووصلنا اليها ضحى فراينا بلدا قد استوفى المحاسن واستفرقها ، واذكر بمنظره الانضر ، وورقها الاخضر ، جنة الخلد واستبرقها ، وقد أهدقت غابته من جميع جهاته ، وبهذه الغابة من الجواسق ، والنخل المتناسق ، ما يستوقف الطرف ، ويستوفى الحسن والظرف ، ويحقق ما قيل ان قابس جنة الدنيا ، وانها دمشق الصغرى،

وهي مدينة بحرية صحراوية فان الصحراء متصلة بها ، والبحر على
ثلاثة اميال منها ، فهي احق بقول ابن عينة : (١) (بسيط)

زُر وادي القصر نعم القصر والوادي

وحبذا أهله من حاضِر بـادي

ترسي قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي

ويقول الخليل بن احمد : (٢)

يا جنة فاقَت الجنان فما لعلقها قيمة ولا ثمن

صاهر حيتانها الضباب بها فهذه كنة وذا ختن

من سفن كالنعام مقبلة ومن نعام كأنها سفن

ويقال انه لا يجتمع في مائدة صيد البر وصيد البحر واصناف

التمر الا في مائدة من يسكن قابس

وعلى قابس سور هخر (٣) جليل من بناء الاول ولها ارباع واسعة

وجل اسواقها في ارباضها ، وقد دار بسورها خندق متسع يجرون

الماء اليه اذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون أمنع شيء لها ، ولها

واد يسقى بساتينها ومزارعها ، ويخترق في كثير من مواضع الغابة

(١) هو ابن عينة عبد الله بن محمد المهلبى والقصر الذي قال فيه بيتيه المشهورين هو قصر

عيسى بن جعفر بالحريبة انظر الى الاغانى ج ١٨ - ص ١٥ والى معجم ياقوت ج ٤ - ص ١١٨

(٢) هذه الابيات لابن عينة ايضا قالها في مدح البصرة كما رزد في الاغانى ج ١٨ - ص ٢١

وفى معجم ياقوت ج ١ - ص ٦٤٩ وفى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٦٠

(بزيادة ثلاثة ابيات وبروايات اخرى)

(٣) وفى بعض النسخ « ضخم »

دورها وشوارعها ، واصل هذا الوادي من عين خراطة في جبل
بين القبله والمغرب منها ، واكثر جناتها فيما بين المدينة والبحر، وبذلك
الجهة الساحة المعروفة بساحة عنبر

وانشدني الفقيه الكاتب البليغ ابو الفضل محمد بن علي
التجاني لنفسه يصف احدى عشاياه بتلك الجهة في تلك الساحة
وما اقتضبه (١) بها من الانس والراحة : (كامل) :

اذ كُر عَشِيَّتَنَا بِسَاحَةِ عَنْبَرٍ وَالْجَوُّ يُتَحَفُّنَا بِنَكْهَةِ عَنْبَرٍ
حَيْثُ النَّخِيلُ عَرَائِشٌ بِسَطِّ الْحَيَا بُسْطًا لَهَا مِنْ اخْضَرٍ اَوْ اصْفَرٍ
وَالشَّمْسُ تَسْتَحْيِي فُسْطَرَّ وَجْهَهَا غَنَا بَسْتٍ لِلْعُرُوسِ مَحْبَرٍ
وَالنُّورُ بَيْنَ مَفْضُضٍ وَمَذْهَبٍ وَالنُّورُ بَيْنَ مُدْرَهَمٍ وَمُدْنَرٍ
وَالنَّهْرُ وَالْفُؤْدُ اَدْرَعَنَ تَحْصِنَا اِذْ صُفَّتِ الْغَابَاتُ صَفَّ مَعْسَكِرٍ
وَالْبَحْرُ يَرْمَقُنَا بِمَقْلَةٍ اَزْرَقٍ وَالْبَرُّ يَرْمَقُنَا بِمَقْلَةٍ اَغْفَرٍ
فِي جَنَّةٍ لَوْ نَلْتُ مِنْ خُلْدٍ بِهَا قَصْدِي بَلَفْتُ اِلَى النِّعَمِ الْاَكْبَرِ
وَمَحَلَّ اُنْسٍ قِلْتُ بَيْنَ رِيَاضِهِ رِيَاضَةً قَادَتْ لِأَبْهَى مَنْظَرٍ
مِلْنَا بِمَنْعَرَجٍ اَنْصَلَّى نَحْوَهُ حَذَرَ الرَّقِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَحْضُرِ
وَجَرَى لَنَا فِيهِ حَدِيثُ كُلِّهِ لَطْفَ حَضْرَتِنَا مِنْهُ أَطْيَبِ مُحْضُرِ

تَجْرِي احاديث الصباية والصبا بأرق من منى الصبا المتعطر
وندير كاسات المحبة بيننا فميل منها بالحلل المنكر
حتى اذا ولى العشي وآان ان نتاز عن نظر المراد الانضر
قننا نجر من العفاف سوابغا لما نغيرها بصفة منكر
يوم بقباس جنة الدنيا وفي قلبي لوشك (١) الين حرقه مسعر

ومن المكاره التي حفت بها جنة قابس ، ما ينعاهدها من الوباء ،
ويتاب ساكنها (٢) من الامراض ، وسبب ذلك فيما يذكر أهلها
كثرة شجرة الدفلى بها ، فيكتسب الماء منها لدى جريه سمية ومرارة
تضر بأبدان ساكنيها (٢) كثيرا ، ولذلك لا تجد وجود كثير من
أهلها الا مصفرة ، وفي هذا البلد ايضا فساد وتغير سببه كثرة عفوناتها ،
وليس فى جميع مياهها ما يسلم من ذلك الا انعين المعروفة بعين
الامير ، والعين الاخرى المعروفة بعين سلام ، فان ماء هاتين يسلم من
الفساد لعدم مروره على الدفلى ، والاولى منهما منسوبة للامير الازدى
المعروف بابن الصغير ، واما الثانية فالمشهور فى اسمها عين سلام باللام
مخففة ، وهى انما توجد فى عقودهم القديمة عين سنام بالنون ، ومما
يذكره أهل قابس وهو من جنس الخرافات ما حكاه البكرى (٣) عنهم :

(١) وفى بعض النسخ « لسوق »

(٢) وفى بعض النسخ « سكانها »

(٣) ص ٤٦

ان مدينتهم كانت سالمة من الوباء الى ان احتفروا فيها موصعا
توهموا ان فيه مالا ، فاستخرجوا منه تربة غرباء فحدث الوباء عندهم
بسببها من ذلك الزمان الى هلم جرا .

وقد اشتهر عن أهل قابس ما اشتهر من بيع فضلاتهم ، وهم يقرون
بذلك ويدعون شدة احتياجهم اليها وأن النخيل في بلادهم لا يثمر
الا به ، ومن رسالة لابي مطرف ابن عميرة (١) في وصف قابس ،
وكان ولي قضاءها في مدة الخليفة المستنصر رحمه الله : « بلد غوطي
البساتين ، طورى الزيتون والتين ، فاما النخل فجمع عظيم ، وطلع
هضيم ، وسكك مأبورة ، ونواعم في الحدور مقصورة ، وان بقعته
لوارفة الظل ، آمنة الحرم والحل ، جنة لو نزع ما في صدور اهلها
من الفل ، وبالجملة فهو تام الغرابة ، مدهام (٢) الغابة ، مستأثر
بسيد من سادات الصحابة ، ولا عيب بترتبه الا وخامة مائها ،
وحيات قلما يعرى من عدوائها . »

وفي فصل من رسالة اخرى له يصف شدة الوباء بها ، وما يذكر
من كثرة عقاربها : « وهذه البلدة الان في ضلال من شرخ الشباب ،
وظلال من ثمرات النخيل والاعناب ، فهي بحال يقر بجمالها
الاندلسي ، ويجارى بين خلالها الدبسي ، ولا عيب فيها الا دسواء
وخامته تخاف ، وماء غير من خالصه الماء المضاف ، وليوت المدينة

(١) هو ابو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي الذي ترجم له المقرئ في نفع الطبيب

ج ١ - ص ٢٠٠ - ٢٠٣

(٢) في بعض النسخ « مدلهم »

دواجن سيئة الجوار ، سريعة الى القطان والزوار ، كراها تنفيه ،
وسرها تخفيه ، وصلحها لا يطعم أحد فيه ، فقبحت شائلة الاذنان ،
شاملة بالعذاب ، كامنة بارزة ، هامة لامزة ، تطرق بالبلية ، وتقسم
شرها بين البر والفاجر بالسوية ، دبت عندنا لينة الى من كان يرمق
ديبها ، ويحاول قبل ان تصيبه ان يصيبها ، فأوقعت به لدغا في
القدم ، ولقى أشد الالم ، وبات وبتنا معه في ليلة أخى ذبيان ، (١)
وتعالى الله ما اطول ما كانت واهول ما كان ،

أشار أبو المطرف بقوله في الرسالة السابقة مستأثر بسيد من
سادات الصحابة الى ما يذكره اهل قابس : ان أبا لبابة الانصاري
مدفون ببلدهم وقبره عندهم مزار مشهور ، وبقابس ايضا مسجد
ينسبونه اليه ولم أر احدا من المؤرخين عد أبا لبابة ممن دخل افريقية
من الصحابة فلعله ان ثبت ان قبره هناك ممن اغفل المؤرخون ذكره
منهم ، واسم ابى لبابة بشر بن عبد المنذر ويقال رفاعه بن عبد المنذر ،
وهو ممن شهد العقبة وبدرا ، ويقال بل أمره رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المدينة في غزوة بدر ولم يشهدا ، غير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمره ايضا على المدينة في غزوة السويق ، ومات
في خلافة علي رضي الله تعالى عنهما ، ولعل قدومه الى افريقية كان
هجرانا لدار قومه بسبب ذنبه الذي اذنبه ، فتاب الله عليه فقال :
يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي ، وان انخلع من مالي ،

(١) انظر كتاب نوار القلوب للشعالي ص ٥٠٩ باب الليالي المضافة • ليلة النابتة •

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجزيك من ذلك الثلث .
واختلف في ذنب ابي لبابة فقيل هو تخلفه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما غزا النبي صلى الله عليه وسلم ورجع
ندم ابو لبابة فربط نفسه بسارية ، وقال والله لا احل نفسي منها ولا
اذوق طعاما ولا شرابا حتى يتوب الله علي او اموت ، فبعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرفه بتوبة الله عليه ، فقال والله لا احل نفسي
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني ، فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، فقال : يا رسول الله ان من توبتي
ان اهجر دار قومي الحديث . وقيل بل ذنبه اشارته الى حلقه لبني
قريظة حلفائه اي انه الذبح ان نزلتم على حكم سعد بن معاذ ، فنزلت
فيه : يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ،
ثم تاب الله عليه . والله اعلم (١)

وانشد ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمن بن عذرة في كتابه
الكبير الذي سماه : منتهى السؤل ، في امتداح الرسول ، صلى الله
عليه وسلم لابي المطرف ابن عميرة وقد انصرف من قبر ابي لبابة
(كامل)

خَبَرُ الْإِجْبَةِ مَا لَدَّ مَسَاقِهِ وَجَنَى الْقَطِيعَةِ مَا أَمَّرَ مَذَاقِهِ
وَهَوَى الْقُلُوبَ لَهَا عَلَيْهِ شَوَاهِد سَبَقَتْ بِنَاطِقِ حَالِهَا اسْتِنَاقِهِ

(١) الاظهر ان يكون التجاني اخذ ترجمة ابي لبابة الانصاري رضي الله تعالى عنه من اسد
الغابة لابن الاثير انظر ج ٥ - ص ٢٨٤ - ٢٨٥

وأيُّ المنازلِ إذْ كُرتْ عهودُها فتَهيجُ من كَلِفِ بها أشواقه
يعتاده منها جوى بين الحشا والصدر رقرق دُمُعه وأراقه
وبيت منها كالسليم وماله أرق إذا مَدَّ الظلامُ رواقه
حملُ الغرامِ وما استقلَّ لحمله قبل النوى فالآن كيف أطاقه
ورَمَتْ به الأقدار كل تنوِّفه لم تألِه لجمالها إغراقه
قبرُ تشا كينا الفراقَ لديه وال أشهى لنا أن لا نسام فراقه
وموارد حملت أجنَّة آجِنِ يلقى بها طعمَ النوى من ذاقه
خفق الجوانحِ دونه ويردُّ من أفضى إليه مع الصدى أخفَّاقه
مازلتُ أقطعها مهامه لم تزل بالصبر حتَّى مرَّقت أخلاقه

حتَّى وقفتُ وما أفقتُ بمنزل

كالظلم في صدري أرى آفاقه (١)

وقبست من شوقي لِقابِ جندوة

شَبَّتْ على قلب سواها (٢) شاقه

من بلدة في العينِ اظلم جَوُّها مع أنها ما أنكرت إشراقه
قد كان منظرُها يروق بعين من يشكو النوى لو أن شيئاً راقه

(١) في بعض النسخ « احداقه »

(٢) في بعض النسخ « سواما »

لكن بقر أبي لبابة لي هوى مامن هوى في النفس (١) الأفاقه
أمل بنفسي لو ظفرت بتربه فجعلت ائمد ناظرني دُقاقه
وتمثل القبر الكريم بمقلتي فدنوتُ منه والتزمت عناقه
قوثاقُ ذنبي أرتجي تفككا كه من فكُ خيرُ العالمين وثاقه
صلى الإلاه على النبي محمد وانا له بجواره استحقاقه
وعلى صحابه وعترته التي لزمت (٢) رضاه واقتفت أخلاقه
وقضى لنا من بطئنا في سيرنا يوم الجزاء على الصراط لحاقه
وبشرقي قابس موضع يعرف بالمنارة (٣) كان به منار مرتفع
يظهر للاتى من جهة المشرق قبل وصوله الى البلد بمسافة بعيدة ، وقد
سقط الان فلم يبق له اثر ، وذكر البكرى ان الحداة يحدون عند
قدومهم من مصر الى افريقية فيقولون : (٤) (رجز)

لا نومَ لا نومَ ولا قرارا حتى ارى قابسَ والمنارا

وبداخل المدينة مسجدها الجامع وهو مسجد متسع ، له منار مرتفع ،
قد مال وخرج عن الوزن ، الا انه لصحة موضعه لا يخشى من وقوعه ،
وبمقربة من هذا الجامع قصبة قابس وبها المبنى المشتهر المعروف

(١) في بعض النسخ « النفس »

(٢) وفي بعض النسخ « امت »

(٣) وفي بعض النسخ « المنار »

(٤) ص ١٧

بالعروسين ، الذى لا يرى مثله ظرفا وحسنا قد استولى الخراب فى وقتنا هذا على القصبة وعليه ، والعروسان من بناء بنى جامع الهلالين الذين كان لهم أمر قابس فطوت ايدى التوحيد (١) آثارهم ، ومحت أخبارهم ، واهل قابس ينسبون بناءه لرشيد بن مدافع بن جامع أحد من تملكها منهم وممدوح أبى محمد عبد الجبار بن حمديس الصقل بقصيدته التى يقول فيها (٢) (كامل)

أفلا يحالفني الرشادُ وهمتي قصدت بعزم للامير رشيد

وهو مضموم الراء الا انه وقع فى هذا البيت بالفتح ضرورة وقد وقفت فى بعض أبواب القصر على اسطر كتبت نقشا فى الحجر نصها : « أمر بعمل هذا الباب الامير الشهم رافع ابن امير الامراء مكى بن كامل بن جامع فى رجب سنة خمسمائة ، فان كان ما يذكره اهل قابس من ان رشيدا هو الذى ابتناه صحيحا فيكون هذا الباب خاصة هو الذى امر ببنائه رافع بن مكى واخبرني بعض الطلبة من اهلها انه وقف لبعض المؤرخين على ان صنهجة هم الذين ابتدأوا بنيانه وانتهوا به الى قدر ثلثيه فاتمه بنو جامع الهاليون . ونحن نذكر هاهنا أصل تملك بنى جامع هؤلاء لقابس فهو من شروط هذا الموضع :

(١) وفى بعض النسخ « الموحدين »

(٢) لا يوجد البيت فى ديوان ابن حمديس المطبوع

كانت ولاية قابس في ايام الشيعة مترددة في بنى لقمان الكتامين،
وفي بعض امرائهم يقول الشاعر (١) (سريع) :

لولا ابن لقمان حليف الندى سُلَّ على قابس سيف الردى

فلما ملكت الشيعة مصر وانقلبت الدولة الكتامية بافريقية
صنهاجية ، ترددت ولاية قابس في صنهاجة وعبيدهم ، فولياها في اول
الامر بنو عامر ، ثم وليها ابراهيم بن يوسف بن زيرى وهو اخو
باديس ، ثم منصور بن ماواس ، ثم توالى بعد في اقوام من برغواطة
ولا هم المعز بن باديس .

فلما اجتازت العرب الى افريقية بتدبير الوزير اليازورى حسبما
شرحناه قبل هذا فتغلبوا على اكثر البلاد والجاؤا المعز الى المهديّة ،
كان والى قابس اذ ذاك المعز بن محمد الصنهاجى وكان اخواه
ابراهيم وقاضى قائدى الاعنة بحضرة المعز بن باديس فعزلهما المعز
ابن باديس عن ذلك لغرض عن له ، ففرا عنه مغاضبين ولحقا بمؤنس
ابن يحيى الهلالى احد العرب القادمين من مصر ، فاكرمهما وكساهما
ثيابا وصلت اليه من مصر وسر بقدميهما ، وانصرفا الى قابس فاجتمعا
باخيهما فاتفقوا على قطع اسم المعز بن باديس من الخطبة وصرف
الطاعة الى مؤنس بن يحيى فكان ذلك اول تملك العرب لها ، ولحق
المعز بن محمد بمؤنس فكان في صحبته ، واقام ابراهيم واليا على

قابس وهو فى طاعة مؤنس الى أن توفى المعز بن باديس وولى بعده ابنه تميم ، ثم مات ابراهيم بقابس فولى بعده أخوه قاضى فقتله أهل قابس غدرا وبعثوا الى عمر بن المعز بن باديس أخى تميم ، وكان مخالفا على أخيه ، فأمرود على أنفسهم وذلك فى سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، فلما علم تميم بولاية أخيه تحرك الى قابس وجد فى حصارها الى أن افتتحها ، وكان قبل ذلك متراخيا عنها فقيل له فى ذلك ، فقال : . لما كان فيها قاضى اخو ابراهيم كان بمنزلة عبد من عبيدى فكان زواله سهلا على متى أردت ولما صار ابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس صار الملك مقسوما وعاد شريكالى فهذا لا يكون أبدا ما دمت حيا ، وفى فتحها يقول الشاعر : (كامل)

ضحك الزمان وكان قدماً عابسا لما فتحت بحد سيفك قابسا

أضدقت عذرتها نكاحاً جائزا سمر القنا وبواترا وفوارسا

من كان بالبيض القواضب خاطبا حلت له ييضى البلاد عرائسا

ثم خالفت قابس بعد ذلك على تميم ورجعت الى طاعة العرب ، واختلف عليها أمراؤهم فوليها منهم مكى بن كامل بن جامع وهو الذى أجار حمو بن مليل البرغواطى الثائر بصفاقس لما أخرجه منها تميم بن المعز ، وقد ذكرنا ذلك قبل هذا ، ثم وليها بعده ابنه رافع بن مكى وهو الذى كتب اسمه فى عروسيها كما تقدم وتوفى تميم ورافع هذا متولى قابس ، ثم ولى يحيى بن تميم فصالحه وداراه

طول حياته ثم توفي يحيى وولى بعده ابنه على ، فانف من مصالحة رافع .

وكان يحيى يحتل لرافع أمورا منها : أن رافعا أنشأ بساحل قابس سفينة أعدها لما يعرض له فى البحر من الامر فلم يبد يحيى انكارا لذلك بل أعانه عليها وامده بما احتاجه اليه فيها، فلما ولى على أنف عن ذلك وكره أن يقاومه أحد من أهل افريقية فى اجراء السفن فى البحر ، فأنفذ أسطولا الى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من الاقلاع وأخذها ان أقلعت ، وعلم بذلك رافع فكتب للجبار صاحب صقلية يسأله الاعانة على على ويخبره أنه انما أنشأ تلك السفينة لبعث هدية يحب أن يهديها اليه ، فبعث لجار الى قابس أسطولا ضخما لنصرة رافع ، فلما بلغ ذلك عليا جمع رجال دولته واستشارهم فى ذلك فكلهم أشار عليه باسترجاع أسطوله والتفاضى عن رافع فى هذه المسألة حفظا لما بينه وبين لجار من المصالحة ، فرأى على فى ذلك وهنا عليه فأمر بقية أسطوله فأخرج للحين (١) ووجهه الى قابس فوجد الروم قد نزلوا من قطعهم لضيافة اعددها رافع لهم ، فلم يرعهم الا وصول الاسطول ، فبادروا الى قطعهم فغلبهم المسلمون على أكثرها وقتلوا منهم جماعة كبيرة، قال أبو الصلت : وسلم من سلم منهم فلاذ بالهرب، وطار من خفة الخوف لا من خفة الطرب (٢) وكان ذلك من

(١) وفى بعض النسخ « فى الحين »

(٢) كذا فى جل النسخ وفى بعضها « من خيفة الخوف لا من خيفة الطرب »

أشد الأسباب في الوحشة التي وقعت بين جبار وعلى وابنه الحسن بعده حتى أدت الى تغلب الروم على المهدية وانقراض دولة بني مناد منها ، وفي هذا الفتح يقول محمد بن عبد الله الكاتب يمدح على بن يحيى من قصيدة ضعيفة النظم : (طويل)

ليهن المعالي أن تملك رِقَّها علي بن يحيى بالحجا والتكرم
جرى وجرى صيد الملوك فبذهم (١) إلى غاية في المجد لم تُتقدم
وصتم تصميم الحسام مبادرا لاطفاء نار آذنت بالتضرم
تعدى على الأعلاج في بحر قابس وسار إليهم في الحميس العرم
فولوا على الأدبار كلاً وأجفلوا بناب نبا عنهم وظفر مقلّم
ولما تم هذا الفتح لعلي دون قبائل العرب ، أعد الاساطيل لمحاصرة قابس وذلك في سنة احدى عشرة وخسمائة فلما بلغ رافعا أرسل جماعة من وجوه قومه الى علي راغبا في المصالحة فلم يجبه على اليها فرأى أنه ليس له قبل بقتال علي ، فقصد الى القيروان وكانت تحت ملك العرب فاتفق بنو عمه علي أن اعطوه اياها ، ففي دخوله اليها يقول محمد بن بشير من كلمات : (بسيط)

سل رافعا ما الذي أجرى تنصره وهل نفى الذل عنه من به وثقا
لو لم ير الروم أهلاً والصليب أباً لم يشك من عيشه في قابس رنقا

(١) في جميع النسخ « يبرهم »

إِنْفَاقَكَ الْمَالِ فِي الْعِلْيَاءِ الْحَقِّقَةِ بِالْقِيَرَوَانِ الَّتِي يَعْتَدُهَا نَفَقًا
أَبَدَتْ لَهُ عِزَّةً (١) لِلجَاهِلِينَ بِهِ وَكَانَ سِتْرٌ عَلَيْهِ قَبْلَ فِئَانِ خَرْقِهَا
لِلَّهِ فَعَمَلُكَ لَا لِلْمَالِ تَجْمَعُهُ وَكَيْفَ ذَاكَ وَقَدْ شَتَّتَهُ مِزْقًا
وَكُلَّ مَالٍ تُشَادُّ الْمَكْرَمَاتُ بِهِ أَشَدَّ مَا هُوَ تَوْفِيرًا إِذَا مُحَقَّقًا
وَمَلِكٌ قَابِسٌ بَعْدَ دُخُولِ رَافِعٍ إِلَى الْقِيَرَوَانِ مُحَمَّدُ بْنُ رَشِيدٍ مِنْ
بَنِي جَامِعٍ أَيْضًا ، وَغَلَبَ عَلَى دَوْلَتِهِ مَوْلَادُ يُوسُفَ ، وَاتَّفَقَ أَنْ يَخْرُجَ
مُحَمَّدٌ مِنَ قَابِسٍ لِحَرْبِ عَدُوِّهِ وَتَرَكَ أَحَدَ بَنِيهِ نَائِبًا عَنْهُ فَطُرِدَهُ
يُوسُفُ مَوْلَى أَبِيهِ مِنْهَا وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَدِينَةِ وَانْتَسَبَ إِلَى طَاعَةِ لُجَارٍ ،
فَقَامَ عَلَيْهِ أَهْلُ قَابِسٍ وَدَفَعُوهُ إِلَى الْعَرَبِ فَعَذَّبُوهُ عَذَابًا شَدِيدًا وَقَطَعُوا
مِذَاكَ كَرْدَ لِأَنَّهُمْ نَسَبُوهُ لِلتَّعْرِضِ لِلْحَرَمِ مَوْلَاهُ ، وَكَانَ لِيُوسُفَ أَخٌ
اسْمُهُ عَيْسَى فَفَرَّ إِلَى صَقْلِيَّةٍ مُسْتَنْصِرًا بِطَاغِيَّتِهَا وَزَعَمَ لَهُ أَنَّ أَخَاهُ إِنَّمَا
صَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ لِأَنَّهُ مُنْتَسَبٌ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَخَرَجَ لُجَارٌ أَسْطُورُهُ لِحَصَارِ
قَابِسٍ فَحَاصَرَهَا مَدَّةً ثُمَّ رَجَعَ ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ مَلَكَهَا مِنْ بَنِي جَامِعٍ
مُدَافِعُ بْنُ رَشِيدٍ بْنُ مُدَافِعِ بْنِ كَامِلِ بْنِ جَامِعٍ وَمِنْ يَدِهِ أَخَذَهَا
الْمُوَحِّدُونَ ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ لِأَطْفَهٍ وَاسْتَدْعَاهُ بِأَشْعَارِ
خَاطِبِهِ بِهَا وَتَلَاوَمَ عَلَيْهِ فَاِمْتَنَعَ مِنْ جَوَابِهِ ثُمَّ رَاحَ إِلَى حَصَارِ الْمَهْدِيَّةِ
حَسِبْنَا يَأْتِي بِهِ الذِّكْرُ بَعْدَ هَذَا فِي آخِرِ التَّقْيِيدِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، أَنْفَذَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « عِزَّة » وَفِي بَعْضِهَا « غُرَّة » وَلَعَلَّ الصُّرَابَ « عِمْرَة »

اليه عسكريا قائده ابنه عبد الله ، فلما علم مدافع باقباله جمع أهله وعشيرته ومن انحاش اليه وفر ، ولقيه عسكري عبد الله فاتبعته شزيمة منه فواقفهم ساعة ثم انهزم ، وقتل جماعة من أهله وعشيرته ، وملك الموحدون قابس ، وتوغل مدافع في الهرب فاستجار بأعراب طرابلس فأجاروه ، وكان شاعرا حافظا للسيرة والاخبار عالما بالانساب فلما أتى عليه عامان طريدا شريدا استشار عشيرته في اللحاق بعبد المؤمن فأشاروا عليه بذلك فسار اليه فلقيه بمدينة قابس فرضى عنه وأسكنه هنالك فتوفى بها وقد ناهز التسعين وكان له أيام ملكه وزير يعترف بسلام بن فرحان بذل نفسه دونه يوم خروجهم من قابس وقاتل عنه الى أن قتل ، وأنشد له العماد الاصبهاني في الخريدة في مدح مدافع المذكور (بسيط) :

مازلتُ أفري أديم الارض منفردا أطوي المفاوز غيطانا وآكاما
حتى حطت رحالي في ذرى ملك غير المواهب للقصاد بساما
بشّر (١) مدافع ان الله خوله سبعا ينال به كل الذي راما
قم فافتح الأرض فالأملاك كلهم سواك أضحوا عن العلياء نؤاما
وأنشد له من ابيات ذكر انه قالها يوم قتله (كامل)

أَكْذا أَموتُ وما بلغت مرادي بين الصوارم والقنا الميَّـادِ

(١) وفي بعض النسخ « هنى »

حيث العيون لوامح وطوامح ما بين أحباب وبين أعادي
وذكر صاحب « الحريدة » أيضا أن أبا ساكن عامر بن محمد بن
مكي بن كامل بن جامع خلص يوم خروجهم واتصل به الفرار
الى دمشق فاستوطنها وقال يذكر أيامهم بقابس (سريع) :

يا جارِ طرفي غيرُ هاجعٍ والدمع من عيني هامعٍ

ولقد أرقّتُ مُسامرا نجما بدا في الشرق طالع

متذكراً بصروف ده سرّاً أصبحت فينا قواطع

إنني من الشُّمِّ الألى شادوا العلى أبناء جامع

أهل المراتب والكتا ثب والمواهب والصنائع

يتسابقون إلى المعاد لي كلهم فيها مسارع

ولقد ملكنا قابساً بالمشرفيات القواطع

تسعين عاماً لم يكن فيها لنا أحدٌ منازع

وجنابنا للمعتف من بزهرة المعروف يانع

وإذا شهدنا مجمعا يومئذٍ إلينا بالأصابع

عبث بنا أيدي الزما ن وأحدثت فينا البدائم

وذكر أن ابنه ساكن بن عامر ورد أيضا الى دمشق وكان

موجودا سنة احدى وتسعين وخسمائة وأنشد له (طويل) :

إذا عزّ من أهْوَى أغضّ له طرفي
وأخفي الذي بي من سقام ومن ضعف
وأكتم عن سرّي هواه صيانة
ولو كان في كتمانهِ أبداً حتفي
مخافة أن يشكو فؤادي صابتي
إلى مقتلتي يوما فتُبدى الذي أخفي

وتغلب على قابس بعد خلوصها للموحدين شرف الدين قراقوش
الارمني ميلوك الملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه بن أيوب بن
شادي ابن أخى السلطان صلاح الدين ، وكانت بينه وبين على بن
اسحاق الميورقي مهادنة ومصالحة وكانا يجتمعان فى أكثر حروبهما
ويقيمان الدعوة العباسية فى هذه الجهات ، وسند كر سبب وصوله
الى هذه البلاد باثر الفراغ من خبرى هذا ان شاء الله تعالى ، فتحرك
اليها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فكانت له عليها
الوقعة المعروفة « بوقعة الحامة » ، وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ، وسيأتى
خبر هذه الوقعة عند الكلام على الحامة ان شاء الله تعالى ، وفر قراقوش
والميورقي فدخلوا الى صحراء توزر ورجع المنصور الى قابس
فاستسلموا له وفتحوا أبوابها وسلموا له تباع قراقوش وشيعته ، وقد
كان أعدها حصنا وشحنها بأهله وأتباعه وامتنع أهله بقصر

العروسين منها يومين ثم نزلوا الى المنصور راغبين فى الامان فبعث بهم فى البحر الى حضرة تونس ثم رفعوا بعد الى مراکش والى المغرب ، فأظهر قراقوش الانابة وهاجر الى الموحدين وذلك فى سنة ست وثمانين ، وقد مات على بن اسحاق الميورقى وولى اخوه يحيى فاجتمع قراقوش بتونس بالسيد أبى زيد ابن السيد أبى حفص وهو اذ ذاك الوالى عليها من قبل المنصور فاقام بها زمنا تحت كرامته ، ثم انصرف فارا عنه فرجع الى قابس وخادع أهلها حتى دخلها فقتل جماعة منهم وأظهر الرجوع على الانابة واستدعى اشياخ العرب الدبايين فقتل أعيانهم بقابس ، ومن جملة من قتل منهم محمود بن طوق بن بقية واليه تنسب المحميد ، وحמיד بن جارية وهو أبو الجوارى فى سبعين من كبارهم وذلك بداخل قصر العروسين منها فى موضع منه معلوم الى الان .

وأخبرنى أبو صيرة مسعد بن الازرق الضريسى أن الدعى ابن أبى عمار لما تغلب على قابس سنة اثنين وثمانين وستمائة أمر بحفر ذلك الموضع لبناء أحب احداثه هنالك ، قال : فوافق الحفر موضع دفنهم فرفعوا منه بين أيدينا نيفا وستين رأسا فأمر الدعى بنقلها الى غير ذلك الموضع فدفنت به ، ثم توجه قراقوش بعد افتتاحه الى طرابلس ، وقد كانت بايعته أول اقباله وانتقضت عليه فحصلت طرابلس وقاس تحت ايلاته ، ووقع بينه وبين يحيى بن اسحاق الميورقى

تغير والميورقي اذ ذاك ببلاد الجريد ، فسار الميورقي اليه الى طرابلس
وخرج قراقوش للقائه فالتقيا بخارجها فانكسر قراقوش وفر الى
جبالها ولم يدخل الى البلد خوفا من الحصار ، وكان من حصار
الميورقي لطرابلس واستيلائه عليها ما يذكر عند ذكر طرابلس ان
شاء الله تعالى .

ثم اخذ الميورقي أيضا في الحركة الى قابس وكان نائب
قراقوش خرج منها لما انهزم قراقوش ووجه اليها الشيخ ابو سعيد
ابن أبي حفص من تونس حافظا من الموحدين يعرف بابن تافراجين ،
فتحرك الميورقي اليها ووصل الى المنزل المعروف بزريرق - الزاي
متقدمة على الراي - وسياتي ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى ، وكتب
الى أهل قابس يذرهم ويحذرهم ومن بعض فصول كتبه في ذلك :
« ولما عزمنا على قرع بابكم ، والحلول بجنابكم ، رأينا تقديم
الانذار اليكم ، وايراد النصيحة عليكم ، والكف عنكم ثلاثة ايام لا
تدخلكم فيها يد ، ولا يتقدم اليكم بالاضرار أحد ، لنعلم ما عندكم ،
ونتبين غيكم أو رشدكم ، فان آثرتم الطاعة ، وتبعتم الجماعة ، مددنا
لكم أكناف العدل ، واتبعنا فيكم كريم القول وصحيح الفعل ،
وان أبيتم الا خلافا فقد أبلغنا النفس عذرا ، وأتيننا بالتبري من
أمركم برا ، ولا تغتروا بأهل طرابلس فلو كان لهم سواد يقطع ،

أو مياه تصد (١) وتمنع ، لجروا الى الطاعة ، وحملوا انفسهم منها فوق الاستطاعة ،

فلما انقضى أجله الذي حد ولم ير منهم اجابة ، ولا أنس منهم انابة ، زحف اليها بجموعه فحاصرها حصارا شديدا وقطع جميع غابتها ، فيقال انه لم يبق منها الا نخلة واحدة تركها عبرة لهم ، فأنابوا له بعد أن اشترطوا عليه مسالمة واليهم ابن تافراجين وأن يتوجه بأهله وماله في البحر ، فاشترط لهم ذلك ووفى به وأغرمهم سثن الف دينار عقوبة لهم . وقد وصف ذلك كله كاتبه أبو محمد عبد البر بن فرسان (٢) في كتاب كتبه عنه لاهل طرابلس وهي اذ ذاك في طاعته مبشرا بافتاحه لقابس ، ونقلت هذا الكتاب بطرابلس من خط شيخنا الفقيه ابي فارس عبد العزيز بن عبيد العظيم بن عبيد يقول في بعض فصوله ، الحمد لله الذي أعاض من النصب راحه ، وأضاء باسراق الدعوة (٣) العباسية جهة من هذه المدينة كانت مظالمة وساحه ، بعد لاجحة شيطانها ، ومكابدة قطانها ، وتضييق أعطانها ، بمخانيق مسامته (٤) لمبانيها ، على توانيها ، لا تبلى أهلها ريقا ، ولا تجد لهم (٥) للمدافعة طريقا ، فريقا ترهب على البعد وتقتل فريقا ،

(١) في بعض النسخ « تصدع »
(٢) ترجمته في كتاب « تحفة القادم » لابن الابار - مخطوط بالإسكوريال وفي خريدة القصر - للاصفهاني - مخطوط - بالكتبة الزيتونية
(٣) في بعض النسخ « الدولة »
(٤) في بعض النسخ « مسامية »
(٥) في بعض النسخ « ولا تجدهم » ولعل الصواب « ولا تخذلهم »

وكنّا قبل وضع تاجها ، وخلع رتاجها ، وكسر مهابتها ، والتوغل
فى غابتها ، خاطبنا جمهورهم ، واستنزلنا معمرهم للطاعة ومغفورهم
رغبة فى الابقاء عليهم ، وانذارا لم يكن بد من تقديمه اليهم ، فرفعوا
عراءهم ، وركبوا اهواءهم ، واستنهبوا غويهم فنصب للشقاوة
لواءهم ، وكان فيها من رجال الدرق ، ورماة الحدق ، غباء أسندوا
اليهم ظهورهم فانقصت ، وتمسكوا بعراهم فانقصت ، وغوغاء
استنفروها من الجبال ركدوا بعد الهبوب ، وعرفوا سموم تلك
الجنوب .

ومن فصول هذا الكتاب : « فاخذهم هول الحصار ، وأحاطت
الحيام بالاسوار ، حتى كانت المدينة معها كالزند فى ضمن السوار ،
وكالغلق تحت محيط الازرار ، (١) وكالمركز للفلك الدوار ، وكما
لاحت فى هالتها أجسام الاقمار ، لا ينبسون الا على أذن واعية ،
ولا يتسللون الا على عين مراعية ، فضجوا من ثلاث ، ساقتهم الى
التشجب بسوق احتثاث ، بعد القبوة ، وانصداع عصى الاسوة ،
والعجز عن حياية الثغر والاولاد والنسوة ، ولما سقط فى ايديهم
ولم يجدوا راحما يعصمهم ممن يؤذيهم ، سلكوا للطاعة طريقه ،
وتظاهروا بها مجازا او حقيقة ، فقبلت على حكم التسليم والتفويض ،
والقيام بعبء وظيفة المال والنهوض ، وانتقلوا من الحرم الى الحل ،
ومن الحرور الى الظل ، وقصر عن العدو حد السيف المثل ، وتفقدوا

(١) وفى بعض النسخ « الازار »

سوادهم فوجدوه طامس الاثار ، مجتث الاشجار ، مفور المياه
الغزار ، لا منورا أبقت الايدي منه ولا مشورا ، يقول ناظره
متعجبا ومعتبرا ، وكان الله على كل شيء مقتدرا .

وفي فصل منه : « واذا تقرر على الشرط حكم الاصطلاح ، وجرد
المسترزق منهم والمتطوع من ملابس السلاح ، وحمل غويهم
المؤمن في نفسه وأهله مع من اختار صحبته من جنده الحاسر على
ذات الدسر والالواح ، فرضنا عليهم مائة ألف دينار عددا ، لم
نفسح لهم في اقتضائها أمدا ، فعجزوا واستكانوا ، وتضاءلوا بذلك
كأنهم غير الدين كانوا ، فوسعهم التفتات ديني ، ونظر على الرحمة
مبنى ، خفف المتون ، فاضحت المائة وهي ستون ، وهم في شأنها
مفيضون ، وعما عداها معرضون ، فخطبناكم بهذا الفتح ، الذي
أشرقت من جانبيه شمس النجح ، لتأخذوا من المسرة بحظ من تين
لعينه تبلج الصبح ، فقد تقرر لدينا ما تعتقدون من الاعتماد علينا
والاقتصار ، ومزيد النظر كل حين في احكام الطاعة والاستبصار ،
ما عضد خبره بالاختبار ، ولم يرتفع منه الا بما وقع بالموافقة وجاء
على الاختيار . » وتاريخ الكتاب العشر الاخير من رمضان سنة احدى
وتسعين .

وفي هذا الفتح والتخفيف على أهل قابس فيما طلبوا به يقول أبو
محمد عبد البر بن فرسان المذكور ، وزعم ابن نخيل في تاريخه أن
عبد البر قال هذه القصيدة عند فتح طرابلس وليس كما زعم : (طويل)

أَجَلْ أَنَّهُ النَّصْرُ الْمَهْنَاءُ وَالْفَتْحُ طَوَاهُ الدُّجَى وَقَتًا وَيِّنُهُ الصُّبْحُ
عَصَوْا ثُمَّ جَاءُوا طَائِعِينَ إِمَامَهُمْ عِمَايَةَ غَتَّى كَانَ آخِرُهَا النَّجْحُ
هُدُّوا لِلْهُدَى بَعْدَ اقْتِحَامِ مِضْلَةٍ بِأَوْجُهُهُمْ مِنْ مَنَحِ ضَرَائِهَا لَفْحُ
عَمَّوْا عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ نَمَّتْ أَبْصَرُوا وَقَدْ كَانَ نَشْوَانُ الضَّلَالَةِ لَا يَصْحُو
وَفَاءُوا عَلَى حِينِ اقْتِرَاحِ سَمَائِهِمْ إِلَى غَرَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِهَا قَرَحُ
أَجَالُوا قِدَاحَ الرَّأْيِ أَثْنَاءَ عَزْمِهِمْ فَحِينَ أَنَابُوا فَازَ بِالْأَمَلِ الْقِدْحُ
وَمَا اذْعَنُوا لِلشَّرْطِ حَتَّى أَرَاهُمْ رَدَى فُهُمْ فِي كُلِّ حَرْبٍ لَهُمْ بَرْحُ
فَمَا وَرَيْتَ مِنْهُمْ زَنَادَ اسْتِكَاةَ

مِنْ الشَّرِّ حَتَّى حَكَ فِي سَنِّهَا (١) الْقَدْحُ

جَثَوْا لِقَبُولِ الْعَفْوِ فِي مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَى بَذْلِ مَالٍ بَانَ عَنْهُمْ بِهِ الشَّعْ
فَأَوْسَعَتْهُمْ عَفْوًا وَخَفَّتْ عَنْهُمْ مِنْ الْمَالِ مَا لَوْلَاهُ أَدْهَمَ الْقَدْحُ
وَهَبْتَ الَّذِي لَوْ ضَنَّ غَيْرُكَ أَنَّهُ يَفُوزُ بِهِ لَمْ يَنْجِهُمْ عِنْدَهَا الصِّلَحُ
وَمَا الْمَالُ إِلَّا لِلنَّفْسِ وَقَايَةِ خَسَارَتِهِ فِي جَنْبِ مَا يَتَّقَى رِيحُ
تَقُودِ الْجِيُوشِ الدَّهْرِ (٢) بَرًّا وَجَلَّةَ فَقِي سَبَسَبَ وَخَدَّ وَفِي لُجَّةِ سَبَحُ
تُنَازِلٍ مِنْ عَادَاكَ فِي عَقْرِ دَارِهِ فَتُنَزِّلُهُ لَوْ كَانَ مَنَزَلُهُ الصَّرْحُ

(١) فِي نَسْخَةِ « فِي مَسْبَد »

(٢) وَفِي نَسْخَةِ « الدَّهْم »

وتضرب بالحق الصحيح كُلى العدى اذا كان حظ البطل من غيرك الجرح
وتُطلع فجر العدل في مشرق الهدى اذا امتد من ليل اعتداء العدى جنح
وتسرد من آي العلى سوراً لها براهين لا يخفى لها ابداً شرح
تقوم لها في المكرمات دلائل كما قام عن مستودع الروضة النفع
فلا زلت فتاح البلاد ممهداً جوانبها ما التاح من بارق لمنح
ودان لك الداني وقص من الذي قصاً طاعياً ريش وحم له ذبح
وبقيت قابس في حكم الميورقي الى أن وصل الناصر الى افريقية
في سنة احدى وستمئة فاستنقذ من يده قابس وغيرها ، وتردد
عليها حفاظ الموحدين من قبل الناصر مدة اقامته بافريقية ومن قبل
الشيخ أبى محمد بن أبى حفص بعد انفصال الناصر وهلم جرا ، وفي
اثرهم استقر قراقوش بودان فتوجه الميورقي اليه بمن استصحب
معه من العرب الدبابيين الموتورين من قبل قراقوش فحصره بها
الى أن فنى طعامه وأعطى بيده سلباً واشترط على العرب أن يقتلوه
قبل قتل ولده وكان شديد المحبة له فلما خرج هو وولده اليهم قال
له الولد: يا أبت الى أين يروحوا (١) بنا ، فقال: الى حيث رحنا بآبائهم ،
فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه الميورقي بظاهر ودان وذلك في
سنة تسع وستمئة ، وهذا الاخير (٢) من صفة موت قراقوش هو

(١) كذا في جميع النسخ
(٢) وفي بعض النسخ « وهذا الذى ذكرته اخيراً »

مما تلقيته من أفواه العرب الدبايين وهم يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن آبائهم عن حضر ذلك من أجدادهم ، وترك قراقوش ولدا آخر اشتهر أمره بعد مدة وكان شجاعا كريما حسن الصورة جدا تميل العيون الى شخصه والاسماع الى ذكره ، ورتبه الخليفة المستنصر بالحضرة في أجناده ، قدمه لطائفة منهم ، فحدثه نفسه بالثيابة وأراد أن يسج على منوال أبيه فهرب بجمع من أصحابه ولحق ببلاد ودان حيث قتل أبوه وأشعل تلك البلاد نارا فأنفذ اليه ملك الكانم من قتله وأراح تلك البلاد من فتنه وحمل رأسه الى بلاده فطيف به فيها وذلك في سنة ست وخمسين ، وقد كان البطالون من الاجناد بالحضرة قد اشتغلوا بذكره ، واكثروا الخوض في أمره وقد كنا وعدنا بذكر السبب في وصول قراقوش الى هذه البلاد ونحن الان نذكر ذلك (١) :

كان صلاح الدين يوسف بن أيوب انما ملك هو وعمه أسد الدين شركوه بجيش نور الدين محمود بن زنكى وقوة سلطانه ، وهما في ذلك من جملة أمرائه وأعوانه ، وبعد استيلائه على مصر وموت أسد الدين حدثت بين صلاح الدين ونور الدين وحشة خاف بسببها صلاح الدين أن يتحرك نور الدين على مصر ويستولى عليها فاحتاط لنفسه وبني على الاندفاع أمامه ان وصل ، وذلك في سنة ثمان وستين وخمسمائة ، فانقسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد

المغرب فقال له أخوه تورانشاه بن أيوب أنا أتوجه الى اليمن وأستفتحها وأعيد لها (١) لك ان احتجت اليها، فتجهز اليها في السنة المذكورة وافتتحها في السنة التي بعدها وعلى سنة تسع وستين ، وقال له الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه شاهنشاه ابن أيوب أنا أتوجه الى المغرب فأفعل مثل ذلك فاشتغل تقي الدين بالنظر في حركته ثم انه زهد في بلاد المغرب وعرف ما بينه وبين افريقية من العربان والمهالك فاستغنى من ذلك .

وكان سري خبر تغريبه الى جمع من جندد وخواصه فاشربوا لذلك وبنوا عليه فلما امتنع تقي الدين من التغريب فر بطائفة منهم مملوكه قراقوش الارمني وبطائفة أخرى منهم ابراهيم بن قراتكين (٢) سلاح دار المعظمى وهو منسوب الى الملك المعظم شمس الدولة أخى صلاح الدين ، وكان في اجناد تقي الدين ، فجاز المذكوران بمن معهما الى المغرب ، ولما جاوزا العقبة رأيا أن يفترقا لينفرد كل واحد منهما بما قدر له من الملك والرياسة فصار قراقوش الى سترية فافتتحها وخطب فيها للسلطان صلاح الدين ولاستأذه تقي الدين بعده وكتب اليهما بذلك وافتتح زلة (٣) وأوجلة وأزال من بلاد فزان دولة « بنى خطاب » الهواريين وكانت قاعدة ملكهم زويلة وهي المعروفة بزويلة بنى الخطاب وعذب ملكها محمد بن

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « أعدها »

(٢) في نسخة « قراتكين »

(٣) في بعض النسخ زويلة وهو غلط والظاهر ان تلك المدينة هي والتي سماها البكري زلوى (ص ١٢) شىء واحد

خطاب بن عبد الله بن زنفل بن خطاب آخر ملوكهم على المال حتى هلك وخطب فيها لصلاح الدين ولتقى الدين .

ولم يزل على هذه الطريقة يفتح البلاد ويخطب فيها لمن ذكر الى أن وصل الى طرابلس فاجتمع عليه الدبايون ونهضوا معه الى جبل نفوسة فاستولى عليه واستخلص منه أموالا عظيمة أرضى بها العرب، وكان من الاتفاق أن مسعود بن رمان (١) أمير الرياحين خالف في ذلك الزمان على بنى عبد المؤمن وفر أمامهم فوصل الى هذه البلاد فكان تارة يكون مع زغب وتارة يكون مع دباب ، فلما سمع بوصول قراقوش ومن معه من رماة الفر سر بهم وتوجه بمن معه من أبطال الرياحين اليه فحصر قراقوش بهم طرابلس وصادف بلادا لم تتوقع نائرا ولا مخالفا فهي خالية من الاجناد ومن العدد والاقوات ، فاستولى عليها فعظم اذ ذاك أمره ، وتوقع من بتونس وغيرها شره ، ووصلت اليه العربان من كل مكان فاحتيج الى تكليف الرعية فوق طاقتهم فأبغضه الناس بعد ما كانت القلوب كلها قد مالت اليه ، وأقبلت عليه ، وقد ذكرنا في هذا التقييد من أفعاله الشنيعة ومخالفته على بنى عبد المؤمن وتلاعبه بالمهاجرة اليهم مرة والفرار عنهم أخرى ودوام ذلك نحو من أربعين عاما الى أن قتله الميورقي ما وسعه الذكر واحتمله هذا التقييد بحول الله تعالى .

(١) في بعض النسخ « بن رمان » وعند ابن خلدون « ابن رمان »

وأما إبراهيم بن قراتكين فإنه سار بجمعه ووقع في خاطره
المهاجرة الى بنى عبد المؤمن والركوب عندهم فصدّه أشياخ العرب
المخالفون عليهم عن ذلك وحملوه على الانفراد وطلب الرئاسة
وساروا معه الى قفصة فاستولى على جميع منازلها وأرسل الى « بنى
الزند ، (١) رؤساء قفصة فمكنوه من البلاد لانحرافهم عن بنى عبد
المؤمن وجههم في الخطبة العباسية التي ألفوها ، فدخلها إبراهيم
فخطب فيها للخليفة العباسي ثم لصلاح الدين ، وقدر أن كان قتل
إبراهيم المذكور وجملة من أجناده بعد ذلك على يد المنصور
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في قفصة حسبما نشرحه ان وجدنا
محلا لذكر ذلك ان شاء الله تعالى .

وكان يقال لقراقوش المظفرى لانه مملوك الملك المظفر والناصرى
لانه كان يخطب للملك الناصر صلاح الدين وكذلك كان يكتب
في ظهائره . وقفت على ظهير بتوسيع (٢) أملاك لبعض أهل
طرابلس سمي فيه نفسه « قراقوش الناصرى ولى أمر المؤمنين ، يسكون
الميم في لفظ أمر وكتب علامة الظهير بخطه . وثقت بالله وحده ،
وتاريخ الظهير عام تسع وسبعين ، وكان المورقى يكتب العلامة
في كتبه ، وثقت بالله وحده ، ويجعلها في أسفل الرقم .
ومما كتب به المورقى الى العرب يذكرهم الرحم التي بينه

(١) كذا اثبت ابن خلدون وفي بعض النسخ التي بأيدينا « بنى الزند »

(٢) وفي بعض النسخ « بتسويغ »

وبينهم لانه واياهم من سليم ويعيرهم انقيادهم لقراقوش
ويستدعيهم للوصول لحضرته (بسيط) :

يا أيها الراكب الساري لطيته على عذافرة تشقى بها الأكف
بلِّغ سليما على بعد المزار لها يني وينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إن خمدت واستمسكوا بعري الايمان واعتصموا
يقودهم أرمني لا خلاق له كأنه فيهم من جهلهم علم
الله يعلم أنني ما دعوتكم دعاء ذي ترة يوما فيتقم
ولا لجأت لامر يستعان به من الامور وهذا (١) الحق قد علموا
لكن لأمر رسول الله عن رحم يني إليه وترعى تلکم الذمم
فإن أتيتم فجعل الود متصل وإن أيتم فعند السيف نحتكم
واعلم أن ما (٢) ذكرناه من معالم هذه البلدة المنار ، وقد وصفناه
أولا ، وعين سلام على المشهور في لفظها أنها باللام ، وقصر العروسين
قد وافقت قابس في جميع هذه الاسماء القلعة المعروفة بقلعة بنى
حماد فاشتملت على معالم تسمى بجميع ذلك ، فالعروسان بالقلعة مبنى
بناه الناصر بن علناس بن حماد ، والمنار مبنى مطل عليها بناه المنصور
ابن الناصر وعين سلام عين بالوادي المعروف بوادي جراوة وهو

(١) كذا في جميع النسخ

(٢) وفي بعض النسخ « ما »

من نواحي القلعة ، وحيشا ورد شىء من هذه الاسماء . فى شعر أبى
عبد الله محمد بن على بن حماد (١) فانما يعنى مبانى القلعة فانه كان
معنيا بئدب تلك المعاهد كقوله من أبيات : (بسيط)

أَيْنَ العُروسَانِ لَا رَسْمٌ وَلَا طَلَلٌ وَأَيْنَ مَا شَادَ مِنْهُ الْقَادَةُ الْأَوَّلُ
وَمَجْلِسُ النُّومِ (٢) قَدْ هَبَّ الزَّمَانُ لَهُ بِحَادِثٍ قَلَّ فِيهِ الْبَحْثُ الْجَلَلُ
وَمَا رَسُومُ الْمَنَارِ الْآنَ مَائِلَةٌ لَكِنَّمَا خَبْرٌ (٣) يَجْرِي بِهَا الْمَثَلُ
وَكَقَوْلِهِ مِنْ أُخْرَى : (طويل)

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةٌ بِوَادِي الْجَوَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الْجَدَاوِلِ
وَهَلْ أَسْمَعُنْ تِلْكَ الطُّيُورَ غُدِيَّةً تَجَاوِبُ فِي تِلْكَ الْفُصُوفِ الْمَوَائِلِ
وَهَلْ أَرْدَنَ عَيْنَ السَّلَامِ عَلَى الصَّدَى فَأَبْرَدَ مِنْ حَرِّ الضَّلُوعِ الْنَوَاهِلِ
وَانْظُرْ طَيْقَانُ الْمَنَارِ مَطْلَةً عَلَى الْوُجُنَاتِ الزَّاهِرَاتِ الْحُمَائِلِ
كَأَنَّ الْقُبَابِ الْمَشْرِقَاتِ بِأَفْقِهِ نَجُومٌ تَبَدَّتْ فِي سَمَوَاتِ الْمَنَازِلِ
فَإِنْ ثَنَيْتِ الْأَيَّامَ عَنْهَا أَعْنَتِي وَانْزِلْنِي فِي غَيْرِ تِلْكَ الْمَنَازِلِ
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ غَيْرَ أَنَّ صَبَابَتِي سَتَبْقَى بِقَاءِ الطَّالِمَاتِ الْأَوَافِلِ

(١) هو أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى صاحب النبذ
المحتاجة فى اخبار صنهاجة بأفريقية وبجاية توفى عام ٦٢٨ انظر الى عنوان الدراية
للغبريني ص ١٢٨ - ١٢٩

(٢) وفى بعض النسخ « القسوم »

(٣) وفى بعض النسخ « نبد »

وقال من ابيات أخرى : (وافر)

على عين السلام سلام صب غذاه ماؤها العذب النير
تأود أيكها وجرت صباها وشئألها كما فتق العير
وأبرد ما يكون الماء (١) فيها وأندي حين يحتدم الهجير
وما ادري أيجري فوق در أم ابتست بمنبعها الثفور
وقد قام المنار (٢) على ذراها كما قام العروس أو الأمير
بناء يزدرى إيوان كسرى لديه والخورنق والسدير

فأقمنا بظاهر قابس بعد يوم الوصول إليها أربعة أيام آخرها يوم الجمعة السادس عشر من شهر التاريخ ووصل الى في أثناء اقامتنا بها كتب من الوالد حفظه الله صدره بقوله (بسيط)

حملتم القلب إذ جد الرحيل بكم من الصباية ما لا تحمل الإبل
فأو سلكتم سيل العزم ما عجزت إذ ذاك مني على دفع النوى الحيل
لكن عرائسي ذهول يوم ينكم كما يكابد من أحبابه رحلوا
فأله يجمع منا الشمل عن عجل فالخير أجمل ما في نيله العجل
وانتقلنا عن قابس يوم السبت السابع عشر منه ففارقنا بفارقتها

(١) وفي بعض النسخ « الجو » وهو اظهر حيث لا يحسن ان بوصف الماء بالندى وهو من الاعراض اللازمة بجوهره
(٢) في بعض النسخ « المقام »

أرض النواثل واجتزنا في أرض اخوتهم الوشاحين ثم في أرض
المحاميد منهم والوشاحيون من كانت عليه ولادة لوشاح بن عامر
وقد قدمنا أن وشاحا ونائلا أخوان ورفعنا نسب نائل وفي وشاح
ابن عامر يقول الشاعر (طويل) :

صنعت صنيعا ضاع في نجل عامر كما ضاع في الاصنام وادي زُرُودِ
وادي زرود في قبة القيروان بينها وبينه أميال يسيرة واصله
من موضع يعرف بفران بضم الفاء وتخفيف الراء وهذا الوادي يمر
في طريقه على مزارع تسقى منه ويتنفع به فيها فاذا انتهى الى
الاصنام وهو موضع في جوف القيروان انتشر في سبغة هنالك
متسعة ضاع ماؤه فلم ينتفع به فأشار هذا الشاعر الى هذا .

ورئاسة الوشاحين الان محصورة في قبيلتي الجوارى والمحاميد
وما عدا هاتين القبيلتين من بنى وشاح كالعمور والجواوبة يضاف
اليهما وهما قبيلتان متكافئتان في العدد والقوة فهما نقص من
احدهما فارس بموت أو غيره نقص من الاخرى نظيره ، عادة
أجراها الله تعالى بينهم فتجد احدى الطائفتين اذا مات واحد من
الآخري يتوقعون موت مقابله منهم فيقع ذلك عن قريب ، ورئاسة
المحاميد في بنى رحاب منهم ، وهو رحاب بن محمود بن طوق بن
بقية بن وشاح ، وسيأتى ذكر الجوارى بعد هذا حيث يتعين ذكرهم
ان شاء الله تعالى

وكان نزولنا في هذا اليوم بظاهر كتانة وهي قرية صغيرة ملتفة
الشجر حسنة المنظر كأنها بستان واحد خضرة ونضرة وعامة
شجرها الزيتون ، وكان غرسه بها أيام ولاية الامير أبي زكرياء على
قابس سنة أربع وعشرين ، ولاهلها قصر كبير يأوون اليه وبها عين
فوارة عذبة قد اجتمعت منها بركة ماء متسعة تلاصق سور القصر
من جهة غربيه ، وتخرج مذائب ومسارب تخرق الغابة فتعمها بالسقى .
ومنها يوم الاحد الى الزارات وهي قرية ذات نخل كثير وماء
غزير ينبع من عين حمئة وقد اجتمعت لدى منبعها أيضا بركة ماء
متسعة القطر بعيدة القعر

ومن هذه القرية كان الابتداء بسلوك منازل البربر المستسكين
بمذهب الخوارج المستحلين لدماء المسلمين وأموالهم ، وهذا المذهب
هو الغالب على جميع البقاع التي بين قابس وطرابلس وخصوصا
أهل الساحل منهم ، فهم بهذا المذهب المذموم يتقربون ببيع من يمر
بهم من المسلمين للروم فتجد الناس لاجل ذلك يتحامون الانفراد
في قراهم ويتجنبون ايواءهم وقراهم ، وهم من بقايا الشرذمة الضالة
التي قام بها أبو يزيد مغلد بن كيداد في افريقية فانه لما أظفر الله
به وأراح منه البلاد والعباد تفرقت أتباعه في الاقطار فسكنت هذه
الشرذمة بهذه المواضع ، وسكنت طائفة اخرى بجبال بجاية وقسنطينة
وما والاها الى بونة ، ومالت طائفة أخرى الى بلاد الجريد فاستوطنت

نقطة ونفزاوة وما والاها من البلاد ، وسندكر كثيرا من معتقداتهم
وتصرفاتهم فى عبادتهم عند ذكر جربة وزوارة فيما ياتى بحول الله
تعالى .

ومنها يوم الجمعة الى وادى مجسر وهذا الوادى أصل مائه من
الجليل المتصل من المغرب الى المشرق فى جهة الجنوب وسندكره بعد
ان شاء الله تعالى ، ينحدر ماؤه فيجتمع عند جبل صغير يعرف برأس
تاجرا على نحو خمسة عشر ميلا منه حيث أوقع الشيخ أبو محمد
بالميورقى وقعته المشهورة التى استأصل فيها أكثر أجناده ، وروى
من دمائهم المراقبة ظماء جواده ، وهى الوقعة المعروفة بوقعة تاجرا
تضاف الى هذا الموضع ، وكانت سنة اثنين وستمائة ، ثم يفرق من
تاجرا واديان ينتهيان الى البحر أحدهما هذا الوادى وهو وادى
مجسر والاخر الوادى الاعلى الى جهة المشرق وهو المعروف بوادي
الفجاء (١) فلا بد لكل سالك بين تاجرا والبحر من قطع هذين
الوادين ، ووادى مجسر منهما معروف بكثرة الاسود وهى موصوفة
بشدة الاسر ، وقوة القسر ، وقد كان بنى فى الوسط من هذا الوادى
مشارع فأجلت الاسود ناسها ، وأكثرت فيهم افتراسها ، ففارقوا
مغناها ، (٢) ولم يستطيعوا لاجل ذلك سكناها ، وهذا الوادى ما
كان من أرضه منخفضا كان الماء به دائما لانه يعود بطبع الارض

(١) وفى بعض النسخ « وادى الفجاء »

(٢) وفى بعض النسخ « مقتناها »

ملحاً أجاجاً ولا سيما ما قرب من البحر ، وتوجد فيه أنواع من الجوت مستطابة وما كان منه مرتفعاً لم يكن به ماء الا حين حمله عند نزول الامطار وتثبت به غابة مشتبكة من الاثل (١) والطرفاء .

وكان هذا المنزل الذى نزلنا به من المواضع المرتفعة فلم يكن به اذ ذاك ماء فبتنا به تلك الليلة ، ثم انتقلنا عنه يوم الثلاثاء فنزلنا بساحل المجاز المعروف بمجاز الجرف وبقيت منه جزيرة جربة ظاهرة بين ايدينا ، وعرض هذا المجاز من الجرف الى ساحل الجزيرة أربعة أميال ، فباتت المحلة على الجرف تلك الليلة ولما أصبحنا من الغد وهو يوم الاربعاء الحادى والعشرين منه شرع الناس فى الجواز الى جزيرة جربة وقد أعدت لهم السفن لذلك فاجتزنا نحن أولاً وأقمنا بساحلها من داخلها بموضع منها يسمى بساحل أجيم بمد الالف وتشديد الجيم نتظر أن يستوفى الناس أشغالهم ، وان يجيزوا خيلهم وأثقالهم الى أن استوفى ذلك ، وتوافق (٢) جميعهم هنالك ، وزرت بهذا الموضع الذى أقمنا به مسجداً هناك مباركاً يذكرون أن الامام المهدي رحمه الله سكن به أول جوازه الى المشرق فانه كان دخل فى رحلته الى هذه الجزيرة

وجزيرة جربة من أعظم الجزائر خطراً ، وأشهرها فى سالف الزمن عمارة وذكرها ، وطولها من المغرب الى المشرق ستون ميلاً

(١) وفى بعض النسخ « من الالباء »

(٢) وفى بعض النسخ « ووفى »

كذا ذكر الشريف في كتابه المؤلف للجار (١) ، وأما عرضها فمختلف
فعرض الرأس الغربى منها عشرون ميلا وهو الطرف الواسع ومن
هذا الموضع الى جزيرة قرقنة فى البحر ستون ميلا وعرض الرأس
الشرقى منها خمسة عشر ميلا وهو أضيق مكان بها ، وهى ارض
كريمة المزارع ، عذبة المزارع ، وأكثر شجرها النخيل والزيتون
والعنب والتين وبها أصناف كثيرة من سائر الفواكه الا ان هذه هى
أكثر ثمرها وعليها مدار غلاتها ، وغيرها من كرائم الارضين لا
يقاربها على الجملة فى ثمارها أو يساويها ، وتقاحها لا يوجد فى جميع
بقاع الارض له نظير لا يوجد بها منه صفا وجفافا وطيب مذاق ،
وعطارة استنشاق ، ورائحته توجد من المسافة المديدة ، والاميال
العديدة ، وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل هذا كثير ثم قل الان
بسبب أن النصارى يتحفون به ملوكهم وكبارهم ، دون تعويض
لاربابه عنه فرأى أهل الجزيرة أن غيرة من الشجر أعود بالفائدة
عليهم فقطعوا أكثره ، واختصت هذه الجزيرة أيضا دون غيرها من
البلاد بحسن الاصواف المحسودة الاوصاف التى ليس بافريقية لما
ينسج من أثوابها نظير ، وذلك معلوم من أمرها شهير .

وأكثر مساكن أهلها أخصاص من النخيل ، يجعل كل واحد منهم
فى أرضه واحدا أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله ، وليس

(١) هو الملك الروجاء ، ملك الترمند وقد اعتاد كتاب العرب رسم اسمه لجار - انظر نزهة
المشتاق ص ١٢٧ - ١٢٨

بها بناء قائم الا دور قليلة ، وهم ينقسمون الى فرقتين فرقة تعرف
«بالوهبية» ورثاستهم في بنى سمو من وأرض هذه الفرقة من الجزيرة
الجهة الغربية فما والاها من جهة الشمال ، وفرقة تعرف « بالنكارة »
ورثاستهم في بنى عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من
جهة الجنوب .

وكانت مدينة جربة فاصلة بين أرضيهم وكلا الطائفتين خوارج
غلاة في مذهبهم مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب
الخوارج لا كمذهب المعتزلة في امتناعهم من اطلاق اسم الكفر
على من واقع كبيرة ولم يتب منها فان المعتزلة لا تسميه كافرا ولا
مؤمنا وتسميه فاسقا على حكمهم بتخليده في جهنم ، وكان المعتزلة
بزعمهم توسطوا في هذا بين مذهب الخوارج ومذهب أهل السنة ،
والمصلحون منهم لا يماسحون بثيابهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم
ولا يؤاكلونه في آنيته وان استسقى عابري سبيل ماء من بعض آبارهم (١)
استخرجوا ماء البئر كله فما حود ، وثياب الجنب عندهم لا يقربها
طاهر وثياب طاهر لا يقربها جنب ، وقد شاهدت منهم من كان
على طهر اذا أجنب غسل ثوبه الذي أجنب فيه يرفعه بعصا أو
بمحجن ثم يلقيه في البحر فيخضضه بعصاه ساعة ثم بعد ذلك
يتناوله بيد ، ويوجبون على أنفسهم الغسل صباح كل يوم رجالا
ونساء أجنبوا أو لم يجنبوا ، ويتوضؤون ثم يتيمنون وقد شاهدت

(١) كذا في جميع النسخ والصواب : آبارهم او آبارهم

هذا منهم كثيرا ، ويشرطون في وضوئهم غسل الأيدي من
الاكتاف الى غير ذلك من آرائهم الواهية ، والافعال التي حكينا
عنهم منها ما شاهدناه وهو ما قصصنا ومنها ما حكاه عنهم الشريف
في كتابه المؤلف للنجار (١)

وأول من افتتح هذه الجزيرة في أول الاسلام روفع بن ثابت بن
سكن بن عدى بن حارثة الانصارى من بنى مالك بن النجار وهو
من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن سكن مصر منهم ، وكان
معاوية امره على طرابلس وذلك سنة ست وأربعين فغزا منها
افريقية سنة سبع وأربعين ووصل الى جربة فافتتحها ثم رجع من عامه
فمات في برقة وقبره بها ، ويقال بل مات بالشام ، ولما افتتحها جمع
السبى والمغنم وقام فى الناس خطيبا فقال : يا أيها الناس انى لا
أقول لكم الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا
يوم خير حين افتتحها قام فينا خطيبا فقال : لا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره يعنى اتيان الجبالى من
السبى ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة
من فى المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه ولا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر ان يلبس ثوبا من فى المسلمين حتى اذا أخلقه رده
فيه ، رواه حنش بن عبد الله الصنعانى (٢) وتوهم البخارى أنه حنش

(١) انظر نزهة المشتاق ١٢٨

(٢) راجع اسد الغابة لابن الاثير ج ٢ - ١٩١ ومعالم الايمان للدباغ ج ١ ص ١٠١

ابن علي الصنعاني فذكر أن الاختلاف في اسم أبيه وقد وهمه في ذلك علي بن المديني وفرق بينهما فقال حنش بن عبد الله صنعاني من صنعاء اليمن وحنش بن علي من صنعاء الشام (١) وخرج هذا الحديث ابن صخر عن حنش بن عبد الله الصنعاني قال : غزونا المغرب وعلينا رويغ بن ثابت ففتحنا قرية يقال لها جربة فقام فينا رويغ بن ثابت خطيبا وذكر الحديث مختصرا .

وكان الثائر النكاري قام على المعز بن باديس سنة احدى وثلاثين وأربعمائة ووصل الى جربة وافتحها وقتل من أراد من أهلها وسبى ذراريهم وأسر ابن كلدين مقدمهم ثم قتله وصلبه فجهز اليه المعز أسطوله وقتل أصحابه قتلة شنيعة واستقرت جربة تحت طاعته، وتوفي المعز فثار أهلها وأظهروا العناد والفساد وأنشأوا مراكب يقطعون بها السبل في البحر على سائر السواحل

قال أبو الصلت في كتابه الذي ذيل به على كتاب الرقيق : « لما ولي أبو الحسن (علي) بن يحيى بن تميم بن المعز وذلك في آخر سنة تسع وخسمائة واستتب له امره واستوثق ملكه (٢) أمر بأعداد الاساطيل لغزو جزيرة جربة ، وحركه في ذلك ما ترادف عليه من قطع أهلها في البحر واخافتهم المسافرين فيه ، فتم ذلك وقدم على الاسطول قائد الجيش ابراهيم بن عبد الله وأصحابه من أهل الدولة للمشورة

(١) راجع طبقات ابن سعد ج ٥ - ص ٣٩١ وميزان الاعتدال ج ١ - ص ٢٩١ ومعالم الايمان ج ١ - ص ١٤٤
(٢) في بعض النسخ « استتم له امره واستوثق ملكه »

فلانا وفلانا ، فساروا اليها وذلك فى سنة عشر وخسمائة فحاصروها وأخذوا بسخنتها الى أن أقر (١) أهلها بالطاعة للسلطان وانتقادوا لامره ونزلوا على حكمه وضمن أشياخهم ومقدموهم قطع جميع الفساد الواصل الى ساحل افريقية من قطاعهم واشرارهم وأن لا يتعدوا بمتاجرهم المهدية وأعلم السلطان بذلك فكف عنهم ورجع الاسطول وصلاح البحر وارتفع الفساد وأمن المسافرون . .

قال : . . وكان أمر جربة واستصلاح (٢) أهلها قد استعصى على من تقدم من آبائه وأجداده على اتساع ملكهم وكثرة جيوشهم ووفور أموالهم ، ثم تغلب النصارى عليها فى سنة تسع وعشرين وخسمائة فقتلوا من قتلوا وبقي الباقون تحت طاعتهم ، فلما كان سنة ثمان وأربعين وخسمائة ثار أهلها على النصارى وقتلوا منهم جماعة كثيرة فغزاهم النصارى من عامهم وتغلبوا على الجزيرة ثانية فنقلوا أكثر أهلها سبايا الى بلادهم ولم يبقوا بها الا من لا بال له ، ثم تملكها المسلمون بعد ذلك ، ولم تنزل من أول الفتح الاسلامى على هذه الصفة مترددة بين تملك المسلمين وتغلب النصارى الى زماننا هذا وكان تغلبهم عليها فى هذه المدة الاخيرة سنة ثمان وثمانين وستمائة بسبب اشتغال ملك الحضرة اذ ذاك رحمه الله ببعض الثائرين عليه .

(١) وفى بعض النسخ « حزم »

(٢) فى بعض النسخ « امر استصلاح جربة وطاعة أهلها »

فأقمنا كما تقدم بذلك الموضع من الجزيرة الى أن عبر جميع الناس إلينا وحصل سائرهم لدينا ، ثم انتقلنا عنه يوم الجمعة الثالث والعشرين لجمادى الاخرى عصرا مقربين لمرحلتنا من الغد الى حصنها المسمى « بالقشتيل » دمره الله فبتنا تلك الليلة الى جانب مدينة جربة القديمة حيث كانت قصبة الجزيرة وهى الان خلاء لا أنيس فيها ، ومشيت مع لمة من أصحابنا فجست خلالها وجلت حلالها فرأيت بقايا مدينة صغيرة الصنع ، مربعة الوضع ، ويحديق بها سور مرتفع هو باق الى الان ، وبداخلها جامع حسن البناء وقد تخرب الان فليس الباقى الا آثاره ، ورأيت على جهة منه نقشا لم تصل يد الفناء اليه فوجدته فى غاية الاحتفال وحسن الصنعة ، ولم يصل أحد منهم بهذا الجامع كراهية لاقامة رسم الاسلام بتلك الجزيرة لا خوفا من النصارى كما يزعمون ، وأما الجمعة فتركها أصل من أصولهم لانهم يشترطون فى اقامتها وجود الامام العدل ، وفى آخر المدينة بقايا أطلال القصبة حيث كانت سكنى حافظ البلد وقد استولى الخراب على جميعها وفى موضعها الان شجرة عظيمة من السدر المعروف فى هذه البلاد بالسدر المصرى قد ملأت ذلك المكان ، وهذا السدر مخالف لسدر بلادنا هذه وهو أكبر ثمرا وأعطر رائحة وأما المطعم ففيه غثاثة ، ورأيت منه بتوزر وما والاها من البلاد شجرا كثيرا وانما نسب لمصر لكثرة بها ، وكان الى جانب هذه القصبة حمام صغير هو الان باق لم يتسلط الخراب على

شىء منه فبتنا الى جانب هذه المدينة تلك الليلة ثم أصبحنا من الغد مرتحلين فلم نزل نمشى بين نخيل باسقة ، وثمار متناسقة ، الى أن وصلنا موضع القشتيل دمره الله فرأينا حصنا ، يهول الناظر اتقاننا وحصنا ، وهو مربع الشكل وفى كل ركن منه برج فائنان منها مستديران واثنان مثنان وبين كل برجين من هذه فى وسط الحائط برج صغير مربع ويدور به فصيل قصير ويدور بجميع ذلك حفر متسع فنزلنا على مقدار ميل منه

ووصل الينا اذ ذاك شيخ النكارة وقد كان هو ونظيره من الوهبة فرا عن الجزيرة أول اقبالنا عليها خوفا على أنفسهما فلما حللنا بها كتبنا اليها كتابا يطلبان الامان فأسعفا به ، فوصل النكارى وتأخر وصول الوهبة فوصل بعده بأيام ، ولما اجتمعا تكفلا باستخلاص ما وضع من الاداء على قومهما وانفصلا ليشغلا بقبض ذلك من يومهما واستمرت المحاولة فى قتال الحصن المذكور شهرين كاملين فوجدنا قوما قد أطالوا للحصار استعدادهم ، واستفرغوا فى التحرز جهدهم واجتهادهم ، وكانت كثرة الجيش الذى معنا من أعظم الاسباب فى الاقلاع عنه لانقطاع الاقوات بتلك الجزيرة وتعذر الميرة الا فى الشىء اليسير الذى لا تحصل به كفاية ، فعلمنا أن أخذه يصعب بتلك المحاولة ، ولما يؤخذ بالحصار والمطاوله ، ورأينا أن نفصل عنه لما كنا بنينا عليه من تهدين البلاد الجريدية وقبض مجايها فاذا تم ذلك وعاد الجيش الى الحضرة عينت له

جريدة خيل يبنى فى أمرها على الاختصار (١) فتوطن على السكنى
هنالك للحصار ، فكان ذلك .

وكان الانتقال من جربة يوم الخميس السادس والعشرين لشعبان ،
فكانت مدة الإقامة بها من يوم الدخول إليها الى يوم الخروج عنها
خمسة وستين يوما .

ووصلت إلينا ونحن بها قصيدة من الوالد فى مخاطبة مخدمنا
صدر بها كتابا رأيت اثباتها هاهنا (طويل) :

على ذلك المجد الصميم سلامٌ كما فُضَّ عن أذكى المسوك ختامٌ
وما زجه نشرٌ من الروض قد جرى عليه نسيم واستهل غمـامٌ
والأُ كما قص الرواة حديثكم وردد منه فى النديّ كلامٌ
فكل يوافي عنكم بمعاسن إذا كل عنها الشر ناب نظامٌ
فكم قائل قد شك إذ شتم طيبه أدار ين أم دار لكم ومقامٌ
فليت الصبا تهديه غني إليكم وتشدو به فوق الغصون حمامٌ
ولما توجهتم وجدت ركابكم وسرح للجُرد العناق لجامٌ
أقنا وللسلوان غنا ترحل وللشوق ما بين الضلوع مقامٌ
فلو كانت الآمال اجنحة لنا لطرنا وإكن لا جناح يرامٌ

(١) ونفى بعض النسخ د يبنى على أمرها فى الاختصار .

امولاي كل الناس يشكو بشوقكم ولكنني للمشتكين إمام
يذكرنيكم كل شيء رايته جميل به يعني وفيه يهام
ولكنني القاء في الناس ناقصاً وفيكم زيادات له وتمام
وبي للتلاقي شوق سرب ظوامي رايين قراح الماء وهو جمام
وقد صدها عن ورده خوف صائد فهن حيام حوله وهيام
فيا لتي ادري متى الدهر مستعفي بذاك فتشفي لوعة وغرام
أجاهد اشواقني جهادك للعدى فكل يلاقي الجيش وهو عرام (١)
ولكن لك السيف المصنم في الوغى وسيفي في تلك الحروب كهمام

ووصلتني ونحن بها ايضاً ابيات من الاديب ابي محمد عبد الله بن
احمد الازدي العسيلي غابت عني الآن ، مطلعها : (خفيف)

يا نسيم الصبا ديوني فاقض إن بلغت الحمى وإلا فامض

فاخبرته عنها بقولي

قبل لبرق جلا الظلام بومض ذاهب في السرى لأرض فارض
غير مستشعر لقلبي سكوناً لا ولا لائذ لجفني بغض
أيها البرق أنه نحو العيلسي سلاماً تؤد أكّد فرض

ولتُبْلَغْهُ أَنَّنِي ذُو اشْتِيَاقٍ قَدْ قَضَى لِي أَلِيمُهُ إِنْ سَأَقْضِي
لَسْتُ أَرْضَى عَلَى الْبُعَادِ لِعَهْدٍ مَبْرَمِ الْعَقْدِ أَنْ يُشَابَ بِنَقْضِ
وَصْنِيعِ الْإِلَهِ عِنْدِي سَمَا عَنْ أَنْ تَقُومَ الشِّفَاءُ مِنْهُ بِبَعْضِ
لَمَعَ مَوْلَى فَاقِ الْبَرِيَّةَ طَنُولا تَعَاطَى (١) الْمَنَى فَيُعْطِي فِرْضِي
أَحْرَزَ الْمَجْدَ بَيْنَ جُودِ بَعْرُضٍ مُسْتَبَاحِ الْحَمَى وَبُخْلِ بَعْرُضٍ
مَنْ أَتَاهُ يَشْكُو بِجَنْبِ وَبُؤْسٍ آبٍ فِي عَيْشِهِ بِخُصْبٍ وَخَفْضِ
رَائِدًا بَارِضَ الْجَمِيمِ لَدِيهِ وَارِدًا مِنْ جَمَامِهِ غَيْرَ بَرُضِ
وَهُوَ يَهْدِي إِلَيْكَ مِنْهُ سَلَامًا يُنْسِكُ (٢) الْمَسْكَ عَرْفُهُ إِثْرَ فُضِ
لَمْ يَزَلْ عَنْكَ سَائِلًا كُلَّ حِينٍ وَعُلَاهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ تَقْضِي
زَادَهُ اللَّهُ مَكْنَةً وَسَمُودًا يَأْمُرُ الدَّهْرَ كَيْفَ شَاءَ فَيُضِي
يَا صَفِيَّيَ الَّذِي مَحَضَتْ عَلَيْهِ كُلُّ صَفْوٍ مِنَ الْوُدَادِ وَمُخْضِ
هَاسِكُهَا أَقْبَلَتْ إِلَيْكَ حِيَاءً تَرْتَجِي أَنْ تُعِيرَهَا لِحَظِ مُفْضِي
وَإِتْصَلْ بِهَا نَثْرَ

ولما انتقلنا من جربة لم نخرج من المجاز الذي دخلنا
منه بل خرجنا من مجازها المعروف بساحل البر المتصل مقدار

(١) في بعض النسخ « بتعاطى »

(٢) كذا في جل النسخ وفي بعضها « ينسى »

ثمانية اميال فى البحر اكثرها قصر تقطعه الخيل مشيا وفيه مواضع عميقة لا يمكن السابحات قطعها الا سبعا فهو مجاز خيث لا يجوزه الا عارف به متكرر عليه ، فاجتزنا نحن اولا فى السفن وشرع الناس فى الجواز فأجازت السفن قوما وأجازت الخيل آخرين مشيا وعموما الى ان استوفى الجواز جميع الناس ، واقمنا بظاهر المجاز خمسة أيام آخرها يوم الاثنين الموفى ثلاثين من شعبان

وكان ارتحالنا غادين (١) الى قابس يوم الثلاثاء غرة شهر رمضان فنزلنا يومنا ذلك بموضع يعرف بسوانى خلف الله وهى منسوبة الى رجل من مرابطى العرب احدى وهو من تلامذة الشيخ أبى عيسى العمورى كان ابتنى هناك مسجدا رسمه الى الان باق وأحى بمقربته ارضا مواتا فمنعه عما أراد من عمارة تلك الارض كثرة فساد حواشى (٢) العربان لما يزرع بها فان العرب كثيرا ما يفصدونها بمواشيهم لانهم يقولون : أمراً باقل ترعى الابل به فى تلك الارض وأمرعه ، وحد هذا الباقل عندهم من هذه السوانى الى البحر ، والباقل عند هؤلاء العرب اسم مرعى من النبات مخصوص ، وهو فى اللغة اسم لكل موضع انبت البقل والبقل كل نبات تنضج منه الارض ليس له أرومة ، وقد اقبل المكان رباعيا فهو باقل على غير قياس هذا هو الأكثر الشائع فيه وقد سمع فيه مبقل على الفياس

(١) وفى بعض النسخ « عائدتين »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « مواشى »

ومنها يوم الاربعاء الى موضع يعرف بتجفت بفتح التاء وتشديد الجيم
وسكون الفين المعجمة وهو بسيط متسع من الارض رأينا به وبساتير
هذه المسافة آثارا قديمة ومباني مختلفة الاشكال ومصانع للبياه
مصنوعة (١) وقد سقط من كثير من تلك المباني احجار مرسومة
بخطوط ليست من خطوط اهل زماننا هذا فاني استدعيت كثيرا
من النصارى لفكها فلم يعرفوها ، وبهذا الموضع ايضا بقايا محارس
متفرقة مع ساحل البحر ليس فيها متسع الا لجلوس رجل واحد
وبالجملة فثأار هذا الموضع كثيرة ، ورسومها الى ضخامة بانيتها
مشيرة .

ومنها يوم الخميس الى وادى مجسر ويعرف هذا الموضع منه
بالطواحين بالخاء المهملة وتضاف اليه فيقال طواحين مجسر وقد تقدم
ذكر هذا الوادى قبل ، وكان منزلا في هذه الخطرة متعاليا على
منزلنا الاول الى جهة الجنوب فجاء المنزل الاول بيننا وبين البحر
وهذه الطواحين مواضع هذا الوادى المنخفضة وقد ذكرنا قبل أن
ما كان منه منخفضا كان الماء فيه دائما فكابد الناس في هذا اليوم
مشقة شديدة في اجتيازه وخوض مائه ، ووجدنا بعض المرابطين قد
زرع على احد جانبيه زرعاً بلغ في ذلك الزمن ان يكون للبهاثم مرعى
وقد قام عليه ليمنعه من الجيش مدلا برباطه فثأرت دهماء الاجناد
رعى الزرع على رعيه ، وانجلى الامر على ابطال كدح المرباط وسعيه .

(١) فى بعض النسخ « متنوعة »

وانتقلنا عنه يوم الجمعة فنزلنا بكتانة وقد تقدم ذكرها ومنها يوم السبت الى قابس وهذه خطرتنا الثانية اليها فأقمنا في الاخوية بظاهرها عشرة ايام آخرها يوم الاثنين الرابع عشر منه واستعد الاجناد فيها لدخول البلاد الجريدية حسبما كنا بنينا عليه اول السفرة فكان رحيلنا عن قابس متوجهين الى توزر يوم الثلاثاء الخامس عشر من رمضان فدخلنا في اول هذه المرحلة من ارض دباب في منازل بنى أحمد وهم بنو أحمد بن دباب بن ربيعة بن زغب وربما شاركهم في منازلهم هذه بنو يزيد .

وبنو يزيد أربعة أفخاذ من دباب تحالفت وانتسبت على مدلول الزيادة لا الى رجل متسم بيزيد وهم : الصهبة والحمارنة والخرجة والاصابة ، فأما الصهبة - بسكون الهاء - فبنو صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب ، وأما الحمارنة فبنو حمران بن جابر اخوتهم ، وأما الخرجة - بسكون الراء - فجماعة من آل سليمان بن رافع بن دباب ، اخرجهم بنو عمهم آل سالم بن رافع من أرضهم فمالوا الى محالفة هؤلاء وساكنوهم بمنازلهم هذه ، وكانت أرضهم مسلاتة وما قارب منها ، وأما الاصابة فهم متسبون الى رجل كانت له أصبع زائدة ودباب يطعنون عليهم نسبهم ويذكرون انهم خارجون عنهم . وحللنا الحمة يومنا ذلك وتعرف بحمة مطماطة تفرقة بينها وبين حمة توزر المعروفة بحمة (١) البهاليل ، فرأيت مدينة حاضرة تحف بها غابة

(١) في بعض النسخ د حامة ،

نخل تحمل حمله وجميع مياه هذه البلدة شروبة وهي في غاية
السخانة وبسخانة مائها سميت الحمة، والحمة في اللغة هي العين التي
بمائها سخانة، وجاء في الحديث « مثل العالم مثل الحمة (١) »، قال
الهروى في غريبه الحمة عين حارة يستشفى بها المرضى، وذكر أبو
عبيد في كتاب الامثال أن من أمثالهم : العالم كالحمة يأتيها البعداء
ويزهد فيها القرباء، ولم يزد أبو عبيد على هذا، وهو أثر وتامه :
فينا هم كذلك اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكرون (٢)
ويتفكرون بالنون أى يتندمون، تفكن تفكنا، وقرأ أبو حازم العكلى
فظلتم تفكرون (٣) وهو من هذا، والنسبة الى الحمة حمى، وذكر أبو
عبد الله محمد بن على المصرى في صلة السقط أنه سمع فى ذلك
حامى بالالف وهو من شواذ النسب .

وهذه البلدة فى أكثر أوقاتها سالمة من الوباء فاذا وبئت - بفتح
الواو وان شئت ضمت - استأصلت أهلها وكانت فى ذلك أشد من
قابس، وكان عليها سور مرتفع ورأيت مواضع منه قد تهدمت ولم
يشتغل أهلها برمها فسألتهم عن ذلك فقالوا نحن لا نعتمد على سور
وانما سورنا سيوفنا فذكرت قول الشاعر (وافر) :

إذا صدق الحسام ومُنْتَضِيهِ فكل قرارة حصن حصين
وما لث العرين بذى امتناع إذا لم يحمه إلا العرين

(١) انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ج ١ - ص ٢٦٢

(٢) انظر النهاية ج ٣ - ص ٢١١

(٣) راجع الكشف ج ٣ - ص ١٥٩ - ١٦٠ (المطبعة الاميرية ١٣١٩)

وبناء داخل هذه المدينة فى غاية الارتفاع وهم يتنافسون فى ذلك ورأيت فى قصبتها وهى موضع سكنى الزوالى آثارا تدل على ضخامتها غير أن الحراب استولى الآن على كثير منها ، وبهذه القصبة قناة ماء يتسرب اليها من خارجها فى غاية القوة وقد بنى عليها بيت على شكل حمام جاء فى نهاية الظرف والحسن وبظاهر هذه البلدة كانت الواقعة للمنصور أبى يوسف يعقوب ابن عبد المؤمن ملك المغرب على بن اسحاق الميورقى ومن معه من العرب والغز فى بلاد افريقية ، فتحرك الى تونس فلما وصل اليها وجه ابن عمه يعقوب بن أبى حفص بن عبد المؤمن فى عسكر ضخم للقاء الميورقى فالتقوا بمقربة من قفصة فكانت لليورقى عليهم الواقعة المعروفة بوقية عمرة ، قتل فيها أكثر جيش المنصور ، وتحامل من سلم من القتل فوصل الى قفصة فاستدعاهم الميورقى موهبا لهم بالامان فلما اجتمعوا أجال السيف على جميعهم ، فامتعض المنصور من ذلك ونكب عن المشورة واستبد برأيه وتحرك من تونس واستخلف عليها أخاه السيد أبى اسحاق ونزل رادس متلوما وقد ظهر تكاسل الناس فعاقب أقواما على تأخيرهم وتوجه ، فلما كان على فرسخين من الحمة سرح سرية الى منزل العرب الذين مع الميورقى فشنت الغارة عليهم واكتسحت أموالهم ففل ذلك شوكتهم ، ثم لبس المنصور لامته وناجزهم الحرب مباشرة لها بنفسه فاستوصلت الموارقة وأفلت على بن اسحاق وقراقوش فتبعهما الموحدون سالكين سيلهما حتى

أشرفوا على توزر فوجدوها قد توغلا في صحرائها فرجعوا عنها ،
وانصرف المنصور الى قابس فأحاط بها برا وبحرا الى أن فتحوا له
أبوابها ، وفي ذلك يقول أبو بكر بن مجبر (١) من قصيدة طويلة
(واقر) :

لقد برزت إلى هول المنايا وجوه كأن حجبها اللثام
وما اغنت قسي الغر عنها وليست تدفع القدر السهام
وهي ثابتة في ديوان شعرة ، ومما قاله هو والجواري (٢) في هذه
الوقعة وثبتت القصيدة في ديوان الجواري (بسيط) :

رأى الشقاء ابن اسحاق أحق به من السعادة والمحدود محدود
وكيف يحظى بدنيا أو بآخرة مُخَلَّب عن طريق الرشد مطرود
أعمى ونور الهدى باد له وكذا من لم يساعده توفيق وتسديد
والسيف أبلغ فيمن ليس يردعه عن الغواية إيماد وتهديد
أولى له لو تراخى ساعة لـفد وريده وهو بالخطي مورد
أنحى الزمان على الاغزار (٣) واجتهدت

في قطع خضرائهم أحداثه السود

(١) وفي بعض النسخ « أبو بكر بن بحر »

(٢) وفي بعض النسخ « الجوراني »

(٣) وفي نسخة « الاغزاز »

ونازعتهم نفوس الهند أنفسهم فلم يفدّهم عن الهيجاء تعزید (١)
فهم على الترب صرعى مثله عَدَدًا ان كان يُقضى بأنّ الترب معدود
ولّوا فلا صاحب عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مولود
يوم جدير بتعظيم الأنام له فما يقاس به في حسنه عـيد
أضحت على فضله الايـام تحسده ان النيه الرفيع القدر محسود

ثم توجه المنصور الى قفصة فحاصرها حصارا شديدا الى أن خرج
اليه أهلها راغبين في العفو فشارطهم على تأمين أهل البلد في
أنفسهم خاصة وتبقى أملاكهم بأيديهم على حكم اساقبة وجميع
من عندهم من الحشود والغرباء ينزلون على الحكم فربّع الاتفاق على
ذلك ، وخرج جميع من في البلاد من أهله وغيرهم حتى لم يبق فيه
الا النساء فميز أهل البلاد وأمروا بالرجوع الى بلدهم ، وبقي من كان
به من الغرباء والحشود والاجناد ، ومن جملتهم ابراهيم بن قراتكين
المعروف بسلاح دار المتقدم الذكر فثقفوا ساعة ثم جلس المنصور
بأثر صلاة الظهر بموضع جلوسه وأخذ الناس سرايتهم وأمر
بأولئك المثقفين فقيدوا اليه فأمر بذبحهم فذبحوا بين يديه أجمعين
لم يفلت أحد منهم ، وكان الاعلى الفهمى حاضرا وهو نحوى فاضل
كان الخليفة يعينه لقراءة اولاده القرآن ، فطلب أن يسمح له بشخص

منهم يتولى ذبحه بيده فأجابه الخليفة الى ذلك ولما أضعج له طلب
يسيرا من الملح والصعتر كما يفعله العامة بالضحايا فأضحك بهذا
الفعل المبكى جميع من حضر ، وأمر المنصور بهدم سور قفصة
وقسمه على جميع من بالمحلة فأعادوه في مدة يومين أثرا بعد عين ،
وفى هذه الخطرة هلك أكثر نخيل قفصة اذ كان المنصور قد آلى
أيام حصارها لها أن يقطع كل يوم ألف نخلة وفى هذا الفتح يقول
أبوبكر بن مجبر أيضا (بسيط) :

ما غرَّ قفصة إلا أنها اجترمت فلم يكن عند أهل الحلم تريبُ
ما بالها زار أمن الله حوزَ تهَا فلم يكن عندها أهل وترحيبُ
تلك البغي التي خانت فحاق بها وبالزناة بها رجم وتغريبُ
قد فُضَّ شملهم عنها وقد نعبت بها من الحين غربان غرابيبُ
أما يرَد سلیمانا يباشره وفيه للنفس ترغيب وترهيبُ
هذي أعاديه قد صارت مقسمة على البلايا فمقتول ومسلوبُ

فترلنا بخارج الحمة كما تقدم وأقمنا هنالك ستة أيام آخرها يوم
الاحد العشرون من شهر التاريخ ، وصليت فى أثنائها صلاة الجمعة
بجامعها وهو جامع حسن ظاهر البركة والخير ، ورصل الى ونحن بها
كتب من الشيخ الاديب الفاضل أبى زيد عبد الرحمان بن أبى
القاسم بن نزار السهمي وكنيت كلفت بعض من كتبت له بتبليغ

السلام اليه فكانت في كتاب الشيخ (١) أبي زيد هذه الايات
(كامل) :

وصلت تحية نازح بوساطة فكأنها نشر الرياض مع الصبا
وكأنما يهدي النسيم من الشذى منها ثناؤك (٢) الاطيبا
وكان عبد الله إذ حيى بها عيسى بغير نبوة لكن نبأ
فعليه مني ردها لو أنني جيت القفار به لكان الأوجباً
فكتبت اليه جواباً عنها :

أحملت عرف المسك يا ربيع الصبا أم ساق نشرك لي حديثاً طيباً
فلقد أعاد الروح رَوْحَكَ اذسرى من بعد ما قد قاربت أن تذهباً
هي تحفة وقت بنوسهم بها سهمي وأولوني الحباء المُحسباً
دعت الحياة فأقبلت منقادة واستدنت الأمل القصي فأكتباً
وأنت إلى وقد حوى إيضاحها جملاً أعادت لي السرور مقرّباً
يا ماجداً أعددت لي سيّداً وأعبدك كبيراً وإجلالاً أباً
هاك السلام على النوى من ذا كر لك بالجميل مشرقاً ومغرباً
واصحب أبا زيد جديد سعادة تشني الابني من المطالب مصحبا

(١) في نسخة «تبليغ السلام اليه مصرحاً فرد الى سلامي في كتاب الشيخ الخ ،

(٢) بياض في جميع النسخ التي بأيدينا

وارتحلنا عن الحمة يوم الاثنين الحادى والعشرين متوجهين الى
نقراوة فنزلنا يومنا ذلك بمنزل يعرف (١) بمجزم وهى قرية كبيرة
وعليها غابة نخل ممتدة وبها قصور ومنازل ضخمة بالنسبة الى مبانى
البادية ، ووجد الاجناد أهلها قد فروا عنها جلاء ، وتركوها خلاء ،
فانطلقت أيديهم بالعيث فى ربوعها والرعى لزروعها وكثيرا ما
كانوا يحتفرون أرضا فيجدون أهلها قد أودعوا هنالك ما صعب
عليهم نقله ، وأثقلهم من الاثاث حمله ، فأذهبوا بالافساد رسمها ،
ولم يبقوا منها فى الحقيقة الا اسمها .

ومنها يوم الثلاثاء الى منزلة تعرف بعيون رحال وهى قفرة تنبع
بها عينان نضاختان ، والى جانبها نخيلات يسيرة ، وفى مرحلتنا هذه
فارقنا أرض بنى أحمد ودخلنا فى أرض زعب ، وزعب قبيلة تنسب
الى زعب الأصفر ابن زعب الأكبر بن جرو بن مالك يجتمعون مع
دباب ، فى هذا المعنى يقول الدبايون ان زعبا منهم يريدون هذا
القرب الذى بينهم فى النسب ، وقد تبين من كلامنا هذا وما تقدم
أن زعبا الأكبر ولد ولدين زعبا الأصفر وربيعه أبا دباب ، فدباب على
هذا هو ابن أخى زعب الأصفر واذا تداعى الزعيون بزعب فانما يعنون
به الأصفر ولو عنوا الأكبر لدخلت معهم فى ذلك دباب ولكانت
دباب من زعب ، والاشهر فى الزاى منه الضم وضبطها الاجدابى (٢)

(١) فى بعض النسخ « بقرية تعرف »
(٢) هو ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل الاجدابى صاحب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفذ
ذكره السيوطى فى بغية الوعاة ص ١٧٨

بالكسر وكذا سمعت الفصحاء من أعراب زماننا ينطقون به ، وكذا ذكر الرشاطى هذا النسب فى كتابه : قال هو منسوب الى زعب بزاي مكسورة وعين مهملة قال الامير ابن ماكولا فى الاكمال : له والى اليوم منهم خلق بالحجاز زعبيون ولهم غفارة فى طريق مكة ومنها يوم الاربعاء الى طرة احدى قاعدتى بلاد نزاوة وهما طرة وبشرى ، فرأيت بلدا بلا اسم وقرية بلا معنى وهى مخوفة بالنخيل وبها التمر المفضل على جميع البلاد وليس فيها ما ينظر اليه على الجملة غير العين المعروفة بعين طرة فان لها بركة ماء متسعة حسنة المنظر ، شارحة للنفس ، تدخل البهائم اليها عند الشرب الى حد معلوم لا تتجاوزه وان جاوزته غابت فى مغايض (١) لا قصر لها ، ويذكرون أن لها قى كل عام رجلا تقتله لا بد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك فى الغرباء ، ومن ماء هذه العين يكتسب صبغ بلاد نزاوة عند الغسل ما يظهر عليه من الرونق والطلاوة ، وبقرية من هذه العين قصبة البلد حيث كانت الولاية وقد أعادها الحراب دكا فلم يبق منها غير سورها المحيط بها ، وبخارج هذه البلدة نخيل منفرد يدعى بنخيل فرعون يعتقد جميع أهل ذلك الموضع أنه غرسه فرعون وهو غير مستملك ، وتمره مباح لمن اجتاز به من الغرباء

ومن الغرائب ما اختصت به هذه البلدة من شدة عصف الريح واتصال ذلك غير مختص بفصل من فصول العام ، وهم ينسبون

(١) فى بعض النسخ : مغايض ،

ذلك الى طلسم كان مدفونا بها وأن بعضهم أخرجه وكسره فكان بسبب ذلك عندهم دوام الريح هنالك ، ويزعم أهل نفزاوة ان الرياح انما يشتد عصفها ببلدهم عند نزول الجيوش عليها ، ويعدون ذلك من جملة الرفق بهم لان الجيوش تسرع الارتحال بسبب ذلك عنهم

ونفزاوة اسم نقل الى الموضع من اسم القبيلة التي سكنت به في اول الدهر ، وهم بنو نفزاو بن الاكبر بن بر بن قيس عيلان بن الياس بن مضر بن نزار ، قال الشريف في كتابه المؤلف للجار (١) : ومن ولد نفزاو هذا جالوت الذي قتله داود عليه السلام واسم جالوت ضريس وهو ضريس بن الاصفر بن نفزاو ، ومن نفزاو تفرعت زنانة كلها وهم في الاصل عرب ، وانما تبربروا بمجاورتهم للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم ، وقد اختلف حفظ الشيوخ في لفظ نفزاوة فبعضهم ينصبون النون منها وبعضهم يكسرها

ومن المنتسبين الى طرة هذه الشيخ : أبو يعقوب الطرى صاحب الرسالة التي اولها : « الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود في نفسه ، قسم فيها مدلولات لفظ العقل ومراتبه تقسيما أخذ جله من كلام الامام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى ، فوقف على رسالته الشيخ أبو علي النفطى رحمه الله تعالى

(١) انظر نزهة المستاق ص ٨٨ (مع اختلاف كبير في الاخبار)

فخاطبه بالرسالة التي أولها : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق (طويل) :

أما آن من صبح الرشاد نفس وحتّى متى ليل الظلام معسّس
تراني أرى فجر الهدى متعرضا فينزع للترحال صبّ مفرّس
وما حذري إلا شعوبٌ مفيرة وملاح اصباح ولا يشطّ حنّيس
من شيان الابله الى الجبر أبى يعقوب : أما بعد فان كتابك ورد
مشتلا على ماهية العقل وحقيقته وقد ألفيته وافيا بمقصودك ، غير
واف بمقصودي ، ولست ممن قنع عن الدر بالصدف ، واقتنى علوما
لم يؤمر بها شرعا فاستفرقت فيها همته حتى نزلت (١) به قدم
الفرور في مهواة من التلف ، وكل ما تذروه رياح الموت فالهمة
تقتضى تركه ، وقد استشهدت بالحديث في النظر في الاسباب
والترقي منها الى مسببها فالامر كما ذكرت لكن ليست أسبابا هي
ظلمات ثلاث بل هي أسباب نورية يستدل بها على منورها ، فمعرفة
النفس مقام محمود وهو مقام المقربين الذين يمزج من شرابهم
الصرف لاصحاب اليمين ، فالمقرب من عرف نفسه موحدا لربه ،
وها هنا نظر لا يسلم منه الا من سلم من رعونات البشر والحظوظ
النفسانية ، ويمكن الارتفاع الى من عرف نفسه موحدا لربه ، وقد من
الله سبحانه بعلوم جليلة ربانية محمدية يعضدهما الشرع ، ويشهد لها

(١) كذا في النسخ ولعل الصواب « زلت » .

العقل السليم الجامع بين الاصل والفرع ، كالجمع والافتراق ،
 وخرق السبع الطباق ، وحقيقة البرزخين ، وما اشتملت عليه أرحام
 الانثيين ، والترقى من الاين الى حيث لا أين ، وكيفية الارواح
 والاشباح ، وسكون الليل وانفلاق الصباح ، واختلاف اللسن
 والاصوات ، ومنطق كل شئ وعجائب الايات ، الى غير ذلك مما
 لم يلف قط مسطورا ، وقد اضمحل الوجود وبطل دعواه ، وبرز
 المكنون على كل شئ ، كلا بل هو الله ، وأعرب بلسان ناطق فصيح
 غمزا أو رمزا ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ،
 (كامل) :

بل لو ترانا والاحبة يننا لرأيت غزلاتا تصيد سباعا

بل لو ترى تلك البقاع وحسنا لظلمت بالحسن البديع مراعا

كذا وقع مراعا وفعله ثلاثي فانما هو مروع :

حبي طباع واصطباري كلفة وأرى التكلف لا يزيل طباعا

وكثيرا ما يشير الى مطالعة كتب حرم الوقوف عليها عقلا وشرعا
 ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، من يطعم الرسول فقد أطاع الله
 وكفى بهذا جمعا ، والحنيفية السمحة قد أشرق سراجها وغر نورها
 وقهر سلطانها كل أشوس عاتى القلب ليس له تحقيق أهل الوصول ،
 ولا تدقيق أهل الاصول ، الهمج الرعاع ، الذين هم لكل ناعق اتباع ،
 قد أوثق الفى عقولهم قهم في ريبهم يترددون ، أفنى معرفتى ، أرى الشر

من ذوى النباهة قريبا ، و كانى بسيدى يقول شب عمرو عن الطوق ،
وما أحوجه فى حقيقة الشرع وحالة التصوف الى شىء من الذوق ،
وأعلم أنه لا تظهر حالة حسنة الا ببلازمة أصل صحيح ، فان كنت
ممن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وأنا اب الى الله بقلب سليم فما أنا
أقبل قدميك ، متبع ما يوحى اليك ، والا فاطو عنى طومار الهذيان
ولا تقعق لي بالشنان ، « يا أبت انى قد جاءنى من المعلم ما لم ياتك
فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ، يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من
الرحمن فتكون للشيطان وليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربى
انه كان بى حفيا ، (طويل) :

ولما استبان الصبح أدرج ضوءه^١ بأنواره أنوار ضوء الكواكب
أشرق فى الليل نور بهجته ولاح ، حتى أطفأ بشعاعه كل مصباح
(بسيط)

ما زلت انكر أيتامى وأعرفها حتى استبانت فلا يض ولا سود^٢
وجال بى فى بحار الكشف مخبىطا لا الكشف كشف (١) ولا الإبعاد تبعيد
جعلنا الله واياكم من الموحدين المتبعين ، ولا جعلنا من الملحدين
المبتدعين ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ،

(١) فى بعض النسخ و لا القرب قرب ،

وفى مياومة الفاضل البيهقي ما يتعلق بذكر طرة قال : « وفى هذه السنة يعنى سنة ست وثمانين وخمسمائة وصل الخبر بأن الميورقي حصر ياقوتا نائب قراقوش فى طرة حتى أخذ وأخذ من الغز الذين كانوا معه مائة فارس أضافهم الى جنده فأطبقت على طاعته العربان واستولى على بلاد الجريد » انتهى كلام الفاضل

وفى فصل من تاريخ ابن نخيل قال : « ولما وصل الناصر الى افريقية فى سنة احدى وستمائة خرج الميورقي من تونس ووصل بعسكره الى القيروان فأقام بها أياما ثم انتقل منها الى قفصة ومن قفصة الى جبل دمر ، وفى خلال تنقله الى تلك الجهات بلغه عن أهل طرة من اقليم نفزاوة ما غيرد عليهم فوصل اليها وقتلها حتى افتتحها ثم أطلق الجند عليها فقتلوا الرجال وانتهبوا الاموال واقتربوا الابكار ، وأخربوا المنازل والديار ، ووجد الميورقي بها رجلين من اجناد الموحدين كانا قاطنين بها منذ زمان ف ضرب رقابهما صبرا وترك طرة خاوية على عروشها وخرج من سلم من أهلها ففرقوا فى بلاد نفزاوة ، انتهى كلام ابن نخيل

ويوم حلولنا بطرة رفع شاعر نفزاوة المستقل برسم الادب فيها أبو بكر بن فتح الفمارى النفزاوى لمخدومنا قصيدة مطولة يمدحه بها وكتب الى بهذه الايات (سريع) :

يا أيها السيد والمستفاد جوهرة أحسد فيها العباد

خاطبت ذاك المجد أثناء ما رفعت للنولى الأجل المماذ
 وإن علي أنه صائر اليك تقريراً عن الاعتقاد
 لوجد قصاري عن رائد (١) خشية تنقل الكلام المماذ
 فقم بمذري وانتشق مسكة تسلم يعتد منك القماذ (٢)
 منتظراً عنه الجواب البذي أنا الثرى وهو انكباب المهاد
 مسافراً منه تزودت من رضا زاداً ماله من نقاد
 وأنت زودني مقيماً فلي من فضل سمي صالح خير زاد
 زادان ذا يعني لأدنى مدى وذاك يبقى ذخرة للمعاد
 ودم لعين الأدب المتقوى قرير عين قررة في السواد
 ولما ناولنيها رسوله ارتجلت له في الحال :

يانسة الروض سقته المهاد صوب حيا روى الربى والوهاد
 وحدقت أزهاره أعيننا مرادها رؤية ذاك المراد
 أنهي الى علي ابن فتح اذا بلفته عني السلام المماذ
 قولي لمن أفردت عليه مني بود صادق واعتق المماذ
 ان لم نكن قبل اجتماعنا فقد رآته قبل العين عين القواد

(١) كذا في النسخ التي بأيدينا
 (٢) كذا في نسخة وفي سائر النسخ بياض

وَجْهَ نَحْوِي رُقْمَةً بَرَّةً قَدْ نُظِّمْتُ نَظْمًا يَهْزُ الْجَمَادُ
 نَظْمٌ بَدِيعُ اللَّفْظِ مُسْتَحْكَمُ الْمَعْنَى شَدِيدُ الْأُسِّ سَهْلُ الْقِيَادِ
 قَرَّرَ فِيهِ بَيْنَنَا ذِمَّةً بَاقِيَةَ الرَّسْمِ لِيَوْمِ التَّنَادِ
 فَتَقَ بُوْدُ مَنْ أَخٍ مُخْلِصٍ يِرَاكُ أَسْنَى صَاحِبِ مُسْتَفَادِ
 وَهَآكُمَا مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَزَلْ يَهْمُ مِنْ حَبِّكَ فِي كُلِّ وَادِ
 مُشْتَغِلُ الْخَاطِرِ قَدْ قَسَمْتُ أَفْكَارَهُ أَيْدِي النَّوَى وَالْبِعَادِ
 مَا يَنْ تَحْنَانٍ إِلَى مَوْطِنٍ قَدْ طَوَّحْتَنِي عَنْ ذَرَاهِ الْبِلَادِ
 وَقَرَطِ وَجْدَ بَأْنَانٍ بِهِ مُحَضَّتُهُمْ مَنِي صَرِيحِ الْوَدَادِ
 وَابَقَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي عَزَّةٍ وَأَنْعَمَ لَيْسَ لَهَا مِنْ تَقَادِ
 مَا غَرَّدَتْ وَرَقَاءُ فِي أَيَّكَةٍ وَهَزَّتْ الرِّيحُ قَضِيْبَا فَمَادِ
 وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ جَوَابِي رَجَعَ إِلَى بَقُولِهِ :

أَرَا حَةَ غَيْبِ أَلِيمِ الْعَمَلِ أَمْ سِنَةٌ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ السَّهَادِ
 أَمْ فَجَاءَ الْوَصْلُ عَقِيبَ الْجَفَا أَمْ مُسْتَطَابُ الرِّيِّ بَعْدَ الْحَرَادِ
 أَمْ رُقْعَةٌ مَنَّنَ بِهَا سَيِّدٌ طَابَتْ بِهَا الْأَذْكَارُ فِي كُلِّ نَائِدِ
 أَشَقَرَنِي الْبُشْرَى وَحَسْبِي بِمَا قَرَّرَ مِنْ وُدٍّ وَحَسَنَ اعْتِقَادِ
 أَتَيْتَهَا النَّفْسُ اتِّكَالًا عَلَى مَنْ رَفَعَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ الشَّدَادِ

وفعل مؤلى شد ركن العلى مطر زاً أعلامها بالجهاد
 أيده الله بأيده الله فقل العوالي والسيوف الحداد
 وأنت يا أفضل من يرتجى لفضل سمي صالح مستفاد
 داركك الله بالطوافه مقرباً شملك بعد البهاد
 صابر لك الخير ضروب النوى واقطع مسافات الربى والوهاد
 فمن قليل سوف تُلقي الألى مخضتهم منك صريح الوداد
 قرير عين بالذي شئت من قرب وساد بعد (١) طول السهاد
 وفضل نغمى بزدها سابع ما انهل قطر فوق قطر وجاد
 وصل صلاة الله للمصطفى خير شفيع ضامن الخلد هاد
 وقد تعرض فى قصيدته التى رفع لمخدومنا الى ذكرى فقال فى
 فصل منها (كامل) :

هذا انتصاب المبدخفة ناقد أوذى معارف يستطيل ياني
 لاسيما ولديك جهنم نقدها والوبل من ثجاجها التيجاني
 الفاضل الفطن المجلى فى المسمى والاخلصل المختار خصل رهان
 بأبي محمد استقل رواؤها وشفى الروى منها صدى الظمان
 غواص لجتها ومخرج ما بها من لؤلؤ رطب ومن مرجان

ومقلد الاجيادِ كلَّ سِنَةٍ أَزِيتَ على الياقوت والعقيان
ولربّما أهدى إِلَيَّ جيل ما منه بظهر الغيب قد أولاني
فلما جعلنّ منّا غاني شكره وأسجلنّ فيه هموم غانسي
وأعوذ من باع ذوي قريحة خمدت بحكم طوارق الأزمان
ولما رأى ما لجوابي المتقدم من الحنين الى الوطن ، والتشوق الى
المسكن والسكن ، كتب الى بهذه الارجوزة المزدوجة مداعبا ومنبها
على حسن التوسط له (رجز) :

إِزْبًا بِنَفْسٍ حُرَّةٍ عَنْ ذِكْرِ مَا يَبْلِلُ الْبَالُ لِسُكَّانِ الْحِمَى
وَعَدَّ عَنْ رَقَّةٍ طَبَعَ عُذْرِي فَمَا لَذِي عَقْلٍ بِهِ مِنْ عَمْدٍ
وَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ بِالشَّهَامَةِ قَدِمَ بِهَا حَفَّتْ بِكَ الْكِرَامُ
وَاحْتَمَلَ الْقَسْوَةَ وَالْيَسَادَ وَأَهْنَاهَا مَا دَمْتُ فِي تَفْزَاوِهِ
طَبَعَ الْمَاءُ وَالسَّهْوَاءُ وَالْبَلَدُ لَسْتُ عَائِذًا بِقُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ
إِنِّ هِيَ إِلَّا سَفَرَةٌ تُسَفِّرُ عَنْ حَسَنِ عَقْبِي مَعَ وَفَرٍ يَفِرُ
لَوْ بَمَتَ فِي اثْنَائِهَا دِيَاكَا وَأَنْتَ ذُو مَلِكٍ وَمَا أُدْرَاكِكَ
بِجَلْسَةٍ بَيْنَ يَدَيَّ عَمَّادٍ وَقِيتَ فِيهَا أَعْيُنَ الْحُسَّادِ
وَنَظْرَةَ لَوَجْهِهِ مُشْتَقَّةً مِنْ نَظْرَةِ النِّعَمِ فَاعْلَمْ وَافَقَهُ

كنتَ على ما بعت منه رابحا فاضمنم على يقينك الجوانحا
زهر الجوم حاسدات موضعت إي والذي بفضلته قد رفعك
وأنت بالتميز جدد عالم بين الذي رأيت من عوالم
فاحكم بمقل راجع وفهم تجذك فزت بأجل سهم
فاشكر بزدك الله من إكرامه والحسب المرضني من إمامه
بأفضل الخملة والمراتب اضحى لك الخير ويمن راتب
صابر على التأويب والإدلاج ودائم الإلجام والإسراج
واقطع مداها فندفدا قندفدا واضع لحاد في مراعيها حدا
واشرب زلالا لا زعاقا آسن وعد عن تعيق كل ماجن
كذاك حتى تبصر المعالما من دار ترشيش صحيحا سالما
كبر هناك ساجدا لله سجد عبد حامد أوامه
واستقبل الأعراس والأفراحا وعاط من تهواهم الأقداحا
قريير عين باجتماع الشمل وأنس النوى بعد بطيب الوصل (١)
يا أسعد المولى العماد المحسن كهف بني الدنيا وحيد الزمن
أدام ذو العرش له السمودا وأرغم الشانثي والحسودا

(١) في نسخة « بعد النوى وأنس بطيب الوصل »

وخصَّ كلاً منه بالإنعام ما سبَّح الرعد من الغمام
إليه (١) أذا فضل العَمِيم ذَكَرَ مقامهم بعبدهم وقرَّرَ
فإنَّه يرتب الوعود مؤملاً جودهم المتبدياً
عاشهم أن يجيروا الكسيرا كان إليه لهم نصيراً
وأفضل الصلاة والتسليم على النبي المصطفى الكريم
وهذا الفقيه أبوبكر بن فتح له من الأدب ولطافة الشعر ما تراه
وهو ممن يستغرب وجوده في مثل تلك البقاع وله التقدم في حسن
الخط وهو انفراد فيه بطريقة اخترعها لم تعرف قط في أنواع الخط
المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه
وسياتي لهذا الرجل ذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى

فأقمنا بطرة يوم حلولنا بها، ويومين بعده، وارتحلنا عنها يوم
السبت الحادي والعشرين من فحللنا بظاهر بشرى (٢) وهي القاعدة
الثانية من إقليم نفزاوة وبين طرة اثنا عشر ميلاً أو نحوها
اجتزنا فيها قرى كثيرة منها قرية تعرف بـكليكل وقرية تعرف بـياسك
وقرية تعرف بـبنى يوسف وقرى سواها، ودخلت إلى بشرى فرأيت
قرية أضخم من جميع ما قبلها من قرى نفزاوة وبخارجها عين
تعرف بعين تاورغا أعظم اتساعاً من عين طرة وأقوى ماء إلا أن في

(١) في بعض النسخ «إياها»

(٢) ينطق اسمها اليوم بتشديد الشين بعد باء مكسورة

تلك حسنا ليس في هذه ، وبها سفرجل قل في جميع البقاع ما
يأظره أو يقرب منه طيب طعم وضخامة جرم وكثرة ماء وخلوص
صفا ، وليس يشبهه الا السفرجل الموجود بتاجورة من قرى طرابلس ،
وحدث عندهم في وقتنا هذا صنف من اصناف الكمثرى بديع
الشكل شهي الاكل قلما يوجد مثله طيبا وهم يضيفون الى الطير
جنسه ، اذ لم يتول احد منهم بتلك البلدة غرسه ، فاقمنا بها بقية شهر
رمضان واستهل شهر شوال بالاربعاء فاصبحنا يوم عيد الفطر فغدونا
الى المصلى ووصل خطيب البلد فصلى ثم اخذ في الخطبة فلم أر رجلا
افصح منه ولم اسمع ايضا مثل الخطبة التي خطب بها وكنت اتخيل
انها من انشاء ابي بكر بن فتح المتقدم الذكر فاخبرت انها من انشاء
بعض أهل توزر وسالت عن الخطيب فقل هو ابو عبد الله محمد بن
حيون من اهل نفاوة .

واصبحنا يوم الخميس متوجهين الى توزر فارتحلنا عن نفاوة ظهرا
مقربين لمرحلتنا من الغد وشرعنا في اول السبغة المعروفة بتاكمرت
فقطعنا سيرا منها وبتنا هناك على عين ماء قلما كان ثلث الليل الاخير
ارتحلنا واخذنا في اجتياز هذه السبغة فلم نزل نقطعها سرى وسيرا
الى الزوال من الغد وهو يوم الجمعة ، ووجدنا فيها معالم قائمة من
جذوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها السلوك بينا
وشمالا لان ما على يمينها وشمالها من الارض مغائض لا تثبت عليها

قدم ولا يسلكها احد جاهل بها الا غاص فيها ، قال البكرى فى المسالك (١) : « وقد هلكت فيها الجماعات والعساكر ممن دخلها ولم يدر امرها ، ثم كلامه . واذا غاص فيها احد التأمت الارض فى الحين وعادت كما كانت

واخبر مخدومنا قال : اخبرنى محمد بن ابراهيم بن جامع المرداسى قال سلكتها قافلة لنا فيها الف جمل فند بعير منها عن الطريق وتبعه باقى الابل فلم يكن أسرع من ان ساخت فى الارض وغاص فيها الف جمل ثم عادت الارض كما كانت وكان لم يكن لتلك الابل اثر ، وذكر ابو الحجاج مسير يوسف بن المنصور الى توزر فقال : وتمادى به السير الى الملاحة المجاورة لتوزر وهى من غرائب الدنيا التى اغفلها المؤرخون ، واهمل وصفها الاخباريون ، فانها اميال فى أميال سطحا واحدا كاللجين المسبوك ، او المرمر المحكوك ، يكاد ينفذه البصر لصفائه ، وكأنما هو غدير جمد بئائه ، قال : وآن وقت صلاة الصبح والناس يشرون فيها فصلوا منها على بساط من الكافور او سطح من البلور ، قال : ولما تمادى المشى فى هذه السبخة الى وسط النهار ، وتوالى عليها تكرار الحافر وتردد الاثار ، تخرق منها نحو مائة ذراع فيما يقرب من البر فكل ما تخلف من الحمولة والاثقال ابتلعت وساخت الجمال باحمالها فما اخرجت الا اشلاء بعد نحرها حيث ساخت فهلك بذلك جملة من الزاملة ، ورزح الظهر وذهب اكثر الحمولة . واما

انا فشاهدت الرجل يدفع سافلة الرمح فى الارض ويعتمد عليه الى
عاليته ولو ازداد دفعا لازداد نزولا فاذا جذبته عادت الارض الى
حالتها الاولى، ووجدنا كثيرا من تلك المعالم قد سقطت وابعدت الريح
عن مكانه وتحت كثير منها عظام هنالك من الناس والى جانب
عمود منها امرأة قد ضمت يدها على طفلة فماتتا معا ويذكرون انها
غاضبت زوجها بنفزاوة وحلفت ان لا تبيت يوما ذلك الا بتوزر، او
غاضبه بتوزر وحلفت ان لا تبيت الا بنفزاوة وخرجت من حينها
هى وابنتها فماتتا فى طريقهما .

ومن العجب ان هذه السبخة لا يمكن ان يشرب بها ماء عذب فان
الماء اذا استصحب فيها عاد بهوائها ملحا اجاجا على طبعها ، وقد
أحسن من قال وانشد فيه لنفسه الفقيه الفاضل ابو ابراهيم بن
حسينة يصف هذه السبخة وما لقيناه فى قطعها (وافر) :

قطنا التاكمرت سُرَى وسِرنا صبيحةً يومنا حتى الزوال
فلا تسأل لما قاسيت فيه من الاهوال والكرب الثقال
غناء ليس يشبهه غناء يضيق لديه متسع المقال
وليل لا تسير به نجوم كأن نبطت إلى بعض الجبال
وأرياح تصم الاذن منها تهب عن اليمين مع الشمال
نصد عن طريق القصد قصدي وتضرب حروجهي بالرمال

ولا أنْطِيع فتح العين فيها ليعض الامر إلا باحتيال
وأجهد في دفاع النوم غني لخوفي من سقوط أو ضلال
وما زلنا نكابد في سُرانا مهالك لا تُقابل بالمِحَال
إلى أن لاحت الغابات ظُهرا بظاهر توزر مثل الخيال
فهنأ بعضنا بعضا سرورا وولنا راحة بعد الكلال
فلما وصلت الى توزر رأيت بلدا خارجه يجمع الحسن ويستوفيه ،
وداخله يصدق ما قال ابن زنون فيه ، وأشعار أبي عبد الله محمد
ابن زنون أشهر من ان تذكر .

وتوزر هي قاعدة البلاد الجريدية وليس في بلاد الجريد غابة أكبر
منها ولا أكثر مياهها ، وأصل مياهها من عيون تتبع من الرمل
وتجتمع خارج البلد في واد متسع وتشعب منه جداول كثيرة ،
وتتفرع عن كل جدول منها مذانب يقسمونها بينهم على أملاك لهم
مقررة مقاسم من المياه معروفة ، ولهم على قسمها أمناء من ذوى
الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم
في ذلك معروف ، وأمر مقرر مألوف ، وعلى ذلك الماء أرحاء
كثيرة منصوبة ، ومن العجب أن هذا الوادى يحتل ما يحتل من
غناء أو غيره فاذا انتهى الى المقسم افرق هنالك أجزاء بالسوية على
عدد المسارب فمضى كل قسم منها الى مسرب منها ، وهذا مما

شاهدته فيها عيانا. وكثير من أهلها انما يسكنون بغابتها ولا مناسبة
بين مباني الغابة ومباني داخل البلد فان مباني الغابة اضخم وأحسن .
وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع
يعرفونه ببَابِ الْمُنْشَرِ وهو من أحسن المتفرجات لان مجتمع الماء
هنالك ومنه يتفرع كما تقدم ، ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك
من الثياب الملونة والامتعة الموشية ما يعمه على كبره فيخيل للناظر
أنه روض تفتحت أزهاره ، واطردت أنهاره ، وليس بتوزر أحسن
من هذا الموضع وهو خارج عن غابتها ، والغابة ملاصقة لسور المدينة
فهى بذلك تمت حصانتها ، وقد وصفها بعض شعرائها فقال من
قصيدة طويلة رتبها على حسب ما اخترت منها : (كامل) :
زُرْ تَوَزْرًا إِنْ شِئْتَ رَوْضَةً (١) جَنَّةً

تَجْرِي بِهَا مِنْ تَحْتِكَ الْأَنْهَارُ
نَهْرٌ عَلَى رَمْلٍ يَسِيرُ كَأَنَّهُ وَرَقٌ يُمَاعُ عَلَى النُّضَارِ يُمَارُ (٢)
أَبًا وَفَاكِهِ حَوْتٍ وَحَدَائِقًا غُلْبًا تَفَرِّدُ فَوْقَهَا الْأَطْيَارُ
جَنَاتُهَا مِثْلُ الْجَنَانِ فَأَرْضُهَا مَسْكٌ وَنَشْرٌ تَسِيْمُهَا مِعْطَارُ
دَوْحٌ يَرْفُ وَمَنْظَرٌ يَسْبِي النُّهَى وَبُرُودٌ رَوْضٌ وَشَيْهَاءُ الْأَزْهَارُ
وَمَذَانِبٌ مِثْلُ الْقَوَاضِبِ جُرِّدَتْ خَلَعَتْ عَلَيْهَا لَوْنُهَا الْأَشْجَارُ

(١) فى بعض النسخ « رَوْيَةً »

(٢) فى بعض النسخ « رَقَّةٌ تُمَاعُ عَلَى النُّضَارِ تُمَارُ »

وتناثرت مثل الدراهم فوقها أنوارها فتضاعفت أنوارُ
وَإِذَا يَهَبُ نَسِيمُهَا ذَاعَتْ بِهِ مِنْ نَشْرِ أَزْهَارِ لَهَا أَسْرَارُ
وَالنَّخْلُ مِثْلُ عِرَاشٍ مَجْلُوءَةٍ تُبْدِي بَدِيعَ حَلِيِّهَا الْأَطْوَارُ
وَإِذَا هَزَزْتَ بِجَذْعِهِنَّ تَسَاقَطَتْ رَطْبًا جَنِيًّا ثَرَهِنَّ نُشَارُ
قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ أَشْرَقَ حَسَنُهُ فَكَأَنَّمَا اللَّيْلُ الْبَهِيمُ نَهَارُ
كَمْ فِيهِ مِنْ مَعْنَى جَمِيلٍ رَائِقٍ تَصْبُو لِرُؤْيَا حَسَنِهِ الْأَبْصَارُ
كَمَلَتْ مَحَاسِنُهُ وَطَابَ حَدِيثُهُ فَبَذَكَرَهُ تَتَزَيَّنُّ الْأَسْمَارُ
يَا أَيُّهَا الثَّائِي بِهِ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ حَوَتْهُ الدَّارُ
لَا تَصْبُونُ إِلَى سِوَاهُ فَإِنَّهُ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا هَدًى وَمَنَارُ
هِيَ (١) جَنَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ مَخْفُوفَةً بِمَكَارِهِ هِيَ لِلْقُلُوبِ سُمَارُ
يَا جَنَّةَ لَوْلَا شَوَائِبُ صَفْوَاهَا تَمُّ النِّعَمِ بِهَا وَعِزُّ الْجَارُ
أَيَّامُنَا مَصْفُوفَةٌ اطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ

وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية قبل الفتح
الاسلامى وكذلك أكثر بلاد الجريد لانهم فى حين دخول
المسلمين أسلموا على أموالهم ، وفيهم قوم من العرب الذين سكنوها
بعد الافتتاح ، وفيها أيضا من البربر الذين دخلوها فى قديم الزمان

(١) فى نسخة دمر ،

عند خروجهم من بلادهم فان بلاد البربر انما كانت أرض فلسطين وما جاورها من بلاد الشام وكان ملكهم جالوت المذكور في القرآن فلما قتله داود عليه السلام تفرقوا في البلاد وتوجه أكثرهم الى افريقية وبلاد المغرب وكانت افريقية للروم فأجلتهم العرب البرابر عنها الى جزائر البحر كصقلية وغيرها ، ثم تراجعت الروم الى بلادها على مودة وصلاح مع البربر فاخترت البربر سكنى الجبال والرمال وأطراف البلاد وصارت الروم الى البلدان والعناصر حتى جاء الاسلام وافتتحت البلاد ففر جميع من فيها الا من أسلم أو أدى الجزية كأهل الجريد هؤلاء ، وقد اشتهر عنهم ما اشتهر من بيع فضلاتهم وهم يعيرون بذلك كما يعير أهل فابس ويعير هؤلاء ايضا بأكل لحوم الكلاب ، ولم أر منهم الا مقرا بأكلها مستطيا للحمها وقديما ما هجى من هجى بأكل لحوم الكلاب

وممن اشتهر بذلك من قبائل العرب بنو أسد ثم بنو قعس منهم فقد قال الفرزدق (١). (طويل) :

إذا أسديّ جاع يوما ببلدة وكان سينا كلبه فهو آكٍ ،
وقال مساور بن هند (٢) (وافر) :

إذا أسديّة ولدت غلاما فبشرها بلؤم في الغلام
يخرّسها نساء بني دُير بأخبث ما يكون من الطعام

(١) راجع كتاب البخلاء للجاحظ (طبع ليدن) ص ٢٥٩
(٢) راجع كتاب البخلاء ص ٢٥٩ وكتاب الحيوان للجاحظ ج ١ - ص ١٢٨ - ١٢٩

ترى أظفار أعقَد مُلَقَّيَاتٍ برائثها على وَضَمَ الثَّمامِ
يخرسها أى يجعلن لها الحرس - بضم الحاء المعجمة وسكون الراء -
هو طعام الولادة ، وقال مساور بن هند أيضا (١) (طويل) :

بني أسدان تُنَحِّلُ العامَ ففَقَسُ فَمَذا إِذَن دهرُ الكلابِ وعامُها
وقال حسان بن ثابت يذكر هذيلًا ويعيرهم بأكل لحوم الكلاب
ولحوم الناس (٢) (بسيط) :

إِنَّ سِرَّكَ الغدرَ صرفًا لا مزاجَ له فائت الرَجِيعَ وسل عن دارِ الحِيانِ
قومَ تواصوا باكلِ الجارِ ينهم فالكلب والشاة والإنسانَ سِيَّانِ
وليس يوقف لوقت بناء توزر على تحقيق لقدم العهد فى ذلك
وبعض المؤرخين يقول ان بناءها كان باثر طوفان نوح عليه السلام
وكان افتتاحها صلحا فى أول الاسلام على يدى حسان بن النعمان
سنة تسع وسبعين وذلك بعد غوده من برقة بالمدد الذى أمد به
عبد الملك على ما قدمنا ذكره عند ذكر الاجم، ووقع فى تاريخ نسب
الى الامام الحافظ أبى الطاهر السلفى أن افتتاح توزر كان على يد عقبة
ابن نافع القرشى وذلك غريب لان ولاية عقبة بن نافع على إفريقية
سنة ست وأربعين فان صح هذا الذى ذكر أبو الطاهر فيكون افتتاحها
فى زمن معاوية بن أبى سفيان وعلى القول الاول يكون افتتاحها فى

(١) راجع كتاب البخلاء ص ٢٥٩
(٢) راجع ديوان حسان بن ثابت (طبع تونس) ص ١٠١ وكتاب البخلاء ص ٢٦٠ وكتاب
الميسوان ج ١ ص ١٢٩

زمن عبد الملك كما تقدم ، ويحتل أن تكون فتحت أولا في زمن
عقبة ثم انتقضت كما انتقضت افريقية فافتحت ثانيا في زمن حسان ،
وأما ما يدل على أنها افتتحت صلحا فبقاء كنائس النصارى بها خرابا
الى زماننا هذا لم يتصرف فيها وأن المسلمين بنوا بازاء كل كنيسة
منها مسجدا (١)

وقد كان على بن اسحاق الميورقي نزل عليها هو وأخوه يحيى
فحاصراها مدة وقطعا غابتها ولولا المخامرة من أهلها لما تمكنا
منها ، ولما افتتحها سالما أهلها الذين باطنوها على فتحها
واستصفيا أموال الآخرين ثم ألزمهم بعد ذلك أموالا أخرى
يفقدون أنفسهم بها ، فكان الرجل منهم ينادى عليه فان وجد من
يفديه أطلق والا رمى بعد قتله في بئر هناك يسمونها بئر الشهداء
أضيفت الى هؤلاء الذين رموا بها ، وكان هذا بعد فرارهما من بجاية
عند وصول جيش المنصور اليها سنة اثنين وثمانين وخمسائة . ولما
بلغ المنصور ما فعلا في توزر أنفذ ابن عمه يعقوب بن أبي حفص
ابن عبد المؤمن اليهما فكانت للموارقة عليه الوقعة المعروفة « بوقعة
عمره » فتحرك المنصور بنفسه وأوقع بهم الوقعة المشهورة بظاهر
حمة مطماطة وقد تقدم ذكرها عند ذكر الحمة وتبعهم الى توزر
فتوغلوا في صحرائها فرجع عنهم وقدر أن مات على بعد ذلك على
توزر جاءه سهم في ترقوته فمات منه

(١) هذا كلام ابن النسيب بعينه في شرحه على القعدة الشقراطية

والاشهر في اسمها توزر بفتح التاء وبمض الناس يضبطها بالضم
ولا وجه لذلك فان المستند في اختيار الضم الى مذهب من رأى أن
الالفاظ الاعجية في أى وزن كانت تحكى على ما وقعت في
كلامهم ولا يغير منها الا ما غيرته العرب، وأما على مذهب من رأى
أنها ان لم توافق وزنا من أوزان العرب غيرت ونقلت الى أقرب
ذلك منها (١)، وأرض توزر في وقتنا هذا من العرب لبنى مرداس
وقد تقدم أن رئاسة مرداس في بنى جامع منهم وهم أشهر عرب
افريقية قدما ورئاسة وقد ذكرنا قبل هذا ملكهم لقابس وأشرنا الى
بعض أخبارهم

فضربنا الاخوية حين وصولنا الى توزر بخارج البلد من جهة
مصلاه وهو مصلى كبير يحدق به حائط مرتفع وأقام الجيش هنالك
ودخلنا نحن مع مخدومنا الى روضة بغابتها لرئيس البلد أبى العباس
ابن يملول من اجل روضة هنالك وأحسنه (٢) فأقمنا هنالك الى أن
قبض قطيعهم ، وتساوى في الاداء مستعهم ومطيعهم .

وزرت بقربة من هذا المصلى مقبرة الفقيه أبى محمد بن يعقوب رحمه
الله وهى بدار أعدت لهم هنالك لدفن من يموت من الغرباء ذوى
الاحطار ومعه فيها جماعة سواه ، ورأيت قبر الفقيه أبى محمد فى

(١) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا ولا يخفى ما فى النظم من التركيب مع اضطراب
المبارة وعدم ارتباط صحيح

(٢) كذا فى جميع النسخ

حجر بيت صغير (١) وكتب عند رأسه تاريخ وفاته وذلك السابع من شهر جمادى الاخرى عام اثنين وسبعمئة

وفى أثناء اقامتنا بتوزر وصلت الى قصيدة من الفقيه الاجل الاديب أبى بكر محمد بن أحمد بن شبرين الجذامى السبتي من مستقره غرناطة، وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقا، وأحسنه فى النظم والنثر طريقا، وقد كنت اجتمعت به بتونس ووصل الينا فى الخامس لذي القعدة من عام ثلاثة وسبعمئة، وكان فى نيته التوجه الى الحج فلم يقض له ذلك فأقام بتونس مدة ثم ارتحل عنها عائدا الى وطنه سبته، وكان رحيله فى التاسع عشر من شهر المحرم مفتوح عام أربعة وسبعمئة فاتفق بعد وصوله الى بلاده من أخذ البلد ما اتفق، وطرق أهله من التشتيت بسبب ذلك ما طرق، فكان هو وأبوه ممن انتقل الى غرناطة فتخطط هنالك بكتابة الرئيس الوزير أبى عبد الله ابن الحكيم الرندى وبعث الى هذه القصيدة لتونس معرفا بذلك، فوجهت اليه من تونس من المخاطبة والمجاوبة ما ملا سفره جمعتة وسميته «نفحات السرين»، فى مخاطبة ابن شبرين،، ونص قصيدته هذه (كامل):

ما ذا على صوب الحيا المتجسس لو جاد رسيا بالكثيب الأوعس
إيه على الحني الذين تحملوا والشوق يتبعهم ذماء (٢) الأنفس

(١) وفى بعض النسخ «قد حجر فى بيت صغير» وفى بعضها «فى بيت صغير حجر»
(٢) فى جميع النسخ «ذماء» بالدال المهملة

من كَلَّ أَغْلَبَ مَخْرِزَ خَصَلِ الْعَلَى يَوْمَ الرِّهَانِ وَكَلَّ أَشْنَبَ الْعَسْرِ
 لَا يُوحِشُ اللَّهُ الْمَنَازِلَ بِالْحِمَى وَسَقَى عَهْدَ الْغَانِيَاتِ الْأُنْسِ
 سَقَا وَتَكْرَمَ لَمَّا اسْلَفَتْ مِنْ عِيدَ بَذَاتِ الرِّقْمَتَيْنِ مَقْدَسِ
 وَلَئِنْ نَسِيتَ فَلَسْتُ أَنْسَى جِيرَةَ رَاضِعَتُهُمْ دَرَّ الْمُنَى فِي تُونَسِ
 هِيَهَاتَ مَا إِنْ شَاقَّنِي بَعْدَ النَّوَى زَمَنْ تَصَرَّمُ (١) لِلظَّبَاءِ الْكُنُوسِ
 لَكِنْ تَذَكَّرْ سَادَةَ قَدْ أَنْطَقُوا بِصِفَاتِ مَجْدِهِمْ لِسَانَ الْأُخْرَسِ
 يَا نَسْمَةَ سَحَبَتْ فَضُولَ ذِيُولِهَا مَا يَنْ وَرَدَ بِالْعَذِيبِ وَنَرْجَسِ
 وَالْوُرُقُ قَدْ صَدَحَتْ عَلَى أَفْنَانِهَا وَالْأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ ثِيَابَ السُّنْدُسِ
 حَطَّيْ رِحَالَ تَحِيَّتِي فِي مَعْهَدِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْهُ عَهْدٌ مَا نُسِي
 وَالْحَيَّ مِنْ تَيْجَانٍ (٢) فَاشْرَحْ عَنْدهُمْ فَرَطَ اشْتِيَاقِي نَحْوَ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ
 وَإِذَا هُمْ سَأَلُوكَ فَادْكُرْ أَنَّنِي قَدْ لُذْتُ بِالْعَزِّ الْمَكِينِ الْإِقْمَسِ
 وَحَلَلْتُ سَاحَةَ مَا جَدَّ مِنْهَلَّلِ مَنْ يَعْتَصِمُ بِعَلَاهُ يُحْنَمُ وَيُخْرَسِ
 لَا بِنَ الْحَكِيمِ مَا ثَرَّ مَا زَالَ بِالْـسَّلَفِ الْكَرِيمِ الْأَصْلَ فِيهِ تَأْتِسِي
 آنَسْتُ نَارَ الْجُودِ مِنْ نَادِيهِ فِي لَيْلِ الشُّجُونِ فَكُنْتُ أَسْعَدَ مَوْنِسِ
 أَوْ لَا تَأْتِي (٣) نَوْرَ تِلْكَ النَّارِ مِنْ نَادِيهِ طَالَ تَخْبِطِي فِي الْحِنْدِسِ

(١) وفي بعض النسخ « التصرم »

(٢) في بعض النسخ « تيجان »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « تالو » أو « تلالو »

يا ليت قومي يعلمون بأنني في دوحة العلياء طاب ممرسي
أأبا محمد العزيز وإنني لدعاء ود في علاك مؤنسي
لله درك من يبلغ لابس من حلة الآداب أسبغ ملبس
حاشاك أن تنسى على شحط المدى عهداً نقى العرض غير مدنس
دغني أسد من حديد ملامتي سهماً يفوت المرسلات من القسي
هل أنت ذو علم بما أصبحت من كأس الشجون لأجل بعدك أحسي
ما زلت مذ نرحت ديارك أسأل السرُكبان بين مهجر ومغلس
أوحشت من سحر البلاغة محضري ولقد عهدتك في القديم مؤنسي
أبديت لي هجراً بغير جناية والهجر منك بخاطري لم يهجن
وأنا الذي ما زلت أحمضك الهوى وأمت بالحب الزكي المفسر
أسقى حسود يننا فاستشمرت عليك من جرّاي خيفة (١) مدنس
لا تخفون ذمام إخلاصي فقد أظفرت بالذخر الخطير الأنفس
إن لم تحرّك لي قوادك هذه نضرب على الود القديم ونياش
أستغفر الرحمن لا أنساك ما لم أظن في شق الضريع وأزمن
يا معلمين (٢) من البدائع أكوّسا عاطوا غريب الدار فضل الاكوّس

(١) في بعض النسخ « خيفة »
(٢) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا وفي الحلل السندسية « يا معلمين »

وتعطفوا برسائل من نحوكم تأتي بإحسان على العبد المُسي
وإذا سرت من نحوكم نجيّة تهدي نسيم المسك عند تنفس
فلتبشوا للمستهمام تحية تُدني مسراتي وتذهب أبؤسي
لا زلتُم تلقون في أطواركم عزّا تدين لديه شوس الارؤس

واتصل بهذه القصيدة من الكتب : « سيدى دامت سعودك ،
وحرس لاهياء الاجادة وجودك ، ان فوقت سهام العتب ، فلضتتك
بالكتب ، وان أملت باللام ، فلابطاء بلاغ السلام ، فقد استجالت
فيما أظن عندك الاحوال ، وجفتنا أنباؤك ثلاثين شهرا فى ثلاثة
أحوال ، حتى كأنك تعرفت بعدي ، ما أحالك عن عهدى ، وتلقيت
من أنبائي ، ما صرفك عن ولائى ، وقد أكثرت بالمخاطبات ، وأثقلت
بالمراسلات ، ظهور الواخداث ، فما روجعت بحرف ، بل عبت
مودتى على حرف ، واتخذت نسيا منسيا ، ونبتت فى الظاهر ولا
أقول فى الباطن ظهريا ، ومع هذا فلا أشك أن عند سيدى أعزده الله
علما بما جرت به أحكام الليالى ، وتشوفا الى تعرف ما تريد (١)
من خاصيتى فى حالى ، فقد خلبت الدهر فى هذه الحادثة أشطره ،
وخبرت الناس فى حالى العسرة والميسرة ، الى أن اقتادنى السعد
بزمام ، وأحلتنى الامل النائي بمشوى امام يا له من امام ، حيث الامير

(١) وفى نسخة « ما تزيد فى خاصيتى من حالى »

المؤيد (١) العالى مرفوع مناره ، واضحة للسالكين آثاره ، والسيادة
الوزيرية ، الحكمة العلمية ، ملتقى الامال ، ومحط الرجال ، وناسخة
أحكام الادبار بالاقبال ، فهناك أضاءت لى البركات ليلى المدلهم ،
ونادت بى المكرمات ألا هلم الا هلم ، لا زال هذا الامير (٢) العزيز
مقصودا منصورا ، بالغاً من آماله الشريفة ما يقر من المؤمنين أعينا
ويشرح منهم صدورا ، والسلام ،

وقد كتم الفقيه أبوبكر فى هذا الكتاب خبر أخذ بلده وطواه ،
وأوماً فيه اليه اكتفاء بما بين فى سواه ، فقد كان كتب الى قبله
كتابا يصف فيه ذلك وكان صدره بهذه الايات (منسرح) :

يا أيتها الراكب الذي طلعا	لقيت مستوطناً ومنتجعاً
انزل وحدّث بما تشاء فقد	وجدتني للحديث مستمعاً
لعلّ في مقتضى حديثك من	أنباء ما قد وددته لُمعاً
أستودعُ الله لا أقول هوى	قطّع قلبي بصّده قطعاً
لكن صديق حمّد خلّته	لذن شربنا كأس الصفاء معاً
من غير ما خانة (٣) له خلّق	على المعالي مزاجها طبعاً
أنعم صباحاً على البعاد أبا	محَمَّد لا برحت مصطنعاً

(١) وفى بعض النسخ « الامر المديد »

(٢) وفى بعض النسخ « الامر »

(٣) فى بعض النسخ « من غير نخانة »

واحفظ فؤادي لديك إني قد تركته في حماك منقطعاً
أما ودادي الذي علمت به فإنّه في الضمير قد ربعا
لولا ولا، ظفرتُ منك به لكنتُ أشدو بتونس جرّعا
« وارجنتاً للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه ضمعا »
فصدرت الجواب عن كتابه هذا بقولي ، وأشارت الى بسط
القضية :

حدث عن الحادث الذي وقعا
وهالك (١) ما قد سمعت منه وإن
هل معهد الأنس كيف كان فقد
وهل حمى العز فيه محترم
وأين ناس هناك أعهدُهم
من كل طلق الدين مبسم
تلفيه كالنجم رفعة وسناً
باكراًهم حادثٌ ففرّقهم
وجرّ عدوانه فجرّعهم
يألت شعري وفي المنى سعة
تلف مصيخاً إليك مستمعا
تركت قلبي بذاك منصدا
عهدته للكمال مجتمعا
أم سلب العز منه وانتزعا
على المعالي جميعهم طبعاً
أرضع درّ السماح فارتضعا
لا بل كبدر الدجى إذا طلعا
وأذهب الناس والبلاد معاً
به من الهمم والأسى جرّعا
إن أبقت الحادثات مستمعا

هل يُرجع الدهرُ ماضى فلکم
أم لا يرى عائدا فوا أسفي
هيئات تَمّ القضاء وارتفعت
فلست ممّا طلبت عودته
عهدي بهم والشجون تُقلقهم
منشرا في البلاد نظهم

قد عاد من ذاهب وكم رجعا
على زمان ماضى ووا جزعا
مطامع النفس عند ما ارتفعما
أول من في الحال قد طمعما
لا جنب منهم يزور مضطجعا

يا من رأى (١) السلك بعد ما انقطعما
امر من الله لا عمرء له
لم يُبق كهلا منهم ولا يفعما
وخدعة تَمّ امرها فنضت
وكم سديد الآراء قد خدعما
هناك سلامي على البعد ابا
بكر قلبي (٢) إليك قد نزعا
وثق بوّد ادين فيك به
ملتزما منه كلّ ما شرعما
إن حال خلّ عن المودة او
اجاب داعي السلسو حين دعما
متعن رأى حفظ عهده ورعا
فاعلم بانّي والصدق من سيمي
ما زلت للشكر فيك منقطعما
وانني ما قطعت ذكرى بل
قد ظاف باليت نحوها وسمي

(١) في نسخة « زاء »

(٢) وفي بعض النسخ « بقلب »

ما طاب لي بعدك البقاء ولا وجدت لي في الحياة منتفعًا
وكتبت أيضا من توزر للشيخ المكرم أبي محمد عبد الواحد بن
أبي يغمور الهتاتى وهو بنفزاوة كتابا صدرته بهذه الايات :
(بسيط) :

يا نسمة صدرت عن روضة ظهرت في بزد رقم وشته السحب منشور
فكلما يمت في سيرها جهة مرت بذيل على الأزهار مجرور
أنهى اشتياقي وتسليمي لمجد أبي محمد بن أبي زيد بن يغمور
وأعليه بما يطوي الضير له من اعتقاد وتعظيم وتوقير
وأبني بين قلب للوداد له مفرغ وفم للشكر مقصور
وقرري ذاك تقريراً أثبتته ولست فيه بمحتاج لتقرير
لا زال في نعم موصولة وعلاً باق وحظ من الإسعاد موفور
وأكثر الفقيه الطيب الفاضل أبو ابراهيم بن حسينة في هذه
الايام من مخاطبتى بالنظم والنثر فى أغراض شتى وأنحاء تأتى على
حسب ما اتفق وأنا أحياه عن ذلك كله وأكثر ذلك ضاع منى
وأذكر منه الآن قوله (وافر) :

أعبد الله فقت ذوى المعالي حباك الله أيّاماً سعيدة

ونلت منال آباء كرام لهم في المجد آثار حميدة

أردت إليك إرسالاً بشعر
فإنك مستمد من بحور
فإن جاوبت عن نظم بنظم
فلا أبقى لأطاب منك نظماً
لأسمع من جوابك لي مديده
سواحلها غدت مني بعيدة
بعثتُ بقطعة أيضاً جديده
ولا أبقى تطلب لي قصيده

فأجبت عن ذلك (وافر) :

أحرز كل منقبة حميده
أعنت على النظام بحسن طبع
وتسألني الجواب وإن فكري
فمهّد لي على التقصير عذرا
ومن لم نلف في الدنيا نديده
وأفكار مؤيدة سديده
ليقصر عن مجاريك المديده
وهوّن من مطالبك الشديده
ودم في عزّة وبلوغ قصد
وسعد دائم وعلا جديده

ثم ارتحلنا عن توزر يوم الجمعة السابع عشره شوال عائدين لقابس
بعد ان تم قبض مجابى جميع البلاد الجريدية (١) بالمباشرة فيما دخلناه
منها وبالتوجيه فيما لم ندخله، فكانت مدة الاقامة بتوزر خمسة عشر
يوماً وكان الرجل عنها باثر حضور الجمعة بجامعة فقرّبنا ليلتنا
تلك لمرحلتنا من الغد سالكين في أول النسخة المعروفة بتاكمرت
حسبما فعلنا فيها اولاً ، وبتنا على غير ماء ثم هيينا (٢) لسلوكها ثلث

(١) في بعض النسخ « قبض جميع مجابى البلاد الخ »

(٢) في بعض النسخ « شرعنا »

الليل الاخير فلم نزل نحف بأيدي المطايا ، ونعد ذلك ان شاء الله
تكفيرا لما ارتكبنا من الخطايا ، الى عصر الغد وكانت هذه الخطرة
أشد من الاولى نصبا ، وكأنما كانت دبورا وتلك بالنسبة الى هذه
صبا ، ولما حللنا بمنزل بشرى من خطرنا الثانية اليه حاول جميع
الجيش أن يقيموا خباء لمخدومنا ولانفسهم فلم يستطيعوا لقوة الريح
فتفرق الناس ودخل أكثرهم الى البلدة ولم يضرب في ذلك اليوم
خباء لاحد من الناس ، ونزلنا نحن بجنة من جناتها أمكننا فيها ضرب
الاخية بسبب ما يسد الريح من الثمار التي تكتفنا ، فبتنا تلك الليلة
هنالك وأصبحنا من الغد فاشتد عصف الريح حتى أيسنا الحياة
بابتعاد ، (١) واستعدنا الله من قتلة عاد ، وقصفت الريح في ذلك
اليوم من البساتين التي تكتفنا نحو عشرين نخلة فانجرفت في
الارض ولم يتأذ بها أحد من الناس

ووصل الينا بهذا المنزل الفقيه الاجل أبوبكر بن فتح المتقدم
الذكر من مستقره طرة بسبب وعد باحسان كنت وعادته اياه عن
مخدومنا فيينا أنا بداخل هذه الجنة وذلك يوم الاثنين اذ دفع الى
بوابها براءة ففتحها فاذا فيها (متقارب) :

لِقَاؤُكَ فَحٌّ فَهَلْ لَابَنهُ وَقَدْ حَلَّ بِابِكَ إِذْنٌ كَرِيمٌ
فَخُذْ مِنْهُ فَأَلَا بِمَقْلُوبِهِ تَفَاوُلَ كُلِّ حَسُودٍ رَجِيمٍ (٢)

(١) في نسخة « باستبعاد »

(٢) يعنى « حنن »

فخرجت اليه بنفسى وأدخلته وذلك أول اجتماعى به ، فرأيت شيخا ظريف المنزع حلو المحاورة لطيف الاشارة مستغرب وجوده فى مثل تلك البقاع فتأنست بهذا كرتة تلك العشية ، وطلب منى رؤية مخدومنا فلم تمكن تلك الليلة بسبب مرض كان يشكو به فواعدته من الغد وأمرت البواب أن يعرفنى به اذا وصل وأصبحنا يوم الثلاثاء ، فلما كان عشية هذا اليوم دفع الى أحد المتصرفين براءة من الفقيه أبى بكر بن فتح فاذا فيها هذه الايات (وافر) :

وقفتُ باب عز لا يسامى	ملياً وقفة الرجل الذليل
لوعد كان منه قر عيني	جميل جاء عن سغى جميل
وكان القصد تسليمي على من	إليه قطعت ميلا بعد ميل
على كبر وضعف أنت تدري	بما عاينت منه ومن نحول
وما آليت عند الباب جهداً	مُعِيناً للملاطف والسُّؤُول
فأبدى الوازعون هناك نَجْهاً	وقالوا ما لقصدك من سيل

فرختُ وُقِيتَ حالي نِست ادري

دبيري ما أَيْسَمُ أم قبيلي

وها أنا قد عزمت على انطلاقي

تركتهم على قدم الترجي

وكلُّ مَدَسالفة التليل (١)

(١) فى نسخة « وكل من سلافته سليل »

إلى فرَج قريب من إيابي كما يرد الطيب على العليل
فما ظنّي إذا ما قيل أكدي على بحر الندى أمل المعيل
هناك شماتة الأعداء تأتي بإجهاز يضيق (١) بها مقولي
وداعاً يا عياذي (٢) فاحتفظني لعهد قد وثقت به مثلي
سلام سالمتك يدُ الليالي وعيش العزّ في ظلّ ظليل
وبلغ دُمت تسليمي ولثمي هنالك موطنى الشرف الجليل

فأخبرت أنه وصل ولم يكن البواب الموصى بها حاضراً فلم يعرفه غيره من البوابين فدفعوه عن الوصول الى : وصادفت أبياته منى ضجراً وضيق نفس بسبب عارض عرض لي فقلت أجيبه وخرجت اليه عما في نفسي مستريحاً بذلك (وافر) :

أمحرز غاية الشرف الأثيل ومن قد جَلَّ عن سمي مهيل
أتني منك أبيات حسان شمائلها أرقُّ من الشمول
يعزّ عليّ ما قد يَسُنّت من وقوفك وقفة الرجل الذليل
فأقسم بالهدايا مُشَقَّرات تجوب الأرض ميلاً بعد ميل
إذا اشتكت السرى بلسان حال تقرّر بالوخيد أو الذميل

(١) وفي بعض النسخ « وضيق »

(٢) في جميع النسخ « عبادي »

تَوْمٌ بِسِيرهَا أَسْنَى مَحَلٍّ بِهِ نَزَلَ الْكِتَابُ عَلَى الرَّسُولِ
لَوَانِكَ بِالَّذِي اسْتَحَقَّتْ تُجْزَى لِمَا جُوزِيَتْ إِلَّا بِالْجَزِيلِ
وَهَا أَنَا أَشْتَكِي لِعَلَّاكَ شَكْوَى تَبَثُّكَ بَعْضَ مَا بِي مِنْ غَلِيلِ
أَرَى الْأَيَّامَ تَمْنَعُنِي مَرَادِي وَتُلْقِي بِي لِقَصْدٍ مُسْتَحِيلِ
وَأَطْلُبُ لِلْعَلَا فِيهَا وَصُولًا فَيَصْعَبُ لِلْعَلَا فِيهَا وَصُولِي
وَيُمَضِي الْأَمْرُ غَيْرِي وَهُوَ دُونِي وَأَمْرِي لَا بَسَ ثَوْبَ الْحُمُولِ
وَإِنْ تَكُ قَدْ أَنَا لَتَنِي قَلِيلًا فَشَلِي لَيْسَ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ
وَمَا طَلَبِي لَهَا إِلَّا لَعَلِّي أَسْوَأُ عِدَايَ أَوْ أَرْضِي خَلِيلِي
وَلَيْسَ يَنَالُ حَظَّ بَاجْتِهَادٍ وَلَا تَجْرِي عَلَى قَدَرِ الْعُقُولِ
فَحَسْبُ الْمَرْءِ تَسْلِيمٌ وَصَبْرٌ يُيَمِّمُ (١) مِنْهَا أَهْدَى سَبِيلِ
وَلَكُنْ لِي عَلَى الْأَقْدَارِ دَيْنٌ لَسَوْتُ بِقَضَائِهِ لِي الْمَطْوِلِ
وَإِنْ هِيَ بَلَّغْتَنِي فَكَمْ لِي مِنْ (٢) الْأَيَّامِ مِنْ خَيْرِ طَوِيلِ
خَرَجْتُ عَنِ الْمَرَادِ إِلَى حَدِيثٍ نَفَثَ بِشَرْحِهِ نَفْثَ الْعَمَلِيلِ
أَوْدَعُ وَدَّكَ الْأَصْفَى فَإِنِّي دَعَانِي لِلنَّوِي دَاعِي الرَّحِيلِ
وَأَطْلُبُ مِنْكَ زَادًا مِنْ دَعَاءٍ تَوَاصِلُهُ وَمِنْ ذِكْرِ جَمِيلِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « يَوْمٌ »

(٢) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « مَعَ »

وقد أضيفت نحوك باعتقاد صحيح من فتواد لي عليل

ثم سعت تلك الليلة في انفاذ ما كان وعد به من الاحسان اليه
فأنفذ له وكانت تلك الليلة التي اجتمعت به فيها أول اجتماع وآخر
افتراق منه .

ثم أصبحنا يوم الاربعاء فارتحلنا الى طرة وقد تقدم ذكرها ، ومنها
يوم الخميس الى موضع يعرف بتاسرا (١) وهو قصر خرب ، والى
جانبه واد سرب ، وبقيت طريقنا الاولى في هذه المرحلة يسرة منا (٢)
ومنه يوم الجمعة الى الحمة وهي الحطرة الثانية اليها وكانت هذه
المرحلة والتي قبلها في غاية الطول فلاجل ذلك نقصت عدة مراحل
عما سبق في المسير مرحلة ، وفي هذا اليوم أظهر مخدومنا أمر
الحج الذي بنى السفر على كتفه حسبما بينا أول التقييد ، واستدعى
أعيان العساكر فعرفهم بذلك وظهر من الاجتاد اذ ذاك من التأسف
والحزن لانصرافه عنهم وانطلاقه ما لا أفى (٣) بالعبارة عنه فلا تسمع
من الناس يومئذ الا بكاء ودعاء .

ثم توجهنا الى قابس وهذه خطرتنا الثانية (٤) اليها فنزل الجيش
بخارجها ودخلنا نحن مع مخدومنا الى داخل البلد بالدار الكبرى

(١) يعرف مكانه اليوم (بالاصنام) على طريق الظاهر بين قبل والحامة

(٢) في نسخة « يسيرة منا »

(٣) في بعض النسخ « ما لا اجبى »

(٤) وفي بعض النسخ « الثالثة »

التي اعتنى بنائها الشيخ الفقيه أبو مروان بن مكي رحمه الله ، وهي في غاية الضخامة والاحتفال وغير قليل ما أنفق عليها من الاموال ، ورأيت في وسط الحائط الذي في قبتها الكبرى خرقا متسعا ذكر لي انه أثر ضربة منجنيق جعل ضاربه غرضه هذا المجلس (١) حيث كان الشيخ أبو مروان يجلس به فقصر الحجر بملاقاته لذلك الحائط وحرفت اياه (٢) عن البهو قليلا ، وكانت تلك الضربة أيام محاصرة مخدومنا لقابس كما تقدم ، ودار ابن مكي هذه مجاورة لجامع قابس الاعظم ببطحاء متسعة ، وتلك البطحاء هي سرقة قابس والبطحاء اسم علم لها وفيها يقول أبو عبد الله محمد بن العطار القرطبي عرف بالمفرجي (سريع) :

لهفي على طيب ليل خَلْتُ بجانب البطحاء من قابس
كَأَنَّ قلبي عند تذكاريها جذوة نار في يدي قابس

فبتنا هنالك ليلة الاحد ثم أصبحنا فوصل الاجناد لوداعنا فكانوا يدخلون أفواجا أفواجا يودعون ثم يخرجون وهم يكون ويدعون الى آخر النهار .

وشاهدنا بهذا الموقف حالا تحرق الضلوع ، وتذكي الولوع ، وتجري الدموع ، وقد كان النظر اقتضى توجيه الكاتب الفقيه

(١) في بعض النسخ « بها هذا المجلس » ولعل الصواب « بهو هذا المجلس »

(٢) كذا في النسخ التي بأيدينا

الاكرم أبى زكرياء بن يعقوب صحبة الجيش إقامة للحرمة ، وقيامًا
بتسيم ما يجب من الخدمة ، واصبح الجيش يوم الاثنين السابع
والعشرين لشهر شوال متوجها الى تونس ، والفقير أبو زكرياء معه
وأقمنا نحن مع مخدمونا فى قابس يومنا ذلك والثلاثاء بعده ، ثم
خرجنا عنها وكان السبب الذى حثنا على تعجيل الارتحال عنها
ما كان بها من الوباء الذى ورد النهى النبوى عن القدوم على أرض
هو بها، وقد كان أفرط فيها فى هذا الفصل وخرج عن معتاده وقتل
بشرا كثيرا من الغرباء القادمين عليها، وتأثيره غالبا انما هو فى الغرباء
الذين ليسوا من سكانها ، وتخبرنا موصفا نقصده للاقامة الى أن
يصل الفقير أبو زكرياء من الحضرة فتوجه الى طرابلس وتكون
الاقامة هنالك الى أن يصل الركب الذى يتوجه مخدمونا معه الى
المشرق ، فوقع الاختيار بعد ملاحاة كثيرة وتنازع شديد بين يعقوب
ابن عطية أمير المحاميد وسالم بن مرغم أمير الجوارى على الاقامة مع
يعقوب فى منزل غمراسن فان أهله حلفاء له مع ما هنالك من الامن
الذى لا تخاف معه اغارة مغير ، ولا ضياع كبير من الاشياء ولا
صغير .

فارتحلنا عن قابس متوجهين الى يوم الاربعاء فنزلنا بمنزل تلبو
على نحو ميلين من قابس، وهو منزل فيه مبان قليلة وعليه غابة زيتون
متسعة وكانت به قبل هذا غابة نخل فقطعت أيام محاصرة مخدمونا

لقابس كما تقدم ولم يبق منها الا نخيلات قليلة في مواضع متناثرة (١) منه، فأقمنا به يومنا ذلك وهو يوم الخميس بعده وهو مستهل ذى القعدة، وارتحلنا منه يوم الجمعة ثانى الشهر المذكور فاجتزنا بموضع يقال له زريق بتقديم الزاى على الراء، وهو الموضع الذى أقام به الميورقى متلوما على أهل قابس لما كاتبهم بالدخول فى طاعته حسبما بيناه فى ذكر قابس .

وبمقربة من زريق نخلات على عين ماء هنالك عذبة وزاوية يسكنها رجل من البربر وهو عوسجى اسمه سلام ويعرف بأبى غرارة، وهذا الرجل متم الى الدين وقد حكم على العرب بأنواع من الشعوذة فلا يقدر أحد على مخالفته، وهو يخفر فى قبائل دباب وله فى استخراج اموالهم (٢) منهم اليد القوية وان امتنع أحد منهم هول عليه وأوعد بمصائب يوقعها به فيخافون منه، وقد ظهرت له فى هذا الباب عجائب تنقل عنه، وأخبرنى الشيخ أبو حياره عبد السلام ابن موسى قال: أغارت المحاميد على قافلة فأخذت منهم بهائم كثيرة فمضى أهل القافلة اليه، قال فاستدعانى ومضىنا الى المحاميد واسترجعنا منهم ما قدرنا عليه ولج (٣) بعضهم فى الامتناع من الرد فقال له : والله لتكونن لك القاضية ار كلاما يشبه هذا قال : فخاف

(١) فى بعض النسخ « متناثرة »

(٢) فى بعض النسخ « الاموال »

(٣) فى جميع النسخ « لج »

وراجع نفسه فرد ما أخذه وقال له : يا سيدى ابا غرارة لعلها تكون
بفرسى لا بى، فقال له : بفرسك لا بك ، قال ابو جبارة : فبعد ثلاثة
ايام ذهبت فرس الرجل وليس فعل مثل هذه القضية فى نفوس
الاعراب بقليل .

ونزلنا يومنا ذلك بقرية مارث وهى قرية حقيرة وعليها غابة نخل
يسيرة ، ومنها يوم السبت الى قرية أجاس وهى قرية ضخمة ذات
مبانى كثيرة ولها غابة متسعة وبها عين خراطة عذبة الماء غير انها
مستوبأة واخبرنى اهلها انهم احتفروا فى هذا الوقت بئرا عذبة الماء
سالمة من الوباء فهم الان يشربون منها ويسقون من تلك العين
بهائهم وزروعهم ، ورأيت بها مسجدا يذكر اهلها ان له فضلا
مشهورا عندهم وان الدعاء مستجاب عنده وقد اظهر بعض زهادهم
به الاغتباط ، فلابز به الرباط ، وان كان هذا المرباط وجميع اهل
هذه البلدة على المذهب السيئ المنسوب للخوارج ، وهذا المذهب
هو الغالب على سائر البقاع التى بين قابس وطرابلس كما تقدم قبل
هذا

وبهذه القرية كانت اقامة جعفر بن حبيب حين وجهه باديس بن
المنصور من المهديّة لقتال يانس الصقلى لما اقبل من مصر مدعيا ولاية
طرابلس ، فاقام جعفر بن حبيب بقرية اجاس هذه متلوما عليه نحو
ثلاثة اشهر الى ان كانت الواقعة بينهما بظاهر زنزور، قرية من قرى

طرابلس سيأتي ذكرها بعد هذا وذلك كله في سنة تسعين وثلاثمائة، وبسط هذه الواقعة : ان باديس بن المنصور كان واليا على افريقية وكانت طرابلس مستثناة عليه لا يليها احد من قبله بل تتعين ولايتها من مصر فاحب والى طرابلس اذ ذاك ان يرتحل الى مصر فكتب الى الحاكم يطلب ذلك منه ليكون بين يديه في حضرته وان يوجه اليه من يتسلم البلد من يده فوجه اليه يانس المذكور وكان واليا على برقة فلما وصل الى طرابلس توجه واليها الى مصر وامكنه من البلد فلما علم بذلك باديس وجه الى يانس يستفهمه عن سبب وصوله ويستدعي منه سجلا ان كان بيده بالولاية فبعث اليه انما بعث نائبا عن امير المؤمنين ومثلي يكبر عن ان يولى بسجل فحينئذ وجه باديس جعفر بن حبيب المذكور لقتاله فاقام المدة المذكورة بقرية اجاس هذه متلوما عليه وبعث اليه في اثناء تلك المدة يخبره في واحدة من ثلاث اما بعث السجل ان كان بيده ، واما القدوم على باديس ليفاوضه فيما وصل اليه ، واما المناجزة بالحرب فعاد جوابه اليه يقول : اما الوصول فلا سبيل اليه ، واما سجل الولاية فانا اكبر من ذلك اذ كنت خليفة امير المؤمنين على ما هو اعظم من طرابلس ، واما الثالثة فانا اوافيك عن الحركة الى وأحيئك الى موضعك فاقتلك به ، فتحرك اليه جعفر ابن حبيب متوجها اليه فنزل غربي زنزور ونزل يانس بالجانب الشرقي منها والزيتون بينهما ثم التقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل اكثر جنده وأخذ هو اسيرا فطلب ممن اسره ان يحملوه الى جعفر فابوا

من ذلك واحتزوا راسه ثم حملوه الى جعفر ونجا فلال المنهزمين
فلجأوا الى مدينة طرابلس فابى اهل طرابلس من تمكين جعفر من
البلد ومن اللاجئين اليها الى ان وصل اليهم فلفل بن سعيد الزناتى
فمكنوه من البلد وهو اصل ملك الزناتين لها

ويوم نزولنا باجاس هذه انفصل عنا سالم بن مرغم متوجها الى
أرضه سالكا طريق الساحل ، وارتحلنا نحن يوم الاحد مسحرين
فاخذنا ذات اليمين مصحرين الى موضع يعرف بالعقلة وهو واد
متسع بجبل يجرى فى وقت الامطار ويجف فى غيره وصادفناه فى ذلك
الوقت ليس به ماء الا ماء فى احساء صغيرة، وتلك الاحساء هى المسماة
بالعقلة، والعقلة عند العرب هى التى يجبس الماء فيها عن ان يسير، فبتنا
هنالك تلك الليلة على غير ماء وقاسينا فى مبيتنا هذا شدة بسبب ما كان
فيه من البهمى التى منعت كل احد من ان ينام ، وذلك انها تبرز عند
يسها شوكة تتخلل الثياب والفراء وتصل الى الاجسام فلا يمكن
لاحد معها سكون وربما قتلت البهائم التى تبيت فى مرعهاها من
نباته (١) اذا دخلت بين اصوافها

ويس (٢) البهمى هو الذى يسميه العرب بالصفار بفتح الصاد
وتخفيف الفاء ، وتلك الشوكة التى لها هى التى تسميها السفى
مقصورا ، وانشد ابو على للشماخ بن ضرار يصف حمارا (٣) (طويل) :

(١) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا

(٢) فى بعض النسخ « نبت »

(٣) راجع لسان العرب ج ٣ - ص ١٨٣

رَعَى بَارِضَ الْوُسْمِيِّ حَتَّى كَانَمَا يَرَى بَسْفَى الْبَهْمَى أَخْلَةً مُلْهَجَ

البارض النبات فى اول خروجه، والوسمى المطر الذى يسمن الارض بالنبات، والاخلة جمع خلال، والملهج الذى قد لهجت فصاله بالرضاع وكانوا يجعلون على انف الرضيع اذا وجب الفصال خلا لا يمنعه من الرضاع، فيقال ان هذا الحمار رعى بارض البهمى الى ان جف وظهر شوكة فلم يستطع رعيه اذ ذاك فعاد كانما يرى به اخلة ملهج كراهة له ونفورا عنه، وعلى هذا البيت عول الاديب ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم فى قوله من قصيدة له جيمية (كامل):

تَرَكْتُ مَطَايَا الْأَمْلِينَ لِمَا سَقَنْتَ يَمْنَاهُ مَا تَسْقِيهِ ضَرْبَ الزَّبْرِجِ (١)
فَتَجَمَّ أَنْفُسُهَا لَوْرْدِ جَمَامِهِ بِصُدُودِهَا عَنْ بَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ
وَتَصَدَّ عَنْ رَعِي الْجَمِيمِ كَانَمَا تَلْقَى مِنَ الْبَهْمَى أَخْلَةً مُلْهَجَ (٢)
ومعنى الشعرين واحد.

ثم ارتحلنا صباح يوم الثلاثاء السادس من ذى القعدة فلم نزل نسلك بين هضاب متسعة، وشعاب متبعة، الى أن وصلنا الى موضع اقامتنا منزل غمراسن فوجدنا منزلا قد غضب الله على أربابه، فابتلاهم من سكناه والاقامة بمغناد بأليم عذابه، وخرج الينا جميع أهله فتلقونا على بعد، ولما وصلنا اليه اخترنا موضعا لبناء الاخوية فلم

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « ما يسقيه صوب الزبرج »

(٢) فى نسخة « ترى بسفى البهمى اخلة ملهج »

نجده الا بعد صعوبة ومقاساة شديدة لصلابة الارض وعدم ثبوت
الاوئاد بها

وغمراسن اسم لناحية من الجبل المتصل الذى أصله جبل درن
بالمغرب وهو الجبل الاعظم الذى قل على وجه الارض ما يدانيه
سموا وامتدادا وكثرة خصب واتصال عمارة ، ومبدؤه من البحر
المحيط فى أقصى السوس مارا مع المشرق مستقيما الى أن يصل الى
هذا الموضع فيسمى دمر ثم يمتد فتسمى مسافة منه جبل نفوسة
فاذا حاذى طرابلس رق وخفى وامتد كذلك رقيقا الى أن يصل
الى طرف أوثان من أرض برقة فينقطع هناك ، وهو من مبدئه الى
منتهاه مخصوص بسكنى البربر وبه كل طريفة من الثمار وغرائب
الاشجار والماء ينبع منه فى مواضع معروفة ، وهذا المسافة التى
تسمى منه غمراسن هى متصلة بالمسافة التى تسمى منه دمر من
جهة شرقيها وقد يقال فى غمراسن انها من دمر

ومسافة غمراسن تحتوى على قلاع كثيرة أشهرها قلعة نفيق
- بكسر النون وتشديد الفاء - وقلعة حمدون ، وكان منزلنا فى فضاء
متسع بين هاتين القلعتين وقلعة نفيق أحصنها وإليها يلجأ جميع اهل
البلد اذا حل بهم عدو أو وصل اليهم جيش ، وهو جبل مرتفع فى
السماء قد سهلت فيه طرق ضيقة لا يسلكها السالك الا على غرر وقد
تدرب أهلها على سلوكها فهم يتنازون فيها تنازى العصم ، وكذلك

غنمهم وابلهم يسلك البعير منها مسالك لا يستطيع الادمى سلوكها
الا بالحيلة ، وتؤدي تلك الطرقات الى بيوت منحوتة فى الجبل بعضها
فوق بعض من وسط الجبل الى أغلاد يسمونها «الغيران» وأكثر جهاته
عامرة (١) الجهة الشرقية وتليها فى ذلك الجهة القبلية وفى الجهة
الغربية أيضا مساكن قليلة الا أنها الآن غير مسكونة ، والنسور
كثيرا ما تأوى اليه وتجتمع فتصاف (٢) عليه ، وتحف بهذا الجبل
مزارع فيها نخل كثير لا يرى أحسن من رطبه ، وبها أيار (٣)
ليست بالكثيرة يستقون منها بالفراغيز ، وأكثر مزارعهم الذرة التى
يسمونها القصب وسبب قلة آبارهم ما يعانونه فى حفرها من شدة
الارض وصلابتها حتى ان الرجل ليملك فى حفر البئر العام
والعامين بحسب كبر البئر وصغرها ، وقوة اعتمادهم فى رى الارض
انما هو على ما ينحدر من سيول تلك الجبال فى وقت الامطار فانها
تجتمع فى أبطح ذى حصباء متناسبة وتربة بيضاء كافورية تحرق
بمزارعهم احداق السور أو السوار وتخرقها مذائب متسربة اليها
منه ، وليس فى تلك البقاع ما يرتاح اليه الحاطر سوى هذا الابطح
وبموضع منه أحساء مياه عذبة ترد عليه نعمهم وعلى هذه الاحساء
نخل كثير يتغالون فى أثمانه اذا تبايعوه بينهم

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « عمارة »

(٢) فى نسخة « فتصاف »

(٣) كذا فى جميع النسخ

وأهل غمراسن قوم من البربر ورغميون ، وفيهم رجالة (١) مع العرب المحاميد والعداوة بينهما متأكدة (٢) وبين أهل قرية قريبة منهم يعرفون بالمقدمين ولا تزال الحرب بينهم قائمة على سباق ، ومن سيرة هؤلاء المقدمين أن لا يدفنوا موتاهم الا على هيئة الجالس في كهوف متسعة يحفرونها لهم ويتأكد عندهم الدفن على هذه الصفة فيمن توفي وترك ولدا فانهم يقولون : « عز الولد لا ينقطع ما دام أبوه جالسا ، هذه عبارة من سألتهم عن ذلك ، وليس لأهل غمراسن ولا لأكثر ساكني هذا الجبل في الحقيقة من الاسلام الا الاسم فقط ولا تجد منهم من يعرف للصلاة اسما ، فضلا عن ان يقيموا لها رسما ، وكذلك جميع الشرائع ، وأقمنا ما أقمنا معهم فلم نسمع عندهم أذانا ، ولا طرق صوته لنا أذانا ، وان كنت قد رأيت في أعلى قلعتهم موضعا سمود مسجدا ، وليس يصلي فيه الا رجل غريب من أهل زوارة سكن عندهم

وهم يتحلون مذهب النكارة من الخوارج البربر ولا يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم ولا يورثون البنت شيئا من مال أبيها ، وعيشهم من الغارة على العرب تخرج غازية منهم فتكن بعض المكامن لمن يربها من العرب وخصوصا الجوارى والمخالفة بينهم وبين المحاميد لان أبا جبارة كاتب المحاميد ورغمي منهم ولا ينالون (٣) في

(١) وفي نسخة « راحلة »

(٢) في نسخة « تأخير » متأكدة « عن قوله « بالمقدمين »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « لا ينالون »

الانغارة على الجوارى باصطلاح المحاميد معهم ولا باحترابهم (١) ولهم أيضا حقد على النفاتين وبينهم دماء ، وهم أغير خلق الله على الضيف وأكرمهم له فاذا حل الغريب لديهم واستند اليهم جعلوه من رؤسائهم وانزلوه فوق رؤوسهم وحكموه فى انفسهم ، ولديهم الامن الذى لم يسمع بمثله فى بقعة من بقاع الارض وحسبك أنا أقننا معهم فلم يضع لاحد منا شئ مع أنى كنت أرى الثياب والامتعة وأوانى الصفر وغير ذلك ملقى بين الاخية لا يتعرض أحد منهم لشئ من ذلك ، ومن أحكامهم أن الرجل منهم اذا ظهرت عليه سرقة أو خيانة فانهم لا يجالسونه ولا يكلمونه الا فيما لا بد منه ولا يخرجونه من بلدهم اذا كان منهم فان كان من غيرهم (٢) قتلوه ، وأخبرنى جماعة منهم أن رجلا منهم ضاعت له دنانير ووجدها رجل آخر منهم فتركها فى المسجد الذى فى قلعته فبقيت فى ذلك المسجد لا تمد اليها يد الى أن اتفق فى بعض الاوقات أن دخل صاحب الدنانير المسجد فوجدها هنالك فأخذها

فأقننا بينهم ساكنين فى الاخية نحوا من شهر وبعده بنينا بيتا فى أرض رجل منهم مطمر (٣) وهو فريض للعرب المحاميد ، والفريض عندهم كناية عن المفتى الذى يرجعون الى أحكامه وقد

(١) وفى نسخة « باحترامهم »

(٢) وفى نسخة « من غير بلدهم »

(٣) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « مطهر » وفى نسخة واحدة « يسمى مطمرا »

تأملت في كثير مما يحكم به ، وهم هنالك يبنون بيتا فوجدته لا يرجع فيه الى شيء من حكم الشرع وانما سمي هذا مطمرا نسبة الى حكم السياسة والتسديد بينهم ، ولهذا الرجل قوة خطابية على طريقتهم وقدرة على اظهار أقيسة وضرب أمثلة يفعل بها في نفوسهم كثيرا ، وذلك البيت باق الى الان يسمونه بيت السلطان وليس في ذلك الموضع بناء غيره ، ولما كمل بناؤه انتقلنا اليه وتوالت بعد انتقالنا اليه رياح محرقة (١) كانت تهب من قبل الصحراء ودامت كذلك فحمدنا الله على ما ألهمنا اليه من بناء ذلك البيت الذي تقدم وعلمنا انا لم تكن لنا طاقة يسكني الاخيرة معها ووصل الى بعد حلولنا بهذا الموضع كتاب من الفقيه الاجل أبي زيد بن نزار جوابا عن كتاب كنت بعثته اليه وكان في آخره التسليم عليه بخط الفقيه أبي ابراهيم بن حسينة فوصل كتاب الفقيه أبي زيد يتضمن مخاطبتنا معا وكان على عنوانه (كامل) :

للسيدين أخ ونجل بارع إسحاق مع عبد الإله يسلمنا
لا زال كل منهما متحليا بالفضل والآداب دأبا مكرما
وفي داخل الكتاب (كامل) :

حَيِّ المَاقِل والرَّعَانِ لَجَمْعِهَا رَعِيَا لَدُمِّرْ إِذْ رَعَى الْأَحْبَابُ
سَكَنُوا الرِّعَانَ وَأَسْكَنُوهُ فَمَا لَهُمْ سَارُوا الْغَدَاةَ بِخَلْبِهِ خَلَابُهَا

(١) في بعض النسخ « محرقة »

من أجل من حل الحمى أهوى الحمى وأحب لي في لا به إلبابا
 وجدي بهم وجد أفاق (١) قوى عزم اللحاق بهم نوى إيجابا
 مولى كبر والنجوم صحابه نجل وخدن أوحشا الأصحابا
 حلوا بأفاق العلاء كواكب اسعادهما (٢) تستعد الالبابا
 سيعود منزلنا السمال (٣) كما بدا وظهورها من أن يرى منجبابا (٤)
 وكذا الثواب نورها يسمى بها تأبى الجفاء وتألف الآدابا
 تكفي من المولى جلالة قدره عن أن أجل بذكره الإسهابا
 ولدى المفدى حكمة نبوية تبرى السقام وتذهب الأوصابا
 وحوى البلاغة والبراعة أنا عبد الإله وقد شأى الأترابا
 فالله يسعدنا بهم وبأمنهم وينيل كلاً منهم الآرابا
 وعليهم مني السلام مقبلاً ترابا يرب (٥) نواله الأترابا
 وكتبت لابن عمى الفقيه الاكرم أبى زكرياء ابن الفقيه الاجل
 أبى الحسن على التجانى (٦) كتابا مصدرا بهذه الايات (طويل)

(١) كذا فى نسخة وفى سائر النسخ بياض

(٢) كذا فى النسخ التى بايدينا

(٣) كذا فى بعض النسخ وفى نسخة « اشل »

(٤) وفى نسخة « حجابا »

(٥) كذا فى جميع النسخ

(٦) وفى بعض النسخ « التجانى »

إِذَا اللَّهُ حَيَّىٰ مَعَشَرًا بِتَحِيَّةٍ يَقْصُرُ عَنْهَا الْمَسْكُ فِي الطَّيْبِ وَالنَّدِ
فَحَيَّىٰ بَنِي عَمِّي الَّذِينَ فَخَارَهُمْ فَخَارِي وَمَجْدِي حِينَ أَسْمَوُ لَهُمْ مَجْدُ
وَحُصِّصَ مِنْهُمْ مَنْ تَخَصَّصَ فِيهِمْ بِأَوْصَافٍ فَضْلٌ لَيْسَ يَحْصُرُهَا الْعُدُ
أَبَا زَكَرِيَّا الرِّضَى الْأَرْفَعُ الَّذِي لَهُ مَنِّي الشُّوقُ الْمَجْدُ وَالْوُدُ
أَحْبَبْنَا هَلْ يَجْمَعُ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَقَدْ طَالَ هَذَا النَّأْيُ وَاتَّصَلَ الْبَعْدُ
يَذْكُرُنِيكُمْ أَنْسَ يَوْمَ مَضَىٰ لَنَا وَعَهْدُ اثْتِلَافٍ حَبْدًا ذَلِكَ الْعَهْدُ
فَيَبْدُو قَلِيلًا مِنْ غَرَامٍ أَحْبَبْتَنِي وَفِي الْقَلْبِ لِلْأَشْوَاقِ أَضْعَافٌ مَا يَبْدُو
فَقَدْ بَلَغْتَ مَنِّي النَّوَى كُلَّ مَبْلَغٍ فَقِي أَدْمُعِي وَدَقُّ وَفِي أَضْلَعِي وَقَدْ
فَهْلَ تَقَرَّبَ اللَّقِيَا وَيَنْصَرِمُ النَّوَى وَيَنْجَزُ لِلْآمَالِ مِنْ قَرِيبِكُمْ وَعَدُ
لَنْ جَمَعْتَ أَيْدِي التَّفَرُّقِ بَيْنَنَا فَقَدْ تَمَّتِ النِّعْمُ وَقَدْ كَمَلَ السَّعْدُ

وعرضت لأخذونا أعزده الله في أواخر شهر ذي القعدة هذا
شكاية شديدة وتواتر لدينا الخبر أيضا عن جذب برقة وفتنة أهلها
بما لا سبيل إلى اجتيازها معه ، ووصل إلينا بمقد بشهادة عدول من
أهل طرابلس وخطاب قاضيها أن ركبا فيه نيف على سبعمائة نسمة
جاء من برقة وأنه لم يخلص منه حاشا مائة أو نحوها وأن سبب
ذلك أنهم لم يجدوا هنالك ما يقتاتون به حاشا لحوم الحيات فعدا
عليهم سمها فأهلكهم ، وصح لدينا من هؤلاء الذين خلصوا منه أنهم

كانوا يملكون فى كثير من ارضها بالاحياء والحياض فيها مضروبة
وجميع من فى تلك الحياض موتى من رجال ونساء وأطفال الى غير
ذلك مما يحكونه من بيع من بقى فى تلك الاحياء من الاحياء
للناس وأكلهم للحومهم ، فحاولنا بما اجتمع من هذه الاخبار المفضلة
ومن مرضه الشديد رده الى تونس لتكون اقامته بها الى أن يشفى
من مرضه ويصل ركب الارسل المشرقين فتوجه حينئذ معهم من
تونس ، ونظم فى ذلك الفقيه أبو ابراهيم بن حسينة قصيدة مطولة
يحضه فيها على هذا الرأى ، وكان أول قصيدته (متدارك) :

عَرِّجْ يَا صَاحِ عَلِى الطَّلَلِ واسْكِبْ أَجْفَانِكَ فِي الْحِلَلِ
ولا تحضرنى الان هذه القصيدة ودعت الضرورة الى موافقة
اصحابنا على هذا الرأى بعد أن ألحوا فى طلب مشاركتهم بالنظم فى
ذلك فقلت معارضا لقصيدة الفقيه أبى ابراهيم :

طلعت كالبدر المكنن	فتوارى البدر من الخجل
وأمال اللحظ تمايلها	عن غصن الباب المعتدل
حوراء يحار الصبُّ بها	ويخلي السلوة كل خلي
حكمت بهواها في فلم	يعدل في الإمرة حين ولي
فأبحت النفس لما احتكت	وحيت السمع عن العذل
جمعت أشات الحسن فقد	زادت في الحسن على المثل

كَأَبِي يَحْيَى تَلْقَى مِنْهُ
 مَوْلَى زَهْتِ الْإِيَّامِ بِهِ
 يَنْمِيهِ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى
 شَرَفٍ بِالْإِرْثِ تَمْلُكِهِ
 بِأَسْكَالِنَارٍ إِذَا اضْطَرَمَتْ
 قَدْ أَلْقَى اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ
 يَمْضِي الْآرَاءُ مَسْدُودَةً
 مَوْلَايَ قَصِيدَةً مَتَدَحٍ
 طَلَبْتُ إِيضَاحَ فُضَائِلِكُمْ
 فَإِذَا أَحْسَنْتُ فَذَاكَ لَكُمْ
 وَافَتْ عَلَيْكَ مَعَارِضُهُ
 مَعَ أَنْ قَصِيدَةُ أَوْلَانَا
 وَارْجِعْ لِحُلِّ حَالٍ بِمَا
 فَأَقِمْ لِلدِّينِ تَجِدُودَهُ
 وَاجْلَعْ أَثْوَابَ السَّقَمِ بِمَا
 فَشُرُوطُ الْحُجِّ قَدْ ارْتَفَعَتْ
 أَشْتَاتِ الْفَضْلِ لَدَى رَجُلٍ
 وَتَحَلَّتْ مِنْ بَعْدِ الْقَطَلِ
 حَسْبُ فِي مَرْقَى الْمَجْدِ عَلِيٍّ
 فَتَنْقَلِ أَحْسَنَ مَتَقَلِّ
 وَنَدَى كَالْفَيْثِ الْمَنْهَمِلِ
 بِيَدِيهِ مَقَالِيدُ الدُّوَلِ
 فِي قَوْلِ أَتَقْذُ أَوْ عَمَلِ
 وَافَاكَ بِشَعْرٍ مَرْتَجَلِ
 فَحَكَّتْ مِنْهَا بَعْضُ الْجُمَلِ
 وَإِذَا قَصَّصْتَ فَذَاكَ لِي
 «عَرَجٌ يَا صَاحِبَ عَلَى الطَّلَلِ»
 فَاتَتْ سَبْقَاشَاوَ الْأَوَّلِ
 يَشْكُو لِفِرَاقِكَ مِنْ عِلَلِ
 فِي عِزِّ بَاقٍ مَتَّصِلِ
 تَكْسِي لِلصَّحَّةِ مِنْ حُلِّ
 لَزَوَالِ الْقَبْدَةِ وَالسُّبُلِ

عهدي ببيدك فيه وقد
يرجون ثواءك عن كُتب
كانوا من عهدك في ظلل
فأنلهم منك برادهـم
واجمع شملًا بالأهل فقد
واسعد واصعد وتسام وزد
والله يوفق رأيك في
مدوا يد داع مبتهل
ودنو لقائك عن عجل
فعدوا من بعدك في خلل
وانقنع بالقرب صدى الغلل
ماتوا شوقا قبل الأجل
وتبرق ونل أقصى الأمل
حل أزمعت ومرتحل

فأبى إلا سلوكاً لمتهجه ، وقصد أن لا يرجع لتونس إلا بعد
تحصيل حجه ، وكان أعزده الله وجه لوالدي كتابا بخطه يعرفه فيه
بحالتي معه ويصفني فيه بما يليق بذاته الشريفة ، ومرتبته الرفيعة
المنيفة ، فوجه اليه والدي جوابا عن ذلك كتابا نصه (بسيط) :

يا نسمة الفجر والازهار قد رويت
والروض قد أمسك الامساك منه نرى
ولا قرارة إلا قررت خبرا
لو أنه شر طيب للتجارة قد
والنور تسري إلينا من محامده
أفاس نبد ولكن دون إحراق
مما ادار عليها الوايل الساقبي
نمت عليه به أنفاس أحـباق
بأن دارين منا رأي أحداق
سقت لطائمه منه بأوساق

بِاللهِ هَبْنِي عَلَى نَسِيبِ تَبَوَّأِهِ مَنْ لِلنَّبِيِّ فِي يَدَيْهِ سَخْبَ ارْزَاقِ
فَإِنْ ظَفَرْتَ بِقَرَبٍ مِنْهُ فَلْتَصِفْنِي بِالسِّنِّ الْوُزْقِ فِي الْمَأُورَاقِ أَشْوَاقِ
وَتَسْأَلُنِي لِي وَعْدًا بِاللِّقَاءِ عَسَى وَعْدُ التَّلَاقِ يَجْلِي مَا أَنَا لَا قِي
وَقَبِّلِي يَا نَجْمُ الْآفَاقِ رَاحَتَهُ عَنِّي فَيَنْ الدَّرَارِي قُدْرَهَا الرَّاqِي
يَا رَاحِلِينَ وَقَلْبِي رَاحِلٌ مَعَهُمْ عَنِّي وَإِنْ كَانَ لِي جِسْمٌ هُنَا بَاقِي
لَوْلَا رَجَاءُ التَّدَانِي لَمْ أَعِشْ زَمَنًا فَرْدًا وَلَا وَصِفْتُ بِالصَّبْرِ أَخْلَاقِي
عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي بِالْبَعْدِ قَدْ حَكَمْتَ يُجَلِّي دَجَاهَا مِنَ اللَّقْيَا بِإِشْرَاقِ
لَهُ رَقْعَةٌ مَوْلَى قَدْ عَلَقْتَ بِمَا أَوَّلَتْ مِنَ النِّعَةِ الْعَظْمَى بِأَعْلَاقِ
تَضَمَّنْتَ ذِكْرَ مَمْلُوكٍ وَوَالِدِهِ مِنْ مَالِكٍ لَهَا بِالْفَضْلِ سَبَاقِ
فَالْأَمْنِ وَالْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ مَا بَقِيَتْ دُنْيَاهُمَا لَهَا مِنْ أَجْلِهَا بَاقِي

واتصل بهذا النظم من الشر : يا أيها الملا انه ألقى الى كتاب
كريم ، ويا شاكري الايادي اني لا أبرح عن شكر هذه اليد ولا
ريم ، ومن لي أن أقوم بواجب حقها ، وأستطيع السلوك في لاحب
طرقها ، وهي يد خطتها يد أعلى الله قدرها ، فما يقدر أحد أن يقدرها
قدرها ، تصول بالقلم والحسام ، وتصوب على الايام كصوب
الغمام ، بالنعم الجسام ، ولما وصلت العبد أحرف مولاه ، وأولاه
وأولى ولده من لا والد ولا ولد له من الشريف بذكرها فيها ما

أولاه ، لم يجد لها كفيا ، ولا عملا مرضيا ، الا تضرعا الى من تمد
اليه أيدي الرغبات ، وتستمد من فضله المنح الجزيلة من الهبات ،
فقلت اللهم يا أرحم الراحمين ، اجعلنى على السلام على تلك الغرة ،
واستلام تلك اليمين الكرة بعد الكرة ، من المزاحمين ، ثم رفعت
البراءة المباركة على رأسى اكليلا ، وأوسعتها شوقا لليد التى خطتها
لثما وتقيلا ، ولم أزل أتتعم ببطالتها بكرة واصيلا ، ثم وصلت
الدعاء بأن قلت اللهم ان يكن فى علمك الخير التام له ، فى بلوغ ما
أم له وأمله ، فهون عليه فيه كل صعب ، وروء من نير لطفك بكل
عذب ، وأسعد غيبته وسيره على أتم وجوه السلامة ، وأعم
الكرامة (١) ، وأنله خيرك وافرا جليلا ، والا فائن عزمه عما أمه
ورده الى وطنه ردا جميلا ، وأنسى له أجله ، حتى تستنى (٢) ذلك
له ، فى الوقت الذى تؤمن فيه الفوائل ، وتساوى فى تهوين
صفوبته وتسهيل حزنوته الاواخر والاوائل ، والبكر والاصائل ،
فأنت يا ربنا تعلم ما للاسلام ، ولامة سيدنا محمد نبيك عليه أفضل
الصلاة والسلام ، فى نظره السديد ، المبارك السعيد ، من الخير
التام ، والصلاح العام ، وناهيك به من دعاء تنزه عن السمعة والرياء ،
ورفعت به الايدي الى رافع السماء ، وختم بالحمد لله رب العالمين ،
والصلاة على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ،

(١) فى نسخة بزيادة « وعجل اوبته »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « يتسنى »

وفى أوائل شهر ذى الحجة تواردت علينا وفود العرب المحاميد فكان فيمن رايته منهم رجل أسود اللون اسمه ابراهيم بن مطرف ويكنى ابا زرارة ، ذكروا أنه كان كاهنا من العرب وادعوا صدقه فيما يتكهنه وحكوا عنه فى ذلك عجائب فسألته عن ذلك فأقر به وادعى أن له رثيا من الجن يأتيه فيخبره بما يكون فى أشعار يخاطبه بها فاستثبته عن شئ من ذلك فذكر لى شعرا ادعى انه أنشده اياه منذ أيام يحيل فيه على كائنة وصفها تكون فى رجب الاتى بعده وهو عام سبعة وسبعمائة ، وكنت كتبت ذلك الشعر فى هذا التقيد فلما تأخر الامر الى انقراض شهر رجب من العام المذكور ولم يكن فيه شئ مما أحال عليه ، وأشار اليه ، بادرت الى محو ذلك الهذيان من الكلام ، وتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا كهانة فى الاسلام

وحضرنا هنالك عيد الاضحى ونحن بحالة قد غاب عنها السرور بأسره ، فقطعناه ولا أعياد ابن عباد أيام أسره ، واستهل بعده شهر المحرم من عام سبعمائة وسبعة ففى أوائل هذا الشهر وصل إلينا الخبر بقتل ملك المغرب أبى يعقوب المرىنى على يد أحد فتيانه ثم قتل ولده أبى سالم ثم قتل اخيه أبى يحيى واستقرار الملك لحفيده أبى ثابت عامر بن عبد الله ، وكان قتل أبى يعقوب على ما تحققت من الكتب الواصلة من هنالك فى التاسع لذى القعدة من عام ستة ، وقتل ابنه أبو سالم بعده بأيام يسيرة وكذلك أخوه أبو يحيى ،

وانتقل أبو ثابت الى مدينة فاس بعد أن سلم مدينة تلمسان الجديدة
لابى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان المحصور بتلمسان
القديمة أكثر ولاية أبي يعقوب .

ووصلت الى بعد وصول الخبر بذلك أبيات من الوالد فى مخاطبة
مخدومنا استلوح فيها من موافقة اسم جد هذا المحصور لاسم
المنزل الذى نحن به معنى فقال (طويل) :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمُبَارَكُ سَبِيهِ تَبَنُّهُ لَمَّا خُوِّلَتْهُ مِنْ مُحَاسَنِ
كَفَيْتَ قَدِيمًا أَهْلَ قَابَسٍ فِتْنَةً غَوَتْهُمْ بِسُغْيٍ مِنْكَ لِلنَّجَحِ ضَامِنٍ
وَلَمَّا أَقَمْتَ الْآنَ فِي يَغْمِرَاسِنَ إِقَامَةً مَجْتَازَ بِهِ غَيْرَ قَاطِنٍ (١)
وَحَسْبِي تَلْمَسَانُ الَّتِي أَبْصَرْتُ بِهَا عَجَائِبَ صَنَعَ اللَّهُ عَيْنُ الْمُعَايِنِ
وَكُتِبَ إِلَى فِى هَذَا الشَّهْرِ شَقِيقَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ
الْفَرِيدَةِ مِنْ نَظْمِهِ (طويل) :

لَأَهْلَ الْحِمَى أَصْبُو وَإِنْ جَدُّ لَائِمٌ وَإِنِّي عَلَى وَرْدٍ بِهِ الدَّهْرُ حَائِمٌ
وَمَا الْقَلْبُ خَالٍ مِنْ هَوَايَ سَا كُنَ اللَّوَى وَإِنْ أَقْفَرْتَ مِنْهُمْ وَأَقْفُوتَ مَعَالِمُ
عَلَيَّ لَهُمْ جَفَنٌ مِنَ الدَّمْعِ مُتَرَعٌ وَقَلْبٌ عَلَى حَكْمِ الصَّبَابَةِ هَائِمٌ
حَمَى اللَّهُ قَلْبِي كَمْ يَحْنُ إِلَى الْحِمَى وَيُطْرِبُهُ عَهْدُ اللَّقَا الْمَتَقَادِمُ

(١) كذا فى جميع النسخ ولا بد ان يكون بعد هذا البيت بيت سقط

يَحْنُ اشْتِاقاً أَوْ يَحْنُ صَبَابَةً إِذَا لَاحَ ضَحَّاكٌ مِنَ الْبَرَقِ بِاسْمُ
وإن غرّدت ورقاء في غسق الدجى يميل بها غصن من الأيكت ناعمُ
تذكر عهداً قد تقضى نعيمه كَانَ لِيَالِهِ الْمَوَاضِي مَوَاسِمُ
أَلَا فِي ضَمَانِ اللَّهِ قَلْبِي فَقَدْ غَدَا يَشْبُ عَلَيْهِ مِنْ لُطَى الشُّوقِ جَاحِمُ
وبالنفس أفدي جيرة قد تحمّلوا فَلَا الْقَلْبَ مَرْتَاكِحَ وَلَا الْجَفْنَ نَائِمُ
نأوا فنأى صبر المتيم إنرهم وَأَيَّ اصْطِبَارٍ بَعْدَ حَبِّ يَلَازِمُ (١)
سرّوا يقطعون البید واللیل عاكف كَانَتْهُمْ فِيهِ نَجُومٌ عَوَائِمُ
على كل فتلاء الذراعين جيرة سَوَاءٌ لَدَيْهَا سَهْلُهَا وَالْمَخَارِمُ
تباري عليها القفر (٢) جَدًّا كَانَمَا قَوَائِمُهَا عِنْدَ النِّجَاءِ قَوَادِمُ
جديّة الآباء موثوقة القوى سَلِيمَةٌ مَا نِيَطَتْ إِلَيْهِ الْقَوَائِمُ
ويا قاتل الله المطي وإنمما نَأَتْ بِأَحْبَائِي الْمَطْيُ الرُّوَاسِمُ
لقد خلفوا من بعدهم ذا صبابة يَرُوحُ وَيَغْدُو وَهُوَ بَنَانٌ وَهَادِمُ
إذا ما جرى ذكر العقيق جرت له دُمُوعٌ حَكَتْ لَوْنَ الْعَقِيقِ سَوَاجِمُ
فيا جيرة الوادي نداء متيم تَعْدَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ حَاكِمُ
أعذكم أني على العهد ثابت إِذَا ضَيَّعَ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ مَصَارِمُ

(١) وقع تحريف شديد في هذا المصراع بجعل النسخ

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « القفر »

وَأَنِّي عَلَى رَعِي الذِّمَامَ مُحَافِظُ وَأَنِّي عَلَى حِفْظِ الْوُدَادِ مَدَاوِمُ
 وَيَا مُزْمِعَ التَّرْحَالِ تَحْمِلْ كُورَهُ عَلَى بُعْدِ مَا يَنْوِي قِلَاصَ سَوَاهِمُ
 لَكَ اللَّهُ عَوْنٌ وَالتَّجَاهُ مَوَافِقُ وَبَلَغْتَ فِي دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ رَائِمُ
 تَحْمِلُ رَعَاكَ اللَّهُ غَنِي تَحْيَا كَمَا انشَقَّ عَنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ كَمَا تَمُ
 تَضَوُّعُ فِي وَسْطِ النَّدَى فَكَأَنَّمَا تَنْشَقُّ مَسْكَامِنَ شَذَاهَا الْعِرَاتِمُ
 وَإِنْ صُرْتَ مَجْتَازاً بِأَرْبَعِ دَمَرُ وَلَا حَتَّ بِهِ لِلْعَيْنِ مِنْكَ الْمَعَالِمُ
 فَخُصَّ بِهِ غَنِي شَقِيقِي وَإِنِّي بِحُكْمِ النُّوَى وَالْبَعْدِ فِيهِ لِرَاغِمُ
 وَصِفْ مَا أَلَا قِي بَعْدَهُ مِنْ تَشَوُّقُ وَوَجَدْتَ تَنْقُدُ مِنْهُ الْحِيَازِمُ
 تَمَثَّلْهُ الْأَشْوَاقُ لِي فَكَأَنَّمَا وَإِنْ كَانَ نَاءٌ بَيْنَ عَيْنِي قَائِمُ
 وَمَا ظِلَّاتِ ضَرْمِ الْقَيْظِ لُوحَهَا فَهَنْ عَلَى وَرْدِ الشَّرَابِ حَوَائِمُ
 إِذَا لَاحَ بَرْقٌ فِي غَنَابِ سَحَابَةِ فَهَنْ لَهَا يَلْتَاكِ مِنْهُ شَوَائِمُ
 رَأَتْ نُطْفَةً زَرْقَاءَ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ مَنَعَةٍ قَدْ غَادَرَتْهَا الْحَمَائِمُ
 يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ كُلَّ عَشِيَةِ وَتَسْتَرْهَا أَغْصَابُ دُوحِ نَوَاعِمُ
 بِأَعْظَمَ مِنْ شَوْقِي لِرُؤْيَيْهِ الَّتِي بِهَا أَمَلِي يَدْنُو وَسَعْدِي يَلَائِمُ
 أَأَجَابُنَا بِالسَّخَطِ مَنِّي لَا الرِّضَا عَدْتَنِي نَجُودُ (١) عَنْكُمْ وَتَهَائِمُ

لقد طال هذا البعد واشتطت النوى وجار علينا الدهر والدهر ظالم
 إذا ما تذكرت الليالي التي مضت تخيلت أني في أدكارٍ حالِم
 أحسن لمسرى البرق من نحو أرضكم إذا ما سرى والليل أسودُ ساجِم (١)
 وكم هيجت شوقي سواجع أيكه يجاوبها إلف لها ويناعِم
 أطارحها رجع الحنين صابرة وأغرب عن وجدي وهنَّ أعاجِم
 فيا ليت شعري هل يعود بقربكم زمان نعمنا فيه والشمل ناظم
 ويا حبذا دهر قضى باجتماعنا كريم وأيام تَوَلَّتْ كرائم
 بحيث قطعنا العيش وهو مهنا ونلنا الأمانى والزمان مُسالم
 وكم قد أدركنا اكؤس المن والمنى علينا ومما غير السرور منادم
 فهل مبلغ ذاك السرور الذي مضى سلاماً تؤديه الرياح النواسم
 إذا حملته عطر الجو عرفه كما خطرت يوماً عليك لطائم
 سقى الله صوب المزن أعلام دمر وروى رباه المارض المتراكم
 ولا زال مطور الثرى مخصب الذرى تردد فيه اللحن ورق جمائم
 إذا السحب أذرى فوقه الدمع أصبحت تضاحك للأزهار فيه مباسم
 وما طلبي سقياه إلا رعاية لمن حله والدهر منقط وحارم

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « ساجم »

ومن اجل من حل الحمى يذكر الحمى وإلا فما تُجدي الربوع الطواسمُ
 فينا نائيا غني ومثواه في الحشا ومن أعجب الأشياء ناء مـ لازمُ
 الى م نوى لا يستطيع احتمالها وحتى م بعد حوله متفاحمُ
 ألا زورة تهدي الشفاء على النوى ويهدي لنا منها المسرة قـ ادمُ
 ومن لي باللقيا ودون مـ نالها فيافي تحامى جوبهن المناسمُ
 اروح واغدو والصبا متسّم عسى خبر يأتي به منك ناسمُ
 وكم لي على بعد النوى من تحية تحملهـا غني البروق البواسمُ
 فيا ليتني طارت بكوري على النوى خوفاً (١) شديداً القوى وقوادمُ
 لأحظي بحظ لي بروياك مقنع واني اذا ما نلت ذاك لغـ اانمُ
 احن اذا ما مرّ ذكرك خاطراً بقلبي كما حنت نياق روائـ م
 عسى الله أن يدني اياك عاجلا فيحسم هذا البعد والين حاسمُ
 ومما يسلي النفس أنك مودعٌ بحيث تحاماك الخطوب الهواجمُ
 ومن يك بالمولى العباد اعتقاله فقد نكبت عنه الدواهي الرواسمُ
 همام توقاد الاسود مهابة وتحسد كفيه البحور الخضارمُ
 عماد بني الدنيا ومولا هبم الذي يصادر (٢) عنهم من عدا ويصارمُ

(١) في بعض النسخ « فـ راخ »

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « يصادم »

من آل أبي حفص الذي قد غدا به حمى الدين في امن وذلّ المراغم
حمى حوزة الاسلام قدماً بعزمه فعزّت له بالله تلك العزائم
لقد شمتت تلك الربوع بماجد نمته الى العاليا جدوداً كازم
يقاسه في ماله كل مجتد وليس له في مجده من يقاسم
كريم اذا ما السحب ضنت بقطرها حلیم اذا ما حف بالعلم راقم
يرى البخل عصياناً اذا سال سائل كان عطاياہ فروض لوازم
يذكر يوم الجود والروع حياتما وعمر او من عمرو لديه وحاتم
حوى قصب العلياء والغاية التي يبرى كل خلق دونها وهو فاحم
فمن كابي يحيى ندى وشجاعة اذا أمه عاف (١) ودارت ملاحم
هو الجود حتى لو تخلف مجتد لسارت اليه من نداه (٢) المكارم
لقد غاب عن ترشيش اذ غاب انسها ولاقت من الاشواق ما لا تنادم
تغير منها كل حسن واصبحت يلوح لها وجه من الشوق قاتم
حياة ابي يحيى حياة بني الدنى وآراؤه من كل خطب عواصم
فلا زال في عز وسعد مجدّد تقابله الايام وهي خواصم
ودام على مرّ الليالي وكثرها ينادي عجيباً للمنى وينادم

(١) في جميع النسخ دامة عافته

(٢) في نسخة « يديه »

واستهل بعد هلال صفر بالثلاثاء ففي أواسطه وصل إلينا الفقيه
الاجل ابو زكرياء بن يعقوب وذلك يوم الجمعة الثامن عشر منه
وأخبرني أن خروجه من تونس كان يوم السبت الخامس منه ، ولما
وصل عزمنا على التوجه الى طرابلس للاقامة بها الى ان يصل ركب
يتوجه معه مخدومنا الى المشرق على حسب ما كان بنى عليه أولا
فأقمنا بفمراسن بعد وصوله شهرا كاملا وارتحلنا منه ظهر يوم
الاحد الثامن عشر لشهر ربيع الاول فكانت مدة الاقامة بها أربعة
أشهر وثلاثة عشر يوما التي هي بحساب كمال الشهر ونقصه
مائة وواحد وثلاثون يوما ، وودعنا في هذا اليوم الفقيه أبو ابراهيم
ابن حسينة وانفصل متوجها الى تونس وأنشد مخدومنا عند
وداعه له (بسيط) :

سَخَا بِنَفْسِي عَلَى إِثَارِ صَحْبَتِكُمْ يَوْمُ الْوَدَاعِ وَمَالِي مِنْكُمْ خَلْفُ
الْأَقْوَادِ (١) كَطِيرٍ حَلَّ فِي شَرَكٍ وَدُمْعَةٌ مِثْلُ مَنْهَلٍ الْحَيَا تَكْفِ
أَكْفَهَا عَنْ مَجَارِيهَا فَيَعِثُهَا حَادٍ مِنَ الْوَجْدِ يُجْرِيهَا فَلَا تَقِفُ
خِلَالَهَا زَفْرَةٌ تَشْتَدُّ طَالِمَةً تَكَادُ مِنْ حَرِّهَا الْأَضْلَاعُ تَنْقُصُ
عِلْمُ الْيَقِينِ بَأَنِّي أَنْ صَحْبَتَكُمْ أَرْدَى وَشِيكَاءُ وَلَمْ يَمَهِّلْنِي التَّلَفُ
فَقُلْتُ مَا صُحْبَةٌ دَانَتْ تَصْرُمُهَا بَعْدِي (٢) بَفَرَقَةٍ وَقَدْ مَالَهُ طَرْفُ

(١) في نسخة « وحيدا »

(٢) كذا في جميع النسخ

وفي رجوعي رجاء للبقاء به ارجو حصول التلاقي حين تنصرف
فاختار عبدك بعداً بعده صلة على اتصال يعد الدهر يكتشف
فانظر بعين اعتبار ما اتيت به يقيم لي العذر في عيائك النصف
واترك مقالة اقوام ذوي غرض يردهم قصدهم عن بعض ماعرفوا

وقربنا نحن مرحلتنا من الغد فبتنا على غير ماء ثم أصبحنا يوم
الاثنين فنزلنا بئر تعرف بالعقلة وهي بئر مرة تتضمنها أرض قفرة ،
ووجدنا بعض المحاميد قد أوردوها ذلك اليوم ابلا كثيرة فزادها
الى المראה تغيرا ، وأخبرني بعضهم أن حفر تلك البئر محدث وأن
البئر القديمة المعروفة هنالك ابعد يسيرا منها وانما انتقل الورد الى
هذه لفضل مائه على الماء الاخر ، وأرض هذه البئر من الارض المعروفة
عندهم بأرض فسى - بكسر الفاء وكسر والسين المهملة مشددة -
ثم انتقلنا يوم الثلاثاء الى ماء يعرف بائقار بضم القاف كذا ينطقون
به وهي أحساء لا يستطيع أحد لمائها شربا ، ولا يحب الليلة قربها
قربا (١) ، ومنه يوم الاربعاء الى ماء يعرف بأبي الحبر - بضم الحاء
والباء - لا يحمد مذاقه مختبر ، ولا يصبر لتجرع صبره مصطبر ، ومن
هذا الماء فارقنا أرض المحاميد وودعنا في هذا اليوم أميرهم يعقوب
ابن عطية وانقلب راجعا الى مخيمه وبتنا نحن تلك الليلة هنالك ثم

(١) كذا في بعض النسخ وفي نسخة « ولا يحب ليلة قربها قربا »

ارتحلنا من الغد فنزلنا بماء يعرف بتاذر ، وهو أول أرض الجوارى وهم بنو جارية بن وشاح بن عامر وقد تقدم رفع نسب وشاح الى سليم عند ذكرنا للمحاميد ، ورئاسة الجوارى الان فى المراجعة منهم وأميرهم فى حين تاريخه سالم بن مرغم بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية ووصل الينا بهذا المنزل بعد أن كان قد انصرف عنا من منزل أجاس قبل وصولنا لغراسن على ما تقدم ، فصحبنا فى هذا المنزل وما بعده من المنازل ولما اجتمع بنا رغب الى مخدومنا أن تكون اقامتنا عنده بمنزل زنزور (١) الى أن تصل المشارقة وأن لا يتجاوزوه الى طرابلس وجعل هذا الغرض من أكبر مطالبه ، وأقصى مثاربه ، وانما فعل ذلك مضاهاة لابن عمه يعقوب بن عطية حيث أقمنا عنده بمنزل غراسن تلك المدة المتقدمة ، فلم يكن بد من اسعافه بما طلب فتوجهنا بانين على الإقامة معه حيث ذكر .

وكان انتقالنا عن تاذر يوم الخميس فملنا الى طريق الساحل متياسرين ، وسامتنا من البحر مدخل فى البر آخذا (٢) من المشرق الى المغرب بطول خمسة أميال أو نحوها ، ومرساها مرسى مستحسن عند أهل البحر ويعرف هذا الموضع فى القديم بقصر طالح ، وسيأتى له ذكر فيما بعد هذا وهنالك السبخة المفضل ملجها على جميع السباخ ومنها يتار أكثر بلاد النصرانية جثناها وبها اذ ذاك ماء يسير وكأنها

(١) فى بعض النسخ « جنزور »

(٢) بياض فى بعض النسخ وفى بعضها اختلاط كبير لا تستقيم معه العبارة

طرف من سبخة التاكمرت التي بتوزر ، وأهل ذلك الموضع
يذكرون انهم اذا رفعوا ما على وجهها من الملح ووصلوا الى تراب
الارض احتفروا فيه قليلا فوجدوا طبقة من الملح أخرى ثم يحتفرون
فيجدون طبقة أخرى وكذلك الى سبع طباق وهم يجهدون الى
الطبقة السابعة لان انصارى يتغالون في اشتراؤه منهم ، ويذكرون
أن له عندهم منافع طيبة متعددة .

واجتزنا بعده أيضا على ورد يعرف بتفاضلات - بالتاء المثناة من
أعلاه والفاء والضاد المعجمة - وهي أحساء ماء بين أحقاف رمال
ووجدنا العرب قد أوزدتها في ذلك اليوم من النعم الدثر ، ما ضاق
به متسع ذلك القفر ، وتمادى السير بنا الى أن نزلنا بظاهر
زواردة الصغرى وتعرف أيضا بوطن بلد المرابطين وهي قرية ذات
نخل كثير باسق الارتفاع وماؤها في غاية العذوبة وقد استولى
الان الحراب على هذه القرية فليس العامر منها الا بعض الغامر ،
وأهلها قوم من الخوازج غلاة في مذهبهم موصوفون بتصميم في
دينهم وأمانة فيما يودع عندهم مكفرين بمواقعة (١) الذنوب ورأيت
منهم اقواما قد نحلت من العبادة ابدانهم ، واصفرت ألوانهم ، بانين
في ذلك على هذا الاصل الفاسد من تكفير العصاة على ما تقدم بيانه
عند ذكر جربة

وأظهر أهل وطن المرابطين شيخ يعرف بعبد الرحيم الزوارى

وجميعهم يعظمه ويقدمه رئاسة وسنا وصلاحاً بزعمهم اجتمعت به
فرأيت شيخاً مجتهداً في العبادة حسن السمات الا انه باعتقاده الفاسد
قد ضيع اعماله ، وخسر حاله وماله ، وتوسست في احد من وصل معه
الطلب فتكلمت معه فوجدته قد شارك في طرف من العلم وانجر
الكلام معه من التحدث في اصل المعتقد الى التحدث في مسألة المسح
على الحفين في الطهارة فشنع بها على مشتيها كثيراً وفاقاً لمذهب
الحوارج ، فذكرت له بعض الاحاديث الواردة في ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فردها بالجملة وقال هذه اخبار آحاد لا يجب
العمل بشيء منها ، قال : وقد نص لنا سيدنا ابو يزيد فخلد بن كيداد
على طرح ما كان من الاحاديث يناقض اصلاً من اصولنا فلعلت
النص ومن نصه ، وأبعدت عنى لفتات لم يصن لسانه عنها شخصه ،
وقد وافقت الحوارج على انكار المسح على الحفين اضدادهم الشيعة
مستندين في انكاره الى ما رووه عن علي بن ابي طالب رضوان الله
عليه انه كان لا يرى المسح ، وذلك غير صحيح عنه كرم الله وجهه
فان حديث التوقيت في المسح وهو حديث صحيح يروى (١) وقد
تغالى الشيعة في هذا واتخذوه شعاراً حتى ان الواحد من غلاتهم ربما
تألى فقال : برئت من موالاة امير المؤمنين ومسحت على خفي
ان كان كذا والى هذا اشار الشاعر بقوله ، ونذكر حكاية هذا
الشعر على ما ذكرها ابو سليمان الخطابي في معالمه ، قال :

(١) كذا في جميع النسخ ولا بد ان يكون في العبارة نقص ولعل الناقص هو « عنه »

كان الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وعنهم واليا على المدينة من قبل ابي جعفر المنصور فكتب على بعض كتابه فحبه فكتب له من السجن (١) (بسيط) :

اشكو الى الله ما لقيتُ احبت قوما بهم شقت

لا اشم الصالحين جهراً ولا تشيئت ما بقيت

امسح خفي ببطن كفي ولو على جيفة وطيت

قال فاطلقه واكرمه .

واما الخوارج فوقفوا في انكار المسح مع نص الكتاب ولم يروا نسخة بالسنة ، ورويت (٢) عن مالك رحمه الله في ذلك رواية شاذة لا ينبغي ان تحمل على ظاهرها ، وقد تناولها عليه من صححها عنه . وبالجملة فالعلماء مجمعون على خلاف هذا القول وقد نصوا على تفسيق من قال به ، وقول هذا الزواري ان هذا من اخبار الاحاد ليس كذلك فقد نص الآية على ان هذا الحكم ما ارتفع عن رتبة خبر الاحاد ووصل الى رتبة التواتر

وأمام هذه القرية بقربة منها قصر يسمى وزدر - بكسر الواو - وسكون الزاي وكسر الدال المهملة - قد محى رسمه ، وبقي اسمه ، وتخرّب أكثر البناء الذي يحف به ولم يبق من اهله الا أناس قليلون

(١) في بعض النسخ « من الحبس »

(٢) في بعض النسخ « روى »

سكنوه حبا للوطن، وهذا القصر هو المشهور ببيع من يجتاز به الحجاج وغيرهم للنصارى، ولم تزل الركوب تحترس اذا مرت به خوفا من أهله وخوفهم على سرقة الرجال، أكثر من خوفهم على سرقة الرحال، فاذا جازوا عليهم ولم يفقدوا أحدا ممن معهم هنا بعضهم بعضا بذلك، وكان هذا الفعل فيهم كثيرا شائعا فيما تقدم وأما الآن فقد قل ذلك لقلة العابرين به، وسألت أقواما منهم عما اشتهروا به من هذا الفعل فأقروا به ولكنهم ادعوا انقطاعه عنهم جملة، قالوا وهذا الخراب الذى فى موضعنا الآن انما هو مساكن القوم الذين كانوا يفعلون ذلك أهلكتهم الله تعالى وأخرب بيوتهم.

فبتنا تلك الليلة بظاهر وطن ثم أصبحنا من الغد مرتحلين فاجترينا فى أول المرحلة على زوارة الكبرى التى تسمى كوطين - بضم الكاف وكسر الطاء المهملة - وهى قرية أضخم من الأولى وأكبر غابة، وفى أهلها شجاعة موصوفة وعزة أنفس وطاعتهم للعرب مشوبة بعصيان وكان نزولنا منتصف النهار بظاهر ولول، وبين وطن وولول عشرون ميلا وهما قريتان متشابهتان عدوية ماء وخراب بنيان وولول هى منتهى أرض زوارة، وسميت بذلك لان أقواما من البربر يعرفون بنى ولول نزلوا بها وكذلك تعرف فى القديم بأرض بنى ولول، وهى أكثر بقاع الأرض ظباء ولاهلها دربة فى صيدها بأشراك ينصبونها لها تميزوا بذلك عن غيرهم.

ومن ولول يوم الاحد الى موضع يعرف بتليل وهو حصن فى راس تل مشرف على البحر وتحف بالقصر فى سند التل دور كثيرة معمورة وما تحت التل سوانى ومزارع وليس هناك شجرة واحدة وانما معتمدتهم فى سكنائهم بذلك القصر على ما يزدرعونه بتلك السوانى ، وبها آبار معينة الا أن ماءها شريب وليس العذب منها الا ما بين التل والبحر وأهله برابر نكارة موصوفون بخبث وشر .

وارتحلنا عنه يوم الاثنين فاجتزنا فى أول المرحلة على زواغة وبينهما ستة أميال أو نحوها ، وزواغة هى أكبر قرية فى ذلك الموضع وأضخمها وبها نخل كثير ومنها يظهر للمتوسم بعض مباني طرابلس وبينهما نحو خمسين ميلا ، وأهلها لم يزالوا فى القديم مشكورين مكرمين للحجاج على الضد من جيرانهم أهل زوارة ولم يكن يسمع عن أحد منهم بيع مسلم ولا تعرض له بسوء ولكنهم فى هذا الزمان أظهروا تعديهم ، ومدوا الى المراكب البحرية والركائب البرية أيديهم ، كأنهم حسدوا أهل زوارة على تميزهم بتلك الفضيلة التى اشتهروا بها ، وبهذه المدينة آثار قديمة وأعمدة مرتفعة من الرخام قائمة الى الان لابناء يكنفها ووجدت سارتين منها متجاورتين على شكل واحد وكل واحدة مؤلفة من أربع قطع فى غاية الضخامة والارتفاع وحسن الصنعة غير أن احدهما قد سقطت قطعة من أعلاها فأخبرنى أهل الموضع أن بعض كبراء

العرب كلفهم رمى تلك القطعة لانه سمع أن كل قطعة منها مملوءة ذهباً فرموها وكسروها فلم يجدوا بها شيئاً ، وإلى جانبها من جهة البحر آثار المدينة القديمة المعروفة بصبرة (١) وربما كتبت بسين مكسورة عوض الصاد ، وهي كانت في القديم قاعدة ذلك الموضع كله ولم يكن هناك أحصن منها ، واستفتحها عمرو بن العاص رحمه الله تعالى أول دخوله لأفريقية بعد افتتاحه لطرابلس ، جرد إليها خيلاً وهم آمنون قبل أن يصل إليهم الخبر بفتح طرابلس فصبحتها (٢) خيله ، وقد فتحوا أبوابها لتسرح ماشيتهم وكان على الحيل عبد الله بن الزبير فدخلوها فلم ينبج من أهلها أحد إلا ناس قلائل توجهوا في مراكب لهم إلى صقلية واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ورجعوا إلى عمرو فأمرهم يهدمها واحرقها

وبعد مجاوزتنا لزواغة اجتزنا أيضاً على قرية أخرى تعرف بصرمان وسيأتي لها ذكر بعد هذا ، ثم اجتزنا على زاوية تعرف بزاوية أولاد سهيل فنزلنا هناك وهي رابطة حصينة يحف بها شجر كثير من التين والرمان والخوخ وغير ذلك ، ولها أرض متسعة تعرف بالسابرية ، وأولاد سهيل قوم من العمور ، والعمور فخذ من الوشاحين ينتسبون إلى عمور بن وشاح أخى جارية بن وشاح أخى المحاميد ، ولهم أخ رابع اسمه جواب وهو أبو الجواوبة ، وقبيلة

(١) صبرانة

(٢) وفي بعض النسخ « مجبتها »

العمور والجواوية في زماننا هذا لم يبلغ من كثرتهم أن يقوم كل قبيل منهما بنفسه فهم تابعون لاحدى قبيلتى اخوتهم الجوارى أو المحاميد ، وقد كانت قبل هذا لهم بهذه الارض صولة ، ساعدتهم فيها من الايام دولة ، ثم أخذ الدهر ذكرهم ، وطوى أمرهم ، وهم الان تابعون للجوارى ، وسهيل صاحب هذه الزاوية رجل كان يعرف بأبى عيسى يذكر عنه صلاح واعتناء باضافة من كان يرد عليه وتوفى عام ثلاثة وسبعين وستمائة ، وخلفه فى اقامة (١) رسم هذه الزاوية أبناءه وهم ناس صلحاء سكنوا تلك الزاوية رحمة للمجتازين بهم فانهم يرفدونهم بما يحتاجون اليه من زاد وغيره ويرجعون اليهم ما استلبتهم العرب ، والدباييون يرعون لهم حق رباطهم وحق مشاركتهم لهم فى النسب .

ولما نزلنا بمقربة من هذه الزاوية وصل اليها أهلها راغبين فى الوصول الى موضعهم والتحرم بطعامهم فسرنا مع مخدومنا اليهم فأصعدونا اليهم فوجدناهم قد شحنوها بالعدد المنمة على نحو (٢) التحيس عليها ، ورأيت هنالك كتبا كثيرة محبسة وزرنا بداخلها قبر الشيخ أبى عيسى رحمه الله ، ثم أتوا بطعام محتفل فطعمنا وانتشرنا وبتنا تلك الليلة بمقربة منها ، ثم لما أصبحنا سرنا فاجتزنا بزاوية أضخم منها حالا ، وأكثر رجالا ، وبها مبان كثيرة ولها أرض

(١) فى جميع النسخ « امانة »

(٢) فى بعض النسخ « على رسم »

متسعة وتعرف بزواية اولاد سنان اخوة الوشاحيين والنوائل ، وهم بنو سنان بن عامر بن جابر وعامر هو أبو وشاح ونائل كما تقدم عند ذكرنا للنوائل ، فبنو سنان يتداعون مع الوشاحيين في عامر أبيهم ، وهذه الزاوية راجعة الى حكم عبد الله بن دباب بن أبي العز بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية الشديد القسوة المشهور هو وبنوه بربط البربر وتعذيبهم بالنار وغيرها لاستخراج أموالهم منهم ، وهنالك مجمع (١) العرب وسوقهم ، وبها يباع مجتلبهم ومسوقهم

وكان نزولنا في هذا اليوم بموضع يعرف بلماية ، وهي قرية صغيرة وبها نخل يسير وقصور مرتفعة متفرقة ، وبمقربة منها قرية تعرف بقرقوزة - الاولى راء والثانية زاي - وبها آثار قديمة وكانت لها غابة نخل فأهملت وبطل ثمارها فبتنا تلك الليلة بلماية كما تقدم . ثم أصبحنا يوم الاربعاء الثامن والعشرين من هذا الشهر وهو شهر ربيع الاول فحللنا بمنزل زنزور ، فرأيت غابة متسعة الاقطار ملتفة الاشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون وأكثره من الفرس القديم على نحو زيتون الساحل ، وليس يعظم (٢) شجره في موضع من المواضع ما يعظم (٢) في هذه القرية ، وبها مع ذلك نخل كثير وزطبه متناهي الطيب ، وبها أيضا من شجر التفاح والرممان

(١) في بعض النسخ « مجتمع »

(٢) وفي بعض النسخ « يعظم »

والعنب والتين كثير وهى كثيرة القصور وقد استولى الرمل على أكثرها ، وهم الآن يتوقعون استيلاءه على باقيها ، ويقال ان طولها الآن نحو من خمسة أميال وعرضها نصف ذلك ، وهى أشبه البقاع بجزيرة جربة هياة غراسة ، واتصال عمارة ، ولا فرق فى المنظر بينهما الا أن مساكن أهل جربة أخصاص من النخيل كما تقدم ومساكن هؤلاء دور مبنية ، وكانت فيما تقدم من أملاك أهل طرابلس فلما وقعت فتنة الميورقى بتلك الجهات وانقطع بسبب ذلك حرق أهل البلد اليها وانتفاعهم بشيء من غلها (١) زهدوا فيها فباعوها من بعض البربر فهو أصل ملك المجريسين (٢) وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص رحمه الله ، أسسه واحتجر من هذا الجامع موضع فدفت فيه أم سالم بن مرغم وكثير من ولده وضرب عليه بياض .

ويجاور هذا الجامع قصر خرب متسع يعرفونه بالقصر القديم يقال انه أول قصر بنى بزوزور ، ولم يبق منه الا سور المحيط به وهم يعظمون أمره ويقولون ان فناء (٣) ما بقى منه يؤذن بخراب البلد وفناء أهلها ، والى جانب هذا الحائط يكون مجتمعهم لنصب سوقهم وهى سوق نافقة ضخمة يجتمع البربر بها من الاقطار

(١) فى بعض النسخ « غلاتيا »

(٢) وفى نسخة « تملك المجوسيين »

(٣) فى بعض النسخ « بقايا » وفى سائرهما « بقا »

المتناثية (١) فى كل جمعة فيسعون هنالك جميع ما يجلبونه وأهل
زنزور قوم من البربر هواريون ثم مجريسيون كما تقدم .
وهوارة يقال ان أصلهم من البربر وان أباهم هوار بن المثنى بن
المسور بن يخصب ، ويقال ابن أبى المثنى وكذا رأيت بخط أبى
اسحاق الاجدابى ، وسمى هوارة لكلمة قالها فى حكاية طويلة
اختصارها أنه كان ساكنا بالحجاز فضلت له ابل فتوجه فى طلبها
الى أن بلغ الى مصر ودخل الى بلاد المغرب طالبا لها فمر بجبال
طرابلس فقال لعلامه أين نحن من الارض ؟ فقال له الغلام بأرض
افريقية، فقال: لقد تهورنا، والتهور الحق، فسمى هوار لذلك، وحالف
بافريقية قوما من زناتة فرأى عندهم العرجاء أم صنهاج ولط بنى
لط الاكبر وقد كان زوجها لط توفى عنها وكانت جميلة
فتزوجها هوار فكثر نسله منها واتسع فهم الهواريون ومجريس
فخذ منهم ، سموا باسم أمهم ، وكانت لا بينهم وخيع (٢) زوج أخرى
تسمى تاسا ينسب اليها التاسيون فبنو مجريس وبنو تاسا بنو أب
واحد .

وكانت لمجريس قبل هذا قوة واشتداد بقرتهم هذه وامتناع
من العرب لم يكن أحد من العرب ولا غيرهم يدخل غابتها ولا
يتجاوز شجرة واحدة منها الا باذن منهم ، وكان بها اذ ذاك أجناد

(١) فى بعض النسخ « متباينة »

(٢) فى بعض النسخ « وخيمن » ولعل الصواب « ونيقن »

مرسومون فى ديوان العطاء كلهم من أهلها قد عدوا هنالك جندا لمن يلى طرابلس ، ورسم لهم عطاء يقبضونه من خراج طرابلس فكانوا يذيقون الاعراب شرا ، ويكفون منهم فسادا كثيرا وضرا ، ولم تنزل العرب حاقدة عليهم الى ان ضعف الامر وتمكن مرغم بن صابر من الدولة وطلب من الملك أخذ هذه القرية بظهير فأعطىها وذلك فى أول سنة ست وسبعين وستمائة ، فأخبرنى صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد السلام الاموى التاجورى ، قال : لما وصل مرغم بن صابر الى طرابلس أرائى الظهير وسألنى هل هو صحيح فقلت له : انه صحيح ، وهو بالعلامة الجارية قال : فحينئذ أيقن بتملكها ولم يكن يصدق بذلك ، ولا خطر له قط أن يجوزها سالك ، فأحرى أن يجوزها مالك ، ثم أخذ فى اضعافهم ، والسعى فى اتلافهم ، الى أن كاد يفنيهم ، وفى وقتنا هذا متفرقون الى جماعات كثيرة وأظهر فرقهم فرقة تعرف بالقياد وأمرهم راجع الى رجل اسمه جابر بن مالك وهو قائد الرئاسة فيهم ، وتناظر هذه الفرقة فرقة أخرى تعرف ببني سلام وبني حسين تجمع الفرقتين ، ولا تزال الحرب قائمة بينهما وينضاف اليهما باقى الفرق كالحطابين وبني مزبلة والابراهيميين وبني رزق وبني مدنين وغيرهم فى حال الحرب والسلام بالحلف والمعاقدة ، وجميعهم منقسمون بين المراغبة من الجوارى على رتبهم لكل واحد منهم جماعة يجيها ويحميها وربما تباعوهم فيشتري أحدهم ونساؤه وولده للجباية بما يتراضى مع صاحبه عليه ويجعل أداء فى كل عام

على حسب شجره وسعة أرضه وليس أهلها ملاكا في الحقيقة لشيء منها وإنما هم أجراء للعرب ناصحون واسم الملكية لهم هو النصح في الخدمة .

وبظاهر زنزور كانت الواقعة بين جعفر بن حبيب قائد باديس ابن المنصور ويانس الصقلبي (١) الواصل من مصر وكانت منزلة جعفر بن حبيب بغربها ومنزلة يانس بشرقيها فالتقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل هو وأكثر جنوده وحملت رؤوسهم الى جعفر وذلك في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقد قدمنا الخبر عن هذه الواقعة مستوفى قبل هذا .

ومن أهل زنزور صاحبنا الفقيه أبو يحيى بن أبي بكر بن برنيق الهواري المجريسي انتقل من زنزور الى طرابلس فاستوطنها ، وله مشاركة في علوم منها أصول الدين على طريقة القدماء قرأها على الفقيه أبي محمد بن أبي الدنيا ، ومنها الفقه وغير ذلك ، لقيته بزوزور ثم لازمني بعد بطرابلس وهو شيخ كبير السن حفظه (٢) متع الحديث ذو دين متين ويذكر أنه كان في صغره آية في الجمال وحسن الصورة وافتضح في محبته بعض الكبراء من أهل طرابلس فأدركه خبل في عقله فكان مولعا بتكرار اسمه لا يجيب من كلمه الا بذلك ، وأخبرني بعض أهل طرابلس أن هذا المفتضح المخبل العقل كتب

يوما فى جدار من جدران طرابلس : أيلام من يحب أبا بكر ؟ فقرأه بعض الظرفاء فكتب تحته ان كان أبا بكر الصديق ، فأنت مؤمن على التحقيق ، وان كان أبا بكر بن برنيق ، فأنت فاسق زنديق .

وزرت بخارج الغابة من هذه القرية قبر الشيخ أبى محمد عبد الجليل الحكيمى (١) وهو على ساحل البحر بيت يجاور مسجده الذى كان انفراد فيه بنفسه ، وتخلى عن أبناء جنسه ، وهذا المسجد من المحارس القديمة البناء المفرطة الحصانة وانما أضيف اليه لسكانه به ، وبنائه الى جانبه ، وأصله من العرب الحكيميين وأهل هذه الجهة يعظمونه كثيرا ، وأخبرنى جماعة منهم أنه مات وقد نيف عمره على المائة والعشرين وكانت وفاته يوم الاحد الثالث لشهر ربيع الاول المبارك من عام خمسة وثمانين وستمائة ، رأيت هذا مكتوبا على قبره .

وعلى مسافة يسيرة من مسجده هذا من جهة غريبه على الساحل أيضا مسجد يعرف بسيقاظة - بكسر السين المهملة وبالقاف - ابتناه الفقيه الصالح أبو الحسن السيقاطى رحمه الله وبه كان يتعبد وهنالك قبره زرتة ودعوت عنده ، وكانت وفاته قديما سنة عشرين وأربعمائة وخرج جميع أهل طرابلس ومن حفر بها من النواحي والبلاد فصلوا عليه وكان له يوم مشهود ، وتوفيت لمخدومنا فى أثناء اقامتنا بزور ابنة صغيرة فدفنت بخارج مسجد سيقاظة هذا .

(١) راجع كتاب الاشارات لعبد السلام بن عثمان (طبع طرابلس الغرب) ص ١١٠ - ١١١

وعلى هذا الساحل بطوله مساجد كثيرة ، وهى مساكن للصالحين قديما وحديثا شهيرة ، والناس يزورونها ويتبركون بها وانها لمن أحسن المساكن لمن يريد الانفراد لعبادة ربه والساكن بها يجمع بين الاحتراس ، ومجانبة الناس ، وأكثرها من مباني ابن الاغلب مبتنى المحارس من (١) الاسكندرية الى مجاز سبتة وقد تقدمت الاشارة الى ذلك قبل هذا .

وفى أوائل شهر جمادى وصل الى زنزور غلبون بن مرزوق السالمى وهو أمير آل سالم بن رافع بن دياب ، وهم أمم لا يحصون فيما بين طرابلس وبرقة ، فتحدث مخدومنا معه فى السفر صحبتة فلم يوافق عليه خروج أكثر جماعته من يده وقوة طمع آل سالم وخيانتهم ولم يجعل الى التشريق فى ذلك العام سيلا بل قال انه لا يتصور بحال ، وجعله من أعظم منتهى وأكبر محال ، وكانت أيضا الاشاعات قبل هذا تنادى (٢) إلينا بوصول ركب الغرب صحبة الارشال المشاركة فلم نكن نتوقع اياها من تهيو السفر فى ذلك العام الى هذا الحين ، فلما سد غلبون باب الطريق ، ومنع بالجملة من التشريق ، ولم نتحقق للمغاربة قدوما ، بل عاد موجود تلك الاشاعات كلها معدوما ، وانما تأخروا بسبب موت السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى الذى توجهوا بالهدية اليه ،

(١) فى جميع النسخ « بين »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « تنادى »

اقتضى النظر الدخول الى طرابلس والتوطن على السكنى بها الى أن يكون الحج في عام ثمانية وسبعمئة ، فكان دخولنا اليها يوم السبت التاسع عشر لجمادى الاخرى وكانت مدة الاقامة بزنزور شهرين اثنين وعشرين يوما

وفى أثناء هذه الاقامة بزنزور وصل الى كتاب من ابن عمى الفقيه الكاتب البليغ أبى الفضل محمد بن على التجانى جوابا عن كتاب صدر منى اليه ، ونص كتابه نظما ونثرا : (مجزو الرمل) :

لمع البرق فشمتُهُ	وبدا سرّ كتمته
وسرى نحوي بسرّ	وبمعنى (١) ما فهمته
مُعَلِّما (٢) خلعة ودّ	من وداد قد علمته
كاشفا غني قناعاً	بدموعي قد رقمته
همل الدمع لبرق	بلظى نارى وستته
وأطار القلب مني	وبودّي لوزمته
فهو للوجد مضيع	وعلى الشوق ضمته
أفرد التركيب بالتحليل	لما أن قسمته
فلدّي الجسم والقلب	لدى خِلْ عدمته

(١) وفى نسخة « وبغجب »

(٢) بياض فى بعض النسخ

سار شرقا فمدحت الشرق من غرب (١) ذمته .
ثم حياني برّوح وبريحات شمتة
بكتاب صَحَّ في الود د دليلا فأقمتة
كم سرحت الطرف مز تاحا إليه ولثمتة
رسمت (٢) أحرفه فيه خلوصا قد رسمته
يعلم الله اعتقادا واتّحادا ما حرمتة
وانتسابا وانتسابا لهوى مني أدمته
وبعين القرب في سنّ الهوى بالنفس سمتة
فإذا صَحَّ بشيء فهو ما يّنت رمتة

وهل أعزكم الله للقلب ارتياح ، الا اذا كان لشمس القرب التياح ،
فحينئذ تتجلى ظلمه ، ويشهر بناره (٣) علمه ، فنور القرب لا يبقى
ظلاما ، وينادي نار القلب يا نار كوني بردا وسلاما ، وسيأتي عند
جسم نداه (٤) جوهره ، ولم يغب عن القلب مظهره ، وروح ائتلف
مع البعد متعارفها ، واتخذ بالذم في أهل النهى معارفها ، والاسباب
التي تدنى الشاسع ، وتنفي القاطع ، شوق من خافق الجناح او

(١) في بعض النسخ « من عزم »

(٢) في بعض النسخ « وسمت »

(٣) في بعض النسخ « بالاخبار » وفي بعضها بياض

(٤) في بعض النسخ « نراه »

كتب تتصل به أشعة شمسه ، أو سر لا ينشر دفينه من رسمه ،
وأقواها سببا ، وأقربها نسبيا ، تعارف الروحين في مبدأ أول ، وتوحد
الاثنينية بقلب غير قلب وحال غير حول ، وهذا هو النسب ، الذى
تحدد فيه النسب ، على كل حال ، ولعل حال مودتنا بحسب هذا
الاتصال يتصل ، فهذا هو الفصل المميز الذى لا يمتاز عن جنسه
ولا ينفصل ، وأطلب منكم أن تبلغوا أملى المعظم سلمه الله سلامى ،
وتؤدوا له ما يجب من توقيرى واعظامى ، ولو كنت عنده أعزه الله
سليم العقد ، سالما من النقد ، لأقدمت على مخاطبة جلاله ، وجريت
على عادتى فى ترسيل الكلام وارساله ، وفى التأليف الذى رفعت
الى مجده المرفع محفوظه ومخفوضه (١) وأدبت الى مقامه المحمود
معروضه ومفروضه ، وهو المصنف الذى خصصته بسيادة العلماء ،
وسميته « الناسم » (٢) وأستحيى ان أذكر الإحياء ، دليل على العادة ،
فى تلك العباداة ، زمن اسعاد السعادة ، ولا جرم أن الجزم للحظ
المنفمس (٣) وأن الفراسة لا ترد بطش الدهر المفترس ، والامر لله وحده ،
وحتى الان ليس لى عيش الا فى بركته ، ولا دعاء الا بكلاءة الله فى
سكونه وحركته ، فهو مبدأ الحياة لى وتناميها ، وكفه بوكفها طالما
روانى غمامها ، وقد اتصلت من نحو برقة بروق ، لا تنبض معها

(١) محفوظه ساقط فى بعض النسخ

(٢) وفى بعض النسخ « الناسم »

(٣) كذا فى جميع النسخ وما يقتضيه السياق « ولا جرم ان الجزم لا يرفع الحظ المنفس »

او عبارة بمعناه

عروق ، غير أنكم وان أجريتم فى مرعى (١) خصيب ، ومسعى للخير
مصيب ، قد أحضركم السفر فى مكان مكن ، واستندتم الى ربوة
ذات قرار ومعين ، فمن اليقين أنك لا تظماً فيها ولا تضحى ، وأنك
تقطع كل يوم بسيما فطر وأضحى ، كل ذلك بمقاربة ذلك الجنب ،
واعمال السير والسرى فى مصاحبة ذلك الركاب ، والله تعالى
يصحبكم الخير والخيرة ، ويصون لحفظ محاسن الجود تلکم الذخيرة ،
ويديم اليمن المصاحب لامرکم مدبراً ومديراً ، ويقيم لكم فى كل
أرض تحلونها روضة وغديراً ،

أشار بقوله فى هذه الرسالة وسميته « الناسم » ، وأستحى ان أذكر
الاحياء ، الى مبحث كان بينى وبينه فى لفظة الاحياء مما ذا بنيت
افعل فيه وهى انما تبني من فعل بينى منه فعل التعجب ، وفعل
التعجب انما بينى من الفعل الثلاثى واليه أشار أيضاً فيها ولو كنت
سليم العقد ، نالما من النقد ، فأجيبته عن هذا الكتاب بقولى وكلا
الشعرين الاصل والجواب لزومى : (مجزو الرمل)

نَمَّ عَمَّا قَدْ كَتَمْتُهُ مَا مِنَ الدَّمْعِ سَجْمَتُهُ

وَشَجَا الشُّوقَ فَوَّادَا لَمْ يَطْعَنِي حِينَ أُمْتُهُ

سُمْتُهُ الصَّبْرَ فَحَالَ السُّوْجِدِ عَمَّا مِنْهُ سُمْتُهُ

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ وَالسَّنَلَوَانُ ذَنْبُ مَا اجْتَرَمْتُهُ

(١) وفى بعض النسخ « مفضى »

قَسَمٌ فِيكُمْ بِشَوْقٍ مَذ تَفَرَّقْنَا لَزِمْتَهُ
مَا تَذَكَّرْتُ فَوَّادِي بَعْدَكُمْ إِلَّا رَحِمْتَهُ
لَا وَلَا مَرًّا (١) ذَكَرَكُمْ لَيْلًا فَمِثَّهُ
وَلَقَدْ جَدَّدَ وَجْدِي بَارِقَ لِلْغَرْبِ شِمْتَهُ
هَاجَ لِي ذِكْرِي نَعِيمٌ مَعَ مَنْ أَهْوَى نَعِمْتَهُ
وَأَفَادَ الْقَلْبَ قَرِيبًا قَلْبَهُ لَمَّا فَهَمْتَهُ (٢)
مَنْ كِتَابَ أَوْجِبَ الْإِنْسَ وَقَدْ كُنْتُ عَدَمْتُهُ
أَحْرَزْتُ كَفِّي مِنْهُ غَنِمَهَا حِينَ غَنِمْتَهُ
جَاءَ فَالَا بِاقْتِرَابٍ بَعْدَ بُعْدٍ قَدْ سَمِيتُهُ
مَقْلَمًا لِي بِوُدَادٍ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ عِلْمْتُهُ
فَمَدَدْتُ الْقَوْلَ فِي الشُّكْرِ عَلَيْهِ وَأَدْمُتُهُ
وَتَمَثَّلْتُ يَمِينَنَا رَسَمْتَهُ فَلَمَّمْتُهُ
يَا إِمَامِي وَفَقِيدِي عِلْمَ مَا فِيهِ ائْتَمَمْتُهُ
وَمَنْ الشُّكْرَ (٣) فَرَضَ قَدْ خَتَمْتُهُ

(١) بياض في جميع النسخ ولعل الناقص « بفكري » أو كلمة ما بمعناها ووزنها

(٢) مقلوب « البرق » وهو « القرب »

(٣) بياض في جميع النسخ

فُزَّوْحَزْ (١) كَلَّ علاء (٢) واخُذْ مارمت ورمته

وابق مخصوصا بفضل أنت منحاه وسَمته

« لما وصلنى كتاب سيدى الذى أعترف باحسانه ، وأعترف من بحر بيانه ، وصل الله سعوده ، وانجز من الامال موعوده ، قابله بما يجب له من اجلال وتعظيم ، وظفرت يداي منه بكتاب كريم ، وعند ما حلت طبعه ، وحلت ربه ، علمت أن من البيان سحرا ، وأن من الدر ما يكون له بعض الصدور بحرا ، فثمته عوضا عن اليمين التى رسمته ، ووسمته من المحاسن بما وسمته ، واتخذته سيرا مناجى ، أرفعه طورا على رأسى تاجا ، وأتخذة تارة اماما فيما أحاول من صياغة هذه الصناعة ومنهاجا ، ثم لما فهمت خطابه ، وأردت أن أكتب جوابه ، استشعرت بقصور ، فارتبكت بين جواب لا أرتضيه جوابا ، واغفال ليس فى حكم التأدب صوابا ، فقلت الاول تعرض للاقتضاح ، وابانة لقصور ذى اتضاح ، والثانى وبالله العصمة ، اخلال بحقوق ، ووقوع فى عقوق ، فرأيت أن خطب الاول أقرب ، وأن المعترف بقصوره لا يشرب ، مع أن اغضاء المخاطب عن المعترف معروف ، وطرف رضاه عن المساوى مصروف ، فأجيبته بما أحبيت وكتبت ، وما أدري الأخطأت أم أصبت ، غير أنى لم أفعل الا وأنا على ما ذكرت معول ، ولم أقدم

(١) بياض فى بعض النسخ. وفى بعضها « فز و حز »

(٢) بياض فى بعض النسخ ولعل الصواب « واحو »

الا وأنا على ما قدمت (١) وحق لمن شغلت النوى فكره ، واستلب
فراق الاخلاء الاجلاء مثلك صيره ، أن يتجاوز عن هفواته ، ويقبل
ما صدر منه على علاته ، ومعاذ الله ان تكون هذه شكوى من تبرم
بحاله ، أو سئم من حله وترحاله ، فقد أصبحت بحمد الله بملازمة
من رفعتني أيادي ، ورفعتني خدمة نادية ، بين مراد مكثب ، ومراد
مخصب ، غير أن الانسان يقوم بعذره ، ويقوم بزعمه سببا لقصور
فكره ، وضعف نظمه ونثره ، واعرف سيدى أنى بلغت مخدومنا
أعزه الله سلامه ، وأوضحته له اشارته فى ذلك الفصل أمامه ،
فذكر أن العقد كما كان سليم ، وأن النقد نبذ بالعراء وهو سقيم ،
وهو مثن عليكم ، ومهد سلامه اليكم ، والله يحفظ على سيدى
كمال ، ويبلغه آماله ، ويحرس احتواءه على الفضل واشتماله ،

وكتب الى ايضا فى هذه المدة صاحبنا الفقيه المتصوف الفاضل
أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالهوارى فى جواب كتاب
كنت كتبتة اليه قصيدة طويلة حقق فيها وتصرف بأحسن التصرف
والذى يخصنى من هذه القصيدة قوله فى فصل منها : (كامل)

ومن السعادة وصل خلّ صالح عن كلّ فعل سيّء (٢) ينهاني
من لي بخلّ كان يؤنس وحشتي ويؤمّني بالبشر إذ يلقاني
صاحبته في الله أحسن صحبة فشكرت منه كلّ ما أولاني

(١) بياض فى عامة النسخ التى بأيدينا ولعل الناقص « متكل »

(٢) فى نسخة « عن فعل كل قبيلة »

ورأيت منه مودة (١) ومجبة وفضائل زادت على الحساب
لا غزو أن حاز الكمال فإنما وقف الكمال على بني تيجان
كم زهرة في روضة سمحت به فرأيت بستانا لدى بستان
فوداده عندي نضير دائما وثناؤه غرض بكل أوان
أقدم الآباء دون منازع وسلالة الحسباء والأعيان
وأجل حبر قد سما في عصرنا بالعلم والآداب والأتقان
قد جاءني منكم كتاب سرني بالبشر والترحيب إذ حياني
إني لأحيا إذ سمعت بذكركم فيمتني شوقي إذا أحياني
ولربما أدمى جفوني ذكركم فأخال قلبي فاض من أجفاني
فالله يجمع شملنا بلقاءكم ويزيدكم بالعفو والغفران
وعليكم مني سلام دائم متعطر ما اهتز غصن البان
وكانت تحت هذه القصيدة أسطر في مخاطبتي بخط صاحبنا
الفقيه أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن أبي زاكي البلوي تتضمن
تجديد الوداد ، وتأكيده الاعتقاد ، فكتبت اليهما في الجواب ، وجمعت
بينهما في الخطاب : (كامل)

إن لم تفيض بدمائها أجفاني لفراق من أهوى فما أجفاني

أو لم أوصل ذكر إخواني فقد أصبحت معدودا من الخسوف
من مبلغ غني السلو بان لي في الحب قلباً غير ذي سلوان
عندي لأحكام الوداد شريعة أضحي القصي بحكمها كالداني
لا أرتضي إلا الوفاء طريقة ما الندر من خلقي ولا من شأني
ولئن نسيت فلست أنسى صاحباً يصل التذكر لي ولا ينساني
خلي الذي عزت به هواره غزي بصحته على أخداني
من قد صرفت إليه وجه مودتي وصرفت لحظي عن قل وفلان
ذا المنزع الأحلى الذي أجرى به في الناس حالته على ميزان
ذات قد اختصت بكل فضيلة فاختصها بالشكر كل لسان
يُسي تفضله إلى إخوانه ويمد فيه الفضل للأخوان
كم خصني من نصحه بفوائد اهدي إلي حليها فهداني
ولكم أبان لي الحقائق فكره فأقام صورتها مقام عيان
ولقد أتاني من لدنه على النوى كتب أتاني الأُس حين أتاني
قد وُفيت فيه البلاغة حقها ما بين الفاظ وبين معاني
جمع الصنعة والصناعة مازجا تبين إحسان بحسن بيان
ورأيت في أقصى الصحيفة اسطرا ألفن بين الحسن والإحسان

من ماجد أسدى السي أيادياً مالي بواجب شكرهن يدان
جاءت تُقرّر من كريم وداده ما حلّ من قلبي أجل مكان
لما قرأت خطابها فقهمسته ناديت والسراء ملء جناني
قد أتحنّني بالوداد بنو أبي زاك فقخراً يا بني تيجان
ولما وصلت اليهما هذه القصيدة راجعني الهواري بقوله وهو
من حر نظمه : (طويل)

كتابكم أهدى من الوجد ما أهدى فلا تجسبوا أنّي نقضت لكم عهدا
سرى لي بسرّ منه عرّف معرّف أفاد بمسراه الصابية والوجدا
حباني حبّ سيّد فيه ماجد به شرف الله السيادة والمجدا
نسيم الصبا بالله سرّ بتحنّية فضضت بها من شكره المسك والندا
وحثي بها عبد الإله على النوى وأدرج له أثنائها الشكر والحمدا
كأنّي به لما جرى الين يتنا ومدّ حجاب البغد مما يشنا مّدا
يقول جفا أو مال أو ملّ أو سلا وحال عن الإخلاص أو نسي الودّدا
غرامى غرامى بالحبيب وإن نأى وحبى له حبى دنالى أو صدّا
وانسى لمشتاق اليك وصابر اذا لم أجد ممّا اكابده بُدا
اذا خطرت ذكراك يوما بخاطري وجدت لِحجر الشوق في اثرها بَرّدا

ألا نفعه منكم تبرّد باطني فإنّ بقلبي من أليم النوى وقد
ألا موعد منكم يُعلّل مهجتي فأرتاح للّقا وأستجز الوعد
لئن جاءني يوما بشير بقربكم وهبتُ له نفسي وأهْوَنُ بها نقدا
وإنّي لاستجدي وداذك إنّه أجلّ نقيس والأفاضل تستجدي
وإنّي لاستهدي سلامك جالبا بمأتاه أنسي والأكارم تستهدي
وإنّي لأستدعي جوابك راغبا ليُفتح بابُ القرب من بعد ما سُدا
لقد ضيّع الأصحابُ عهدي ولانوى وأنت بظهر الغيب تحفظ لي الودا
أشكركم شكر الرياض بسُحبها وأنظم فيكم من حُلّى مجدكم عقدا
وأجهد في شكري لمجدكم عسى بفضلكم أن تقبلوا مني الجهدا

وكتبت للفقير الاديب الفاضل أبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم
ابن حسينة كتابا صدرته بهذه الايات : (كامل)

يا نسمة الروض المذي حاكت له أيدي الغمام ملابس البإيراق
سيري (١) مبلغة على شحط النوى طيب السلام الى علا إسحاق
الفاضل الأسمى الرضا الأسنى الذي حاز العلا والفضل باستحقاق
وتحملي منى اليه تحية كالمسك نَمّ شذاه في الآفاق

(١) وفي بعض النسخ « مبي » وفي بعضها « منى مغللة »

يزداد منها من تنشق عرفها طيامتي ما زاد في استنشاق
وصفي له بعد التفرق قدر ما لاقيت من وجد ومن أشواق
الله يا إسحاق يعلم أنني للشكر في عليك ذو استغراق
وبعث هذا الطرس نحوك قاصدا تقرير ود مبهرم الميثاق
فأتى بين إليك صدق مودتي إن الخطاب على البعاد تلاقى
لا زلت في نعم تجل ورفعة ولك الإله من المكاره واقى

فأجاب عن ذلك بقوله : (واقر)

اعبد الله قد حزت المعالي وفقت كبار أعلام الرجال
ملئت ناهة وملئت علما وأكثر من ترى من ذاك خالي
فأنت إمام أهل العلم طورا لك التقديم في هذا المجال
ولما أن أتاني منك كتب سررت بأن حالك خير حال
وأن عمادنا في حال نعمى وقاه الله من عين الكمال
وأبقاه لإسداء الأيدادي وتشيد المكارم والمعالي
وقلتم كيف حالكم وحالي وقد فارقتم بعد اتصال
فحالي كلها غم وكرب فوا أسفي لما قضت الليالي
فدمع العين لا يرقا وقلبي له وجد حكى وخز النبال

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَمْرَ الصَّبْرِ هِينًا وَأَنْ الْوَجْدَ غِنَا ذُو اتِّصَالِ
وَأَنْ فِرَاقَكُمْ يَبْنِي فَيُنْسِي سَوَى ذِكْرِي إِذَا خَطَرَتْ يَالِ
فَكَانَ بَعْكَسَ مَا قَدَّرْتُ فِيهِ فَلَا تَبْخُلْ بِتَكَرِيرِ السُّؤَالِ
قَلْبِي لَا يَفَارِقُهُ التِّيَاعُ . كَمَا يَصَلِّي بَحْرَ النَّارِ صَالِي
فَلَوْلَا أَنْ سَنِي لَمْ يُعْنِي وَأَنْ بِنَاءَ جَسْمِي ذُو اخْتِلَالِ
لَكَانَ الْجِسْمُ عِنْدَكُمْ كَقَلْبِي وَلَمْ أَخْفِلْ بِأَهْلٍ أَوْ بِمَسَالِ
ثُمَّ غَيْرُ قَوَافِي الْإِيَّاتِ الَّتِي وَجَّهْتُ لَهُ وَصَرَفْتُ مَدْحَهَا إِلَى اسْمِي
وَبَعَثْتُهَا إِلَى مَعَ الْقَصِيدَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَقَالَ مَخْبِرًا عَنْ ذَلِكَ فِي جُمْلَةٍ
كِتَابَهُ : . وَأَمَّا قَصِيدَتُكَ الْقَافِيَةُ فَلَا شِرَاقَ مَعَانِيهَا ، وَاتَّقَانَ أَصُولَهَا
وَمَبَانِيهَا ، وَعَجَزَى عَمَّا يَضَاهِيهَا ، أَغْرَتْ عَلَى كُلِّ مَا فِيهَا ، وَلَمْ
أَغْرِ مِنْهَا غَيْرَ قَوَافِيهَا ، ثُمَّ رَدَدْتُهَا إِلَيْكُمْ الْقَهْقَرَى . بَعْدَ أَنْ جَرَى فِي
أَمْرِهَا مَا جَرَى ، وَهِيَ هَذِهِ : (كَامِلٌ)

يَانَسْمَةُ الرُّوضِ الَّذِي نَظَّمْتُ لَهُ زَهْرًا تَحْلَاهُ يَدُ الْأَمْوَاهِ
سِرِّي مَبْلُغَةً عَلَى شَحْطِ النَّوَى طَيْبِ السَّلَامِ لِمَجْدِ عَبْدِ اللَّهِ
الْقَاضِلِ الْأَسْمَى الرِّضَا الْأَسْنَى الَّذِي حَازَ الْعُلَى وَالْفَضْلَ دُونَ مِضَاهِي
وَتَحْمَلِي عَنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةً كَالْمَسْكَ أَوْ ذِكْرًا فِي الْأَفْوَاهِ
وَصِفِّي الَّذِي قَاسَيْتُ بَعْدَ فِرَاقِهِ فَلَقَدْ دَهَنَنِي مِنْ نَوَاهِ دَوَاهِي

اللهُ عَبْدُ اللهِ يَعْلَمُ انِّني بوداد مثلك في الأنام أباهي
وبعثُ هذا الطرس نحوك قاصدا تقرير ود فيك ليس بواهي
لا زلت في نعم تجلّ وعزّة وعلوّ مقدار ورفعة جـ
وذكرت بهذه الايات آياتا على وزنها خاطب بها والدي أبقاه
الله تعالى الفقيه أبا محمد عبد الله بن أحمد الازدي العسيلي حين
وروده على تونس : (كامل)

يا نفحة الزهر الجنّي إذا سرت غب انسكاب السحب بالأمواه
زيدي بحمل شذا المسوك تعطرا ثم اقصدي الأزدي عبد الله
بتحية تصف الشوق عن أخ عقد الوداد لديه ليس بواهي
وصفي له وصفي له بحاسن هي حلية الأسماع والأفواه
القادم المتقدم الحبر الذي جلت مناقبه عن الأشباه
أدب يهز السامعين ومنطق عذب وظرف حاز (١) كل تناهي
وافى فكلل لفظه أسما عنا بجواهر هي في البلاغة ما هي
إعلم فديت أبا محمد أنني (٢) من نهاه عن السلو نواهي
ان التائي والتواصل ممكن داء يعزّ دواؤه ودواهني

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « جاز »

(٢) كذا في بعض النسخ وفي بعضها « اين » وفي بعضها « بن » ولا يقوم باحداها الوزن
ولعل الصواب « من »

هَبْ اِنْ قَرَبَكَ عَاقٍ عَنْهُ عَوَائِقُ اِنْ التَّرْسُلُ لِلدَّنْوِ مِضَاهِي
وَلَقَدْ بَعَثْتُ لَكَ النِّظَامَ لِأَنِّي اَدْرِيهُ عِنْدَكُمْ وَجِيهَ الْجَاهِ
فَلَعَلَّ فِكْرَكَ اِنْ يَعْلَمَنِي بِمَا يَهْدِيهِ مِنْ ذَاكَ الطَّرَازِ الْبَاهِي
فَأَجَابَ عَنْهَا الْفَقِيهَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بِقَوْلِهِ وَتَعَرَّضَ فِي الْجَوَابِ
لِذِكْرِي مَعَ ذِكْرِ الْوَالِدِ : (كامل)

يَا رَوْضَةَ الْأَدَبِ الَّتِي جَلَّتْ كَمَا جَيَّ الْحَيَازُ زَهْرَ الرِّيَاضِ الزَّاهِي
لِلَّهِ اسْطَارَ بَطْرُسٍ قَدْ حَكَتْ سَوْدَ الْقُرُوعِ عَلَى بِيَاضِ جِبَاهِ
وَعَرِيبَ مَعْنَاكَ الَّذِي ضَمَّنْتَهُ شَرِكَ الْحَلِيمِ وَفَتْنَةَ الْأَوَاهِ
لَمَّا فَضَضْتُ خَتَامَهُ اسْتَجَلَيْتُ مِنْ مِرَّآكَ حَسَنًا جَلَّ عَنْ أَشْبَاهِ
وَكَذَلِكَ حِينَ لَمَحْتُ خَطَا (١) مَقْدَارَ كُلِّ مَبْرَزٍ تِيَّاهِ
مَا أَرْتَبْتُ فِي اِنْ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا (٢) بَطْوَعٍ لَيْسَ عَنْ اِكْرَاهِ
قُلْ لِلْأُولَى سَبَقُوا وَلَيْسُوا مِثْلَهُ هِيَهَاتَ مَا الْفِرْزَانُ مِثْلُ الشَّاهِ
خَلَوْا الْفَصَاحَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ لَهَا وَعَبْدُ اللَّهِ
طَوْدًا وَقَارًا وَانْفِرَادٍ مَعَارِفٍ وَكَمَالٍ تَهْذِيبٍ وَحُسْنِ تَبَاهِي
لِلَّهِ دُرُّكَ يَا وَحِيدَ زَمَانِهِ مَاذَا تَعَاظَمَ بِالتَّفَاتِكِ جَاهِي

(١) بِيَاضٍ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ

(٢) بِيَسَاضٍ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ

فاتخّنتني ففتحتَ باب مودة بينائها مرقى النجوم اباهي
ولكم ظلت ولي اليك تشوق كتشوق الصادي لعذب مياه
واريد اقداما فاحجمُ هيبة ولّي النهى من خوف عجزى ناهي
هل يستوي وشّل و بحر زاخر او هل يساوي الآس شوكُ عِضاه
فمسي التسامح فهو فيك سجيّة فالمرء امّا خاطئى او ساهي
وقد كنت انا كتبت للفقير ابي محمد أول وروده علينا (كامل)
أأبا محمد الذي اخباره في الفضل ترويهما الثقات مسلسّله
لله درك من وحيد بلاغة ساق الكلام منظّما او رسّله
لا زال في الأفواه ذكرك طيبا واذا احبّ الله عبدا عسّله
وإليكها ابيات خلّ مخلص قد ضمّن الطرس الوداد وارسله
واتى بها عن خاطر متوحش ، ومتى اجبت فقد اتحت الانس له
فاجاب بقوله وكلا الشعرين الاصل والجواب لزومي : (كامل)
احيمى الاسمى سيّي والذي من دون ما ردّ وهبت النفس له
اهديت لي من روض نظمك زهرة وسقيتها من ماء طبعك مسلسّله
ياحسنها من اسطر قد نشطت ذهني وقد كان التبلد كسّله
جاءت بخط اشبهت نوناته اصداغ فرع في الخدود مسلسّله
فيها رايت السخر لا ما حدّثوا عن طرف خشف لم يفارق مأسله

وروت حديث الفضل عنك محققا فرقت مسنده إليك ومرسلته
ولما توجهنا الى طرابلس وأشرفنا عليها كاد يياضها مع شعاع
الشمس يعشى الابصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء :
وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء ،
وتخلى والى البلد اذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا
بها ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة غير أن الحراب قد
تمكن منها وقد باع الولاة أكثرها فما حولها من الدور التي
تكتنفها الان انما استخرجت منها ، ولها رحبتان متسعتان ، وفي
الخارج منها المسجد المعروف في القديم بمسجد العشرة (١) لان
عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة فيدبرون أمر
البلد وذلك قبل تملك الموحدين لها فلما تملكوها ارتفع ذلك الرسم ،
وزال عن المسجد ذلك الاسم ،

وكان فيما يقابل هذه القصبة موضع يعرف بالرياض مخصوص
بوالى البلد ، وأصله من مباني بنى مطروح رؤساء طرابلس في القديم
ويذكر عن حسنه كان وثماره وضخامة مبانيه وهو الان خرب غير
ان به آثارا دالة على ما يذكر عنه ، وقد اقطع هذا الموضع فى هذا
الوقت لبعض العرب فقيره عن حاله وابتنى فى موضعه دارا .
ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرأيت حماما صغيرا الساحة

(١) فى نسخة واحدة بزيادة « ويعرف الان بمسجد الموحدين وسمى مسجد العشرة »

الا انه قد بلغ من الحسن غايته ، وتجاوز من الظرف نهايته ، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فيبيع من جملة ما يبيع منها ، وهو الان محبس على بعض المساجد ، وبالبلد حمامان آخران غيره الا انهما في الحسن دونه ، ورايت شوارعها فلم أر اكثر منها نظافة ولا احسن اتساعا واستقامة ، وذلك ان اكثرها تخترق المدينة طولا وعرضا من اولها الى آخرها على هيئة شطرنجية فالماشي يمشى بها مشى الرخ خلالها ، ورايت بسورها من الاعتناء ، واحتفال البناء ، ما لم اره لمدينة سواها ، وسبب ذلك ان لاهلها حظا من مجباها ، يصرفونه في رم سورها ، وما تحتاج اليه من مهم أمورها ، فهم لا يزالون أبدا يجددون البناء فيه ، ويتداركون تباشيره بتلاقيه ، ورأيتهم قد شرعوا في حفر خندق متسع يرومون ان يصلوه بالبحر من كلا جانبي البلد ، وابتداء حفره من الركن الذي بين القبلة والمشرق وعارضهم في حفره هنالك موضع يعرفونه « بالرملة » وهو حقف رمل متسع لاصق الى جانب السور ولا يزالون ابدا يتكلفون نقله من ذلك الموضع فاذا جهدوا جهدهم في حمله ورميه في البحر اعادته الريح كما كان لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره واختصاص ذلك الموضع لذلك الكثيب من الرمل من اعجب الاشياء ، وهو على الضد من موضع رايته بظاهر توزر خال من الرمل مع ان ما حوله من البقاع قد ارتفعت كثائبها (١) لما تسفى الرياح من الرمال عليها ، واخبرني ابو العباس

(١) وفي نسخة « كثائبها »

احمد بن محمد بن يملول ان ذلك الموضع ايضا من عجائب بلدهم
وانهم لا يزالون يرصدونه فلم يروا قط رملا عليه وان الرياح ربما
اشتد هبوبها فيرون الرمال تتفرق عنه يمينا وشمالا

وكان افتتاح طرابلس في القديم على يد عمرو بن العاص رحمه
الله تعالى ورضى عنه بعد افتتاحه لمصر والاسكندرية وذلك سنة
اثنين وعشرين ، سار اليها في جيشه فنزل على شرفها من الجهة
الشرقية واقام عليها شهرا لا يقدر منهم على شيء وقد كانوا استعانوا
بقبيل من البربر يعرفون بنفوسة دخلوا معهم في دين النصرانية
فخرج ذات يوم من عسكر عمرو رجل من بني مدلج يتصيد في نفر
معه فامعن عن العسكر الى جهة غربي المدينة ومال الى شاطئ البحر
والبحر لاصق بالمدينة وليس بالمدينة اذ ذاك من جهة البحر سور بل
كانت سفنهم شارعة الى بيوتهم فنظر المدلجي واصحابه الى البحر
قد حسر من جهة المدينة عن مسلك يمكن النفوذ اليها منه ، فندبوا
معهم جماعة واقتحموا المدينة فلم يكن للروم مفرع الا سفنهم ، وابصر
عمرو اصحابه في جوف المدينة فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم
يفلت من الروم سوى من خف في سفينة ، واحتوى عمرو على المدينة
فهدم سورها ، وارتحل عنها ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد
عبد الرحمان بن حبيب التغلب على افريقية في آخر دولة بني امية
سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وتاخر بناؤه من جهة البحر الى ولاية هرثمة
ابن أعين على افريقية من قبل الرشيد سنة ثمانين ومائة فهو الذي

ابتناه على يد ثقتة زكرياء بن قادم ، ثم زاد فى اتقانه ورفع بنائه من جهة البر والبحر معا أبو الفتح زيان الصقلبي متولى طرابلس عام خمسة واربعين وثلاثمائة .

ويحيط بهذا السور الان فصيل آخر اقصر منه على العادة فى ذلك يسمونه الستارة ولم يكن فى القديم وانما امر بينيانه الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ايام وصوله الى طرابلس فى شهر شعبان من سنة اربع عشرة وستمائة ، رايت هذا مكتوبا على باب من ابواب الستارة يغرف بباب عبد الله ، ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وانما انتهوا بها الى الباب الاخضر وبينه وبين البحر فسحة فأتمت بالبناء ايام مقامنا بطرابلس .

وقد كان زيادة الله بن الاغلب لما تغلب الشيعى على اكثر بلاد افريقية هرب من رقادة فارا امامه فتوجه الى طرابلس فاقام بها اياما ثم انفصل عنها متوجها الى المشرق ووصل بعد ذلك الشيعى الى رقادة فولى عليها اخاه ابا العباس وتمايم بن المبارك ثم انفصل الى سجلماسة واستخرج عبيد الله المهدي من سجنه ودعا له بالخلافة وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلما استقامت الامور للمهدى وقتل ابا عبد الله الشيعى وأبا العباس اخاه جهز جيشا الى طرابلس مع بعض قواده فحاصرها مدة ثم انصرف عنها خائبا ولم يفتحها ففاظ ذلك عبيد الله فوجه ولده ابا القاسم الملقب بعد بالقائم فكان خروجه لذلك فى جمادى الاولى من سنة ثلاث وثلاثمائة فحاصرها وضيق

عليهم الى ان فنى طعامهم وافتتحها وقد كانوا اسعوه شرا ونالوا من عرضه كثيرا فسالمهم فى انفسهم الا قليلا منهم واغرمهم ما أنفق على الجيش وذلك اربعمائة الف دينار ، وكان المتولى لتفريمتهم وتعذيبهم خليل بن اسحاق وهو من ابناء جندها وممن ولد بها وكانت له صولة وهيبة وحظ جليل من العلم وباع متسع فى الادب وسيأتى خبر وفاته بعد هذا ، واستخلف عليهم ابو القاسم القائم واليا من قبله ثم انصرف عنهم

ولما انقصل العيديون الى مصر وتركوا الصنهاجين بافريقية استولى بنو خزرون الزناتيون على طرابلس ، وكانت بينهم وبين الصنهاجين وقائع كثيرة اشار الرقيق فى تاريخه الى بعضها ولم تزل بايدى الزناتين الى سنة اربعين وخسمائة ، وكانت فى تلك السنة شدة عظيمة ومجاعة هلكت فيها الناس وفروا عن اوطانهم فجهز اليها « لجار » صاحب صقلية اسطولا حاصرها به وذلك بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولاته فيها ، ووقع بين اهل طرابلس خلاف ادى الى تغلب الاسطول المذكور عليها فاحسن قائده جرجى (١) بن ميخائيل الى اهلها لما اضرده من تملك غيرها من البلاد الساحلية ، وابقى فيها جنده من المسلمين والصقليين وغيرهم وولى على البلد شيخه ابا يحيى بن مطروح التميمى ، وجعل قاضيهم رجلا منهم يعرف بابى الحجاج يوسف ابن زيرى وهو صاحب

(١) فى بعض النسخ « جرجيس » وفى بعضها « جرجير »

التأليف المعروف « بالكافي فى الوثائق » فكانت احكام المسلمين كلها مصروفة الى واليهم وقاضيههم ولم يكن النصرانى يتعرض لشيء من احكامهم

وأقامت تحت تغلب النصارى اثنى عشر عاما أو نحوها الى أن افتتح الموحدون أكثر بلاد افريقية فخاف النصارى أن يكاتبهم أهل طرابلس فأحبوا أن ينشروا بينهم عداوة فأمرهم أن يصعدوا المنابر فيتكلموا فى جهة الموحدين بسوء فأعظم أهل طرابلس ذلك واجتمعوا الى قاضيههم أبى الحجاج فسفر بينهم وبين النصارى وأعلم النصرانى عنهم أنه لا سبيل الى نيل ذلك منهم وأن الامر انما كان العقد بينهم أن لا يكلفوا المسلمين بشيء مما يخالف دينهم وذكر أهل الدين بسوء مما يخالف الدين فان رضوا منهم بهذا والا سلموا لهم البلد وخرجوا عنهم فأعفاهم النصرانى من ذلك ، وأحدث الله عند أهل طرابلس عزما على القيام عليهم والتخلص من أيديهم فأسروا النجوى بذلك بينهم واتعدوا لليلة معينة ونصبوا تلك الليلة فى الطرقات خشبا وأناشيط تمنع الخيل من الجرى فيها وثاروا عليهم فبادر النصارى الى خيولهم وركضوها فلم تجد مجالا فأخذوا قبضا باليد وعاد البلد الى تملك المسلمين وكان هذا فى سنة ثلاث وخمسين وخمسائة ، وحكم على البلد شيخه أبو يحيى بن مطروح وكان رجلا شهما جازما وصانع العرب المجاورين له فاستقام حاله . ولما نزل الخليفة عبد المؤمن الى افريقية افتتح المهديّة ووصلت

اليه وفود البلاد وذلك فى سنة خمس وخمسين فكان من جملتهم وفد طرابلس وشيخه ابن مطروح فبايعوا عبد المؤمن وقدمه عبد المؤمن على أهل بلده فلم يزل محمود السيرة فيهم الى أن عجز فى أيام أبى يعقوب بن عبد المؤمن وقيده الهرم فطلب التوجه الى الحج فسرجه السيد أبو زيد ابن السيد أبى حفص وهو اذ ذاك صاحب تونس فتوجه بجميع أهله فى البحر واستقر بالاسكندرية فمات بها وبقيت ذريته هنالك الى الان ومنهم رؤساء وأدباء .

وفى فصل من مياومة الفاضل اليسانى قال : وفى شهر رجب - يعنى من سنة ست وثمانين وخمسائة - وصل الى الاسكندرية فى البحر شيخ طرابلس أبو يحيى بن مطروح وهو شيخ كبير قد أضر وعجز عن الحركة ، وذكر باقى خبره وأهل طرابلس يتحدثون أن النصارى ملكوا بلدهم مرة أخرى وذلك ليس بصحيح وانما أخذها النصارى من حين الفتح الاسلامى هذه الاخذة فحسب

وقد قدمنا فيما سلف من كتابنا هذا الخبر عن وصول قراقوش من المشرق فى سنة ست وثمانين وخمسائة وأنه حصر طرابلس بمن التف عليه من العربان حتى استولى عليها وكانت اذ ذاك خالية من الاقوات والاجناد لانهم بعد بيعتهم لعبد المؤمن واستقرار بلدهم فى ملك الموحدين لم يتوقعوا ثائرا ولا مخالفا ، فملكها قراقوش وبقيت تحت بيعته سنين يسيرة ثم انتقضت عليه هى وغيرها من

البلاد فأظهر الهجرة الى الموحدين مخادعا وأقام لديهم مدة ثم فر عنهم مبادرا الى قابس فاستولى عليها ثم الى طرابلس فملكها أيضا وأقام بها حتى وصل اليها يحيى المورقي من بلاد الجريد قاصدا حصاره فخرج اليه قراقوش من طرابلس وترك نائبا عنه بها ثقتة (١) ياقوتا المعروف بالافتخار وكان اللقاء بينهما بالموضع المعروف بمحسن من جهات طرابلس وهو الذى يقول فيه غبد البر بن فرسان : (طويل)

ألا لا سقى الرحمن محسن قطرة ولا زال مغبرّ الجوانب محسن
وخيب قطيسا من الغيث كله ولا ابتلّ فيه للركائب فرسن

فانكسر قراقوش كسرة شنيعة وتوغل فى جبال طرابلس وتبعه الميورقي أياما ثم رجع الى طرابلس فحصر بها ياقوتا المذكور فلم يقصر فى دفاعه وضبط البلد ضبطا عظيما فكتب الميورقي الى أخيه عبد الله وهو اذ ذاك صاحب ميورقة يطلب منه الاعانة ببعض أسطوله فوجه اليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس تضيقا شديدا الى أن استولى عليها فامتن على أهلها بالعفو وحصل نائب قراقوش فى يده فوجهه الى ميورقة فى القطع التى وصلت اليه منها ولما حصل بها قيده عبد الله بقيد ثقيل وتركه فى سجنها فلم يخرج منه الا بعد استيلاء الموحدين على ميورقة وقتلهم لعبد الله المذكور وذلك

فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة فحينئذ خرج ياقوت (١) وتوجه الى مراكش فبقى بها الى أن مات ، وترك يحيى بن اسحاق ابن عمه تاشفين بن غازى نائبا عنه بطرابلس وخرج منها فأقام بها تاشفين المذكور مدة ثم ثار عليه أهلها وأخرجوه منها ودخلوا تحت طاعة الموحدين فتولت عليهم حفاظها الى الان .

ويقابل باب الستارة المتقدم الذكر المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هواره نسبة الى من نزل به فى أول الزمان ، وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم يبيعون بها أغنامهم ومواشيهم ، وهناك مسجد ينسب بناؤه الى عمرو بن العاص رحمة الله (٢) وفى هذا الموضع يقول أبو يحيى ابن مطروح الذى قدمنا الخبر عن توجهه الى الاسكندرية : (بسيط) لوقفه عند باب البحر ضاحية او باب هواره او موقف الغنم اشهى الى النفس من كسر الخليج ومن دير الزجاج وشاطئ بركة الخدم وبين الباب المعروف بالباب الاخضر منها وباب البحر مسجد مصائب (٣) لسور المدينة أشاد بذكره حلول الامام المهدي رحمه الله تعالى به حين جوازه على طرابلس ، والى جانبه ميضأة جعلت هنالك للمتوضين والمغتسلين ، والمواضع الحربة من المدينة والحالية

(١) فى بعض النسخ « خرج ياقوتا »

(٢) فى نسخة « رضى الله تعالى عنه »

(٣) وفى بعض النسخ « مصائب »

انما هي بين يدي الباب الاخضر ، وبخارج باب البحر منها منظر من
أنزد المناظر مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة ، وهو مرسى
حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر وتصطف هنالك اصطفا
الجياد في أواريتها

ومصلى البلد بجانبه بين جنوب وشرق منه وهو محدث الوضع
هنالك وانما كان المصلى القديم في الجهة الغربية هنالك بناء عبد الله
ابن أبي مسلم و خليل بن اسحاق سنة ثلاثمائة فنقل كما تقدم ،
وموضع المصلى القديم يعرف الان بالعيون سمي بذلك لان هنالك
عيون ماء عذبة وهو بشاطئ البحر وماؤها ينصرف اليه ، وبمقربة من
هذا المصلى الان بئر قد نبتت بها شجرة واحدة من شجر الجميز
المخصوص نباته بأرض المشرق وهو شجر عظام على شكل التين
وورقه أصفر من ورق التين وحمله كحمل التين الا أنه ليس
للواحدة منه علاقة وانما تنبت ملاصقة للعود وفي طعمه حلاوة
شديدة تصحبه غثاثة وأهل طرابلس يقولون ان بلدهم في حكم
بلاد المشرق لنبات هذه الشجرة الواحدة به ، وليس بخارج البلد في
وقتنا هذا شجرة سواها ما عدا نخلات يسيرة في الجهة الغربية وأما داخل
البلد فلا تكاد دار منه تخلو من نخلة أو كرمة على اصطلاحهم فانهم
يسمون شجرة التين الكرمة ، والكرمة في اللغة انما هي شجرة العنب،
وقد جاء النهي عن تسميتها بذلك في الحديث الصحيح (١) وينبت

بخارج البلد صنف من أصناف النرجس دقيق الورق لم أر أقوى منه فوحاء، ولا أعطر روحاً، ويذكر في التاريخ أن غابة طرابلس كانت متصلة إلى الجبل بأنواع الفواكه على اختلافها، وتعدد أصنافها، فافسدتها العرب وأجلت أهلها عنها.

وبخارج البلد محارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة بالفضل مزورة للبركة، وأثنى البكري (١) على المسجد المعروف منها بمسجد الشعاب وذكر أنه أعمرها وأشهرها، يريد في ذلك الزمان، وأما الآن فهو خال لا عمارة به، وقد رأينا أن نذكر بناء هذا المسجد الذي أشار إليه البكري وبعض ما تأدى إلينا من خبره ومثل ذلك في غيره من المساجد التي بخارج البلد تسمى لفوائد هذا التقييد بحول الله تعالى: فمنها مسجد الشعاب المذكور وهو منسوب لابي محمد عبد الله الشعاب أحد الصلحاء الفضلاء من أهل طرابلس وكان نجاراً ونسب المسجد المذكور إليه لأنه هو الذي أتم بناءه ولزم السكنى به، وكان بعض الثعالب قبله قد ابتداء بناءه ثم وقف عنه فحضرت الشعاب نية في إتمامه فرمى الآلة من يده وتوجه إلى قاضي طرابلس فقال له اني قد عزمت على بناء ذلك المسجد وأحب أن تستدعي فلانا الذي ابتداء بناءه فتستفهمه هل يتمادى على بنائه أو يرفع يده عنه فأتته وأسكن به فاستحضره (٢) القاضي وسأله عن

(١) راجع البكري ص ٧

(٢) في نسخة « فاستدعاه »

ذلك فأقر بعجزه فتولى الشعاب بناءه وسكن به ، ويذكر أن الحضر عليه السلام كان يزور الشعاب هذا ويحدثه وأنها رؤيا مجتمعين في المسجد المذكور، وسمع الشعاب يوما بكاء امرأة عند باب مسجده فسألها عن سبب بكائها فأخبرته أن لها ولدا أسره عدو الدين وسالته الدعاء بخلاصه فدعا له وأمنت المرأة على دعائه ثم انصرفت المرأة الى بيتها فأصبح ولدها في السكك يسأل عن دار امه فسئل فأخبر بفراره في البحر وسلامته ووصوله عن عهد قريب فتوجهت المرأة الى الشيخ تشكره وتعرفه بوصول ولدها وأن ذلك انما كان ببركة دعائه فهناها بسلامته وقال لها انما نجاه الله بدعائك لما علم اضطرارك وكانت وفاته رحمه الله سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

ومنها مسجد خطاب وهو بخارج المدينة من جهة شرقيها على البحر وينسب للشيخ خطاب البرقي الرجل الصالح ويكنى أبا نزار وكان ذا كرامات وخصوصا في باب المرائي ظهرت له في ذلك عجائب ، وكان يخاطب في النوم بجميع ما يكون في اليقظة قبل كونه ، وحكى عنه أبو عبد الله الحيارى قال : قال لي خرجت مرة الى الحج منفردا فينما أنا في البرية اذ مر بي رجل فتوسمت فيه الخير ووقع في قلبي أنه الحضر فبادرته بالسلام واقسمت عليه بالله تعالى أنت الحضر فقال : لقد بقيت فيكم من الخير بقية لم يزدني على هذا وغاب عني ، وأخبرني الحيارى عنه أيضا قال : قال لي بينما أنا سائر في البرية واذا بسبع قد عارضني فقلت له : يا أبا الحارث ان كنت قد

أمرت فينا بشيء فدونك والا فالطريق ، قال فقرب مني ووقف هنية
ثم انصرف ، وحكى أنه قال : بينما أنا في البرية إذ رأيت شخصا
فاستغربت وجوده هناك وقصدته فوجدته مفرج بن بياضة فقلت له :
أبا عبد السلام ههنا ! فقال : نعم يا أبا نزار ، فاستغربت معرفته بى مع
أنه مكفوف البصر ، وكان مفرج هذا رجلا صالحا من أهل جزيرة
تونس المعروفة بجزيرة باشو ، وكان يخرج وحده من بلده الى مكة
فيحج ثم يعود قال فبتنا جميعا وتأنست به وسأنته كيف يتهيأ له
الحج مفردا فقال : يا أبا نزار انى اذا خرجت من موضعى أسمع قائلا
يقول لى : يمينك شمالك أمامك خلفك حتى أصل الى مكة أو كما
قال .

ومنها المسجد المعروف بالحدود ويعرف أيضا بمسجد الجدة لان
احدى جدات بنى الاغلب ولالة افريقية بنته وهكذا كان يعرف فى
القديم ، ثم يعرف بعد بمسجد البارزى لسكنى أبى الحسن البارزى به
وهو بخارج طرابلس من جهة جوفها مشرف على المقابر ، واشتهر
هذا المسجد بسكنى أبى عثمان سعيد بن خلفون الحسانى المعروف
بالمستجاب وأصله من قرية حسان من قرى طرابلس كان زاهدا
فاضلا منقطعا الى الله سبحانه وظهرت بركته غاية فعرف بالمستجاب
واتفقت له فى المسجد المذكور قضية مشهورة : كان ذات يوم جالسا
فيه على عادته فسمع تحته دويا عظيما اهتز المسجد له فخرج بعض من

كان معه لاختبار ذلك فوجد شخصا يقطع الحجارة من كهف تحت المسجد فنهأه عن ذلك فلم ينته فرجع الى الشيخ فأخبره فنزل الشيخ اليه وقال له ، اتق الله فانك تزلزل المسجد بهذا الذى تصنع فقال : ارجع أيها الشيخ الى مسجدك فان الوالى أمرنى بهذا فقال له : لو أمرك الوالى بهدم المسجد كنت تهدمه؟ قال نعم والله لو أمرنى بذلك لفعلت ، فرجع الشيخ الى مسجده وهو يقول اللهم احصد عمره فعند استقرار الشيخ فى المسجد سقط جزء من ذلك الكهف على الرجل فقتله .

وقال الشيخ أبو عبد الله الحشأب القاضى رحمه الله تعالى : خرجت مع أبى الحسين بن المنر من طرابلس لزيارة الفقيه أبى محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى وسماع العلم عنه ، فبينما نحن عنده يوما اذ تحدث أبو الحسن فقال أراد الشيخ أبو عثمان الحسانى مرة الحج فاتفق مع جماعة من إخوانه اهل الدين والفضل وكنت معهم فخرجنا على الوحدة وقطعنا صدرا من الطريق واقمنا ثلاثا لم نطعم فأتى الشيخ أبو عثمان الى ربوة فمسح وجهها بيده وجعل يأخذ من ترابها ويجعله فى اناء كان معه ثم ثراه بشىء من ماء وقرأ عليه وسمى وقال لنا : سموا الله وكلوا ، قال : فجعلنا نأكل ونطعم طعم السويق ، قال : فأطرق الشيخ أبو محمد بن أبى زيد ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا داخل فى الامكان لا سيما وقد ذكرتكم انكم أقمت ثلاثة أيام لم

تطعموا وقرأ قوله سبحانه : أمن يجب المضطر اذا دعاه
ولما رجع المؤدب محرز بن خلف رحمه الله تعالى من الحج قيل له :
من رأيت فى طريقك من الصلحاء ؟ قال رأيت بطرابلس رجلا وامراة
اما الرجل فأبو عثمان الحسانى وأما المرأة فسمدونة وكانت سمدونة
هذه عجوزا (١) صالحة تسكن مسجد الشعاب المتقدم الذكر وكان
أبو نزار خطاب الرجل الصالح المتقدم الذكر يزورها ويعتقد
بركاتها ، وهذا كما يحكى (٢) أن سحنون بن سعيد لما رجع من
الحج قيل له من رأيت من الصالحين فقال : لقد لقيت رجلا ما الفضيل
ابن عياض بأفضل منهم .

ومنها المسجد المعروف بمسجد المجاز وكان معروفا بسكنى أبى
الحسن على بن احمد بن الحبيب (٣) أقام ساكنا به فيما يقال
اربعين سنة ، وكان فقيها صالحا عالما زاهدا وله فى الفقه والفرائض
والشروط تواليف مفيدة ، وأقام أربعين سنة لم يضحك ونحوها من
خمسین سنة لم يحلف بالله يمينا ، وقال له ابن اخيه عند ما أملى وصيته :
أنسيت الكفارة فقال : لولا أنى فى الموت ما أخبرتك ما حلفت بالله
منذ كذا وكذا يمينا محقا ولا مبطلا وما علمت أن على يمينا أكفرها .
وهذا آخر ما حضرنا ذكره من المساجد التى وقعت الإشارة اليها
وبداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المنتصرية (٤) التى

(١) وفى اكثر النسخ « عجوزة »
(٢) فى نسخة « ذكر ان سحنون »
(٣) فى بعض النسخ « الخطيب »
(٤) فى بعض النسخ « المستنصرية »

كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا (١) رحمه الله تعالى وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين الى سنة ثمان وخمسين ، وهذه المدرسة من احسن المدارس وضعا وأظرفها صنعا . ونقلت من خط أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد في بعض تقييده قال : حلت في بعض سفراتي بطرابلس فبكرت يوما الى المدرسة التي أنشأتها بها الهمة العلية الامامية المنتصرية فدخلت اليها ، وقعدت مسرحا طرفي في روضة حبق حبست حاستي البصر والشم عليها ، ثم قلت : (بسيط)

يا حبذا نسمة هبت لناشقيها غب الكرى سحراً من روضة الحب
حببتها عندما هبت وقد نعثت يلة من نداها روح منتشق
قرنفل الهند قد وافى التجار به محافظين على نشر له عبق
فعند ما فضّه الداوي ذكرني بطيبه طيب عيش مرّلي أنق
بتونس أنس الرحمن ساحتها وسقت ابدا بالعارض الغدق
ولا اموت إلى ان التقى قمرأ للحسن مطلعته من ذلك الأفق

وبين هذه المدرسة وباب البحر مبنى من المبانى القديمة العجيبة وهو شكل قبة من الرخام المنحوت المتناسب الاعالى والتحوت (٢) التي لا تستطيع المائة نقل القطعة الواحدة منها ، قامت مربعة فلما

(١) ترجمته في عنوان الدراية ص ٦٤ وفي تاريخ الزركشى ص ٣٤ - ٤١

(٢) في بعض النسخ « التحوت »

وصلت الى السقف ثمنت على احكام بديع ، واتقان عجيب صنع ،
وهي مصورة بأنواع التصاوير العجيبة نقشا في الحجر ، وقد بنى الان
عليها مسجد يصلى فيه ، وأخبرت أن ذلك كان لان بعض الكبراء
حاول هدمها وأخذ رخامها ، وعلى بعض قطعها من الجهة الشمالية
أسطر مكتوبة بخط رومى ، أخبرنى أبو البركات ابن الفقيه أبى
محمد ابن أبى الدنيا عن والده الفقيه أبى محمد أنه لم يزل معتنيا
بالبحث عن يحسن ترجمتها وأنه وجد نصرانيا يعرف ذلك الخط
فذكر له أن نصه : أمر ببناء هذه الكنيسة فلان بن فلان من حلال
ماله الذى اكتسبه من غلة زيتونه وفى يوم اتمامه لبنائها او يوم
شروعه فى بنائها وصل اليه الخبر من الشام أن نبيا من العرب ظهر
بالحجاز اسمه محمد بن عبد الله .

وبين القصة وهذه المدرسة المتقدمة جامع طرابلس الاعظم الذى
بناه بنو عبيد ، وهو جامع متسع على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث
التجديد ، وبه منار متسع مرتفع قائم من الارض على أعمدة
مستديرا (١) فلما تم نصفه كذلك سدس وكان بناؤه فى العام المكمل
للمائة الثالثة على يد خليل بن اسحاق ، وقتل خليل بن اسحاق هذا أبو
يزيد مخلد بن كيداد لما تملك القيروان سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ،
وأصله من طرابلس كما تقدم وقد ذكرنا طرفا من أخباره قبل هذا ،
ولما قتله أمر بصلبه فبادر اليه بعض القرويين فجرد ثياب نفسه وشرع

(١) فى بعض النسخ « على اعمدة مرتفعة قائمة من الارض مستديرة »

فى ذلك فنظر أصحاب أبى يزيد الى آثار السياط (١) قد عمت ظهر القروى ، فسألوا عن ذلك فذكر لهم بعض من حضر أن كل عامل يتولى يفعل ذلك به لدنائه وشربه ، فاعتوروه برماحهم وصلبوه الى جانب خليل بن اسحاق .

وأخبرنى صاحبنا الفقيه (٢) أبو العباس أحمد بن عبد السلام الاموى قال : نقلت من خط القاضى أبى موسى بن معمر أن شكرا المعروف بالصقلبى ابتنى الما جل الذى بجامع طرابلس من الجهة الجوفية (٣) والقبه التى عليه فى سنة تسع وستين ومائتين ، وأن خليل ابن اسحاق ابتنى المنار الذى به كما ذكرنا ومساجد البلد لا تحصى كثره وهى تكاد تناهز الدور عدة .

والقائم برسم العلم فى هذه البلدة فى وقتنا هذا شيخنا الامام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد ، وهو رجل ليس من عمرو ولا زيد ، ناهيك من رجل قد نال من المعارف ما انتهى ، وحاز فيما حاز من العلوم الاصولية والفرعية الغاية والمنتهى ، حضرت درسه بمسجد مجاور لداره فرأيت رجلا متضلعا من العلم ذا كرا بالمذهب ذكرنا (٤) لا يجاريه فيه أحد ولا تكاد مسألة من مسائله تشذ عنه ، حسن العبارة

(١) فى بعض النسخ « اثر الضرب »

(٢) بزيادة « الحافظ » فى بعض النسخ

(٣) فى نسخة « من جهة جوفية »

(٤) لا يوجد « ذكرنا » فى بعض النسخ

مشاركاً في علوم جمة وله اعتناء بحفظ كلام القرويين في المذهب من تعليل أو تفسير أو تفريق أو تخريج واعتماده في الأصول الدينية والفقهية على كلام الامام أبي المعالي ، وكلام الشيخ أبي حامد الغزالي ، وهو سبائي النسبة من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأخبرني أن مولده بطرابلس عام تسع وثلاثين وستمائة ، واكثر استفادته على ما أخبرني على الفقيه القاضي أبي موسى عمران ابن موسى بن معمر الطرابلسي رحمه الله تعالى ، وليس له رحلة عن بلده الا الى الحج ، حج في عام ثلاثة وسبعمائة .

ولما حضرت درسه وتحققت مكانته المكيّة في العلم أحببت القراءة عليه مدة اقامتنا (١) هنالك ، وطلب مخدومنا أن يكون ذلك بمحضر منه فلم يكن بد من استدعاء الشيخ لموضع سكنانا فعقدنا مجلساً لذلك بالقصبة وفي مجلس الامر (٢) منها ، وطلب الحضور بذلك المجلس جماعة من أعيان الطلبة بالبلد فأذن لهم ، ورأينا أن يكون المتروء حديث خير الانام ، الذي هو الاصل لجميع الاحكام ، فابتدأت القراءة بلفظي لصحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى في غرة شهر شعبان من العام المذكور قراءة تفقه فيه ، وتدقيق للبحث في الفريضة الكريمة ومعانيه ، وقد كنت ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة ، وأفادته المحاضرة ، مما جاء كالاكمال ،

(١) في بعض النسخ « مقامي »

(٢) في بعض النسخ « الامير »

لكتاب « الاكمال (١) » ، ثم بعد ذلك فى الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى رحمه الله ، وامتد فى قراءتهما مدى ، قرىء فيه منهما ما هو نور وهدى ، الى أن دعا بنا داعى البين فاعجلت النقلة عن تمام الكتابين .

وكتب لى شيخنا أبو فارس بخطه اجازة سقى فيها من شيوخه الفقيه القاضى أبا موسى عمران بن موسى بن معمر المتقدم الذكر أنه (٢) ولى القضاء ببلدهم نيفا وثلاثين سنة ، ووطه الامر بالطلوع الى تونس فى عام ثمانية وخمسين فتوجه اليها وولى قضاءها ما ينيف على عشرين عاما ، ثم توفى بها رحمه الله سنة ستين قال : وكان رحمه الله ذا أخلاق جميلة ، وسيرة حميدة ومعارف جليلة ، واخبر أنه قرأ عليه كتاب « التفریع ، لابن الجلاب ومن أول كتاب « التهذيب ، الى كتاب الحيار منه ، قال وسافر الى تونس فاستمرت قراءتى للكتاب المذكور مع سائر طلبة الفقيه أبى موسى على الفقيه أبى محمد عبد الوهاب ابن محمد الهنزوتى ، وكان الهنزوتى حين كان القاضى أبو موسى حاضرا معيدا لدرسه بعد قيامه ، وقرأ على الهنزوتى أيضا جملة من كتاب « المحصول ، لابن العربى وجملة من كتاب « المستصفى ، للغزالى ، وتوفى الهنزوتى هذا عام ثلاثة وستين .

(١) يعنى الاكمال على صحيح مسلم للقاضى عياض

(٢) كذا فى جميع الاموال ولا يبعد سقوط « وذكر » او كلمة بمعناها بين « الذكر » و « انه » .

ومن شيوخه أيضا الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات ابن أبي الدنيا قال قرأت عليه كتاب «الارشاد» لابن المعالي وبعض كتاب «البرهان» له وجلة من كتاب المستصفي، ومنهم الفقيه أبو الجيش محمد بن إبراهيم الاندلسي البسطي، اجتاز على طرابلس قافلا من الحج فقرأ عليه بعض تواليفه في العربية وسمع عليه شيئا من نظمه وروى عنه «المذهبة» لابن المناصف حدثه بها عن مؤلفها .

ومنهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الفماری، اجتاز على طرابلس من المغرب قاصدا الى المشرق فطالت اقامته بطرابلس فقرأ عليه كتابه الذي ألفه في الفرائض وجل كتاب «الكافي» لابن المنير في الفرائض أيضا وجل كتاب «الخصار» في علم الحساب وكان ذلك في عام أربعة وخمسين .

ومنهم الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن عيسى الفماری وصل الى طرابلس قاضيا بعد انفصال القاضي أبي موسى بن معمر منها، فقرأ عليه جملة من المعالم الفقهية لابن الخطيب، وسمع ما كان يتناظر فيه بين يديه من التهذيب، ومنهم الفقيه أبو العباس الاعجمي ورد من المشرق على مدينة طرابلس في سنة اثنين وستين قاصدا الى المغرب، فقرأ عليه بعض المعالم الدينية لابن الخطيب، ومنهم الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي مسلم القابسي وصل الى طرابلس قاضيا وله رحلة الى العراق ودخل فيها بغداد، قرأ عليه بلفظه أكثر من

نصف البخارى ، وهنا انتهى من سقى شيخنا أبو فارس من شيوخه ،
وبالجملة فقد كان زهد الشيخ كبيرا ، وذكره فى المغرب والشرق
شهيرا .

وجميع الخواص من هذه البلدة مقهورون تحت أحكام العوام منهم
لبعد بلدهم عن الحضرة (١) وانقطاعهم عن الاوامر الا أن فى خواصهم
وعوامهم اكراما لمن يحل ببلدهم من الغرباء ووفاء بحقوقهم ومراعاة
شديدة لامورهم .

وقد أنشدنى صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد السلام
التاجورى ، قال أنشدنى الشيخ الفقيه البليغ أبو الحسن على بن ابراهيم
التجاني أيام حلولة بطرابلس على غير اختياره فأقام بها مدة ثم توجه
منها الى الحج وذلك سنة أربع وثمانين ، وأنشدت بعد ذلك بتونس
الفقيه أبا الحسن البيتين فأنشدنيهما لنفسه : (متقارب)

لاهل طرابلس عادة من البرتُنسى الغريب الحميا
حلّت بها مكرها ثم إذ اقمْتُ بها ابدلوا الهاء ميّنا

واعتماد كل واحد منهم فى طعامه ، وما يدخره من قوت عامه ،
انما هو على ما يجلب اليها فى البحر ، ومن عاداتهم أن لا يتركوا أحدا
يخرج شيئا مما حصل ببلدهم من الطعام الى خارجه ويماقبون على
اخراجِه ، وليس البلد بلد اختراث وهو بالجملة بحرى لا برى الا ان

(١) فى بعض النسخ من « الحاضرة »

أرضهم معدومة المثال في إصابة الزرع اذا أصابت وليس يدري (١) مثلها في ذلك ، وأشهرها بذلك الفحص الذي يسمونه سوفجين وهو - بالسين المهملة المضمومة والفاء والجيم المشددة - قال البكري : وربما انبتت الحبة في هذا الموضع في بعض السنين مائة سنبله ، قال : وهم يقولون فحص سوفجين ، يصيب سنة بعد سنين (٢) وذكر البكري متصلا بهذا أن بمدينة طرابلس بشرا تعرف ببشر الكنود من شرب منها فقد عقله وأنهم يعيرون الشارب منها ومن أتى منهم بما يلام عليه قيل له : لا عتب عليك فقد شربت من بشر أبي الكنود انتهى كلام البكري (٣) وهذه البشر قد رأيتها بداخل المدينة وعليها يوردون بهائمهم ، وكثير من أهل البلد يشرب من مائها ولا يتخرج من ذلك مع علمه بما يسند عنها

وزرت بخارج المدينة بين شرق وشمال قبر الشيخ الصالح أبي محمد عبد الوهاب القيسي رحمه الله ، وهذا الرجل يُعظمه أهل طرابلس كثيرا حكى لي جماعة منهم : أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه نحواً من أربعمائة (٤) وأنه كان يساور النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر أموره فلا يفعل ما يفعل الا بإشارته ، قالوا ولم يسمع منه هذا في حياته ولكنه وجد بعد موته مكتوباً عنده بتواريخه يذكر كل ليلة ما رأى منها ، ثم أوقفني بعد ذلك بعض

(١) في بعض النسخ « يرى »

(٢) راجع البكري ص ٩

(٣) راجع البكري ص ٨

(٤) راجع كتاب الاشارات لعبد السلام بن عثمان الفيتوري ص ١٤ - ١٥

أهل البلد على جزء فيه هذه المنامات وذكر أنه نقلها من خطه ، فرأيت فيها غرائب من سؤاله للنبي ، صلى الله عليه وسلم عما يفعله في جميع ما يعرض له من أمورهِ وإشارة النبي ، صلى الله عليه وسلم بذلك بما يراد ودوام ذلك واستمراره في كل جزئية من جزئيات حاله قال : وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اني آخيت بينك وبين أخيك أبي يعقوب يعنى الحشاش وأبى علي يعنى يونس بن السماط ، قال فرأيتهُ ليلة فقلت له : يا رسول الله ما رأيت فيما خطر لي ولاخى أبى يعقوب قال وما ذاك قلت نكتب ببعض ما يجرى بينى وبينك يعنى فى النوم لاخينا أبى علي يونس ، قال فقال لي نعم أبوعلى رجل صالح وذلك زيادة فى حقه فانه يزاد معرفة فاكتب له ثم قال لي : ولكن لا تمازح غير أخيك أبى يعقوب هكذا رأيت هذه اللفظة فى النسخة التى نقلت منها ولا ادرى هل هى بالحاء أو بالجيم ، قال فرأيتهُ بعد ذلك ليلة أخرى فقلت له يا رسول الله قلت لي لا تمازح أحدا غير أخيك أبى يعقوب ولم أفهم مقصودك بذلك فقال لي صلى الله عليه وسلم ألم أذن لك أن تحدث بهذه المرائى أبا علي كما تقدم فكيف أقول لك أطلعه عليها ثم أقول لا تمازحه انما مقصودى أنك لا تطلع على هذا المعنى ، قال الشيخ اى المرائى غير أخيك أبى يعقوب وأبى علي خاصة ، قال فقلت له : ان الاخ أبا يعقوب يخطر له السفر فما ترى فى ذلك ؟ فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : ألم أقل لك - يعنى فى منام قبل

هذا - ان الاقامة أرفق بحاله قال فقلت له يا رسول الله وهو مخير في
الذي عنده من السبب كما تعلم هل يخرج عنه او يقيه فقال لي
النبي صلى الله عليه وسلم : بل يقيه على الامانة فيعطى منه كل ذي
حق حقه ، الى امثال هذا من المنامات وهي نحو من اربعائة منامة ،
كلها على هذا النحو وفيها تبسمه له مهما رآد بانواع الدعاء وقوله له
مرحبا بالحبيب ومرحبا بالرجل المفلح واعلم يا بنى انى أحبك واحب
أخاك ابا يعقوب وأنى لا فرح بك وأمثال هذا ، قال وشكوت اليه ليلة
حالى ومخالفة فعلى لقولى فقال لي صلى الله عليه وسلم : يا موفق من خلق
سعيدا او سبقت له السعادة اتراه يشقى كرر ذلك مرتين او ثلاثة ،
ثم قال لي : وانى لا رجوا انك واخاك ابا يعقوب ممن سبقت لهم
السعادة

وأبو يعقوب الحشاش هذا ممن استوطن في آخر عمره طرابلس ،
واصله من الاندلس وقد كان في اول امره على ما بلغنى ثار في
جبل الفتح وادعى الملكة هناك ، ثم نقلته تصارييف الايام الى
طرابلس فاقام بها متعبدا مترهدا ، وأتاه استدعاء من حضرة تونس
فتوجه اليها في البحر فاجتاز على جزيرة جربة فتوفى بها رحمه الله
تعالى ، وامر بتعمية قبره فلا يوقف له بها الان على قبر ، ويظهر لي ان
ذلك والله اعلم لانه اطلع على النصارى نستملك تلك الجزيرة بعد ،
فكره اشهار قبره بين قوم كفار ، أو لانه مال على احد القولين عندنا
في تكفير اهلها بما شرحناه من مذهبهم الفاسد

ولأبى محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى الآن ولد يدعى أبا الحسن ، وهو رجل فاضل زاهد حضرت درسه فى الوعظ وقد قال والده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له فى بعض مناماته أن الله جاعلك وجاعل أولادك من خواص أوليائه ، وفى منامة أخرى أنه رأى كأنه أوتى السعادة ، قال فجعلت أديرها على ولدى أبى الحسن ومحمد ، فأبو الحسن هذا ، وأما محمد فتوفى رحمه الله بمكة عند تمام حجة حجها طاف فيها طواف الافاضة فسقط فى بعض أشواطه ميتا ، أخبرنى بهذا شيخنا أبو فارس ابن عبيد ، وكان حجها فى عام واحد وزرت هنالك أيضا قبر الفقيه الامام أبى اسحاق إبراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الاجدابى اللواتى الطرابلسى وهو قبر معظم يكثر الناس زيارته والدعاء عنده ، وكان الفقيه أبو اسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا وله تاليف جلية وأسئلة مفيدة فى الفقه وغيره ومن جملة تاليفه كتابه المتداول المسمى بكفاية المتحفظ ، وكتابه فى العروض ناهيك به حسنا وترتيا وتهذيبا وهو نسختان كبرى وصغرى ، وكتابه فى الرد على أبى حفص بن مكى فى تثقيف اللسان ، وكتابه فى شرح ما آخره ياء مشددة من الاسماء وبيان اعتلال هذه الياء استوفى فيه جميع احكام هذه الياء على اختلاف أحوالها من تصغير وتكسير وغير ذلك ، ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جميلا

تعرض لشرح المقاطع الواقعة في سورة مريم لأشتمالها على كثير من تلك الأحكام ، فجاء هذا التأليف في غاية الافادة والتحقيق وكتابه المختصر في علم الانساب وله تأليف مختصر في الانواء على مذهب العرب

ورسالة المعروفة برسالة الحول تعرب عن أدب كثير وحفظ غزير ، وكان الفقيه أبو اسحاق أحول ، وسبب تأليفه لها انه حضر يوما بطرابلس عند القاضي بها أبي محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن هانش الطرابلسي ، فحكم ابو محمد بحكم أخطأ فيه فرد عليه الفقيه أبو اسحاق فقال له : اسكت يا أحول فما استدعيت ولا استفتيت ! فألف تلك الرسالة ، وكانت ولاية ابن هانش طرابلس سنة اربع واربعين وأربعمائة بعد ان فر عنها قاضيها محمد بن فاضل البكري الافريقي هاربا خوفا من أهلها وعزل عنها سنة سبع وسبعين فكانت ولايته اثنين وثلاثين سنة

وأكثر هذه التأليف ملكتها بخطه ، وكان رحمه الله من أحسن الناس خطا ، وأخبرت ان الامير أبا زكرياء رحمه الله كان شديد البحث على خطه وانه سمع ان كتاب الفصيح بيع بخطه بطرابلس فبرد بريدا اليها في البحث عنه فبحث عنه ووجه به اليه ، وكذلك أخبرت ايضا انه سمع أن بطرابلس كتاب أمثلة الغريب لابي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي المعروف بكراع (١) بخط

الفقيه أبى اسحاق فى ملك بعض بنى النقاد وهم من أعيان طرابلس
فوجه اليه فيها ، فوجه النقاد بها اليه وقد وقفت على كتب (١) النقاد
بوصول الكتاب المذكور والشكر له على بعثه ، وملكته بخطه أيضا
تأليفه الذى اختصر فيه كتاب أنساب قریش تأليف أبى عبد الله الزبير
بن أبى بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن
العوام رحمه الله ، وحسبك بهذا التأليف الجليل علما وفائدة وهو كما كان
الشيخ أبو الحسن على بن مغيث رحمه الله يقول : هو كتاب عجب لا
كتاب نسب ، ورأيت الفقيه أبى اسحاق قد أدخل من حفظه فى نفس
هذا المختصر زوائد تشتمل على فوائد نبيه عليها ، وكفى بهذا الرجل
المعظم القدر فخرا لهذا القطر ولم تكن له رحلة عن بلد طرابلس الى
غيرها ، وقد سئل أنى لك هذا العلم ولم ترتحل فقال : اكتسبته من بابى
هوارة وزناتة وهما بابان من ابواب البلد نسبنا الى من نزل بهما فى
أول الزمان ، يشير أنه انما استفاد ما استفاد من العلم بقاء من يفد على
طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرقين والمغربيين ، وكان له
اعتناء بقاء الوفود والقيام بضيافتهم

وأخبرنى بعض الطلبة ان خط الفقيه أبى اسحاق باق الى الان فى
بعض جدر داره من طرابلس وهى فى وسط البلد بمقربة من الجامع
الاعظم ، وعلى مسافة يسيرة منها من جهة غربيها دار الشيخ الفقيه

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل العراب . على ما كتب للنقاد .

أبي الحسن علي بن محمد بن المنذر (١) الطرابلسي الفرضي المشتهر فضله وعلمه ورئاسته ، وهي مزاحمة لمسجد يعرفونه بمسجد ابن فرج أضيف الى الفقيه أبي مسلم مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي لاقرائه به ، وتوفي أبو مسلم هذا سنة اثنين وأربعين وأربعمائة ، وكان مولد الفقيه أبي الحسن بطرابلس قديما سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وله تآليف في الحساب والازمنة وغير ذلك سوى كتابه المشهور المسمى بالكافي في الفرائض ، وقد لقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد وقرأ عليه وارتحل الى مكة سنة تسع وثمانين فلقى بها أحمد بن زريق البغدادي ، وروى عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري ، ثم عاد الى طرابلس فلم يزل بها الى سنة ثلاثين وأربعمائة ، فخرج منها لمحنة جرت عليه فتوجه الى موضع يعرف بغانيمة بالغين المعجمة والنون قرية من قرى مسلاتة ، فسكن بها الى ان توفي هناك سنة اثنين وثلاثين ، وقبره الان على الطريق بها ، وقد اجتزت على غانيمة ورأيت قبره بها وسيأتي ذكر ذلك بعد هذا ان شاء الله تعالى ، وهو اول من اظهر السنة بطرابلس لما كانت في افريقية الواقعة المعروفة بوقعة المشاركة سنة سبع وأربعمائة قتل فيها الشيعة واتباعهم ، وعلى يد الفقيه (٢) أبي الحسن كان قتل من قتل بطرابلس منهم ، واول

(١) كذا في بعض النسخ وهو موافق لاختيار النسخة الجزائرية من كتاب العبر لابن خلدون

ج ٢ - ص ٦٠ - س ٢ وفي بعض النسخ الاخرى « المنصر » وفي النسخة البولاقية من

كتاب العبر ج ٧ - ص ٤٢ « المنتصر »

(٢) وفي نسخة « الشيخ »

من قطع من الاذان ، حتى على خير العمل ، واذن في ذلك اليوم اذان
اهل السنة بنفسه ، وقد قتل بنو عبيد بشرا كثيرا اسقطوا هذه اللفظة
من اذانهم (١) تمعدا او نسيانا ، واول من اقام للناس بطرابلس صلاة
القيام ، وقد كان رسم هذه الصلاة امحى من افريقية فقال الشيخ
ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى : لما دخل بنو عبيد القيروان ارادوا
ان يمنعوا الناس من هذه الصلاة ، قال : وليس (٢) شيء اشد على بنى
عبيد من هذه الصلاة ، فقل لهم انكم توغرون بهذا الفعل قلوب
العامة فانهم يقولون منعونا من الصلاة ، فامروا الائمة ان يختموا كل
ليلة ختمة كاملة وان لا ينقصوا شيئا منها ، فصلى الناس اول ليلة
بوفرهم فلما كانت الليلة الثانية نقصوا ولم يزالوا ينقصون لثقل
ما كلفوا به حتى خلت المساجد منهم كما ارادوا ، واسقط الناس القيام
بهذه الصلاة فكان الشيخ ابو الحسن بن المنر اول من احيا بطرابلس
رسمها وقدم ابا مسلم مؤمن بن فرج فصلاها بالجامع الاعظم ولم
تكن قبل ذلك صليت به لانه من بناء بنى عبيد كما تقدم ، واول من
اطلق الناس صلاة الضحى جهارا ولم يكن احد فى مدة بنى عبيد
يصليها الا مستخفيا بها فان ظهروا عليه قتلوه ، ومر بعض عمالهم
برجل على شاطئ البحر يصلى وقت الضحى فساله عن صلاته فذكر
انه كان جنبا فلما مر بالبحر نزل واغتسل وقضى صلاة الصبح فلم
يقبل ذلك منه وامر به فالتقى فى البحر الى ان مات

(١) فى نسخة « من الاذان »

(٢) فى نسخة « ولم يكن »

وكان سبب محنة الفقيه ابي الحسن ان سعيد بن خزررون لما قتله زغبة (١) سنة تسع وعشرين واربعمئة فتح ابو الحسن بن المنصور مدينة طرابلس لخزررون بن خليفة فدخلها واقام بها اشهرًا ، ثم لما كان شهر ربيع الاول من سنة ثلاثين وصل المنتصر بن خزررون وكانت معه عساكر زناتة ففر خزررون بن خليفة من طرابلس مخفيا وترك له البلد ، فدخله المنتصر واوقع بابي الحسن مكروها عظيما ونفاه من البلد واستباح جميع املاكه وعذب كثيرا من اقاربه بسبيته .

ورأيت مقابر طرابلس كلها فوجدتها قد امتلات من بني آدم وغلبت عظامهم على تراب الارض فلا ترى منها ملء كف من تراب الا وعليها جمجمة او عظم ولا سيما الجهة الشمالية منها ، وكثيرا ما يدفنون هناك الغرباء الذين ليسوا من اهل البلد ، وهناك مدفن جثة ابي عبد الرحمان يعقوب بن ابي يعقوب يوسف بن محمد الهرغى الشائر بطرابلس ، وكان هذا الرجل قد ظهر في اول دولة الامير ابي زكرياء يحيى ظهورا عظيما واشتهر بالاقدام والاقترحام في الامور العظام ، وكانت بينه وبين الجوهرى صداقة متكاذبة ، فلما قتل الجوهرى بتونس سنة تسع وثلاثين استوحش ابن ابي يعقوب ، وعلم الامير ابو زكرياء باستيحاشه فوجه اليه اخاه ابا عبد الله بن ابي يعقوب يوسف ليؤنسه ويصل به فلما وصل اليه لم يزد واصله الا فرارا وكان قد اقتنى لنفسه اموالا عظيمة ، فحدثته نفسه بالامارة هناك والاسباب بالملك

(١) وفي بعض النسخ « زغب »

فاجمع على ذلك واستعد لآظهاره فتفاوض عتلاء طرابلس فيما بينهم في ذلك وتذاكروا ما يتخوفون من عاقبته وراوا ان يادروا بالقبض عليه فاحاطوا به في الليلة التي عزم على اظهار ذلك في صيحتها فقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى جماعة ممن تبعهما فاحتبسوهم الى ان طالعوا بامرهم فورد عليهم الامر بقتلهم فقتلوا وعلبت جثثهم بباب هواره من ابواب طرابلس وحملت رؤوسهم الى تونس فنصبت على سور القصبة منها ، وذلك في شهر شوال من السنة المذكورة وهي سنة تسع وثلاثين ثم نزلت جثة ابي عبد الرحمان بعد دفنت حيث ذكرنا

وكان ممن قتل مع يعقوب في هذه الكائنة ونصب رأسه مع رأسه ، ابو عبد الله محمد بن القاضي ابي عمران بن عيسى بن عمران وابوه هو قاضي القضاة براكش الذي يقول فيه الشاعر : (مجثث)

يخَطُّ في الرِّقِّ خطا كأنه خط شيطان

يفك عنه المئى موسى بن عيسى بن عمران

وكان ابنه هذا قد وصل الى حضرة تونس فضاقت حاله بها مع ضيق كان في خلقه فتوجه الى طرابلس فاتصل بابن ابي يعقوب وشاع عنه انه انشأ خطبة اعدّها لتقرأ يوم بيعته ، كان منها في وصفه : القائم بالمدينة البيضاء ذات الرمال ، الفاصل بهدايته بين الحرام والحلال ، فتعرفا معا شؤم هذه الخطبة ، واستمرا بعد الممات على ما

كانا عليه في الحياة من الملازمة والصحبة ، وأخبرني الفقيه ابو عبد الله محمد بن يحيى العدل بحضرة تونس رحمه الله قال : كان ممن حبس بطرابلس معهم أبي فدخلت عليه في السجن وكنت اذ ذاك صغيرا فقال لي يعقوب ما سورتك يا بني ؟ فقلت له الحديد ، فجعل يكرر هذه اللفظة تطيرا منها ، فكان من صدق هذه الطيرة من قتله (١) ما تقدم ، قال ولم يسلم من اصحاب ابي عبد الرحمان الذين ثقفوا معه غير ابي لتشفع اهل طرابلس فيه عند الامير ابي زكرياء ، وانشد ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن ابراهيم الاصولي في بعض تآليفه لنفسه من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويصف هذه الكائنة ويذكر تسمية يعقوب نفسه بالامام الفاطمي ، ويعقوب هذا ينتسب لهذا النسب العلي : (طويل)

لَقَدْ عَجَلْتُ لِلْفَاطِمِيِّ فطامه وما سَوَّغْتُهُ دَرَّهَا الْبَيْضُ وَالسُّمُرُ
رَجَارْفَةً فَاَعْتَاضَ مِنْهَا بِمَنْصِبٍ نَمَاهُ بِهِ لِلْجِدْعِ مَنْصِبُكَ الْحُرُ
يَرَى شَرَفَاتِ السُّورِ قَدْ قُمْنَ حَوْلَهُ (٢)

يَصْخَنُ لِأَمْرٍ مِنْهُ أَكْذِبُهُ الْأَمْرُ

ضَحَى فَلَحَرَ الشَّمْسُ لَمَجْ إِهَابَهُ وَلِلرَّيْحِ لَا لِلرُّوحِ فِي جِسْمِهِ كَرُ
وَكَمْ رَامَ تَشْيِيدَ الْقُصُورِ فَحَلَّهَا (٣) وَأَعْظَمَ مَا يَرْجُوهُ لَوْ أَسْعَفَ الْقَبْرُ

(١) لا يوجد « من قتله » في بعض النسخ

(٢) في نسخة « نحوه »

(٣) في نسخة « يحلها »

أتى رهبة لتأدعوت إجابة فجرده من ثوب نعمتك الكفر
وجاءك منه بعضه متصلاً وخلف بعض حيث لا جاده قطر
يناجي أخاه لا بقول يبثه وهيهات عز السر فحواء والجهر
تبراً منه وانتحاك لسانه فلو رام نطقاً لم يرمه لك الشكر
فدونك يا يعقوب عقيب منافق إلى النار عقابها اذا ضمك الحشر

وانشدني بطرابلس صاحبنا الفقيه ابو العباس احمد بن عبد السلام
الاموي التاجوري في قضية ابي عبد الرحمان لما نصب رأسه ورؤوس
من قتل معه بسور القصبة من تونس للفقيه المحدث الحافظ ابي
عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن الابار، ثم انشدني بعد ذلك
هذه الايات بتونس الشيخ الفقيه ابو الحسن علي بن ابراهيم التجاني
قال انشدنيها قائلاً : (كامل)

وعصابة قطفت رؤوسهم الظبي	قطف البان ازاهر البستان
غدروا وما شعروا بان وراءهم	للحق انصاراً على البهتان
فانظر الى هاماتهم مسودة	كالليل غير بوارق الأسنان
تبدو من السور المنيف بصفحة	يضاء كالشامات والحيلان

والاشهر في هذه المدينة طرابلس بفتح الطاء وضم الباء واللام،

قال البكري في المسالك : وترجمة هذه اللفظة باللغة الاغريقية ثلاث مدن (١) تم كلامه (٢) وبعض الناس يكتبها حيثما وقعت في خطه بالالف وعلى هذا قول احمد بن يحيى من قديم شعرائها في قصيدة له :
(مقارب)

لقد طال شوقي الى فتية حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مُسْعدي على الشوق الا دموع بَـجِش

واحمد بن يحيى هذا من ولد اخى على بن زياد الفقيه التونسي رحمه الله واصل على بن زياد من طرابلس ايضا مات سنة ثلاث وثمانين ومائة (٣) وذكر لى بعض النبهاء من طلبتها انه وقف لبعضهم على ان المختار فى طرابلس الشام ان تكتب دون الف تفرقة بينهما ، واما الكاتب المتاخر ابو الحسن على بن ابي بكر بن بلال فانه سكن لام طرابلس استنادا الى ما تقرر فى اللغة العربية من جواز تغيير الاسماء الاعجمية للضرورة فقال فى بعض وترياتة يخبر عن نفسه :
(طويل)

سرى فرسًا فى سيره ولو أنه خلّى من الاوزار سار ولم يرس
سمى سمي طمّاح لأبعد غاية فكانت له دار المقام طرابلس
سينضي ركاب العزم عنها مجرّدا لافضل من دانت له الجن والانس

(١) راجع البكري ص ٦ - ٧

(٢) فى بعض النسخ « ثم تلامت »

(٣) طبقات ابي العرب ص ٢٥٣ وفى بعض النسخ سنة ثلاثين ومائة وهو تحريف من النسخ

وكان رحمه الله أخذ في التوجه الى المشرق ليحج ووصل الى طرابلس فصرفه الدهر في بعض خدمها فنظم مدة اقامته بها هذه الوتريات يصف اشتياقه ، ويطلب التخلص مما عاقه ، الى ان تهيأ له السفر فانفصل وحج وذلك سنة احدى وثمانين ، ثم رجع فمات بطريقه وهو قافل رحمه الله تعالى عليه

وبطرابلس كانت وفاة أبي حفص عبد الله بن محمد بن عامر ابن أبي عامر وهو والد الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله ابن أبي عامر صاحب الفتوحات المدونة والاستيلاء المشهور ، وكان أبو حفص هذا فقيها صالحا معلوما بالخير والزهد والقعود عن السلطان ، سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة واحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فأدى الفريضة ثم عاد قافلا فادر كته منيته بطرابلس فدفن بها انتهى من كلام أبي حيان ، وفيه عن ابن عفيف وذكر ابن البار في « التكملة » (١) ما تقدم وأخبر ان وفاته كانت آخر خلافة الناصر وكان انقراض خلافة الناصر في شهر رجب من سنة (٢)

ومن فضلاء طرابلس المشهورين بالعلم والمشاركة في الادب المتقدمين عن عصرنا هذا قليلا : أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران ابن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي ،

(١) راجع التكملة ص ٤٣٧ - ٤٣٨

(٢) بياض في جميع النسخ وكان انقراض خلافة الناصر في رجب من سنة ٣٥٠

مولده بطرابلس في منتصف شعبان من سنة ست وستائة
وارتحل الى المشرق فقضى فريضة الحج وادرك الريفى
والصفراوى فقرأ عليهما ووصل الى تونس فى مدة الامير أبى
زكرياء فاقام بها زمانا ثم عاد الى بلده ، واستدعى بعد ذلك الى تونس
فولى بها الخطط الرفيعة من قضاء الجماعة وقضاء الانكحة والخطابة
بالجامع الاعظم وغير ذلك من الخطط وله تصانيف منها : العقيدة
الدينية وشرحها ، وجلاء الالتباس فى الرد على نفاة القياس ، وكتاب
مذكر الفؤاد فى الحض على الجهاد، وله شعر قليل منه قوله : (كامل)

طُرُق السلامة والقلاح قناعةً ولزوم يت بالتوحش مؤنس
يكفيه أنسا ان يكون أنيسه آي القرآن ونوره فى الحنّدى
وإذا رأت عيناه انسانا اتسى فليفرن نفور ظبي المكس
ولقلما ينفك صاحب مقول من زلة أو عشرة فى المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل حتى يراها فى مقام المفلس
وأظهر له الخليفة المستنصر رحمه الله فى بعض الاوقات تفيرا
فكتب اليه يستعطفه : (طويل)

أمولاي ما زلت تنيلون عبدكم ضروبا من النعماء جلت عن المثل
ولم يبق إلا المفو وهو أجل ما ينال فأكمل لي به منحة الفضل

فما العيش في الدنيا بغير رضاكم بضاف ولا طعم الحياة بمخلولي
وقد كدر الاعراض صفو معيشتي فأنكرت أحوالي وانكرنى اهلي
ولي أمل يقضي بغفران زلتني وبالغفوع عن جرمي وبالصفح عن فعلي
بقيت تزيد الملك عزاً وبهجة

وتحيي رسوم الفضل والدين والمندل
ولا يخطئني منك غفوء ورحمة فإنهما ما أخطئاً أحداً قبلي
وصلى إلاء العرش بدءاً وعودة على المصطفى من خلقه خاتم (١) الرسل
وله القصيدة الطويلة التي اولها : (واقر)

بحمد الله نبتدىء الامورا ونغتم آخرها فيه الجورا
وكانت وفاته بتونس يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع
الاول عام أربعة وثمانين وستمائة .
ومنهم الفقيه أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري
الطرابلسي احد ارباب الرتب ، الجامعين بين رئاسة الفقه ورئاسة
الادب ، ولد بطرابلس سنة تسع وستمائة وقرأ بها يسيراً ثم توجه
مع أخيه الفقيه القاضي أبي موسى الى المهدية للقراءة بها على الفقيه
أبي زكرياء البرقي فلزمه مدة ، ثم عاد أبو موسى الى طرابلس وأقام
أبو علي ولزم البرقي وتفقه عليه واختص به اختصاصاً كثيراً فلما

وقعت فتنة أبي حمراء بالمهدية ووصل كتاب الشيخ أبي علي بن أبي موسى بن أبي حفص الى (١) المهدية اذ ذاك بالتحذير من أبي زكرياء البرقي ومن أبي حمراء ، وتوجه الامر له بقتل أبي حمراء وازعاج البرقي الى الحضرة كان ذلك فقتل أبو حمراء وحمل البرقي على حمار ومعه خواص أصحابه فيذكر من رآه على تلك الحالة وهو يمثل عند (٢) اشرافه على الحضرة : هكذا في البري فعل بي فكيف لو زلت بي القدم ، فكان ابن معمر احد من وصل صحبته وأدركت الامير أبا زكرياء شفقة على البرقي فاعاده الى وطنه وأقام ابن معمر بالحضرة وكان فقيها مفوها خطيبا لسنا غير انه كان في لسانه فضول ، كثر امتحانه به والتعرض له بسببه .

وترقى في دولة الخليفة المستنصر رحمه الله فولى خطة القضاء في كثير من بلاد افريقية منها باجة وبجاية وغيرها ، وولى خطة العلامة الكبرى وخطة الارفاع والنظر في خزانة الكتب ، ونفى الخليفة عليه فنفاه الى المهدية ، فكان خروجه من الحضرة يوم السبت الثامن عشر لذي القعدة الحرام سنة سبع وستين ، ثم وقع الرضى عنه بعد عام كامل وتوجه الامر بتسريحه في ذي الحجة من سنة ثمان وستين فوصل الى تونس في شهر ربيع الاول من سنة تسع وستين ، ولما مات الخليفة وولى ولده الواثق استدعى في يوم السبت التاسع عشر

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « وال »

(٢) وفي بعض النسخ « على »

لذى الحجة من سنة خمس وسبعين فأمره بالنظر فى خزانة الكتب
وسئل عنها حين كانت لنظره اولا فذكر انها كانت ثلاثين الف
سفر وأنه آخر عنها ثم أعيد اليها فوجدها عشرين الف سفر وأنه
الان اختبرها فوجدها تقصر (١) عن ستة آلاف سفر ، فسئل عن
موجب ذلك ، فقال : المطر وأيدى البشر ، واستمر على النظر فيها الى ان
تغير عليه رئيس الدولة أبو الحسن بن أبى مروان فى بعض القضايا
فامر بشقيقه فتقف بدار الاشراف مدة ثم أخرج ، وكانت وفاته
بتونس فى اليوم الثانى لجمادى الاولى من سنة اثنين وثمانين
وستمائة ، وله شعر كثير أخبرنى ابن أخيه الفقيه أبو يعقوب يوسف
ابن القاضى أبى موسى عمران قال : كنا جلوسا عنده فأنشد بعض من
حضر بيتين لأبى الوليد سليمان بن خلف الباجى : (وافر)

مضى زمن المكارم والكرام سقاء الله من صوب الغمام
وكان البرّ فعلا دون قول فصار البرُّ نطقا بالكلام

قال فأنشدنا لنفسه متمما عليهما (وافر)

وزال النطق حتى ليس تلقى فتى يسغو بمرجوع السلام
وزاد الامر حتى ليس إلا سخني بالاذى او باللام

وكان أبو عبد الله محمد بن يحيى الفضيلي ممن ثقف بدار
الاشراف معه حين ثقفه ابن أبى مروان على ما تقدم فحصل بينهما

(١) فى نسخة : تنقص ،

اتصال وود واتفق ان سرح ابن معمر قبل سراح الفضيلي فهناه
الفضيلي بذلك فأنشد مرتجلا : (طويل)

لَئِنْ سَرَّني فَكُ الْإِسارِ مِنَ الْحَبْسِ لَقَدْ ساءَني فَقدي لِمَا فِيهِ مِنْ أَنْسِي
وَلَوْ أَنَّني خَيْرْتُ فِيمَا أُرِيدُهُ لَأَثَرْتُ تَقْدِيمي سَراحَكَ عَنْ نَفْسي

وفي مدة لزومه داره للجفوة التي كانت عرضت له قبل نفيه الى
المهدية قدم من السفر صديق له ممن تلزمه زيارته فلم يمكنه ذلك
فكتب اليه : (طويل)

كُتِبَتْ وَلَوْ لا الْحَكَمُ كُنْتَ إِلَيْكُمْ مِنْ الشَّوْقِ فِي مَتْنِ الرِّياحِ أَطِيرُ
وَإِنْ يَسِيرًا أَنْ أَسِيرَ مَسْلِمًا عَلَيْكُمْ عَلَى وَجْهِهِ وَذَاكَ يَسِيرُ
وَمَا فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ مِنْ خَالِصِ الْوفا فَسَيَّانٍ فِيهِ غِيبَةٌ وَحَضُورُ
وَأَنشَدَنِي لَهُ بَعْضُ الطَّلَبَةِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِ طَرابِلُسِ قَصِيدَةً وَقَعَتْ
هنا مرتبة على حسب ما اخترناه منها : (بسيط)

لَوْ لا أَحْوارُ جَفُونٍ أودَعْتَ سَقَمًا
ما أَمْطَرَتْ سَحْبُ أَجْفاني الدَّمْعَ دَمًا
وَلَا وَقَفْتُ أَصِيلانا بِرَبْعِكُمْ (١) وَلَا سَقَيْتُ رَباهُ مِنْ دَمِي دِيَمًا
وَلَا نَشَرْتُ عَقِيقَ الدَّمْعِ فِي طَلالٍ مِنْهُ أَذِيعُ الَّذِي قَدْ كانَ مَكْتَنَمًا

شمل السلو شتيت بعد بعدكم وطالما كان قبل اليوم ملتئما
 الين يقطع منه كل متصل والشوق يثر منه كل ما انتظما
 والوجد شاد بجسمي ما يهديه آه على ما بنى فيه وما هدمما
 يا من يلوم على ما جل من أسفي هذا اليسير من الامر الذي كتما
 ما خطط النوم في جفني رسم كرى إلا محاسن ما قد خط أو رسما
 أنيكم أنني من يوم ينكم ما زلت للسهد والتذكار ملتزما
 ارتاح إن هب ريح من جنابكم أو لاح برق بذاك الافق وابتسما
 اما ومن قدر الاشياء مقتدرا وحبكم وكفى بالحب لي قسما
 ما رام قلبي اضطبارا بعد بعدكم ولا تأخر بي من وجده قدما
 وانشدني أيضا وقد ابل الخليفة من مرضه : (بسيط)

الله أنعم بعد اليأس بالفرج يا ازمة الدهر عند الشدة انفرجي
 شكر الخلائق لا يكفي لأيسر ما كفى وسكن من هرج ومن رهج
 أبقي الانام بإبقاء الإمام فكتم بصنونه صان من مال ومن مهج
 إذا رعى الله للإسلام راعيهم لم نأس من فقد ذي قدر ولا هج
 وذكر ابن البار في بعض تواليفه قال : انشدني القاضي أبو علي
 ابن معمر له ولاحد أصحابه في أبي المجد الصوفي المهدوي يداعبانه
 لولوعه بتزوج العجائز : (طويل)

ابا المجد كم تغرى بحب العجائز وذلك في شرع النهى غير جائز
كلفت بأطلال محال الدهر رسمها فاصبحت تبغي الفوز بين المفاوز
وأنشدني شيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان
الايوسى ، قال أنشدني أبو علي بن معمر لنفسه : (بسيط)

آها نُرددُ لو تشفى لنا كَرَباً وبالتعللات نَحياً لو قضت أرباً
وبالاماني ينال القلب بُغْيَةً وقد تحقق من متادها كَذِباً
يرتاح إن لاح برق من جهامتها وما تَرأى له إلا وقد ذهباً
يسرّ إن مدّ يوماً جبل مُنْيَةٍ وما تطاول إلا جُدّ وانقضباً
إن عزّ ما يبتغيه (١) فهو في هَرَجٍ ويختشي الفَقْدَ إن ما يبتغي قَرُباً
وارحمناه لقلبي كم أجشّمه امرأ يذيب من الأصلاد ما صلّياً
وكم يعاني ملّات بايسرّها يهون الأمر (٢) من دنياه ما صعباً
وكم يلجّج في افكاره لَجْجاً سوداً تُوجّج في احشائه لهباً
وكم تهبّ سمومٌ من تنفسه لو استمرت لنا هبت نسيم صَباً
استغفر الله لا اشكو الزمان ولا أبدي إذا طرقت أخطائه رهباً
ولا أئنّ لحظّ منه اغوزني ولا أسرّ إذا ماء المنى انسكباً

(١) وفي نسخة « ما يرتجيه »

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « المرء »

أَنْنَى يُسَرُّ لَيْبٌ إِنْ رَأَى حُلْمًا وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمَرَ الْفَنَّا شَرِبًا
وَأَخُوهُ الْفَقِيهَ الْقَاضِيَّ أَبُو مُوسَى كَانَ عَالِمًا صَالِحًا فَاضِلًا وَقَدْ قَدَمْنَا
مِنْ أَخْبَارِهِ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا أَبُو فَارَسٍ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ غَيْدٍ عِنْدَ
تَسْمِيَةِ شُيُوخِهِ .

فَأَقَمْنَا بِطَرَابُلُسَ سَاكِنِينَ فِي قَصَبَتِهَا كَمَا تَقْدُمُ عَامَا كَامِلًا وَنَصَفَ
عَامَ وَأَيَّامًا إِلَى أَنْ تَهَيَّأَتْ لِمُخْدُومِنَا أَعَزَّهُ اللَّهُ وَجْهَتَهُ ، وَكَمَلْتُ عَلَى
أَتَمِّ الْمُرَادِ بَغْيَتَهُ ، حَسْبَمَا نَبِيْنُهُ بَعْدَ هَذَا أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَحِينَئِذٍ وَقَعَ
الرَّحِيلُ عَنْهَا . وَبَلَفَنِي بِأَثَرِ الْحُلُولِ بِهَا أَنْ الْفَقِيهَ الْبَلِيغَ الْكَاتِبَ أَبَا
الْفَضْلِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّجَانِيَّ ضَوْعَفَ لَهُ
بِالْحُضْرَةِ مَرْتَبَهُ وَأَعْلَيْتُ عَنْ إِخْوَانِهِ الْكِتَابَ رَتْبَهُ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ :
(كامل)

أَهْدِي أَبَا الْفَضْلِ السَّلَامَ مَرْدَدًا لِعَلَّاكَ عَنْ قَلْبِ الْيَكِ مَشُوقٍ
وَأَقَرُّرَ الْوَدَّ الَّذِي أَنَا سَالِكٌ فِيهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ خَيْرِ طَرِيقٍ
وَسَمِعْتُ أَخْبَارًا أَدَارَ بِذِكْرِهَا مُنْهِيَ الْحَدِيثَ الَّتِي كَانَتْ رَحِيقَ
أُنْبِئْتُ أَنَّكَ قَدْ خُصِّصْتَ بِرَتْبَةٍ أَسْمَتُ مَقَامَكَ فَوْقَ كُلِّ رَفِيقٍ
فَسُرُّرْتُ أَنْ نَالَ السِّيَادَةَ وَالْعِلَالَ مَنَ فَخْرَهُ فَخْرِي لَدَى (١) التَّحْقِيقِ
مَا الْعَزَّ عِنْدِي أَنْ أَعَزَّ وَأَنَّمَا عَزَّيَ الْمَكْمَلُ أَنْ يَعَزَّ فَرِيقِي (٢)

(١) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « عَلَى »

(٢) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « فَنِيْقِي »

ان اكرموك فقد اتى اكرامهم في موضع بالكرمات حقيق
طوقت للانعام ما تشدو به والشندوشيمة كل ذي تطويق
والله يرزقك الزيادة حاكما لك بالاعلا والسعد والتوفيق

فوصل جوابه عن ذلك بما نصه : (كامل)

أهدي سلام الود خير رفيق من عُدَّ اوحداً أسرتي وفريقي
ومقام عبد الله نجل محمد في قومه سام على الميوق
نذب تحلى من جلالة سندس واقام للعلاء أنفق سوق
وازدان بالفضل الذي هو مرضع (١) لبني الافاضل ليس بالمندوق
زانت فتاة السن منه فتوة قد ضمخت اخلاقه بخلوق
ومعارف تدرى اهن عوارف فيها حقيق مجده بحقوق
اما موائق اليهود فانها ابدأ لديه مميزة بوثوق
ومشارع الود التي اروي بها ما امطرتها خلبات بروق
هي ما علمت مواليد ومراضع وزكاء فرع من زكاء عروق
ودليل تأكيد الوداد رسائل تقضي بمهد في الرداد وثيق
تدنو على شحط الربوع كأنها شمس تعم يهجة وشروق

او كالحيا الهتان يزوي ممحلا فيعود بعد المخل جد انيق
 ولرب قافية اتت قافية تقفولها الشعراء نهج طريق
 فلئن تمكن من طريقته امرؤ فلها مكان ليس بالمطروق
 انت الذي تجلو المعاني خلوة يصبو الحجب لجمالها المرموق
 ولكل معنى زانه اللفظ الذي يكسو كغصن في الرياض وريق
 وافت تهني لي باسعد رتبة رفعت بحر سوابغ التوفيق
 ومقدم بالله شرط قضية قرنت بها الآمال بالتصديق
 واجل ما اثرته حظ اتى عفوا بدون الظن والتعليق
 هي نظرة من نحو خير خليفة غاظت (١) أبا زيد بخير عتيق
 ما كنت لولا ان عين رضاهم نظرت بايسر ما جرى بحقيق
 سؤدت ان طوقت نماء التي قد قام فيها شاهداً تطويقي
 وكفاية الآثار قد قابلتها بفصح قول في الثناء طليق
 هو مشرب انا منه صاحب نشوة ومواصل لصباحه بغبوق
 لا اشتكي الا نواك فأنني من اجل حادثها اغص بريق
 سحراً لدهر لو قضى بـألف لغدا مكان الالف غير سحيق

اقصى فلولاً ما دعوه ابا الوردى لعقته ويقل فيه عقوقي
 عليه نذر لا يزال يفى به ان يعقب الجميع بالتفريق
 لم انس سيل الذم يوم فراقنا وغريقنا مستمسك (١) بغريق
 ما ان ذكرت السين الا بان من نفسي ومن نفسي دخان حريق
 فالله اسأل ان ينظم شملنا عقداً ويجمع نازحاً بمشوق
 وما ذاك على الله بعزيز ، وقرب الاماكن (٢) فيه متعلق بخير
 مجيب مجيز ، فعما قريب نتلقى بالفعل هذا الامكان ، ويعود الجمع
 منتظماً كما كان (٣) بفضل الله وهذا الزمان (٤) الذى اوقع ريباً ،
 واشتعل الرأس منه شيباً ، سرعان ما تقهر القواطع عنه مقصرة ،
 وتحول ليله آية النهار مبصرة ، وتلقى حبله من سقط الفرقه
 مضغة ، ويرجع راجع الشباب صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ،
 واذا كان يعيده حامل كلام ، ويرده واصل سلام (٥) ، فما ظنك به
 حين تقبل الركائب ، ويلتقى المقيم والايب ، وترى القافل الذى
 شد ما أثقل رحله ، يلقي الزاد فما زاد حتى نعله ، فتراح الركائب
 من جذب البرى ، ويراح الى جنة القرب ونار القرى ، وحينئذ
 تتصل الافراح ، وأنشد من صد عن نيرانها فانا أبو قيس لابراح (٦)

(١) فى بعض النسخ « متمسك »

(٢) وفى بعض النسخ « الامكان »

(٣) وفى بعض النسخ « هذا الشمل مشتملاً » وفى بعضها « هذا الشمل منتظماً »

(٤) وفى بعض النسخ « هذا الوثب » وفى بعضها « هذا الرتب »

(٥) وفى بعض النسخ « كلامى » و « سلامى »

(٦) والمشهور فى قول سعد بن مالك هذا « من فر »

والله المرجو في أن يعيد (١) ذلك الزمان ، وعليه سبحانه في تحقيق
الرجاء الضمان (٢) ، بحوله وطوله ثم تنوب الى واجب الشكر ،
وشكر الواجب الذكر ، وغرس ثمرة (٣) الاحسان ، اذا تعهد بعهد
الانسان ، كانت ثمرتها وهي الثناء ذائعة ، ولم تكن ثمرة تلك
الفروس ضائعة ، وكل ما يلحق الفرس من نضرة ونعمة ، تلبسه
ملايس نعمة ، فلغارسه ينسب ، ومن جملة مكارمه يحسب ، وذلك
الجلال للشيخ أمن الله جهته ، ويمن الله وجهته ، لا يشك أنى
غرس نعمته ، واحد المعتزين بخدمته ، وعنايته قديما هي التي
أصارتني من خدمة هذا المقام الكريم الذي طوقت نعمه فمدحت ،
وسقيت ديمه فشكرت ومرحت (٤) بثاية منه سقت دوحى غمامها ،
فبشكره - أعزه الله - يفرد من لسانى حمامها ، وعن ثغور منحه تفتت
مباسمها ، كما أنه عن منشور (٥) مدحه لا تفتت نواسمها ،
فصادح (٦) ثنائى لا يثنى عن تغريد وتلحين ، وثمر بر طيبات
مما دحه لا تزال تؤتى أكلها كل حين ، فقرروا عند سيادته - حفظها
الله - ما يجب تقريره ، وكرروا من معاد ذلك ما تحسن اعادته
وتكريره ، والله سبحانه يبلغكم أملككم ، ويختتم بالصالحات عملكم ،
ويسهل سبيلكم ، ويجعل اليمن المصاحب دليلكم ،

(١) وفي نسخة « يعود »

(٢) وفي نسخة « التكلان »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « شجرة »

(٤) وفي بعض النسخ « فرحت » وفي بعضها « صدحت »

(٥) وفي بعض النسخ « منشور »

(٦) وفي جل النسخ « فصادح »

ووصلت بعد ذلك أبيات من بعض من وصل الى الحضرة من

الادباء وكان من مقصده رؤيتي فلم يجدني بها : (كامل)

خذهما تحية نازح الأوطان لكنه بوداده لك داني

من شيق لأبي محمد الرضى عبد الإلاه الماجد التجاني

مثن على تلك الحلال ولم يزل من اجل بُعدك دائم الاشجان

لما وصلت لتونس الفتيها من بعدكم ربما بلا سكران

قد اظلمت في مقتلتي لبعادكم فكانها جفن بلا انسان

فلو استطعت لسرت عنها نحوكم اسمى لرؤيتكم على اجفاني

وكتبت في أول شهر المحرم مفتتح عام ثمانية وسبعمئة للفقير البليغ

ابي الفضل محمد بن أبي الحسن علي بن ابراهيم التجاني بهذه

القصيدة وما ردفها من النثر مقررًا لادامة الود ، ومتبرما بامتداد امد

البعد : (مخلع البسيط)

جكم في الحشا مقيم فما يروم الذي يلوم

اما درى العاذلون جهلا ان عذاب الهوى نعيم

هل عند من عنده قوادي ان غرامي به عميم

بيت من لوعتي خليا ومنه بي المقعد المقيم

اجابنا هل ينال حظا من وصلكم من بكم يهيم

هَبُوا لاجفاننا مناماً
لازمها بعدكم سهاد
وعليوا بالرضى فؤادا
يظنه عذلي سليماء
إن حكم الدهر بافتراق
فكل شيء الى كتاب
هاك أبا الفضل من سلامي
واغلتهم بما بي من اشتياق
وإذ طلبت بعلم حالي
فأنني في اتصال نغمي
منعم في جناب مولي
لله منه غمام جود
كم كف بؤس الوردى بكف
يشر (١) أمواله ولكن
ايه نداء حواه قلب

فعهدُها بالكرى قديم
تعرف مقداره النجوم
به لهجرانكم كلوم
وهو لفنرط الاسى سليم
موقعه في الحشا اليوم
قنّده القادر الحكيم
مسكاً رسولي به النسيم
اليك مقداره عظيم
وانت عندي بها عليم
بشكرها الدهر لا اقوم
بقربه تبعد الهيموم
عنم الوردى صوبه العميم
تمجز عن جوده الغيوم
شمل المعالي بها نظيم
مازجه ودك الصميم

هل تترتجي للزمان عدلا فانه في النوى ظلموم
 قد علم الله من ودادي ما أنا راع له مُديم
 وانّ عندي لحفظ عهدي طريقة نهجها قويم
 وانّ تحل بيتا فياف يقصر عن جوبها الرسيم
 فانّ ذكراك كل حين في القم والقلب لا تريم
 لقد تدانت لنا قلوب وانّ تناءت لنا جسوم
 فنسأل الله جمع شمل فهو لطيف بنا رحيم

« هذه أعزكم الله أبيات صدرت عن قلب (١) منقسم ، وفكر بتولد
 التبلد متسم ، قد أعاره الهوى أتباعا ، وأعادته النوى شعاعا ، فكلما
 رمت جمعه ، وطلبت أن أرأب صدعه ، طرقه من هوائج الفكر ،
 ولواعج الذكر ، ما يفرق منه ما لأمت ، ويشئت ما نظمت ، ولربما
 جذبه الحنين الى الوطن ، وجد به التشوق الى الاهل والسكن ،
 فيطلب الصبر وهو جد متمنع ، ويروم التصنع ولات حين تصنع ،
 وكيف يحجب الوجد وهو ذو استبانة ، أم كيف يطلب الصبر وقد
 أبانه البين أي ابانة ، وقد كان في حول ثواء ثويته (٢) تقضى لبانة ،
 فكيف بثواء احوال ، ولقاء احوال ، بمثلها يسأم السائم ، ويمد
 صبره القلب الهائم ، ولكن مشاهدة هذا المولى الذي أنا في كرمه

(١) في نسخة « من ذهن »

(٢) في بعض النسخ « في حول ثويته » وفي بعضها « في حول ثواء »

أمسى وأصبح ، وبنعمه أغبق وأصبح ، تنسى الاهل والوطن ،
وتسلى عن كل ما شط وشطن ، فلا ندم على ما عدم من رآه ، ولا
تغرب من يمه ولو خلف الاهل وراه ، وان فضل الله تعالى لكفيل
بأن يجعل مدة الفرقة قليلة ، وأن يعلل بالقرب منا انفسا عليلة ،
فيعيدها وقد بلغت التراقي ، ويفيدها من اللقاء الطيب الراقى ،
(طويل)

وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
(طويل)

واني لا رجو الله حتى كأنما ارى بجميل الظن ما الله صانع
واياه اسأل أن يزيد جدكم جدة (١) ، وأن يديم مدتكم فى السعادة
متدة ،

فأجاب بقوله : والتزم فى الجواب تشديد حرف الروى ، وكان
أولاد مخدومنا قد وصلوا اليه فى ذلك الوقت من الحضرة - فإشار
فى جوابه هذا اليه : (مجزو الرمل)

من لشفوف معنى ذكر العهد فحننا
راعه الدهر بين بعدما كان اطمأنا
ابصر الربيع قواء فبكى شوقا وأنا

وتمشي مشي ولهـان به يقرع سنا
 وشجـاه هاتف فو ق الرُبـى غنى فغنى (١)
 إلفه دان فلو فا رق إلفا ما تغنى
 اطرب الروح وأبـر دت شجونى حين ثنى
 فغنى من فرط ارتياح دون راح تتشنى
 وتذكـرت زمانا بالتداني مر غنا
 وحديثاً ما أحـيلا ه وسراً منه صنا
 وبصدري مـيت سر مـدرجا فيه أجنا
 لست فيه بضنين عند ما (٢) يعمل ظنا
 أيها الاحباب ما بنـتم ولكن نحن بنا
 أطلـعوا (٣) من قـربكم صبحاً قليلاً البعد جنا
 وانظرونا نقبـس من نوركم (٤) ما تمنى
 ما عليكم لو نظرتـم نظرة الإشفـاق منا
 وسمحتـم لقريح القلب بالسـلوان ضنا

(١) فى بعض النسخ « عنى »

(٢) فى بعض النسخ « من »

(٣) فى بعض النسخ « اصبحوا »

(٤) فى بعض النسخ « من قـربكم »

لم يزل في كل معنى يجلب الود معنى
راكباً في كل فن منه ذيلاً وفناً
لا يحاشي من فنون الو د والإخلاص فناً
هل أمان من زمان فرض البعد وسناً
سن أغياراً وغارا ت النوى والبين شناً
ورماناً بسهام بعد ما كان مجناً
خاننا العهد وما للعهد والميثاق خناً
وجرى جري سبوق للنوى لا يتأني
نال منا بافراق بعد ما كان أمناً
وعناء ترك الأبدان وهيا حين عنا
عقل العقل تسري ح مناصات فجناً
عند ما شئت رحال ضعف الصبر فلناً
كيف بالصبر وأنى بجميل الصبر أنى
ولعل الدهر ينسخ ما كان استسناً
ويعيد الشمل منظو ما كما كنتم وكناً
وإذا ما الله سنى عقد أمر يتسنى

« سبحانه لا اله سواه ، وبارادته يوقع الدهر ما نواه ، فمن يعتب
الدهر أو يسه ، ففي النار حصيدة لسانه تكبه ، فهو عبد بتصرف
مالكه يتصرف ، ونكرة بإضافته الى أعرف المعارف يتعرف ، فلا
ذنب ينسب اليه ، ولا احد يعتب عليه ، سواء أنأى أو قرب ،
وأهل أو عزب (١) ، وسهل أو صعب ، وضم الشتيت أو شعب ، له
ان يتحكم حكم الوصى ، ويستقصى حكمه فى القريب والقصى ، وذو
الحجبى يستمسك بحلمه وعلمه ، ويسلم نفسه لحربه وسلمه ، ويرى
ان لا حجة له فى اعتراضه ، على افتراضه ، ولا سبيل لاحتكامه ،
فى أحكامه ، ولا قدرة على صرفه ، عن صرفه ، ولا حيلة فى خديعته ،
عن شريعته ، لا جرم أنه يجرم ويتوب ، ويحرم ويشيب ، وينجح اذ
يجمع ، ويبخل ثم يسمح ، أحواله غير مقصورة على انفراد صورة ،
ولا مبنية ، على اتحادية ، لا يدوم على حالة ، من ايجاب أو احالة ،
ولا يبقى على نسق ، فى اصباح أو غسق ، بل يتلون تلون الحرباء ،
ويتكون تكون الجرباء ، بينا تطلع نجومها ، يأفل نجومها ، فنجومها
أبدا تطلع وتغيب ، ونيراتها لا يدوم لها الطلوع ولا المغيب ، وكذا
الدهر مهما أعد للنوى طريقا ، وجرع بضاعة الفرقة فريقا ، ابان الى
الدنو أسرع راجع ، وأشبهت عاقبته عاقبة دواء نافع ، وقد مدت
النوى منكم باعها ، حتى كادت الايام تتناسى طباعها ، وعند هذا
التأهى يقصر متناولها ، ويقرب من الامانى الصادقة بكم متناولها ،

مع نجح الطلب، وحسن المنقلب، ان شاء الله تعالى والله سبحانه لطيف
بخلقه، حاكم على الدهر وخلقه، يقضى وفي قضائه لطف، ويؤكد
ارادته وفي تأكيدها عطف، ألا تراه كيف يسر لمولانا المعظم، ما
سره من الشمل المنظم، وذلك بانفراج المتضايقين شوق وخلد،
واجتماع المتضائفين والد اعزه الله وولد، بعد ما كانت الشمس
شعاعا فعاد الشمل بذلك نظيما، وأصبح غيظ الدهر الذى لا يكاد
يكظم كظيما، وعما قريب ينظم به شمل الاوامر والامور، وتلحق
بركته وهو مقيم ببلده سائر المعمور، وقد طال عهدي بتقيل راحته،
واستئمان قلبي مع تبعه من راحته، فهي راحة عهدها كالعادة
جودا، وكنت بها ممطورا مجودا، أيام كنت من خاطر الخطير
ببال، ورزقت منه حظي قبول واقبال، والزمان يقبل ويعرض،
ويصح ويمرض، وأنا أنتظر هذا الوجود أن يجود، وأرتقب تلك
السعود ان تعود، فلي بضاعة ولا، ثمر بوفورها مربحي، وتعمر
بموالاة تجرها مساي ومصباحي، والله أسأل ألا يمد بفرقتكم مدة
اليين، وأن يعود بعودكم قلبي ان جسدی فما جعل الله لرجل من
قلبين، انه المنعم والقادر، وعند أمره يقف الوارد والصادر،
وكتب الى في شهر ربيع الثاني بعض من وافق اسمه اسمي من
اصحابنا الطلبة بتونس في اثناء مخاطبة خاطبني بها : (طويل)

لعمرك لو ان الرياح تحملت جسوماً لسارت بي لنحوك ريح
وكم لك عندي من صريح مودة لعلني أن الود منك صريح
أراك على بعد قريباً لناظري على أن طرفي بالدموع جريح
وإنني لأرجو الله في جمع شملنا فإنني على باب الرجاء طريح
عنيك سلام الله ما هبت الصبا وما ناح قمرى فحنّ قريح
فكتبت اليه الجواب عن ذلك : (طويل)

رأى بارقاً تحت الظلام يلوح فاح اشتاقاً والكئيب ينوح
تألق من أرض الأحبة موهنا فحنّ فؤاد بالبعداد قريح
وطالبه أهل المـلام بسلوة فلم يك منه للسلو جنوح
رعى الله إخواناً إذا ما ذكرتهم تسابق دمع العين وهو سفوح
لئن نزحوا عن ناظرى فما لهم مدى الدهر عن قلبي المشوق نزوح
وبلّغ عبد الله غني تحية مرودة تغدو له وتروح
سمي الذي أصفية بمودة له خالص من وزدها وصريح
شربنا معنا كأس الصفاء فما لنا سواها غبوق دائم وصبح
أعلل آ مالي بقرب مزاره ومن دون ما أرجو مهامه فيح
لقد أتمب البين المشيت قلوبنا فهل بعده من اوبة فتريح

وفى شهر جمادى الاخرى كتب الى من أصحابنا الاخلاء
الفضلاء الفقهاء الاذباء بتونس من دعاه كرم عهده ، الى أن يجدد
بتجديد المخاطبة ثابت وده ، وأرادوا أن يودعوا نظمهم كله صحيفة
واحدة فرغبوا الى الوالد حفظه الله تعالى أن يصدرها بشيء من
نظمه فكتب الى الوالد فى صدرها : (طويل)

سلام من الرب الرحيم ورحمة مجددة تشرى على عابد الله
وانى لمعور الفؤاد بذكره اذا مالها عن ذكر احبائه اللاهي
فيا ربنا اجمع شمل احبائه به فلا منية تدني الاماني الا هي
ثم أثبت كل منهم اسمه ونظمه وقد رتب هاهنا ذكرهم على
حسب ما رتبوا شعرهم

فكان الذي خاطبنى بعد الوالد ابقاه الله صاحبنا الفقيه الكاتب
ابو عبد الله محمد بن يعيش ، كتب الى بقوله : (وافر)

شباك الربيع إذ ظعن الحبيب فأنت وإن نشأت به غريب
إذا بعد الأجرة عن محل
فما عيش بساحته يطيب
وكيف يطيب عيش بعد خل
نأى فجميعنا صب كئيب
بقرب ثبني محمد المفدى
وأوبته السرور لنا يؤوب
عليه تحية ما انهل غيث
على روض فمال به قضيب

فأجبتة عن ذلك بقولى : (وافر)

عسى الزمن الذي ولى يَؤُوبُ فقد سئمتُ من الشوق القلوب

إذا ما قلت قد قرب اجتماع قضى بفرق خطب ينوبُ

واعظم من ترى أسفاً وحزناً حبيب قد نأى عنه حبيبُ

أبا عبد الإله نـداء خلّ هواءك له من الدنيا نصيبُ

رعاك الله من راع لمهدي وإن طال التباعد والمغيبُ

اتنني منك آيات حسان بها للفضل قد جمعت ضروبُ

أفادتني من اسمك حين وافت وطيب حديثها عيشا يطيبُ

واهدت لي الوداد على التائي فقررت بعد كرتها الكروبُ

فتق مني بإخلاص وود جديد ليس تبليه الخطوبُ

وإن تك مدة البعد استطالت فيرجى بعدها الفرج القريبُ

وكتب الى بعده الفقيه الاجل الافضل أبو عبد الله محمد بن عبد

الله المعروف بالهوارى واطنه وقف على مطلع قصيدة الفقيه البليغ

أبى الفضل القافية التى تقدمت قبل هذا فأشار اليه ، وعول فى

مطلع قصيدته هذه عليه ، وجعلها جوابا عما كنت خاطبته به قبل

هذا : (كامل)

أهدى سلام الود خير حبيب من عُدَّ أول فاضل وحبيب

أهداه عبد الله نجل محمد فخر الزمان امام كل اديب
فأعادلي انساً مضى وافادني بمصنف من نظمه وغريب
وكفاية ابدت فصيح بيانه برسالة طبعت على التهذيب
هي درة الغواص جلت قيمة وقيمة عزت لدى التقلب
خلت فجلت كل هم كان بي ودنت فأقست زفرتي ولهبي
سدرت عن الفكر الصقيل عن الحجى عن صدر حبر بالعلوم رحيب
ما كتبه الا الكتاب اقبلت ترتج بالترهيب والترغيب
يا ايها الخل الرضا الاوفى الذي ما نأيه عن خله بقريب
ما نرك من رئيس فاضل متيقظ متحفظ محبوب
شرفت مقداري ببعث قصيدة هزت لها الادباء عطف طروب
مكأنها روح أتى ذا كربة (١) ومدامة دارت على شريب
بخرتها كلفاً بها فلتتها ولقيتها بالبشر والترحيب
لما اجتهدت اصبت في مدحي لكم بلسان صدق جل عن تكذيب
فلما بترك والقريض كلاهما اجران جاء لا جهاد مضيب
في بث ما تهدونه من كتبكم مسلاة قلب ظل في تعمذيب

لا تحسبوا اني سلوت ودادكم في حالة الابعاد والتقريب
اخذت على قلبي حقوقك موثقاً رغي له يبقى بقاء عسيب
فاحضر وغب غني فودك ثابت ارعاه فيك بمحضر ومغيب
واذا ذكرتك خالياً فكانتما جمعت لي الأفكار كل حبيب

فأجبت عن هذه القصيدة بقولي : (كامل)

ان أقض من اسف فقير عجيب فرط اشتياق وابتماد حبيب
ما قلت قد بلى التفرق فانقضى الا وجدده جديد خطوب
ولقد شجا نفسي واضرم لوعتي واثار اشجاني وهاج كروبي
برق بدا والليل ارخى سجفه والبدر شمر ذيله لغروب
اجرى حديث القرب صادق فآله ففهمته من لفظه المقلوب (١)
يا بارقاً اعدى (٢) الفؤاد بخفقه وطوى الضلوع على لظى ولهيب
الله والعهد القديم ونسبة يرعى نسيب مثلها لنسيب
فلقد تشابهنا انسكاب مدامع ولزوم شهد واجتاب (٣) سهوب
ان انت جزت على ربوع احبتي فاشرح لهم شوقي وفرط وجيبي

(١) اي القرب مطلوب البرق

(٢) في بعض النسخ « اعدى » وفي بعضها « اغدى »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « اجتباب »

واخصص اباعبدالاله محمدا بحية كثنائه في الطيب
 ابلغه ان القلب بعد بعاده لم يخل من حزن ولا تعذيب
 ذا السيرة المثل الذي قد جل عن مثل يرى فيها له وضرب
 كم من يد اسدى الى على النوى لم يسله عن ذاك طول مفيد
 متضمنا نظما ونثرا ازريبا حسنا بكل مخيل وخطيب
 قد اودعت جمل المحاسن منه في لفظ وفي معنى وفي اسلوب
 واراد منى ان اجيب وانته لمدى يقصر عنه كل اديب
 فاجبته ولو استطعت توقفا فيما اراد لكنت غير مجيب
 لكن لوازم حقه وفروضه حكمت علي بذاك حكم وجوب
 فبعثته والخوف يقصر خطوه يرنوا بلحظ للحياه مريب

وكتب بعده ابو عبد الله محمد بن ابي بكر البنوى المعروف
 بابن ابي سلام : (طويل)

سلام محب قد اتى طي طرسه وزارك عبد الله في ثوب نفسه (١)
 فخذ من الزاكي المحب لكم فقد عدته العوادي عن اداه بنفسه
 وبلغ الى المولى العماد تحية معطرة تحكى طهارة فؤده

(١) في بعض النسخ « لبسه » وهو حسن لازالة الايطاء

فاجبته عن ذلك : (طويل)

اتى فأتى القلب (١) المشوق بأنسه نظام رأيت الدرّ في طيّ طرسه
كما (٢) زار حبّ عاشقا بعد بعده وعاد رجاء آملاً بعد يأسه
كتاب أتى من لم يزل متشوقا لا تيانه والدهر يقضي بحبه
فقبله تقيل ذي كلف به ونقله من راحتيه لرأسه
رعى الله من راعى ذمامي على النوى ومن يومه في الودّ لي مثل أمسه
أبأء أبداً الله الاجلّ الرضا الذي سما قدره عن قدر أبناء جنسه
لقد حاز أشات الفضائل واكتسى ملابس حمداً زانهنّ بلبسه
إذا ضيع العهد القديم مضيع وبناع وداداً من أخيه ببخسه
فلا بن أبي زاك عهد زكيّة ترفعن عن شك السدو ولبسه
ادام له الله السيادة والملا وبلغه أقصى أماني نفسه

وكتب صاحبنا الاديب الفقيه البليغ المجيد أبو العباس أحمد

ابن عبد الله الرصافي بهذين البيتين : (طويل)

سلام زكّي يحسد المسك عرفه ودارين تهوى ان تمرّ بداره
يسر ويسري كى يوافي رضا ابي محمّد الأسنى بحسن بداره

(١) فى نسخة « اتانى فحيانى »

(٢) فى نسخة « فكم »

فكتبت الجواب عنهما : (طويل)

دعى الله مَنْ اجلو الأسى بادكاره ومن قرب آمالي بقرب مزاره
 خليل دعى عهدي وإن اقصد النوى ديارى بماضي حكمها عن دياره
 اتى نظمه صبا به شيقا لـه يعانى الأسى في ايله ونهـاره
 فاذهب عنه حزنه وأنالـه من البر والتأنيس فوق اختياره
 ومن كابي العباس فضلا ووصفه يزيد على الاخبار عند اختياره
 فأسألُ ربّي أن يمنّ بقربـه وينظم منا الشمل بعد اتـثاره

وكتب صاحبنا الفقيه الاديب أبو القاسم بن محمد بن الملجوم
 هذه الايات : (بسيط)

اذكى السلام وازكاه واسراه يعطر العنبر الشحري (١) مسراه
 يمرّ مرّ نيمات الصباح على ذاك المحيّا اعزّ الله محيـاه
 من ذي وداد وذي شوق وذي كلف يحبك (٢) الدهر يا من لست أنساه
 يشي وينك ودّ لم اخنه ابـا محمّد فازعه إنسي لآرءـاه
 نفسي فداك نئن شطّ المزار لقد ادنتك من كبد المشتاق ذكراته
 ولم اطق ذكر ما القاه من حرق ومن أسى فيك بعد البعد القاه

(١) وفي بعض نسخ « الندى »

(٢) وفي جميع النسخ « يحييت » ولا يستقيم عليه الوزن

لكن اعلل آمالي فأنشدها لكم من امور صعب فرج الله
فلا تزال تحياتي مرددة عليك ما رددت ذكراك افواه
فأجيبته بقولي : (بسيط)

حي الفؤاد على بعد فاحياه خيل ابت غير حفظ العهد عليه
اهدي إلي سلاماً من لديه فقد اهدى إلي الأمانني حين أهده
وقد كساني ثياب الانس ضافية طرس كسته ثياب الوشي يمناه
دنا فادنى سرورا كان قبل نأى وصادف الحزن ذا قرب فأقصاه
قد استوى الناس في استحسان جملته لما استوى لفظه حسنا ومعناه
يا غائباً حاضراً في حال غيبته فكلما شئت ان القاه القاه
ام الوداد الذي قررت صحته فإني مثل ما ترعاه اذعاه
ما حلت عن حب من احيت منقلباً ولا نسيت هوى من كنت اهواه
فتى بود صحيح من أخ ثقة ببق على حفظ عهد ليس ينساه
ودم ابا القاسم الاسنى حليف علا واسعد وفز واخو اقصى ما تمناه
وكتب الى الفقيه المتصوف الاديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن
عمر ابن رأس الحجلة : (طويل)

احبة قلبي ذبت في حبكم وجدا ولم استطع للدمع صرفاً ولا رداً

وين مكاننا من الرَّمْل والرَّبِي متالف يُغني ما يقاد وما يُخَدِي
 فهل تتأتى (١) من جنابكم الصبا فانشق من ارواحها المسك والندأ
 فعهدي برّياكم (٢) وطيب نسيمها يعيش بها في الترب من سكن اللحدأ
 سلام على ذاك الجلال فيأتني رايت سلام الله افضل ما يهندي
 فأجيبته عن ذلك : (طويل)

سلام يحاكي المسك في الطيب والندأ على ماجد قد فاق اهل العلا مجدا
 جاني بطرس منه مشتمل على معان معال لست احصرها عبدا
 فقرّر ودّا لم يزل متقرّرا واهدي من الإخلاص والبرّ ما اهدي
 إذا الناس عدّوا كان احلامهم حلي (٣) وافضلهم ذاتا واكرمهم عهدا
 ادام له الله السيادة والملي واصحبه التوفيق واليمن والسفدا
 ووقف صاحبنا الفقيه الافضل أبو عبد الله محمد الجزري على ما
 كتب به الى هؤلاء الاخلاء فكتب الى في أسفل كتبهم : (خفيف)
 أيها الماجد الرضا ان نظمي لست ارضى بان يحل لديكا
 فعسى الفضل في القبول وفي الصفح اذا الصفح منك صار اليكا
 وعليك السلام بدءا وعودا ضعف ما سلّم الجميع عليك

(١) في جميع النسخ « تأتي » ولا يستقيم عليه الوزن

(٢) في بعض النسخ « برؤياكم »

(٣) وفي بعض النسخ « اعلامه علا »

فكتبت اليه : (خفيف)

ايها الحُلّ ان نظمك وافى مبدياً ما من الوداد لديكا
فتمثل جواب خلٍ مُحِبٍ فيك شك نواك مشن عليها
وعلى مجدك الصميم سلام طيب العرف قدر شوقي اليكا
وكتب الى في شهر شعبان صاحبنا الفقيه الكاتب الاديب أبو
عبد الله محمد بن يعيث بهذه الايات مراجعاً عما كنت كاتبته به
قبل هذا : (كامل)

في القلب من الم الفراق كلوم فعذابه من اجل ذاك اليم
وللوعة الاشواق بين جوانحي ناراً لها بدماعي تضرىم
جربت كل عظمة حكمت بها ايامنا ولصرفها تحكيم
فوجدته دون الذي حكمت به في المعلوات وفي المكارم خيم
أأبا محمد الذي (١) من بعد عبد الله فهو عظيم
اعلم فديتك انني مذغبت عن عيني لم يطرقهما التهويم
وافى جوابك لي فقت مبادرا للقاءه ولمثل ذاك اقـوم
حاز الفضائل والمكارم طرسه فعليه من حلل البهاء رسوم
اهدى لقلبي كمل ما احبته فكانما هو بالضمير عليم

يُني وين اكابر لك ذمّة
ومودّة الآباء يحفظ عهدّها
فالله يجمع شملنا بكم على
ومن اليعشّي السلام عليكم
رعي ورعيهم لها معلوم
من كان ذا كرم وانت كريم
خير ويبقى عزكم ويديم
ما مال غصن حين هب نسيم

فراجعته بقولي : (كامل)

الم الفراق على النفوس عظيم
سلني بما أحيت من انبائه
لله إخوان نعمت بقربهم
غاظ الزمان دنونا فاعاده
لكنها الاقدار تجري بالذي
قسماً بما اضرت من ودّهم
ولقد وجدت وقد فقدتهم أسى
ومنعت جفني بعدهم سنة الكرى
ويظن من لم يدر ما بي من أسى
واشد من أسى بفرقة ابو
من ذا بعب الصبر فيه يقوم
فلدي قلب بالشجون عليم
زمننا وإيَّام الوصال نعيم
بعدا فشتت شملنا المنظوم
شاء إليه وحسبنا التسليم
أني لقلبي بعدهم لرحيم
صبري بحكم وجوده معدوم
أني يكون لي هائم تهويم
قلبي سليماً منه وهو سليم
عبد إليه فقرب به مغنوم

فهو الذي نازعته كأس الهوى صرفا فلا لغو ولا تأثيم
 ذو الفضل والعلواء والشيم التي وجه الزمان بحسنها موسوم
 ذات قد اتسبت براكي طبعها للفضل فهو أخ لها وحميم
 اخذ الوفاء سجيّة فضيره ابدأ على حفظ الوداد مقيم
 ودليل صدق وداده كتب له يصل الوداد وصولها ويديم
 ولربّ نظم جاءني من نحوه جمع الفضائل طرسه المختوم
 وافى فقرّر (١) ذمّة مرعيّة ورُسوم ودّ عهدهنّ قديم
 فالله يحفظ مجده وكماله وينيله ما يتغي ويروم
 وعلى علاه تحيّة لا ينقضي منها ورود نحوه وقدم
 تسري معطرة إليه كما سري سحراً على زهر الرياض نسيم

وكتب الى في شهر رمضان بعده أيضا بعض أصحابنا الافاضل
 بقوله : (طويل)

تحية مشتاق تمرّ به الصبا إلى ذلك المعنى الذي به من اهوى
 فبلغ عني من أحبّ تحيّة ي

وتشكو بطول (٢) البعد لو تنفع الشكوى

(١) في بعض النسخ : يقرر .

(٢) في بعض النسخ : تشكو طول .

وَتُغْرِبُ عَنْهَا (١) فِي الْفُصُونِ حَمَائِمُ فَتَمُطِفُ الْأَغْصَانُ مِنْ تَحْتِهَا زَهْوًا
أَخْصُ بِهَا عَبْدَ الْإِلَهِ عَلَى النَّوَى سَرَّاجُ بَنِي تَيْجَانَ حَقًّا بَلَا دَعْوَى
وَكُلَّهُمْ نُورٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِمْ

وَأَخْبَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ عَنْهُمْ غَدَتُ تُرَوِّى
أَرَى أَمَدَ الْبَعْدِ اسْتَطَالَ وَعَمْرُهُ تَوَالِي وَأَزْجُو أَنَّهُ مُبَشِّرٌ عَايُطُو
وَمَا حَالُ مَقْصُوصِ الْجَنَاحِ وَشَوْقُهُ يَطِيرُ بِهِ لَوْ كَانَ يَنْهَضُ أَوْ يَقْوَى
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ مَحَبِّ هَفَّتْ بِهِ نَوَازِعُ شَوْقٍ تَيَمَّتْ قَلْبَهُ شَجْوًا
وَفِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ وَصَلَ التَّعْرِيفُ بِوَصُولِ الْمَشَارِقَةِ الَّذِينَ كُنَّا
نَنْتَظِرُهُمْ إِلَى حَضْرَةِ تُونِسَ ثُمَّ خَرُوجَهُمْ مِنْهَا صَحْبَةَ حَصَّةٍ عَيْنَتْ
لِتَشِييعَهُمْ إِلَى طَرَابُلُسَ ، فَبَنَى مَخْدُومُنَا عَلَى التَّوَجُّهِ صَحْبَتَهُمْ ، وَكَانَ
وَصُولُهُمْ إِلَى طَرَابُلُسَ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ
الْسادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ كَانَ خُرُوجُنَا مِنْ طَرَابُلُسَ فَبِتْنَا بِظَاهِرِ
الْمَدِينَةِ وَوَدَعْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ شَيْخَنَا أَبَا فَارِسَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَيْنٍ
وَأَنْشَدْتُهُ : (بَسِيطُ)

سَقَى رَبُّوعَكَ يَا مَغْنَى طَرَابُلُسَ حَيًّا يَحْيِيكَ مِنْهُ كُلُّ مَنْبَجَسٍ
فَكَمْ يَدُ لَكَ فِي تَأْنِسٍ مَغْتَرِبٍ شَطَّتْ بِهِ الدَّارُ عَنْ أَنْسٍ وَعَنْ أَنْسٍ
أَقَمْتُ فَيْكَ عَلَى حَكَمِ النَّوَى زَمَنًا كَانَنِي فِيهِ لَلْسَرَّاءِ فِي عُرْسٍ

أثوب من اهلك الغر الكرام إلى قوم أوافي لديهم كل ملتبس
ما ين جدد وتأنيس بمثلهم — نأى عن الخاطر استيخاشه ونسي
لو لم يكن لك عندي في الزمان يد اثني عليك بها ما امتد في نفسي
إلا ملاقة من حزت الفخار به عبد العزيز الإمام العالم النديس
محبي العلوم ومحظيها ومبرزها من حلي الفاظه في احسن اللبس
ومخبرز الشيم الغر التي كرمت ففاه بالمدح فيها كل ذي خرس
يجلو اذا اشكلت في العلم مسألة ذهنا يجلي سناه كل ملتبس
نعمت من قربه لما اتصلت به بوقت انس من الأيتام مختلس
والله يحفظه غوثا لمستبق لكشف نازلة نورا لمقتبس
وأصبحنا من الغد مرتحلين فنزلنا يومنا ذلك بتاجورة وهي قرية
كبيرة عامرة وبها قصر متسع يشتمل على دور كثيرة ، وفي وسط
هذا القصر حصن اقدم بناء منه يقال ان حميد بن جارية أبا الجوارى
ابتناه وشارك فيه في العمل بنفسه ليحض أهل الموضع على اتمامه ،
وهو الذي عبر هذه القرية ونقل أهلها اليها من أرض هنالك
تعرف بارض عبد رب (١) وكان ابتداء عمارتها في عام خمسين
وخمسائة ، وهم يدعون أنهم من العرب ويتسبون الى تميم
ويذكرون أنهم سكنوا الارض المعروفة بارض عبد رب من حين

(١) في بعض النسخ « بارض رب »

الفتح الاسلامي ثم نقلهم منها حميد بن جارية الى هذه القرية
وبتاجورة السفرجل الذي لا يوجد في بقاع الارض مثله وليس
يقرب منه الا السفرجل الموجود بنفزاوة وقد تقدم التعريف بذلك ،
والى تاجورة هذه ينسب صاحبنا الفقيه الحافظ أبو العباس أحمد
ابن عبد السلام الاموي التاجوري لزم سكنى طرابلس وهو أحد
العدول المصدرين بها عارف بالتوثيق وعقد الشروط حافظ للاداب
والتواريخ حسن الخط جدا ، ورد على تونس قبل هذا واجتمعت به
فيها ثم اتصلت ملازمتي له بطرابلس مدة اقامتي بها ، مولده في
العشر الاواخر من رجب سنة خمس وثلاثين وتوفي رحمه الله
بطرابلس في هذا العهد الاقرب وذلك في يوم الاربعاء السابع
والعشرين من شوال من عام ثمان وسبعماية .

وينسب أيضا الى تاجورة هذه الشريف أبو عبد الله محمد بن
عبد الله الحسيني التاجوري وله بطرابلس وجهاتها شهرة عظيمة ،
و كنت أسمع أخباره من صاحبنا الفقيه أبي العباس وأتوهم أنه من
اهل تاجورة ، ثم وقفت بعد ذلك على ذكره في كتاب « كنوز
المطالب » لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد (١) فنقلت هذا الفصل
من كلامه فيه ، قال : « اجتمعت به في حصن الخليل عليه السلام ، وكان
قد أطال السكنى به حتى عرف في المشرق بالخليلي ، وانما يعرف في
المغرب بالتاجوري ، قال : وتاجورة بليدة في شرقي طرابلس كان قد

(١) هو أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد القرناطي المتوفى سنة ٦٨٥

أطال المكث بها ، وهنالك جبال كان أهلها يتشيعون فيه بزكواتهم
وهداياهم اليه يفعل فيها ما شاء فسمى به ، وخاف ففر الى المشرق ، قال
وأنا رأيته بحصن الحليل وفي مصر وفي دمشق يقرب الطرف بين
الحيل والحوار ، ومائدته منصوبة للصادر والوارد ، وكان الناس
يتعجبون من حديثه في ذلك فبعضهم يقول انه يصنع الكيمياء
وبعضهم يقول انه يصله من جبال تاجورة ما جرت به عادتهم وانهم
ينتظرون أن يقيم بها دعوته ، قال : وأخبرني أن أباد خرج به من الكوفة
وهو ابن سبع فدخل به الى المغرب ورأى في سراكش ثم انتقل الى
تاجورة فسكنها ثم الى المشرق ، وكانت وفاته بدمشق في سنة
اثنين وخمسين وخمسمائة وأنشد مما انشده لنفسه قوله : (مخلع
البيسط)

جربت في الارض كل حَيٍّ فلم اجد في الوري كريما
اظن ما في الطروس زورا عساه ان يسخي (١) اللئima

وقوله ايضا : (طويل)

السنا بنى بنت النبي وعمه وفي الذروة العليا من آل غالب
ليوث ولكن لا تصاد بحيلة سيوف ولكن لا تسدين لضارب
وانقلنا عن تاجورة يوم الاحد فترلنا بموضع يعرف بفاق وهو

قصر خرب خال لا عمارة به ، ومنه يوم الاثنين الى وادي الرمل وهو واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه في شتاء ولا في صيف ومبدؤه من الجبل قاطعا الى البحر لا بد لكل مشرق يجعل الجبل يمينه أو مغرب يجعله يسرته (١) من قطعه ، وأصل مائه من عيون تنبع في أثنائه تبتدىء من مسافة قريبة من الجبل فتجري قليلا ثم تنقطع ثم تبتدىء بعدها عيون أخرى فينتهى ماؤها الى البحر ولا يعم الماء جميع الوادي الا في وقت الامطار عند نزول السيول من الجبل وفي عاليه عند سفح الجبل قصر يعرف بصيار - بكسر الصاد المهملة تليها ياء معتلة ثم باء مفردة - وهو معمور وكان نزولنا من هذا الوادي في أسفله بمقربة من البحر وعلى مسافة يسيرة من هذا المنزل الذي نزلنا به ، بينه وبين البئر المعروفة بئر طشانة - بضم الطاء المهملة وتشديد الشين المعجمة - قبر يعرف هذا الموضع به فصار القبر اسما علما له وهو لرجل من العرب ثم من دباب ثم من بنى عيسى منهم ، واسمه شهوان بن عيسى بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب ، وكان هذا الرجل ذا رئاسة في قومه وصيت بعيد واشتهر بالكرم فلم يذكر معه في وقته غيره وفيه يقول شاعر العرب : (طويل)

حَمَى الارض شهوان بن عيسى بن عامر

وعِزُّ القُتَيْبِ إِنْ ضَيَّعَ المَجْدُ تَالِفٌ

(١) وفي بعض النسخ « ميمنة » و « يسرة »

والاعراب الان اذا نزلوا هناك ولم يكن لهم زاد قاموا على قبره
فنادوا : يا شهوان اقر أضيافك ، فيذكرون أنهم لم يبيتوا قط دون
عشاء اما بصيد يتاح لهم أو بضالة يلقونها أو بغير ذلك وهذا أمر
حدثني به جماعة منهم وهو مشابه لما يذكره المؤرخون عن حاتم
الطائي أنهم كانوا ينزلون بقبره فيقريهم وفي ذلك يقول الشاعر
يمدح عدى بن حاتم : (طويل) (١)

ابوك ابو سَفَانَةَ الخَيْرُ لم ينزل لَدُنْ شَبَّ حتى شاب في الحير راغبا
قري قبره الاضيافَ إذ نزلوا به ولم يقر قبرٌ قبْلَهُ الدهرَ راكبا

وحكى أبو عبيدة قال : نزل أبو الحيرى فى نفر من قومه بقبر حاتم
فجعل يناديه : يا أبا عدى اقر أضيافك ، فقال له قومه فكيف تنادى رمة
بالية فقال ان طيئا تزعم أنه لا ينزل به أحد قط الا قراه فناموا فانتبه
أبو الحيرى مذعورا ينادى وا راحلتاه ، فاستفهمه أصحابه عن أمره
فقال : خرج حاتم بالسيف وأنا أنظر حتى نحر راحلتى فنظروا الى
راحلته فاذا هى تشحط فى دمها (٢) فقالوا له : قد والله قراك ، وأخذوا
ياكلون من لحمها ما شاؤوا ثم ارتحلوا صباحا فنظروا الى راكب
يقود بعيرا وهو يسأل عن أبى الحيرى فتعرض له أبو الحيرى فقال
له : « أنا عدى بن حاتم وان حاتما أتانى الليلة فذكر أنك استقريته وهو

(١) راجع ديوان حاتم (طبع ليبزيك) ص ١١

(٢) فى بعض النسخ « فى دمانها »

يشدك (١) (متقارب)

ابا الخيبري وانت امرؤ لنؤوم العشرة ظلامها
اتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لي الذم عند المبيت وحوالي طي وانعامها
وانا لنشبع أضيافنا ونأتى المطي ونغتامها

وقد أمرني أن أحملك على بعير مكان راحلتك فدونكه ،

وانتلقنا من وادى الرمل يوم الثلاثاء فنزلنا بالعين المعروفة بعين (١)

تامدنت - بالتاء الصحيحة المثناة وبكسر الميم وكسر الدال المهملة

وسكون النون - وهى عين متسعة عذبة الماء يتضمنها (٣) واد متسع

يشتمل على غابات مشتبكة من الابا والقصب والى جانبها أحساء ماء

تشابهها فى العذوبة، فأقمنا عليها يومنا ذلك ومن الغد، واستهل علينا

شهر المحرم مفتتح عام تسع وسبعمائة ونحن مقيمون بها

ثم ارتحلنا عنها صباح يوم الخميس الثانى لشهر المحرم فسلطنا بين

غيطان وأودية قد عم قاعها الشجر المعروف بالعشر وهو شجر ناعم

النبات شديد الخضرة يضرب الى سواد ما ، وهو ينبت صعدا وله

أوراق عظيمة ونور مشرق حسن المنظر كنوار الدفلى وثمره أخضر

كالأترج تملأ الواحدة يد حاملها وهى مملوءة بشيء يشبه القطن

(١) راجع ديوان جاتم ص ١١ وص ٩٣ - ٩٤

(٢) فى بعض النسخ بغير « عين »

(٣) فى بعض النسخ « ينتظمها »

تسميه العرب الحرفع - بضم الحاء المعجمة وسكون الراء وضم الفاء -
ربما حشيت منه المرافق والوسائد ، وأخبرني من أثق به أنه رأى ثيابا
صنعت منه

وأنشد أبو حنيفة قول الشاعر وشبه به لغام ناقته : (بسيط)
يضحي على خطمها من فرطها زبدٌ كأن بالرسّ منه خرفعا ندفًا (١)
ولدى الرمة في مثله (٢) (طويل)
تطير اللغام الهيبان كأنه جنى عشر تنفيه اشداقها الهذل
الهيان الخفيف المتناثر ، وعود العشر خوار ضعيف أجوف مستو ،
ولذلك تشبه به العرب سوق النساء واذرعهن قال طرفة (٣) (طويل)
كان البرين والدمالج علقت على عشر او خرواع لم يخض
البرين الخلاخل ، واحدتها برة
وقال ذو الرمة في مثله (٤) (طويل)
كان البرى والعاج عيجت متونه على عشر نهى (٥) به السيل ابطح
والعشر لا يأكله حيوان ، وفي ذلك وفي خضرته ونعمة نباته
قال عوف (٦) (كامل)

هَلَا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ عَشْرًا تَنَاوَحَ فِي سَرَادَةِ وَادِي

(١) اورد صاحب اللسان هذا البيت في الجزء ٩ ص ٤٢٢ برواية اخرى

(٢) راجع ديوان ذي الرمة (طبع كنبريج) ص ٤٥٨

(٣) راجع معلقة طرفة (بيت ٦٠)

(٤) راجع ديوان ذي الرمة ص ٨١

(٥) وفي بعض النسخ : نهس ،

(٦) راجع كتاب الاغانى ج ١٠ ص ٣٢ واللسان ج ٣ ص ٢٧٢ (برواية اخرى)

لا تاكل الابل الغراث نباته وعماده لا يجتنى (١) لعماد
تناوح أى تتقابل ، وسرارة الوادى وسطه وهو شجر كثير التيوع
وليس شئ من النبات على اختلافه أكثر لبنا منه ويجنى منه المغاير
واحدتها مغفور وهو صمغ حلو كريه الرائحة يقال له سكر العشر ،
وفى الحديث : أكلت مغاير ، وهو من هذا ولا تكون المغاير الا فيه
وفى العرفط والرمث والثام ، والثام أكثرها مغاير ، وليس فى
كلام العرب مفعول بضم الميم الا مغفور هذا ، ومغرود بالغير المعجمة
لضرب من الكمأة ، ومنحور لغة فى المنحر ، ومنابت العشر القيعان
وبطون الاودية وقد ينبت بالرميل قال ابن البيطار فى أدويته : ولم أر
شيئا منه فى بلاد الاندلس وأول ما وقفت عليه بظاهر طرابلس
الغرب بالجهة الشرقية منها يشير الى هذا الموضع ، ثم قال بعد ذلك :
رأيت بديار مصر بظاهر القاهرة ، انتهى كلامه

وكانت العرب تستجلب المطر اذا احتبس عليهم بشجر العشر هذا،
وذلك ضرب من السحر ، يعمدون الى شجر العشر وشجر السلع بفتح
السين واللام فيأخذون منها أغصانا يجعلونها فى أذناب البقر
ويشعلون النار فيها ثم يضعونها الى الجبل فيزعمون انهم يمتطرون
من وقتهم ، وقد اشار الى ذلك أمية بن أبى الصلت فى قوله :
(خفيف) (٢)

(١) فى نسخة د ينتحى ،
(٢) راجع ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٤٥ وكتاب شعراء النصرانية للاب لويس شيخو -
ج ١ - ص ٢٣٦ - ٢٣٥

سَنَةً أَزْمَمَ تَخْيَلُ بِالنَّاسِ تَرَى الْعِضَاءَ مِنْهُمْ صَرِيرًا
لَا عَلَى كَوَكَبٍ يَنْوُو وَلَا رِيحٍ جَنُوبَ وَلَا تَرَى طُخْرُورًا
وَيَسُوقُونَ بِأَقْرِ السَّهْلِ لِلطَّوْ دَ مَهَازِيلَ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبُورًا
عَاقِدِينَ النِّيرَانَ فِي ثُكُنٍ الْإِذْ نَابَ مِنْهَا لَكِي تَهِيَجُ الْبُحُورًا
سَلَمًا مَّا وَمِثْلُهُ عَشْرًا مَّا عَائِلًا مَّا وَعَالَتْ الْبِقُورًا
تَخِيلُ بِالنَّاسِ أَيْ تَطْمَعُهُمْ فِي الْمَطَرِ ، وَالطُّخْرُورُ الْقِطْعَةُ مِنْ
السَّحَابِ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَبِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْبِقُورُ جَمَاعَةُ الْبَقَرِ

وقال الشاعر يعيب عليهم فعلهم هذا : (بسيط)

لَا دَرٌّ دَرٌّ رُجَالُ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَجْلِبُونَ نَزُولَ الْغَيْثِ بِالْعُشْرِ
أَجَاعَلْ أَنْتَ بِقُورًا مَسْلُومًا وَسِيلَةَ لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ
وَنَزَلْنَا يَوْمَنا ذَلِكَ بِالْعَيْنِ الْمَعْرُوفَةِ بَعَيْنِ قَارَةَ ، وَهَذِهِ الْعَيْنُ أَعَذِبُ
مِنْ الْأُولَى وَهِيَ بَوَادِ حَسَنِ الْمَنْظَرِ شَارِحٌ لِلنَّفْسِ ، وَقَبْلُهَا (١) عَيْنُ
أُخْرَى جَارِيَةٌ إِلَّا أَنَّهَا أَضْعَفُ جَرِيًّا مِنْهَا يَجْرِي مَآؤُهَا فَيَنْتَهِي إِلَى هَذِهِ
الْعَيْنِ وَتَجْتَمِعُ مِنْهُ بَرَكَةُ مَاءٍ مُتَسِّعَةٍ قَدْ ظَلَلَتْهَا غَابَةُ مُشْتَبِكَةٍ مِنْ شَجَرِ
الْعَرَعِ وَالضَّرْوِ وَالْحُرُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَجْرِي الْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الْبَرَكَةِ

(١) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « وَقَبْلُهَا »

جريا قويا ينتهي الى البحر ولا يجرى الماء فى أعلى هذا الوادى الا فى وقت الامطار ، وهناك القصر المعروف بقصر فارة سمي باسم قوم من البربر سكنوه يعرفون ببني فارة وبهم سميت العين ، وهو الان خال لا عمارة به ، ويقابله من أعلى الوادى القصور المعروفة بقصور الورانيز - بالراء والنون والزاي - وهم قوم من هراغة نزلوا بتلك القصور قديما فأجلتهم العرب وأخلتها منهم فانتقلوا منها الى أرضهم المعروفة بهم التي بين تاجورة وطرابلس والقصر المعروف ببني خيار ، وهو أيضا خال خرب أجلت العرب أهله فانتقلوا الى المحرس بين قابس وصفاقس وقد تقدم ذكر ذلك عند ذكرنا للمحرس

وعرض لى فى هذه الايام عارض مرض رجوت أن يهون أمره فاشتد ، ورمت أن يقصر أمده فامتد ، وبلغ منى فى هذه المنزلة أشد مبلغ ، فأقام مخدومنا والشارقة وجميع الركب بسببى هنالك خمسة ايام رجاء أن أجد ابلا لا ، أو أطيق معهم ارتحالا ، فلم تسعف الاقدار بذلك ، فعزم على مخدومنا فى الرجوع من هنالك ، فلم أطب بذلك نفسا وأظهرت تجلدا وقوة تكلمت بها الارتحال معهم ، فنزلنا بالعين المعروفة بعين ودرس - بكسر الواو وسكون الدال المهملة وكسر الراء - وهكذا تنطق العرب بها والبربر يلحقون هذه اللفظة تاء ساكنة (١) على ما شعر المعروف من كلامهم ، وأمام هذه

(١) فى بعض النسخ بزيادة « فيقولون تودرس »

العين على اميال يسيرة منها القرية المعروفة بغائمة - بالغين المعجمة والنون - وهى الان خالية لا عمارة بها وبها قبر الشيخ الفقيه أبى الحسن على بن محمد بن النمر وقد تقدم ذكره وسبب سكناه فى آخر عمره بهذه القرية الى أن مات بها ، والناس الى الان يزورون قبره ويتوسلون الى الله سبحانه عنده ، ويذكر أهل تلك الجهات أن كل رفقة استصحبت شيئا من تراب ذلك القبر فانها لا يتعدى عليها فهم لا يزالون ينقلون ترابه فيجده من يقصد الاجر من أهل تلك الجهات أو من المجتازين عليه

فأقمنا بهذه العين يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بعدد والعة التى عرضت لى كما تقدم فى ابتداء حديثها ومنتهاى شدتها وعجزت بالجملة عن الركوب فلم يكن بد من الرجوع واعتذر لى مخدومنا بان الموضع لو احتل الإقامة أكثر مما أقام به لأقام الى أن أجد الزاحه ، فودعته فى هذا اليوم وهو يوم عاشوراء وانقلبت راجعا ، وكانت الحصه الواصلة من الحضرة صحبة المشاركة بانية على الوصول الى مسرارة فرجعت من هذا الموضع بسببى ، ونزلنا فى هذا اليوم بالبئر المعروفة ببئر ينوت - بضم الياء المعتلة وبالنون والتاء الصحيحة المثناة - وهى بئر معينة عذبة بسفح جبل عال ومنها يتدىء المشرق فى قطع الشعراء المعروفة بشعراء قماطة وكانت طريقنا فى هذه المرحلة متعالية عن طريقنا الاولى الى جهة الجنوب

وانتقلنا من البئر المذكورة يوم السبت الى الحصن المعروف
بحصن سلمة وهو من أرض مسلاتة فرايت ملجأ ، يذكر سلمى وأجأ ،
وهو على أعلى جبل وقد دارت به دور كثيرة ، وتحف بهذا الجبل
مغارس زيتون وكرم ومزارع وهى كلها فى ثنايا واودية بين
جبال وعرة ، وتحت هذه القرية فى قاعة مستوية قرية صغيرة تعرف
بتاغرمت - بكسر الفين المعجمة وكسر الراء - وبها مباني ضخمة بالنسبة
الى تلك القرى ، وشرب جميعهم من أحياب مملوكة لهم تملأها
السيول المنحدرة من تلك الجبال فى أوقات الامطار ، وما وراء هذه
الجبال من قبلها يسمى بالظاهر ، وما بين يديها من جهة البحر يسمى
بالباطن

فأقمنا بظاهر هذا الحصن ستة أيام آخرها يوم الخميس السادس
عشر الى أن وجدت خفة من المرض ، وارتحنا غدوة يوم الجمعة
السابع عشر مغربين آخذين ذات اليمين مما يلي باطن الجبل فقطعنا
هنالك فى اول المرحلة القاعة المعروفة بقاعة شنيكس - بكسر الشين
المعجمة وكسر النون وسكون الكاف وبالسین المهملة آخر - وبها
أشجار زيتون متفرقة من بقايا الفرس القديم الذى كان هنالك قبل
الاسلام وهى مشرة الى الان ، وامتد السير بنا الى وادى الرمل
فكانت هذه المرحلة مشتملة على اربع مراحل مما تقدم لنا فى المسير .
ومنه يوم السبت الثامن عشر الى طرابلس واشتملت هذه المرحلة

أيضا على ثلاث مراحل مما تقدم ، فأقمت بطرابلس خمسة أيام آخرها يوم الاربعاء الثانى والعشرين منه ، ثم خرجنا عنها فنزلنا يوم الخميس بزئور فأقمنا بها يومنا ذلك ويوم الجمعة بعده ، ومنها يوم السبت الى صرمان وقد ذكرت قبل هذا وعلى هذه القرية غابة زيتون ممتدة وبها قصر كبير يأوى اليه أهلها وقد حف به حفير متسع وابتثيت فى أسفل الحفير دور كثيرة لا تسكن الا فى وقت الامن فاذا خافوا دخلوا الى الحصن

ومنها يوم الاحد الى حصن تليل وقد تقدمت الاشارة اليه ، ومنه يوم الاثنين الى قرية ولول وقد ذكرت ، ومنها يوم الثلاثاء الى وطن وقد وصفناها قبل فأقمنا بها ثم ارتحلنا مقربين لمرحلة الغد بعد أن احتملنا ما يكفينا من الماء فبتنا بالمرسى المعروفة برأس المخبز وقد وصفناه قبل هذا

وارتحلنا منه يوم الاربعاء فانتهينا الى البئر المعروفة ببئر الزكرة فبتنا عليها ، ثم ارتحلنا عنها يوم الخميس غرة صفر فنزلنا على المورد المعروف بخنافس وارتحلنا منه فانتهينا الى المورد الآخر المسمى بنبش الذئب فلم نجد فيه ماء ولم نحتاج اليه لاننا كنا احتملنا معنا من الماء ما كفانا عنه ، ووجدنا على هذا المورد ركبا صغيرا قد وصل اليه قبل وصولنا بأيام يسيرة فلم يجدوا به ماء فهلكوا هنالك جميعا ، فبتنا حيث ذكر ثم ارتحلنا من الغد فوصلنا الى أجاس وقد تقدم

ذكر هذه القرية ، ومنها يوم السبت الى واد يعرف بوادى الزركين
- بفتح الزاى وسكون الراء وكسر الكاف - وهنالك سوانى (١) لبعض
المرابطين تسقى من آبار هنالك عذبة ، ومنه يوم الاحد الى قابس
فتزلنا برياضها المنسوب (٢) الى عروسيها وأقيمت بها يوم الاربعاء
السابع لصفر .

وفى يوم الخميس الثامن منه كان ارتحالى عنها ، وتاخرت الحصة
عنى من هذه المنزلة منفصلة الى البلاد الجريدية وكان النزول فى
هذا اليوم بالمباركة وقد ذكرت قبل هذا ، ومنها يوم الجمعة الى
المحرس وقد ذكر أيضا ، ومنه يوم السبت الى صفاقس وقد استوفينا
الكلام عليها ، ومنها يوم الاحد الى قرية تعرف بحجاي وهى قرية
صغيرة على نحو هذه القرى الساحلية .

ثم منها يوم الاثنين الثانى عشر لصفر الى المهدية فرأيت
مدينة جليلا قدرها ، شهيرا فى قواعد الاسلام ذكرها ،
وهى بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيدين واليه تنسب ،
وكان ابتداء بنائه لها لحمس خلت من ذى قعدة سنة ثلاث
وثلاثمائة ، ولما اكمل بناءها أمن بزعمه على الفاطميات قال
أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق فى كتابه : « خرج عبيد الله
المهدي بنفسه فى سنة ثلاثمائة الى مدينة تونس فاجتاز على قرطاجنة

(١) كذا فى جميع النسخ

(٢) كذا فى جميع النسخ

وغيرها ومر على جميع السواحل يرتاد موضعاً على ساحل البحر
يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصن بنيه من بعده ، وقد كان عنده علم
حدثانى بقيام قائم على ذريته فأقام يلتمس ذلك مدة فلم يجد موضعاً
أحسن ولا أحصن من موضع المهديّة فبناها هنالك وجعلها دار
مملكته قال « وكان أول ما ابنتى منها سورها الغربى الذى فيه أبوابها
وعند ما وضع أول حجر منه وهو حاضر أمر ناشبا كان بين يديه أن
يوتر قوسه ويقف على ذلك الحجر ويرمى سهمه ففعل الرامى ذلك
فانتهى السهم الى المصلّى ووقع قائماً على نصله فقال المهدي الى ذلك
الموضع ينتهى صاحب الحمار يعنى أبا يزيد فقدر أن وصل أبو يزيد
الى ذلك الموضع ولم يتجاوزده ،

قال معلم الفتيان (١) فى تاريخه : وأمر المهدي بقياس مسافة هذه
الرمية فكانت مائتى ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً فقال المهدي : هذا
منتهى ما تقيم المهديّة فى أيدينا من السنين ، قال : ولما تم بناء السور
هنا أولياؤه بذلك فقال لهم : « ان جميع ما ترون انما عمل لساعة
واحدة يعنى ساعة وصول أبى يزيد الى المهديّة ، قال : وكان يقف على
فرسه فيأمر الصناع بما يصنعون ، قال : وأمر بعمل باب الحديد للمدينة
فجعل صفائح مصمتة ثم أثبتت فيها المسامير فبقيت تتقلقل فقال
للصناع : ما عندكم فى هذا؟ فقالوا : لا ندرى ، فأمرهم بتسميرها كذلك
ثم أمر بإيقاد النار تحت الباب كله حتى التهب واتصلت المسامير

(١) لعله محرز بن خلف المعلم المتوفى سنة ٤١٣

بالصفائح فعادت كلها قطعة واحدة ، فكان ذلك مما عد من معارف المهدي . ، وهذا تعصب ممن نقله وأدنى معرفة الصانع ان يعرفوا هذا القدر ان كان صحيحا

ولما تم الباب على هذه الصفة أثب اختبار وزنه فكلهم أخبره أن لا سبيل الى ذلك لا فراط ثقله فأمرهم أن يضعوا احدى مصراعيه (١) على ظهر سفينة ففعلوا ذلك ونظر الى منتهى غوص السفينة فى الماء ثم أنزل وشحنت السفينة بالرمل والحجارة الى أن وصل منها ما وصل اولا واستخرج الرمل منها فوزن على كرات فكان وزن كل مصراع مائة قنطار ، وفى كثير من نسخ المؤرخين الف قنطار وكذا حكى أبو عبيد فى « المسالك » ، ولما علموا قدره وحاولوا تركيبه صعب عليهم فتحه وغلقه فلم تكن المائة من الرجال تستطيع ذلك فأمر المهدي أن يكون مداره على الزجاج فهان أمره وعاد الرجل الواحد يتولى منه ما كانت المائة تعجز عنه ، فعجب من هذا كله من (٢) فطنة المهدي ونفوذ فكرته

وأمر المهدي بحفر مرسى المدينة وكان حجرا صلبا فنقر نقرا وجعله حصنا نراكبه الحربية ، وأقام على قم هذا المرسى سلسلة من حديد يرفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت تحصينا للمرسى من دخول مراكبه الروم (٣) وابتنى دار الصناعة

(١) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « احدى مصاريحه »

(٢) فى بعض النسخ « ومن »

(٣) فى بعض النسخ « من » طروق مراكب الروم ،

وهى من عجائب الدنيا ، ثم شرع فى حفر الاهراء بداخل المدينة
وبنى الجباب والمصانع واختزن الاهراء بالطعام وملا الجباب بالماء
ثم أمر بحفظها ولم تفتح الا فى أيام ابى يزيد ولولا ذلك لما أطاقوا
الحصار ، وكان اتساع المهديّة فى أول بنائها من الجوف الى القبلة
قدر غلوة سهم فاستصغرها المهدي عند ذلك فردم من البحر
مقدارها وأدخله فى المدينة فاتسعت ، والجامع الاعظم الان والدار

المعروفة فى القديم بدار المحاسبات من جملة ما ردم من البحر
واخذ عبيد الله فى بناء قصوره بها فبنى قصره الكبير المعروف به
الذى كانت به طيقان الذهب ، وبنى ابنه ابو القاسم بازائه قصره
المعروف به ايضا وبينهما فسحة ، وبشرقي قصر عبيد الله حيث كان
هى دار الصناعة الان

ولما كمل سور المدينة وقصورها أراد عبيد الله الانتقال اليها
فثقل ذلك على أوليائه وجنده وصعب عليهم استبداله بالموضع الذى
استوطنوه ، فقال لهم : ان صعب ذلك عليكم فنحن ننتقل ونترككم
هاهنا ونجرى عليكم الارزاق والصلوات وعما قليل ستنتقلون الينا
مسارعين ، قال المؤرخون فلم يكن بعد ذلك الا زمان يسير حتى
أرسل الله السماء بمطار غزيرة أخربت مساكن رقادة وأهدمت
دورها وأهلكت خلقا عظيما من أهلها فخرج الناس فى الاخبية
والفازات ، وكتبوا الى المهدي يسألونه الانتقال الى المهديّة فأجابهم
الى ذلك فانتقلوا اليها وتمت عمارتها

وقالت الشعراء في تهنئة المهدي بها فأكثروا ، ومما استحسن في ذلك قول ابن بديل الكاتب : (كامل)

بُنِيَتْ لَدَى اقْصَى الْمَغَارِبِ دَارٌ قَطَنْتَ بِهَا الْأَحْرَارَ وَالْأَبْرَارَ
لَا ذَنْبَ يَرِدُ الْمَاءَ لَمَّا أَنْ دَرَّتْ أَنْ الْقُلُوبَ عَلَى الْحُسَيْنِ حَرَارَ
وَأَنْزَلَ الْمَهْدَى جَنْدَهُ وَخَاصَّتَهُ فِيهَا وَابْتَنَى لِعَامَةِ النَّاسِ الْمَدِينَةَ
الْأُخْرَى الْمُسَمَّاةَ بِزَوِيلَةَ وَهِيَ أَحَدَى الْمَدِينَتَيْنِ وَبَيْنَهُمَا قَدْرُ غُلُوقَةِ سَهْمٍ
وَجَعَلَ الْأَسْوَاقَ وَالْفَنَادِقَ فِيهَا وَادَارَ بِهَا خَنَادِقَ مَتَسَعَةً تَجْتَمِعُ بِهَا مِيَاهُ
الْأَمْطَارِ ، فَكَانَتْ كَالرِّبْضِ لِمَدِينَةِ الْمَهْدِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُعْزِ بْنِ بَادِيسَ
جَعَلَ عَلَيْهَا سُورًا عِنْدَ دُخُولِ الْعَرَبِ إِلَى أَرْضِهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ
وَأَرْبَعِمِائَةَ ، وَقَدْ خَرِبَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْآنَ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ ، وَكَانَ
بِخَارِجِهَا الْحُمَى الْمَعْرُوفَ بِحُمَى زَوِيلَةَ وَكَانَ كُلُّ جَنَاتٍ وَبَسَاتِينٍ
بَسَائِرِ الثَّمَارِ وَأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ فَأَفْسَدَتْهُ الْعَرَبُ كَمَا تَقْدُمُ

وَأَقَامَ الْمَهْدَى سَاكِنًا بِمَدِينَةِ الْمَهْدِيَّةِ مَدَّةَ حَيَاتِهِ ثُمَّ مَاتَ بِهَا سَنَةَ
اِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ ، فَوُلِيَ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَائِمُ فِي آخِرِ دَوْلَتِهِ
ثَارَ عَلَيْهِ أَبُو يَزِيدَ مَخْلَدُ بْنُ كَيْدَادِ النُّكَارِيُّ وَقَدْ قَدَمْنَا فِي هَذَا
التَّقْيِيدِ صَدْرًا مِنْ حُرُوبِهِ مَعَهُ ، فَمَا زَالَ يَفْتَتِحُ الْمَدَنَ وَيُخْرِبُ الْبِلَادَ
إِلَى أَنْ افْتَتَحَ الْقَيْرَوَانَ وَهَزَمَ جَيْشَ الْقَائِمِ الْأَعْظَمَ ، وَأَقْبَلَ يَرِيدُ حَصَارَ
الْمَهْدِيَّةِ وَكُتِبَ إِلَى أَهْلِ الْبِلَادِ الْبَاخِلِينَ تَحْتَ طَاعَتِهِ يَسْتَنْفِرُهُمْ
لِحَصَارِ الْمَهْدِيَّةِ وَذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ ، فَعَلِمَ الْقَائِمُ بِذَلِكَ

فأمر بحفر خندق حول أرباض المهديّة وزويلة ، ووصل أبو يزيد في جيوشه فأحاط بالمهديّة وكان جيشه بموضع يعرف بخربة جميل على أميال قريبة منها ، فكانت خيله تصل الى أرباضها فتقتل وتنهب فلجأ جميع الناس الى المهديّة واخلوا أرباضها

وأبصر القائم ذات يوم غرة من أبى يزيد لتفرق أكثر جيشه للنهب فأخرج طائفة من جنود الكتامين وغيرهم فقصدوا أبا يزيد وسبق الخبر بذلك الى أبى يزيد فوافق وصول ابنه فضل اليه بجمع عظيم من ضريسة فأمرهم بلبائهم وأن يكف عن قتالهم ما كفوا عنه فان أبوا الا قتاله وجه اليه من يعلمه بذلك فالتقوا بالموضع المعروف بسوق الاحد وهو فيما بين المهديّة ومعسكر أبى يزيد وسطاً ، فأبى الكتاميون الا قتال فضل فوجه الى ابيه يعلمه بذلك فركب أبو يزيد من حينه بجميع من معه فوافاهم وهم يقتتلون وقد هزم ابنه فضل وقتل جماعة من أصحابه فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ولجأوا الى المهديّة فدخلوا اليها

ووصل أبو يزيد في اثرهم الى أن اشرف على المهديّة فأحب نقل فازاته الى موضعه ذلك ، فأشار عليه أصحابه بالرجوع الى معسكره وان تكون اقامته به الى أن يستقضى الامور فرجع اليه وأقام هناك أياماً ثم انتقل منه وزحف الى المهديّة فوصل الى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء الى صدور خيلهم ، وجيوش القائم في ذلك كله

متقهرة عنه ووصل ابو يزيد بنفسه فى تلك الخطرة الى مصلى
المهدية فلم يبق بينه وبين المهدية الا رمية سهم حسبما
انذر به المهدى عند بناء سورها ، فلما رأى الناس
ذلك لم يشكوا فى تغلبه على المهدية ، فاجتمعوا الى القائم
وعظموا له الامر وسألوه الخروج الى أبى يزيد فقال لهم : انه قد بلغ
الى أقصى غايته ولن يتجاوزده ولينجزن الله وعده ، ثم قال لبعض من
بين يديه : اصعد الى السور فاذا رأيت ابا يزيد انتقل عن مكانه من
المصلى فاشر لنا باشارة نعرف ذلك بها ففعل الرجل ما أمر به ، ولما
أشار لهم قال لهم القائم : أبشروا فلن يعود أبو يزيد الى مكانه ذلك
أبدا ، وانتقل أبو يزيد الى الموضع المعروف بـ ترنوط وهو على خمسة
أميال من المهدية فعسكر هنالك ، واتصل حصاره لها فقتل بين
الفريقين فى ذلك على توالى الايام أمم لا تحصى أكثرها من جيوش
القائم

وذكر البكرى أن فى كتاب الحدائق : « اذا ربط الخارجى خيله
بترنوط ، لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط ، أهل السواد أهل
الساحل قال وفيها أيضا : « ويل لاهل السواد ، من محلة ابن
كيداد ، ويقال من مغلد بن كيداد (١)

ولما طال على جند أبى يزيد المقام وسئموا التغرب على بلادهم
وتحققوا حصانة المهدية وامتناعها عنهم انفصلوا عن أبى يزيد

(١) راجع المسالك والممالك للبكرى « طبع الجزائر ، ص ٣١

بأجمعهم فلم يبق معه الا طوائف من هوارة وزناتة ، فحينئذ أقطع عن المهديّة وذلك فى صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ومات القائم فى آخر هذه السنة وأبو يزيد محاصر لسوسة وقد قدمنا ذكر ذلك قبل هذا

فولى بعده ابنه ايماعيل الملقب بالمنصور ، فبادر بانفاذ جيش برى وجيش بحرى الى أبى يزيد بعد أن أحب النهوض بنفسه فمنعه أولياؤه منه ، فتوجهت جيوشه الى سوسة وكان ما أخذه التحصيل من جند أبى يزيد المحاصرين لها حسبما قدمنا قبل هذا مائة الف خص يسكن فى الحص الواحد الثلاثة والاربعة فصاعدا ، وكان جيش القائم البرى أربعمائة فارس لا تزيد على ذلك فهجموا على عسكر أبى يزيد فى يوم كثير الغيم وأطلقوا النار فى مجتمع حطب كان هنالك فتطايّر شرارها الى أخصاص أبى يزيد فأظلم الجو وتخاذل البربر وانهزموا واسلموا أبا يزيد ، فقتل من أتباعه أمم كثيرة وتوجه أبو يزيد منهزما الى القيروان فلم يقبلوه وقتلوا جماعة من أصحابه فهرب عنهم

وخرج المنصور من المهديّة فى طلبه بشجاعة قوية قال المؤخون ، فلم يزل يهزمه ويقتفى أثره الى أن أخذه جريحا فى جبل كيانه (١) وذلك فى شهر المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فسلخ جلده وجعل فيه ما ملأه حتى عاد صورة هائلة فطيف به من جبال صنهاجة

(١) فى بعض النسخ « كيانه » وفى بعضها « كتامة »

بالمغرب الاوسط الى المهديّة (١) ثم صلب بها الى أن مزقته الرياح بعد أن مزق شبل العالم في البلاد ، وكان يبيع دم أهل القبلة ويستحل الفروج ويفعل في الاسلام أشد مما يفعل في دار الحرب ولما تم للمنصور أمره ولم يبق له من ينازعه أحب الانتقال من المهديّة الى مدينة صبرة وهي ملاصقة للقيروان ، وقد كان بنى سورها وجعل فيها قصرا لنفسه فكان انتقاله اليها أول سنة سبع وذلك أصل تسمية صبرة بالمتصورية ، ولم تزل صبرة دار ملكهم الى أن انتقلوا الى مصر فتغلب المعز ابنه عليها سنة اثنين وستين وثلاثمائة ، فصير ولاية افريقية الى زيري بن مناد الصنهاجي ، فسكنها هو وبنوه الى أن خالف المعز بن باديس على بنى عبيد وصرح على المنابر بلعنهم وذلك سنة اربع وأربعين وأربعمائة ، فجهز اليه وزيرهم المعروف باليازوري الاعراب الذين غلبوا على أمره وأخذوا أكثر بلاد من يده ، وقد تقدم بسط ذلك كله والإشارة إلى بعض حروبهم معه في أثناء هذا التقييد

فلما رأى المعز اختلال الاحوال وتغلب الاعراب على البلاد علم أن صبرة لا تحصنه منهم ، فبنى على الانتقال الى المهديّة فولى ابنه تميم عليها وذلك سنة خمس وأربعين وجعل ينقل اليها أهله وذخائره شيئا فشيئا ، وقد كان رجاله وخاصته حذروا من تولية ابنه تميم وخوفوه أن يستبد بنفسه ويمتنع بالمهديّة على أبيه فلم يسمع منهم ،

(١) ونرى بعض النسخ « الى وسط البادية » .

ووصل تميم الى المهديّة فوجد بها عبيدا لايه قد كان أعدهم هنالك
لضبطها قد قويت شوكتهم و أكثر ملأهم فوقعت بينهم وبين عبيده
فتنة ومنازعة ، فينملهم في ذلك اذ دخل عليه شاعر محمد بن حبيب
القلانسي فأنشده قصيدة منها : (بسيط)

السيف يسبق قبل الحادث العذلا لا تُغمد السيف حتّى تقتل السفلا
نقل عُداتك من دنيا لآخره فكلهم ظنّ هذا الملك مُستقلا
فحركه لآبادة أولئك العبيد فأطلق عليهم أيدي العامة فقتلوا
أكثرهم وفر من بقى منهم الى المعز بصيرة فأتبعهم تميم طائفة من
الاعراب لحقوهم قبل وصولهم الى صبرة فقتلوهم أجمعين ، وبلغ
المعز ذلك فقوى في نفسه ما كان يذكر له عن تميم من الاستبداد
والاستئثار بما حصل لديه من الذخائر ولكنه لم يجد بدا من مداراته
والاغضاء له عن فعلته هذه .

فلما كانت سنة تسع وأربعين توجه المعز الى المهديّة في خفارة
رجلين من العرب قد كان صاهرهما بنتيه يعرف أحدهما بالفضل
ابن أبي علي وهو مرداسي ، ويعرف الآخر بفارس بن أبي الغيث
توجهها اليه فاستخرجاه من صبرة سرا ، وأحس باقى الاعراب بخروجه
فلحقوه في أثناء الطريق فواقفهم فارس بن أبي الغيث في جماعة من
قومه وجعل يؤنبهم على الاستخفاف بخفارته ، فقالوا له انك قد
أعظمت التحامل علينا في خفارة مثل المعز وتركنا له عظيم والفائدة

فى أخذه كبيرة فلا تمنعنا منه ، فلم يزل يوافقهم ويراجعهم الى أن
خلص المعز وصاحبه الفضل بن أبى على ودخل المهديّة ، ويقال انه
قد كان أخرج بعض قطعه البحرية وسيرها فى البحر محاذية له
خوفا مما عساه أن يعرض له فى طريقه ، فلما لحقه الاعراب كما
قدمنا ناداه أرباب القطع بالبدار اليهم ليعتصم بالبحر من أولئك
الاعراب فلج فى السير وأبى من الدخول اليهم أنفة منه وجلدا الى
أن خلس وحصل بالمهديّة . ودخلها وهو خائف من ولد تميم ان
يقبض عليه ، فخرج تميم للقاءه وترجل وقبل الارض بين يديه ومشى
أمامه ولم يزل فى خدمته وبرد الى أن مات المعز سنة أربع وخمسين ،
فحينئذ استبد تميم بالملك وغلبه الاعراب على أمره فلم يكن له الا
ما ضمت (١) أنسوار بلده خلا أنه كان فى بعض الاحايين يحالف
فريقا من الاعراب فيجد انسيل بذلك الى الخروج لقتال من يقصده
وحصار من يشور عليه ببلد من بلادهم ، وقد قدمنا أن حمو بن مليل
البرغواطى ثار عليه بصفاقس واستبد بها وأراد الوصول الى المهديّة
لمحاصرته فخرج تميم للقاءه فالتقيا بظاهر المهديّة فهزمه تميم وعاد
حمو الى صفاقس خائبا فأبعه تميم ابنه يحيى فحاصره بصفاقس
واستوفينا ذلك عند ذكر صفاقس

ولما كانت سنة ست وسبعين وأربعمائة وصل لحصاره ابراهيم
بن محمد الثائر بقابس ومعه جمع عظيم من الاعراب أميرهم مالك

ابن علوان (١) الصخرى، فنزلوا على المهدية فارسل تميم الى احلافه من الاعراب أموالا فهجموا على عسكر ابراهيم وخرج تميم بمن معه من جنده فهجم عليه من الجهة الاخرى فانهزم ابراهيم هزيمة فاحشة ورجع ابراهيم الى قابس وفر ابن علوان الى القيروان فتوجه اليه تميم ومن معه من الاعراب فحصروه بها الى ان خرج منها تحت الليل هاربا ثم عاد تميم الى المهدية

فلما كانت سنة ثمانين واربعمئة وقع ما وقع من نزول اهل بيش وجنوة من النصارى على المهدية فاستولوا عليها وعلى زويلة وسبوا أهلها وقتلوا من شاؤوا منهم واحرقوه بالنار، وكانت عدة القطع التى نزلوا بها عليها ثلاثمئة قطعة تجتمع على ثلاثين الف مقاتل، قال أبو الصلت : « وكسفت الشمس فى هذا العام ببرج الاسد طالع تخطيط المهدية كسوفاً كلياً فجرى بها هذا الواقع باثر ذلك، قال : « وكان من أعظم الاسباب فيه مع قضاء الله الذى لا يرد ومشيئته التى لا تدفع غيبة عسكر السلطان عن المهدية ومفاجأة الروم دون استعداد لهم وأخذ أهبة للقائهم وخلو كافة الناس من الاسلحة والعدد وقصر الاسوار وتهديمها وتكذيب تميم مع ذلك بما يرد عليه من اخبار النصارى وسوء رأى فلان متولى تدبير البلد (١) اذ ذاك فى المنع من الخروج اليهم ولقائهم فى الماء فتركوا الى أن نزلوا فى البر فكان من تغلبهم على المهديتين وعيشتهم فيها ما هو مشهور

(١) فى بعض النسخ « ملك بن علوى » وفى بعضها « ملك بن علوا »

(٢) وفى بعض النسخ « متولى البلد ومديرها »

معلوم : قال : « ولجأ تميم الى قصره المعروف بقصر المهدي ، وهو قصر حصين فأقام به الى أن وقع الصلح بينه وبينهم على مائة الف دينار تدفع لهم ويقلعون بما حصل في أيديهم من المسلمين فدفعت لهم وأقلعوا باموال المسلمين ونسائهم وابنائهم » قال : « وقد استوفى وصف ذلك كله أبو الحسن علي بن محمد بن الحداد في قصيدة طويلة اولها :
(منسرح)

أننى يلتم الخيال أو يقف
وبين اجفاننا نوى قدف
ويقول فيها :

غزا حمانا العدو في عدد
هم الدبا كثرة أو النعف
عشرون الفا ونصفها ائتلفوا
من كل اوب لبسما ائتلفوا
جاؤوا على غيرة إلى نفر
قد جهلوا في الحروب ما عرفوا
وهم من العيش في بلهنية
وليس للدهر أعين طرف
فايقظوا من سبات غفلتهم
لهم عيون اجفانها رهف (١)
في سفن كالجمال يس لها
إلا من السمر والطبي ثعف
هبت رخاء رياحها فجرت
كما اشتهوا وهي عندنا عصف
فإن وئت في الهبوب حررها
مجادف كالصلال تلتقف

(١) في بعض النسخ « وض »

وأقام تميم بعد ذلك بالمهدية الى أن مات بها سنة احدى وخمسمائة ، فولى ابنه يحيى فكان مما حدث فى أيامه من الاسباب المؤدية الى تغلب النصارى على المهديّة التغلب الثانى الذى أدى الى انقراض دولة صنهاجة منها أن نصرانيا اسمه جرجير ابن فلان الانطاكى كان قد هاجر من المشرق الى تميم ، وكان قد عرف لسان العرب وبرع فى الحساب وتهذب بالشام بانطاكية وغيرها ، فحكمه تميم فى دخله وخرجه وجعل مصارف الاموال لنظره فصارت أموال المسلمين كلها فى يده وأيدى أقاربه ، وكان الاتساع فيه من الاموال ، فلما مات تميم خاف هذا النصرانى من يحيى فخطب لجار صاحب صقلية واعلمه أنه يجب الانتقال اليه فوجه لجار اليه قطعة أظهرت أنها وصلت فى رسالة فخرج هذا النصرانى وأقاربه فى يوم جمعة عند اجتماع الناس للصلاة وتزيوا بزي البحرين فطلعوا اليها وتم لهم أمرهم ، فلم يفتن الناس لهم الا وقد أقلموا ولما وصلوا الى صقلية حكمهم عبد الرحمان النصرانى صاحب اشغالها فى الجبايات فنصحوا وأظهروا ، واحتاج لجار أن يوجه رسولا الى مصر فأشار عليه عبد الرحمان بجرجير هذا فأرسله فنصح وأقبل بذخائر ملوكية أحظته عند لجار

ثم مات يحيى بن تميم بالمهدية سنة تسع وخمسمائة ، وولى بعده ابنه على بن يحيى فوقعت الوحشة بينه وبين لجار بسبب السفينة التى أنشأها رافع بن مكى بن كامل بقابس حيث منعه منها على ،

فاستنصر رافع بلجار فوقعت المقاتلة بين أسطول علي وأسطوله بسببها وقد تقدم ذكر ذلك مستوفى عند ذكرنا لقابس ، ووصل باثر ذلك رسول لجار الى علي يقتضى أموالا كانت تثقت له بالمهدية، وكان علي عند تلك الوحشة قد أمسك وكلاء فسرهم له على ووجههم اليه بأمواله فلما وصلت اليه وجه رسولا ثانيا بمكاتبة فيها اغلاظ وتهديد وتقصير على العادة وإساءة فى الادب ، فأغضب ذلك عليا وصرف رسوله دون جواب ، وبلغ عليا ان النصرانى يتهدده ويوعده فامر باستجداد الاساطيل والاستعداد لقتاله فأنشأ اسطولا قويته انفس الناس به ومدحته الشعراء بسببه فقال محمد ابن بشير من قصيدة له : (طويل)

واعددت للاعداء كل مضممم يسير إليهم قاصدا وهو أهوج
كمثل الرواسي منعة غير انها على ثبج الدماء تسري وتدلج (١)
كان القنا والنبل في جنباتها سيال بأكناف الهضاب وعوسج
يُميد مضيء الجبؤ قتم حالكا دخان لظى من نارها يتوهج
اذا نضضت من السن لهيئة بمارج نار يستقل ويعرج
رايت صلالا أخرجت من جهنم تحرق اكباد العداة وتنضج
ولم تزل الفتنة متأكدة بينهما الى أن مات علي وولى بعده ابنه
الحسن فكاتب أمير المؤمنين بالمغرب علي بن يوسف بن تاشفين

واتفق باثر ذلك أن وصل أسطول على بن يوسف مع قائده على بن ميمون الى بلاد لجار فاستفتح منها حصونا وسبى منها سبايا كثيرة ، فلم يشك النصرانى أن الباعث لعلى بن يوسف على ذلك انما هو الحسن فاستجاش من قبله وحشد أجناده ومقاتليه وبالغ فى كتم أمره بمنع السفر الى سواحل المسلمين ، ولم يخف على الحسن مقصده وخشى أن يطرق بلاد دونه تذهب له فأمرهم باتخاذ الاسلحة وتشيد الاسوار واستقدام القبائل من العرب وغيرهم للجهاد ، ووصلت الحشود اليه من كل جهة ونزلت الاعراب بظاهر المهديّة فلما كان يوم السبت لحس بقين من جمادى الاولى سنة سبع عشرة وخمسمائة وصل أسطول لجار الى المهديّة فأرسل بالجزيرة المعروفة بجزيرة الاحاسى وهى على عشرة أميال من المهديّة ، ونزل قائداه عبد الرحمان وجرجير الى الجزيرة وضربت لهما ولقدمى الفرنج مضارب هنالك وكان وصولهم آخر النهار فخرج منهم الى البر تلك الليلة خلق كثير وانبسطوا حتى بعدوا عن البحر أميالاً ثم عادوا الى الجزيرة ، ووصل القائدان فى اليوم الثانى فى البحر فى بعض قطعهم الى المهديّة فأطافا بها وانتهيا الى ساحل زويلة فهالهما ما رأيا بالاسوار والسواحل من الناس وانصرفا عائدين الى الجزيرة ، فوجدا طائفة من العرب والاجناد قد دخلوا اليها وكشفوا

من كان بها من الروم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وانتهبوا
بعض أسلحتهم

فلما كان في اليوم الثالث تمكن النصاري من انتصر المعروف
بقصر الديماس وحصل به زهاء مائة منهم باعانة بعض الاعراب لهم
على ذلك لما مناهم به عبد الرحمان وصاحبه ، وقد كان لجار أمرهما
بذلك من النزول بجزيرة الاحاسي والتحيل في أخذ قصر الديماس
بمباطنة العرب ثم الزحف من هنالك في البر بالرجال والخيال الى
المهدية

فلما كان اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا
تكبيرة راعت من في الجزيرة فظنوا أنهم داخلون اليهم فانهزموا الى
مراكبهم وقتلوا بأيديهم كثيرا من خيلهم ، ودخل المسلمون الجزيرة
وليس به أحد منهم فوجدوا فيها خيلا وآلات وسلحة أعجلهم
الهرب عن حملها ، وأخطوا بقصر الديماس يقاتلون والاسطول في
البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغاثة من في القصر نكثرة ما اجتمع
في البر من عساكر المسلمين ، فلما علموا أنهم غير قادرين على استنقاذ
من في القصر أقبلوا عائددين الى صقلية ، وأقام المسلمون يقاتلون من
حصل بقصر الديماس منهم الى أن اشتد عليهم الحصار وفنى ماؤهم
وطعامهم فخرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الآخر
فخطفتهم سيوف الاعراب فقتلوا عن آخرهم

وهتئى الحسن بهذا الفتح ولم يدر ما تحت طيه من المحنة التى
خصت وعت المسلمين بسببه ، وكتبت عنه فى ذلك كتب الى سائر
الجهات منها كتاب يقول فى بعض فصوله : « وان صاحب عقلية لج
فى طغيان غيه ، واستمر على عدوانه وبغيه ، وحمله سوء تقديره ،
وفساد تدبيره ، على اهتضام جانب الاسلام ، وظن أن ذلك سهل
الملمس قريب المرام ، فاستجاش وحشد ، واستنفر واستمد ، ولما
استتمت له فى ظنه أمور ، وكمل تدبيره ، الذى كان فيه تدمير ،
سير أسطوله نحو المهدية - حماها الله - فى نحو من ثلاثمائة مركب
حمل على ظهرها ثلاثون الف راكب وزهاء الف فارس ، وكان
اقلاعه فى طالع مقارن للنحوس ، قاض عليه ب تلف الاموال وهلاك
النفوس ، فمن أول ما أسناد الله فيه من صنعه الجميل ، وأظهره من
عنايته التى لا يؤدى حقها بغير الشكر الجزيل ، أن أرسل عليهم
ريحا صيرت جميعهم الى التبار ، وأصلتهم ببرد الماء حر النار ،
ونابت فى اهلاكهم مناب زرق الاسنة وبيض الشفار ، وكان لجار
قد رام اخفاء كيد ومكره ، بمنع السفر الى سواحل المسلمين وحظره ،
فسقط الى الساحل مركب من جملة أسطوله يعرفنا من ركابه
صورة أمره ، وما يسر الله سبحانه من تشيت شمله ونثره ، ولم نكن
قبل ذلك مهملين لما يقتضيه هذا الحادث من التأهب والاستعداد ،
واستضافة الاجناد الى الاجناد ، فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب

المطيفة بنا فأقبلوا أفواجا أفواجا ، وجأؤوا مجيء السيل يعتلج اعتلاجا
ويتدفق أمواجا ، وكلهم على نيات في الجهاد خالصة ، وعزمات
غير مترددة في مواقف الموت ولا ناكسة ، ووصل الاسطول
المخذول بمن أسلمه السوق الى حد الحسام ، وتخطاه الفرق فنجوا من
الحمام الى الحمام ، ونزلوا على عشرة أميال من المهديّة بجزيرة هنالك
ذات أحساء بينها وبين البحر مجاز متداني المعبرين ، فريب ما بين
الشطين ، حين مرامه ، سهل على الفارس والراجل خوضه واقتحامه ،
فتسرع اليهم من جندنا ، ومن انضاف اليهم من العرب المنجدة لنا ،
طائفة أوسعت أعداء الله طعنا وضربا ، وملأت قلوبهم خوفا ورعبا ،
فلما عاينوا ما نزل بهم ، أنزلوا عن ظهور مراكبهم ، ما كان أبقاد
الفرق من أفراسهم ، وكانت نحو خمسمائة فرس وظننوا أنهم ان
امتطوا متونها مستسلمين (١) ، وصدموا بها جيوش المسلمين ،
أمكنهم بها انتهاز فرصة فأكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ، وجعل
الدائرة عليهم لا لهم ، وخامرهم من الرعب الذي نصر الله به
المسلمين ، وخذل به المشركين ، ما ولوا منه أدبارهم يرون الهزيمة
والهرب غلبا ، وتركوا كثيرا من خيلهم واسلحتهم نهبا مقتسما ،
وفيئا مغتسما ، واتفق في مدة مقام هذا الاسطول بالجزيرة أن رجلا
من طفاة العرب ومردتهم دعاه فساد دينه ، وضعف يقينه ، أن
اغتيال لهم قصرا على المجاز المذكور شديد الامتناع فحصل به منهم

(١) كذا في الأصول ولعل الصواب « متسلمين »

زهاء مائة عالج ، وتسربت العرب اليهم من كل فج ، فجردنا من خيلنا من تولى أمره ، وبأشر حصره ، اذ كانت العرب لا تبأشر مثل هذا وانما تعرف الحصن (١) لا الحصون ، وانما يعظم غناؤها في السهول لا الحزون ، ثم أقلع جميع الاسطول حين علم عجزه عن استنقاذ أصحابه ولبثوا بعده والقتل يحققهم ، والنار تحرقهم ، الى ان استوصلوا عن آخرهم ، وكبهم الحتف على جباههم ومناخرهم ، وجري أمر هذا العدو المخدول من أوله الى آخره وفاتحته الى خاتمه على ما قاله سبحانه : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، فالحمد لله الذي أيد الاسلام ونصره ، وأعلاه وأظهره ، وأباد الشرك ودمره ، وأذله ودحره .

ولما أقلع الاسطول الى صقلية خائبا خاسرا غاظ لجار ذلك ، ثم اتفق باثره أن وصل أسطول المثلث من المغرب وقائده محمد بن ميمون المذكور قبل فعات في بلاد لجار وقتل وحمل نساءها سبيا الى بلاده ، وكان لجار كلما وصل أسطول من المغرب الى بلاده نسبته الى الحسن فعزم العزم المصمم على غزو المهدية وانشأ في ظاهر الامر بينه وبين الحسن صلحا وفي نفسه ما فيها لسم خديعته ويتمكن من مراده ، وكان بين الحسن وبين عمه يحيى بن المعز بن باديس ابن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد صاحب بجاية ما أوجب

(١) في بعض النسخ « الحصر » وفي بعضها « الحصا »

أن بعث يحيى فى هذه المدة لمحاصرته بالمهدية أسطولا فى البحر
وجيشا فى البر ، قائده مطرف بن على بن حدود الفقيه ، فحصر
المهدية برا وبحرا ونزل مطرف بن على بجيشه بظاهر زويلة فاستمد
الحسن لجار فأمدته بأسطوله ، فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهدية
مسرعا وكانت للجار جواسيس بالمهدية فكتبوا اليه يعلمونه أن
بمرساها مراكب قد استوفت وسقها ، فأمر جرجير قائد الاسطول
المتوجه للنصرة بالهجوم عليها وأخذها ففعل ذلك غدرا وحملها الى
صقلية ، ثم هجم بعد ذلك على مرسى المهدية فأخذ منه مركبا كان
الحسن قد احتفل فيه وشحنه بذخائر ملوكية ليوجه بها الى الحافظ
العبيدى صاحب مصر وكان ذلك المركب يسمى « بنصف الدنيا »
ولم يزل يوالى (١) الغزو عليها بأساطيله والمقدم عليها جرجير
المذكور وهو العارف بالمهدية حاضرة وبادية ويضعفه بذلك الى ان
دخلت سنة ثلاث واربعين وخسمائة فلم يشعر الحسن صباح
الاثنين الثانى من شهر صفر الا وقد طلع عليه جرجير المذكور فى
ثلاثمائة مركب للفرنجة فأرسل على بعد من المهدية وكانت الريح
قد منعت من الدخول الى المرسى ، فأرسل الى الحسن يخادعه ويذكر
أنه وصل لطلب عسكر يستعين به على أهل قابس ليوليها ابن رشيد،
وقد تقدم ذكر ابن رشيد هذا فيما سلف من التقييد وبيننا سبب
خروجه من قابس فعلم الحسن أن هذه مخادعة له الى ان تنهيا له

(١) فى بعض النسخ « يرسل »

الرياح فيدخل بها وأنه لم يصل إلا بعد علمه بخلاء المهديّة من
العسكر

وقد كان الغلاء المتوالي على افريقية أضعف أكثر جند الحسن
وأهلك خيلهم ومع ذلك فكانت بقية العسكر في محاربة ابن
خراسان صاحب تونس عضدا لمحرز بن زياد القادسي صاحب المعلقة،
فغزم الحسن على تسليم المهديّة للنصارى ، وأمر في الحين بالرحيل
عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن أمكنه من أهله وولده
وحشمه وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من أهل وولد وجري
عليهم في هذه الضيقة ما لم يكونوا يقدرونه ، وذكر ابن شداد
من كلام الحسن عند خروجه : « سلامة المسلمين من القتل والاسر ،
خير الى من الملك والقصر ،

وبقى الاسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلد
بسبب الرياح الى الساعة السابعة من حين وصوله ثم لانت له الرياح
فدخل ووجد المهديّة خالية فتملكها من دون مدافع ، ووجد جرجير
قصر الحسن على حاله لم يحمل الحسن منه الا ما خف له ، فرأى فيه
من الذخائر الملوكية ما هاله وحكم على ذلك كله ، وأمر أن ينادى
في المهديتين بالامان فارتفع النهب منهما ، وأخرج النصارى من
المهديتين فأنزلهم فيما بينهما في مضاربهم وأخيبتهم ، فكان من بقي
بالمهديّة أحسن حالا ممن فر منها فان الفارين لقوا من المشقة وعدم
الماء ما أهلك أكثرهم الى أن تداركهم جرجير فبعث لهم خيلا

يعلمونهم بالامان فرجعوا الى بلدهم وفرق عليهم مالا وطعاما
أقرضهم اياه فصلحت أحوالهم واغبط الناس بالمهدين لما رأوا من
عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة

وأما الحسن بن علي فانه وصل (١) الى عسكره الذي قدمنا أنه
كان في نصرة محرز بن زياد فلقية محرز بالبر وأكرمه وأنزله عنده
فأقام هنالك شهرا وهو كاره في الإقامة ، لما يرى في عيني محرز
من السئامة ، فأحب الانتقال الى مصر وواليتها اذ ذاك الحافظ عبد
المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن
المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وباسمه كان الحسن يخطب
في بلاده ، فابتاع من تونس مركبا أعده لسفره فعلم جرجير بذلك
فاعد له عشرين قطعة ترقب اقلاعه فتبعه وعلم بذلك الحسن فعدل
عن السفر الى مصر ، ونظر في التوجه الى الخليفة عبد المؤمن بن علي
بالمغرب ، وأنفذ كبار ولده يحيى وتيسا وعليا الى ابن عمه يحيى بن
العزيز صاحب بجاية وكتب له يستأذنه في الوصول الى حضرته
وأن يكون توجهه الى عبد المؤمن بعد اجتماعه به فتلقى بنيه ميمون
ابن حمدون وزير يحيى أحسن ^{تلقا} وكتب على لسان يحيى الى الحسن
بالتوجه على ما جرى عليه والتحريض على الوصول والعدل على
ما خطر بباله من قصد غيره

(١) في بعض النسخ « سار » وفي بعضها « صار »

فأعلم الحسن محرز بن زياد بما كتب اليه ابن عمه فأشار عليه بالتنكيب عنه وأن يتوجه حيث ما أحب فهو خير له منه ، فلم يطمعه الحسن وتوجه الى بجاية فلما قرب منها ندب يحيى وزيره الى لقاء الحسن فامتنع عن ذلك وبعد لآى ما (١) أمر أخاه قائد بن العزيز بالخروج الى لقائه مع مشيخة البلد وأن يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون مقامه بها ، ففعل أخوه ذلك وأنزله هو وأولاده بمدينة الجزائر فى أمكنة لا تليق بهم وأجرى عليهم جرايات لا تكفيهم وأمر ميمون بمراعاة احوال الحسن ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المؤمن لما توقعه من استعانة عبد المؤمن به فى أخذ بجاية فبولغ فى التشديد عليه فى ذلك ، وأقام ساكنا بها الى أن نزل عبد المؤمن الى المغرب الاوسط وقد تغلب على جميع بلاد المغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك عام سبع وأربعين وخسمائة فتغلب على مليانة والجزائر ، فاجتمع الحسن به هناك وقد سار اليه وهو بمدينة متيجة فأقبل عبد المؤمن عليه وقربه اليه واستصحبه معه وجعل الحسن يغريه بأخذ بجاية حسدا لابن عمه ورغبة لخروج الملك من يده ليتساووا (٢) فى ذلك فنزل عبد المؤمن الى بجاية والحسن معه فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها وذلك بعد هزيمة لساكر

(١) فى بعض النسخ « وبعد » عوض « يعد لآى ما »

(٢) كذا فى جميع الاصول والاصواب « ليتساويا »

صنهاجة بجبل زيرى وأعان يحيى أيضا على نفسه بانهما كه فى لذاته واهماله تدبير دولته وتفويض الامر لغيره

فلما استولى عبد المؤمن على بجاية فر يحيى بن العزيز منها فى البحر وكان مرامه التوجه الى برقة والنفوذ من ذلك الى بغداد لعلمه أن الخليفة العبيدى بمصر ينقض (١) عليه الخلع الاول ، فلما وصل الى بونة جعل الحارث يتأفف منه ويؤنبه على اهمال الملك فخرج عنه يحيى الى قسنطينة وبها اذ ذاك أخوه الحسن بن العزيز فأكرمه الحسن وتخلى له عن الامر فأقام بقسنطينة أياما يعمل رأيه الى أن أناب الى الطاعة ودخل فى ايالة الموحدين ووصل الى الخليفة فأكرمه وأنزله مع ابن عمه الحسن بن على

ثم كانت لعبد المؤمن على العرب (٢) الواقعة المعروفة بوقعة سطيف ، هزم فيها طوائفهم وطلع الى الحضرة بجميع من حكم عليه ومن جملتهم الحسن ويحيى فأسكنا بمرakash فى رفاهية ورزق جار ، فلما كانت سنة ثمان وأربعين وصل الخليفة الى سلا واستصحب يحيى معه فأسكنه بها فى بعض قصور بنى عشرة وأقام بسلا الى ان مات هنالك ودفن فى مقابرها الجوفية مما يلى البحر

وأما الحسن فانه أقام بمرakash الى أن عاد عبد المؤمن اليها فلم يزل يغريه بالحركة الى افريقية ويحضه على استنقاذ المهديّة من أيدي

(١) فى بعض النسخ « ينقض » ولعل الصواب « ينقم »

(٢) فى بعض النسخ « المفسوب »

النصارى الى أن تحرك اليها سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، فافتتح
تونس وأذهب دولة بنى خرسان منها وقد كان عند وصوله الى
باجة عرض عسكره فكانت الحيل أزيد من مائة الف فارس وأما
الرجال فلا يحصون كثرة ، فأقام بها ووجه الى اهل تونس بالتأمين
والعفو فلم يزدادوا الا عصيانا ، وقد كانوا قاتلوا ولده عبد الله قبل ذلك
ومزقوا جيشه وفعلوا فيه الافاعيل لما وصل الى محاصرتهم سنة اثنين
 وخمسين وانفصل عنهم أسوأ انفصال ، فارتحل عبد المؤمن من باجة
ونزل على طبرية وأعاد اليهم الترغيب والترهيب فلم يقبلوا فارتحل
الى تونس وكان نزوله عليها يوم السبت العاشر من جمادى الاولى
من السنة المذكورة واتصلت الاخوية من الحنايا الى حلق الوادى
وعاين أهل تونس أمرا عظيما وأيقنوا بالهلاك وأقام العسكر ثلاثة
أيام لا يقاتلون فنزل الى عبد المؤمن أشياخ لطلب السلم من أهل
تونس منهم بنو عبد السيد : عمر ومعاوية وعبد السيد ومنهم ابنا
منصور بن اسماعيل وابن عمه عتيق ، ومنهم الخارجى محمد وحمزة
ابن حمزة وعبد العزيز القمودى (١) وغيرهم وكانوا اثنى عشر رجلا
فوصلوا الى عبد المؤمن فطلبوا العفو منه فأسعفوا (٢) به بعد مكابدة
شديدة وامتناع عظيم من عبد المؤمن

ولما عفا عن أهل تونس اشترط مسالتهم فى أنفسهم ومشاطرتهم
فى رباعهم وأموالهم كلها للمخزن ما عدا ملبوس رقابهم وغير أهل

(١) فى بعض النسخ « العمورى »

(٢) فى بعض النسخ « فاستعفوا »

تونس من قراها وسائر بلادها يشاطرون في أموالهم ، وكذلك صاحب تونس علي بن احمد بن خراسان الا أنه اشترط عليه الخروج من تونس والانتقال الى بجاية فوقع الشرط على ذلك وتسلم عبد المؤمن منه تونس وخرج ابن خراسان منها من يومه فمات في الطريق

وأقام عبد المؤمن بعد الفتح ثلاثة أيام ثم ارتحل الى المهدية وخلف بتونس أبا محمد عبد السلام الكومى ومعه أشياخ من الموحدين لاستخلاص الاموال من أهل تونس فوقع البحث عن أموالهم ودخلت دورهم فحمل جميع ما فيها وبيع ما أمكن بيعه من رباعهم وأملأهم وخرج الامناء الى سائر بلاد افريقية لمشاطرة الرعية في جميع ما بأيديهم حتى لم يبق من افريقية بقعة الا عنها ذلك

ومن تاريخ ابن شداد : « أن عبد المؤمن لما سار الى تونس بالجموع العظيمة كانوا يرون بالمزارع في الطرق الضيقة فلا يؤذون شيئا منها وكانت رسوان (١) هذا العسكر تمتد أميالا وكلهم يصلون الصلوات الخمس وراء امام واحد بتكبير واحدة ولا يتخلف أحد منهم كائنا من كان عن الصلاة وكانت مقدمة هذا العسكر اثني عشر ألفا قد كلفوا بحفر الابار في الطريق واستخراج المياه فكانوا يمتدون قبله بيومين فلا يأتى الا وقد هيئت له الفلات وملئت الاحواض بالمياه ولولا هذا التدبير لم يقدر على قطع هذه المسافة

(١) كذا في جميع النسخ

البعيدة بهذه الجيوش العظيمة ، وكان كلما مر بأرض فيها عرب
بادروا اليه فاستصحب أعيانهم معه وقد كانت وقعة سطيف أذلتهم
وكان أسطوله في البحر سبعين مركبا قوادها محمد بن عبد العزيز
ابن ميمون من البيت المشهور في قيادة البحر وابن الحراط وأبو
الحسن الشاطبي وغير هؤلاء ممن هو مثلهم في المعرفة والشهرة ، قال :
« وعرض عبد المؤمن الاسلام على من بتونس من اليهود والنصارى
فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل » .

ومن غير كلام ابن شداد : أن عبد الله بن عبد المؤمن لما فعل به أهل
تونس ما فعلوا حين نزل عليهم قبل هذا حلف أن يدخلها بالسيف
ويقتل جميع من تقع عينه عليه من أهلها ، فأمر الناس في هذه الحطرة أن
يدخلوا دورهم ولا يخرج احد منهم حتى يسمع النداء ليدخل عبد
الله الى البلد فدخلها وسيفه في يده فلم يلق الا شيخا قتله وانصرف
وقد برت يمينه

قال ابن شداد : « ثم توجه عبد المؤمن الى المهديّة فكان وصوله
اليها ضحوة يوم الاربعاء الثاني عشر لرجب وبها حينئذ ولادة ملوك
الافرنج وأبطالهم وقد أدخلوا زويلة فنزلها عبد المؤمن بمن حملته (١)
من خواصه ومن أهل الاسواق فعادت مدينة معمورة من يومها ،
واقبل الناس يقاتلون المهديّة مع الامام فلا يؤثر ذلك فيها لحصانتها
وضيق مأخذ القتال منها لان البحر دائر بأكثرها ، وكان الفرنج

(١) في بعض النسخ « بحمله »

يخرجون منها فينهبون أطراف العسكر فأمر عبد المؤمن ببناء سور بين عسكره والمدينة ينعمهم من الخروج وركب عبد المؤمن في قطعة من قطعه ومعه الحسن بن علي الذي أخرج منها وطاف بها من البحر ، فهاله أمرها وعلم أنها لا تفتح بقتال وليس لها الا مطاولة الحصار وتوقع الاقدار ، فتمادى حصاره لها ستة أشهر ، وقال عبد المؤمن للحسن : ما الذي أخرج هذا المعقل من يدك ؟ فقال له : أخرجه انقضاء الامد ، وعدم الثقة بأحد ، فصدقه عبد المؤمن واستحسن كلامه وكان الحسن فصيحاً معروفاً بذلك

ووصل من طاغية صقلية أسطول فيه مائة وخمسون مركباً غير الطرائد ، فحضر مقدمو (١) أسطول عبد المؤمن بين يديه فقالوا (٣) له : ان هذا الاسطول قد أقبل ولا يصل الا متفرقا بحكم النوء فلتأذن لنا في الخروج اليه فسكت عبد المؤمن فاغتموا سكوته وبادروا الى القطع فلوئوها بما احتاجوا اليه من العدد وخرجوا واصطفت عساكر المسلمين على الساحل ، قال الحاكي : كنت حاضرا وعبد المؤمن يبكي ويسجد في الارض ويقول : « اللهم لا تضع دعائم الاسلام ! ولما قرب أسطول الفرنج من دار الصناعة خرجت اليه من المهدية قطعة لتلقيه فبادر ابن ميمون الى أخذها ، وكان بعض أسطول الفرنج أيضا قد حط قلع له للدخول فأعجله أسطول المسلمين عن

(١) في بعض النسخ « مقدم »

(٣) في بعض النسخ « وقال »

الدخول واستولى على ثمانى قطع منه فاجتمع بقية الاسطول وولوا
منهزمين فسجد عبد المؤمن شكرا لله تعالى وفرق فى غزاة الاسطول
اثنى عشر الف دينار مؤمنية ، وأيس أهل المهدية من النصرة فنزل
فى أواخر ذى الحجة عشرة من فرسانهم فوقفوا بين يدى عبد المؤمن
وسألوه الامان لمن بها فى الانفس والاموال وأن يسمح لهم
بالخروج منها وكان قوتهم قد فنى فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام،
فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك وترددوا اليه أياما وقالوا
ما عسى المهدية وما فيها من الافرنج بالنسبة الى ملكك العظيم
وأمرك الكبير وان أنعمت علينا كنا ارقاءك فى بلادنا ، فرأى منهم
كمالا فى الاجسام وتؤدة فى الكلام فأعطاهم ما أرادوا وجهزهم
فى سفن الى بلادهم وكان الفصل ثانيا فلما قربوا الى صقلية هال
البحر عليهم فهلك أكثرهم

وتسلم عبد المؤمن المهدية وعاد اليها الاسلام فى يوم عاشوراء من
سنة خمس وخمسين ، ورغب الحسن الى الخليفة ليل ذلك ، وولى على
المهدية أبا عبد الله محمد بن فرج الكومى ، وأسكن الحسن زويلة
فأقام بها عشر سنين الى أن توفى عبد المؤمن وولى ابنه أبو يعقوب ،
فوصل أمره بطلوع الحسن الى المغرب فطلع بأهله وولده وحاشيته
وذلك فى سنة ست وستين ، فلما وصل الى الموضع المعروف بتامسنا توفى

هنالك بقعة تعرف بـ ثأبار زلوا (١) وقبره هنالك وكانت وفاته في شهر رجب من العام المذكور

ثم توفي أبو يعقوب وولى ابنه المنصور أبو يوسف ، فثار عليه بالمهدية محمد بن عبد الكريم الرجراجي (٢) وقبض على واليها اذ ذاك الشيخ أبو علي يونس ابن الشيخ أبي حفص وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وكان محمد بن عبد الكريم هذا ممن نشأ بها وكان أبوه من جندها الساكنين بها المترتين (٣) فيها وهو مضاف الى قبيلة كومية ، وكانت لمحمد هذا شجاعة وبسالة ظهرت له في مواطن كثيرة مع الاعراب وغيرهم ، وكان قد جمع لنفسه خيلا ورجالا من الرعايا يضرب بهم على الاعراب المنفسدة فيكف ضررهم واعتداءهم ، وعلم اقدامه وغناؤه فقدمه الوالى على ذلك واطلق يده فيمن عند منهم عن الامر ، فكان يقبض عليهم فيقتل منهم من يقتل ويحبس من يحبس ولا يطلق من حبسه الا بعد دفعه الاموال الكثيرة واعطائه العهود والمواثيق على الكف عن العناد والفساد ، فكانت العرب تهابه ولا تنتجع أرضا من أرضه الا باذنه فبعد صيته بذلك وسأ ذكره وحصل الامن به في تلك الجهات فكان يدعى له في المساجد وفي عقب الصلوات

(١) في بعض النسخ « ابان زلوا » راجع كتاب العبر لابن خلدون (طبع الجزائر) ج ١ ص ٢١٠

(وطبع بولاق) ج ٦ ص ١٦٢

(٢) في بعض النسخ بزيادة « واستبد بنفسه »

(٣) في بعض النسخ « المرتقين »

واتفق أن قدم الشيخ أبو سعيد ابن الشيخ أبي حفص على إفريقية من قبل المنصور فولى على المهدية أخاه أبا علي يونس بن أبي حفص فلما وصل إليها واطلع على حال ابن عبد الكريم بها طالبه بأسهامه فيما يغنمه من أموال الأعراب المفسدين فامتنع ابن عبد الكريم من ذلك وطلب من الشيخ أبي علي أن يجريه على ما أجراد عليه الولاية من قبله فقبض الشيخ أبو علي عليه وأهانته وامتنعنه فبعث ابن عبد الكريم إلى أخيه الشيخ أبي سعيد يستشفع به فأعرض الشيخ أبو سعيد عنه ، واتفق بآثر ذلك أن عظم افساد العرب بالساحل وكثر التشكى منهم ، فألح الناس على الشيخ أبي علي في اطلاق ابن عبد الكريم وكادت تقوم بسبب ذلك فتنة فاضطر إلى اطلاقه ورد إليه جنده الذين كانوا متميزين بصحبته ، وأمره بالخروج لكف أولئك العربان عن الفساد فاغتنم ابن عبد الكريم ذلك وخرج عن المهدية مبادرا وضرب أخيته بظاهرها وأقام هنالك يومين إلى أن اجتمع لديه أصحابه فشكا اليهم ما فعله الشيخ أبو علي به وعرفهم أنه عازم على القدر به ان وقعت منهم موافقة له ، فأجابوه إلى ذلك وصوبوا له رأيه فنهض بهم في ثلث الليل الأخير إلى المهدية فلما فتح بابها دخل إليها بمن أحب من جنده وأمر باغلاق الباب ثم بادر إلى قصر الشيخ أبي علي وكان ابن عبد الكريم متلثما فانكره البواب وأغلق باب القصر فحصر عن وجهه فعرفه ففتح له الباب وفر هاربا فدخل ابن عبد الكريم وجماعته إلى القصر ، وسمع الشيخ أبو علي

أصواتهم فخرج الى رجة القصر عاريا من السلاح وقبض ابن عبد
الكريم عليه وإحب قتله فتشفع فيه بعض أصحابه فاستحياء وثقفه
فى موضع من القصر وذلك فى شهر شعبان من سنة خمس وتسعين
المذكورة ، فلم يزل هنالك الى أن وصل قداؤه من قبل أخيه الشيخ
أبى سعيد بن أبى حفص على يدى محمد بن عبد السلام الكومى
وذلك خمسمائة دينار ذهباً ، فأطلقه ابن عبد الكريم بعد امتناع وإباء
وانما أطلقه بشفاعة ابن عبد السلام المذكور وكان صهرا لابن
عبد الكريم

ووصل الشيخ أبو على لآخيه الشيخ أبى سعيد بتونس فزجره
وهجره ولم يزل غاضبا عليه مدة من زمان ، واستبد ابن عبد الكريم
بحصن المهدية وتسمى من الاسماء السلطانية « بالمتوكل على الله ،
وكانت الكتب تنفذ عنه بذلك وقوى أمره ، ووصل الى تونس
السيد أبو زيد ابن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن واليا ، فعزم ابن
عبد الكريم على محاصرته فحشد جموعه ووصل الى تونس وذلك
فى سنة ست وتسعين ، وكان الشيخ أبو سعيد اذ ذاك بها معزولا فدار
ابن عبد الكريم بعسكره الى جهة قرطاجنة ف ضرب أخيته وخيامه
عند مدخل البحر الى البحيرة وهو المكان المعروف بحلق الوادى ،
فأمر السيد أبو زيد عند ذلك بتسيير القطع فى البحر وخروج
العسكر فى البر ، وكان ابن عبد الكريم قد أكنن للجيش كميناً فى
بعض المواضع فلما وصل عسكر تونس ووقع القتال بينه وبين ابن

عبد الكريم خرج ذلك الكمين فولى العسكر منهزما وقتلت منه مقتلة عظيمة ولم ينج منه الا القليل وترامى منه جماعة فى البحر فقتلوا هنالك وانبسطت جموع ابن عبد الكريم فى تلك الجهات فأخذوا من المرسى المعروفة (١) بمرسى البرج أموالا كانت للناس هنالك وأمتعة ، وانتهبوا من تلك القرى ما قدروا عليه

وبعث السيد أبو زيد والشيخ أبو سعيد الى ابن عبد الكريم أشياخا من الموحدين يعيرون عليه فعله ويذكرونه انتماؤه الى الموحدين ويسألونهم الرجوع عنهم فأجاب الى ذلك ورجع الى المهديّة فأقام بها أشهرا ، ثم حدثته نفسه بحصار يحيى بن اسحاق الميورقى وهو اذ ذاك بقابس وقد حدثت بينهما وحشة ، فخلف على المهديّة ابنه عبد الله وتوجه الى قابس فلما أشرف عليها هاله أمرها وعلم أن لا طاقة له بها فارتحل عنها الى قفصة وحكم عليها ، وعند استقراره بها وصل اليه الخبر أن الميورقى خرج من قابس فى أتباعه فخرج ابن عبد الكريم بجيوشه من قفصة ونزل بقصور لالة ووصل اليه الميورقى فالتقيا هنالك فكانت الهزيمة على ابن عبد الكريم وولى هاربا لا يلوى على شىء الى أن حصل بالمهديّة ، وتسرب اليه من سلم من جنده فحصلوا بها واحتوى يحيى على أخيته وجميع أمواله وأتبعه الى المهديّة فنزل عليها محاصرا له وذلك فى أول سنة سبع وتسعين

وكان من دهاء الميورقي أن بعث الى السيد أبي زيد بتونس يسأله
السلم ويطلب منه في أثناء كتابه الاغانة بقطع في البحر يتمكن بها
من ابن عبد الكريم وكان السيد أبو زيد حقد على ابن عبد الكريم ،
فأجابه الى ذلك وبعث اليه قطعتين فلما رآهما ابن عبد الكريم سقط
في يده فأجمع على توجيه ابنه عبد الله الى الميورقي ليصلحه على
تسليم المهدية اليه ويشترط المسألة في أهله ونفسه وماله فأجابه الى
ذلك ، وزجع عبد الله فأخرج أباه من المهدية وتوجه الى يحيى للسلام
عليه فلما وقعت عينه عليهما أمر بهما فصرفا الى خيمتين ثقتا بهما
متفرقين وحصل يحيى بحصن المهدية واستولى على ما كان لابن
عبد الكريم بها من الذخائر السنية ، ثم أدخله هو وولده الى المهدية
فتقفهما في بعض سجونها فلما كان بعد أيام يسيرة أخرج الاب من
السجن ميتا لا أثر به فسلم الى أهله فدفنوه بقصر قراضة وبقي ابنه
عبد الله يتوقع الموت كل ساعة الى أن أخرجه يحيى وأظهر نفيه الى
جزيرة ميورقة ليكون هنالك تحت نظر أخيه فعمر له قطعة توجه
فيها فلما حاذى أرباب السفينة به القل بمقربة من قسنطينة ألقوه
بقيده في البحر فانقضى أمر ابن عبد الكريم وولده

وحصلت المهدية للميورقي ولم يبق له بافريقية منازع وحصلت تحت
بيعته طرابلس ، وقابس ، وصفاقس ، وبلاذ الجريد كلها ، والقيروان ،
وتبسة ، ووصلت بيعته بونة فبنى على محاصرة تونس ، وكان نزوله

على تونس يوم السبت من الشهر المذكور فنزل بالجبل الأحمر من
جهة جوفها وأقام هنالك أياماً ثم انتقل منه فنزل بين بابي السويقة
وقرطاجنة ونزل أخوه الغازي بن اسحاق على الموضع المعروف
بحلق الوادي حيث يصب البحر في البحيرة فردمه ردماً حتى صار
أرضاً يساً وقطع تصرف القوارب الداخلة اليه والخارجة عنه ، وترك
عليه من يحرسه ، وتوجه فنزل بقلي المدينة بمقربة من باب الجزيرة
وردم الخندق الذي هنالك ردماً ونصب امام الباب مجانيق وآلات
من آلات الحرب وأقام محاصراً لها كذلك أكثر من أربعة أشهر
فلما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الآخر من سنة
ستمائة استولى على البلد وقبض على السيد أبي زيد وولديه وجماعة
من أشياخ الموحدين فتقفوا بدار بنيت لهم بداخل القصبية وجعل
عليهم من يحرسهم ، وأمن أهل تونس في أنفسهم ورباعهم ، وأغرمهم
مائة ألف دينار ، ذكر أنها هي التي لزمته في النفقة عليها ، قسطها أهل
تونس على أنفسهم بحسب أحوالهم وسعة أموالهم ، وجعل قابضاً
عليها أبا بكر بن عبد العزيز بن السكاك من أهلها ، ولحقهم في
استخلاصها من العناء والشدة على يد ابن عصفور ثقة الميورقي
وكاتبه ما أدى إلى قتل جماعة منهم أنفسهم ورأوا ذلك أرواح لهم ،
ومن جملتهم عبد الرافع المقدم على قبض مال المخزن وغيره من
الناس ، ولما علم الميورقي بهذا أمر برفع الطلب عن أهل تونس

فيما بقي قبلهم من مال المغرم وذلك خمسة عشر ألف دينار ، وعامل
الناس بالاحسان ، ونادى فيهم بالامان ، وقد وقفت له على ظهير
بصرف بعض أملاك بنى التجانى عليهم مما تطرق اليه النزول حين
دخوله وقبل ذلك وتاريخه الثامن لذي قعدة من سنة ستمائة

وفى أثناء ذلك بلغه عن أهل جبل نفوسة توقف عن أداء مغرمهم ،
فخرج بنفسه اليهم واستصحب معه السيد أبا زيد وولديه يرحلون
برحيله وينزلون بنزوله الى أن استوفى من أهل نفوسة مغرمهم
وعاد الى تونس واستقر بقصبتها ، واتصل بالناصر ما دهم افريقية
منه ومن ابن عبد الكريم قبله ، فانتفض (١) لذلك وأخذ فى الحركة
اليها وكانت الاخبار ترد على الميورقى بحركته فيدفعها الى ان
وصل رجاله فأخبروه بوصول الناصر الى بجاية ، فوجه حينئذ ذخائره
وأمواله الى المهدية لتكون تحت خياطة ابن عمه على بن الغازى ،
وخرج من تونس فوصل الى القيروان وأقام بها أياما ثم انتقل منها
الى قفصة فاجتمع بالعربان هنالك وأخذ مواليقهم ورهائهم على
الخدمة معه

وبلغه فى خلال ذلك أيضا عن أهل طرة من بلاد نفزاوة ما أوجب
أن ارتحل اليها فأطلق أيدي الجند عليها فقتلوا كثيرا من أهلها
وانتهبوا أموالهم وأطلقوا النار فى بعض دورهم ، وقد أشرنا الى
ذلك قبل هذا ثم انتقل الى حمة (٢) مطماطة ووصله الخبر أن الناصر

(١) فى بعض النسخ « فانتفض » وفى بعضها « فانتفض »

(٢) فى بعض النسخ « حامة »

نكب عن طريق تونس وأخذ على طريق قفصة في اتباعه ، فانتقل الى جبل دمر متحصنا به ، ووصل الناصر الى قفصة فأقام بها أياما ، ثم توجه الى قابس مستفهما عن أخبار يحيى فعرف بانتقاله الى جبل دمر فولى على قابس بعض ولاته وتوجه الى المهدية فبرز (١) عليها بجموعه ونصب عليها آلات الحرب ، وقدم في أثناء ذلك الشيخ المقدس أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص لقتال الميورقي ، فتوجه الشيخ أبو محمد بجيش ضخم اليه فأحب يحيى الفرار من الجبل الى الصحراء فشجعه أصحابه وحرضوه على الثبوت له فالتقيا ، فكانت للشيخ أبي محمد عليه الواقعة المعروفة بوقعة تاجرا وقد تقدم ذكرها قبل هذا ، وقد استأصل فيها كثيرا من أجناد يحيى وأجلت الحرب عن قتل أخيه جيارة وكاتبه علي بن اللطفي وعامل يقال له الفتح بن محمد ، وفر يحيى في شردمة قليلة ، وكان قد قدم عياله وأهله على نحو خمسة فراسخ من المعركة فلما فر أخذهم بين يديه ولولا ذلك لسبوا ، واستنقذ الشيخ أبو محمد من يده السيد أبا زيد حيا بعد أن ضربه الموكل به بسيفه ضربات قصد به قتله فاعجل (٢) عن الاجهاز عليه واستنقذ أيضا جماعة من الموحدين سواد كانوا في يده وأخذ رايته السوداء ، وأحاط الموحدون بجميع ما في العسكر من الاموال والابل فانتهبوها ، ورجع الشيخ أبو محمد بجميع ذلك الى

(١) في بعض النسخ : فبرز .

(٢) في بعض النسخ : اعجز .

الناصر وهو محاصر للمهدية فأركب الامين الموكل بثقاف الشيخ أبي زيد على جمل سام شهرة له ويده الراية السوداء فطيف به على المهدية وكانت الهزيمة في الثاني عشر لشهر ربيع الاول سنة اثنين وستمائة ورفع حمادى الملقى المشهور بالابداع فى قطع الكاغط (١) هذين البيتين مقطوعين فى الكاغط (١) (وافر)

رأى يحيى إمام الحق ياتى فقرّ أمام من وافى إليه
فشبهت الشقي ياء يفري (٢) ولام الأمر قد دخلت عليه

وكمل التبريز بالفنائم على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك مكذبون بهزيمة يحيى مفحشين فى السب وألح الناصر فى قتالهم وجمع المجانيق على جهة واحدة فى السور (٣) حتى كثر القتل والجراحات فيهم وتحققوا انهزام يحيى فسقط فى أيديهم وطلبوا الامان فأسعفوا به ونزل على بن الغازى وأتباعه وشيعته على أن يخلى سبيلهم ويسلموا البلد ويكونوا فى أمان الموحدين الى أن يصلوا الى يحيى حيث كان ، وكان ذلك فى السابع والعشرين من جمادى الاولى فكان بين هزيمة تاجرا وفتح المهدية أربعة وسبعون يوما

(١) فى بعض النسخ « الكاغط » وفى بعضها « الكاغيط » وفى بعضها « الكاغذ »

(٢) فى بعض النسخ « يفري » وفى بعضها « يقرى »

(٣) فى بعض النسخ « الصور »

وخرج على بن الغازي عن المهدية بجملته وحاشيته فضرب أخيته
بقصر قراضة فبات هناك تلك الليلة ثم دعت نفسه إلى الدخول (١)
تحت طاعة الموحدين فبعث إلى الناصر يعرفه بذلك ويقول الآن
أطعت بعد أن صرت في حكم نفسي ، فاستحسن الناصر ذلك منه
واستدعاه وأحسن إليه وأنزله عنده ، ووافق ذلك وصول مملوك
الناصر ناصح صاحب ديوان سبته بالهدايا العظيمة التي جمعها في
المدة الطويلة وكان فيها ثوبان قد نسجا بأنواع الجواهر وجعلت
فيها أعلام من اليواقيت والاحجار النفيسة ، فأمر الناصر بحمل جميع
الهدية إلى علي بن الغازي فبات ناصح عن أثر ذلك كمدا وترك
ابن كالبدرين (٢) قال فيها أبو الحسن بن حجرى (٣) الاشيلي :
(رمل)

ناصر قد كان عبداً ناصحاً في جميع (٤) الأمر حتى في البنين
لم يلد إلا هلالاً نـيرا فأتينا حيث بدا للنـاظرين
وأقام على بن الغازي مع الناصر إلى أن توجه إلى تونس فتوجه
صحبه ثم طلع معه إلى مراکش وتحرك الموحدون إلى الغزو لجزيرة
الاندلس فتحرك معهم فاستشهد بها مع من استشهد من الموحدين
رحمهم الله تعالى

(١) في بعض النسخ « بالدخول »

(٢) في بعض النسخ « كالبدر »

(٣) في بعض النسخ « جدر »

(٤) في بعض النسخ بياض وفي بعضها « في امر ... » وفي بعضها « في جميع الامور »

وعفا الناصر عن جميع من كان بالمهدية من المقاتلين وغيرهم واشتغل برم سورها ، وترتيب أمورها ، ثم ترك الشيخ أبا عبد الله محمد بن يغمور الهنتاتي واليا عليها من قبله وكان انتقاله عنها في الموفى عشرين لجمادى الاخرى سنة اثنين

ونفذت كتب الفتح الى المغرب والاندلس من منزل أبي نصر في الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، واستقر بتونس في غرة رجب فأقام بها بقية العام المذكور وأكثر عام ثلاثة وستمئة بعده ولما كان شهر رمضان منه أشاع الحركة الى المغرب وتحدث مع أشياخه ومدبري دولته فيمن يترك بافريقية فأجمعوا على الشيخ أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص ولم يختلف في ذلك اثنان (١) وكانهم (٢) أرادوا بعده عن الخلافة ليجدوا السبيل الى أغراضهم فأمر الناصر بعض خدامه في الحديث معه في ذلك استحياء من مواجهته (٣) به فامتنع ولم تسمح نفسه بمفارقة وطنه ، ففاوضه الناصر في ذلك بنفسه فاعتذر له ببعد الشقة عن خلفه بمراكش من أهل وولد وبما يستلزم ذلك من مفارقة الخليفة والبعد عنه ، ونظر الناصر فلم يجد عوضا عنه ولم يرد اكرامه على المقام فحكى نبيل مملوك الشيخ أبي محمد رحمه الله قال : بينما انا جالس على خباء الشيخ ليلة اذ بضوء قد خرج من مضارب الخليفة فاذا بشرذمة من الخدم والفتيان

(١) في بعض النسخ « الا اثنان »

(٢) في بعض النسخ « لانهم »

(٣) في بعض النسخ « وجأهته »

قد قصدوا نحو خباء الشيخ، قال: فعرفته بذلك، قال: اذا وصلوا فافتح لهم، فلما وصلوا فتحت لهم فدخل ولد الخليفة الناصر ومعه ولد الشيخ أبى محمد من ابنة المنصور وهو المعروف بالسيد أبى الحسن، وكان الناصر خاله قد ربا مع ولد يوسف المستنصرولى عهد واختصه كولد فوجهة مع ولد ليقرر أنه بمنزلة الولد ومعهما سالم الفتى مربى الناصر وفتيان آخرون سواد فقام الشيخ أبو محمد لولد الناصر وأجلسه معه وقال له: ما حاجتك أيها الطالب ولو كان عندى غير نعمتكم لقابلتك (١) به فقال له الفتان كرامته قضاء حاجته فقال نعم حاجته مقضية فقال له الولد: ان مولانا وسيدنا يخصك بالسلام ويقول لك هذه البلاد هى من أول هذا الامر العزيز مع هؤلاء، الثوار فى أمر عظيم، وتحت ليل بهيم، وقد وصل اليها سيدنا عبد المؤمن وسيدنا أبو يعقوب وسيدنا المنصور وما منهم الا من انفق عليها أموالا، وأفنى فى الحركة اليها رجالا، والمشقة شديدة، والمشقة بعيدة، وما عاد واحد منهم الى حضرة الا وعاد الويل، وأظلم ذلك الليل، وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها كذلك يجب عليك، وقد طلبنا فى جميع اخوانك السادة وأعيان أهل الجماعة من ينوب عنا فى هذه البلاد فلم نجد عنك معدلا (٢) فانحصر الامر الينا واليك، فاما أن تطلع الى حضرة مراکش فتقوم

(١) فى بعض النسخ « لقابلتكم »

(٢) فى بعض النسخ « ومعدلا »

هنالك مقامنا وتقيم نحن بهذه البلاد ، أو نطلع نحن الى حضرتنا ، فقال الشيخ : يا بنى أما القسم الاول فهو مما لا يمكن وأما القسم الثانى فأجبت اليه على شروط ، فسر الولد بذلك وقبل يده وقبل الشيخ أبو محمد رأسه وانفصلوا وكأنما كان عندهم تلك الليلة فتح جديد بالسرور الذى عندهم ، والطمأنينة مما كان أهمهم

ثم خلا الناصر به مستفهما عن شروطه فاشترط أن لا يتولى افريقية الا بقدر ما تصلح أحوالها وينقطع طمع الميورقى عنها ويتخير الناصر فى رجاله من يوجهه عوضا عنه وجعل النهاية فى ذلك ثلاث سنين ، وأنه يعرض عليه الجيش فيبقى معه من يقع اختياره عليه ، وأنه أن فعل فعلا كائنا ما كان لا يسأل عنه ولا يعاتب فيه ، وأن من بقى بعد انفصال الناصر واليا على بلد من بلاد افريقية فهو فيه بخير النظرين ان شاء ابقاه وان شاء عزله ، وغير هذه الشروط والناصر مقبل عليه قابل لشروطه ، وبعد تقرر ذلك خرج الناصر متوجها الى المغرب وذلك فى السابع من شوال ، وصحبه الشيخ أبو محمد ثلاثة ايام رحل معه فيها الى باجة

وكان أهل تونس عند خروج الناصر قد وقفوا ورفعوا أصواتهم بين يديه مشفقين من الميورقى وخائفين أن يصل اليهم بعد انفصال الخليفة عنهم ، فاستدعى الناصر وجوهم وقربهم منه وكلهم بنفسه فقال انا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو فلان ، فتباشر الناس بولاية الشيخ أبى محمد اذ كان

لا يكاد يسمع له كلام ما دام راكبا الى أن ينزل وكان يلقب بالصامت ، ورجع الشيخ أبو محمد من باجة الى تبونس واليا على جميع بلاد افريقية ، وكان أول جلوسه للناس في القصبة يوم السبت العاشر من شوال من السنة المذكورة وهي سنة ثلاث وستمائة ، وبقي ابن يغمور حافظا بالمهدية الى أن عزل عنها بعد ذلك وتوالت عليها حفاظ من الموحدين

وولى الامير أبو زكرياء رحمه الله عليها (١) ابن عمه أبا علي عمر ابن عيسى ابن الشيخ أبي حفص وذلك في شهر رجب من سنة ثمان وثلاثين ، فبقى واليا عليها الى أن توفي بها في الثاني عشر لصفر من سنة ست وأربعين ، وكان أبو علي هذا واليا على بسطة فلما دعا أبو العلاء لنفسه وكتب الى ولاية البلاد بالدخول تحت طاعته امتنع أبو علي من ذلك وقال : أنا لا أباع حتى أرى ما يكون من الامام براكش وكتب لابى العلاء في جواب كتابه قوله سبحانه : قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة ، فلما ثبت عنده موت عبد الواحد المخلوع بايع أبا العلاء وتوجه اليه الى اشيلية فدخل عليه وقبل يده وكان أبو زيد بن يوجاق (٢) حاضرا فجعل يثنى عليه وكان في جملة ما أثنى عليه أن قال : وهو حافظ للقرآن ففهمها أبو العلاء (٣) وقال : وإخاله لسورة

(١) وقعت هنا زيادة « باخوة » في بعض النسخ

(٢) في بعض « يوجان »

(٣) في بعض النسخ « العادل » وفي بعضها « العامل »

المفصل احفظ منه لغيرها ، ولم يضره ذلك عنده بل ولاه جيان التي بسطة من أعمالها

ولما عزم أبو العلاء على تسليم جيان للنصارى وكتب بذلك الى أبي على تورع أبو على أن يفعل ذلك وجمع أهل البلد فقال لهم شأنكم وبلدكم فاني لا أخرجكم من يدكم لاحد من أعداء الملة ولا من أعدائكم ، فأخبروه أن ارادتهم مبايعة ابن هود فبايعه معهم ثم ارتحل اليه بنفسه فأعظم قدومه ولم يزل عنده تحت بر واکرام الى أن ركب البحر الى افريقية ، فولاه الامير أبو زكرياء على بجاية ثم نقله منها الى بونة ثم الى المهديّة كما تقدم ، وهو شاعر مجيد وقفت على ديوان شعره في مجلدين (١) ومنه قوله - وبعثه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم من اشبيلية - : (منسرح)

إليك ألقى بمذر محتشم مرتحل القلب ساكن القسدم
أصبح من قصده على أمل ومن لظى شوقه على ألم
يتبع ركب الهدى إليك أسى ما شاء من جبرة ومن ندم
برح (٢) شوق به إليك فما ينفك ما لم يزرك في خسرم
ألوى به عن بلوغ نيته حاكم زمان عليه محتكم
فرمة تلتوي على عقب وهمة ترتمي إلى أمم

(١) في بعض النسخ ، في مجلد .

(٢) في بعض النسخ ، يروح .

يا خير من تنقل المطي له عذري في اللبث غير متهم
عبدك لو يستطيع جاب اليك القفر في غيب من الظلم
يمسح ما بين حمص منه إلى يشرب برًا بوجهه وفم
ولي ذنوب قد عُنَّني ثقلًا لولا أذى ثقلهن لم أقيم
يرجوك يا شافع البرية ان تشفع فيه لبارئ النسم
عسى قبول لديك يلحقني بقبرك المستنير والحرم
وصاحبك اللذين خصهما بنعمة القرب منك ذو النعم
فقد توسلت بالذي لك عند الله من عرفة ومن عظم
صلى عليك الإله ما اتصفت اوصافه بالجلال والكرم
قال ابن البار في الحلة السراء : وكتب الى مع تمر أهداه : (طويل)
اتتك خليقات بحسن الخلائق بها غنية عن كل ما في الحقائق
سليات جبار حكت وسط دوحه خوافق بالمران بين القيالق
وله في صواب أهدى اليه وألغز في وصفه من أبيات : (مقارب)
بشت بما يشتهى يابن غم فدمت ودامت لديك النعم
بابيض كالمحض لكنه به شدة تستثير القهرم
لسطوته سؤرة بالأنوف وليس - لمرك - مما يشم

شفاء ولكن نِعِمَّا (١) الشفا لمن ظلل يشكو بداء البشم
وقد يجتزي الجفلى باليسير منه وإمكن لأمر يذم
ووقع له فى قصيدة مدح بها ابن عمه الامير أباز كريات : (سريع)
وانّ من أقبح شيء يرى عقيمة يملكها وغد
او حلة تلبسها عادة وجيبها فى صدرها لبند
فكان الامير أبو زكرياء وشعراؤه يتضحكون بهذا ، وينسب كثير
من الناس له هذين البيتين : (سريع)

بكفيك يا معتقل السميري ما نالنا من طرفك الأخور
ان كنت من جندك فى قيدة فأت من لحظك فى عسكر
وانما هما لآخيه عبد الرحمن بن عيسى وقد ذكرناه وأخاه فى
كتاب الدر النظيم بأتم من هذا
وفضلاء المهديّة وشعراؤها كثيرون لو أخذنا فى استقصائهم
لطال الكتاب بهم

وفى انموذج ابن رشيق منهم من له البدائع كعبد الله بن ابراهيم
ابن مثنى ، وعلى بن عبد الكريم بن أبى غالب ، ومحمد بن حبيب ،
ولابن رشيق كتاب «الروضة الموشية» فى شعراء المهديّة، ذكر فيها من
يطول تعدادهم ، ولعثمان بن أبى القاسم بن عبد الرحمن بن

(١) فى جميع النسخ « نعم »

حشرون (١) المهدوى كتاب ، المختار فيما انتقاء لاهل عصره من الاشعار ، وفى كتاب ، خريدة القصر ، لعماد الدين أيضا جماعة من أهل المهدية وتتبعهم يخرجنا عن مقصود كتابنا هذا ، ولا بأس بذكر من أمكن منهم ممن أدر كناه بعصرنا أو أدر كه شيوخنا . وكفى بالمهدية فخرا بعالميتها وصالحيتها أبو القاسم بن على بن عبد العزيز بن البراء التنوخى ، وأبو عبد الله محمد بن على بن ابراهيم بن الحجاز اللواتى

أما أبو القاسم منهما فكان مولده بها فى حدود الثمانين وخسمائة ، وكان رحمه الله أحد العلماء الاعلام الحفاظ المكارين فى أنواع العلوم ، وكان فى أول أمره زاهدا فى الدنيا وأبنائها ، معرضا عن ملوكها وأمرائها ، ثم جرت محن له آلت به الى مراجعة ما كان معرضا عنه ، فحين أقبل عليها أقبلت عليه وانتهت اليه بالحضرة رئاسة العلم ورئاسة القرب من السلطان ، وكانت وفاته بها فى يوم الخميس العاشر من شوال سنة سبع وسبعين ، وقد كان ارتحل الى المشرق سنة اثنين وعشرين فسمع بالحرمين الشريفين وبالقاهرة ومصر والاسكندرية من جماعة يطول تعدادهم ، وقد ذكرهم فى جزء خاص بهم ، ولم أقف له على شعر الا على قوله - وقد ضربت اجزاء الدنانير العشارية والحماسية فى عام ثلاثة وسبعين : (طويل)

(١) فى بعض النسخ « عشرون » وفى بعضها « بشرون »

بدا الذهب الابريز من كف ماجد سما بالمعالي والكبير كبير
امام ترى الاملاك يصفر قدرها اذا ذكرته والصغير صغير
وتحتقر الدنيا باجمعها لدى ندى راحته والحقير حقير
لقد جل قدراً ملكه واعتلاؤه فليس يضاهي والخطير خطير
واما ابر عبد الله فكان من اجل اهل زمانه ديناً وعلماً وفضلاً ، ولد
بالمهدية سنة ستمائة وتفقه بها على ابي زكرياء البرقي (١) وارتحل
الى المشرق فأخذ به عن جماعة يطول تعدادهم وحج وتوجه الى
بغداد فقرأ بها « الحاصل » على مؤلفه تاج الدين ابي عبد الله محمد بن
الحسين الارموي (٢) وآب الى حجة ، بعلوم حجة (٣) فدرس وأفتى ثم
نقل الى الحضرة ، فتقلد قضاء الجماعة بها سنة ستين ثم صرف عنه في
شهر رمضان من سنة اثنين وستين ثم رد عليه في السابع عشر لذي
قعدة في سنة سبع وستين ، وكانت وفاته رحمه الله ببلده في السابع
والعشرين لجمادى الاخرى من سنة ثلاثة وثمانين ، وولده ابو
القاسم صاحبنا سري (٤) النفس على الهمة حسن الاخلاق وهو الان
بالحضرة مخطط بخطة العلامة الصغرى وله شعر ضعيف أنشدني
لنفسه يتغزل : (طويل)

(١) في بعض النسخ « البوني »
(٢) هو الحامل من الحصول في الاصول للقاضي تاج الدين محمد الارموي المتوفى سنة ٦٥٦
راجع كشف الظنون (طبع ليدن) ج ٥ ص ٤٢٤
(٣) في بعض « يعلم جم »
(٤) في بعض النسخ « طيب »

تَبَدَّتْ فَقَالَ الْقَوْمُ قَدْ طَلَعَ الْبَدْرُ مَهَابَةً (١) بِقَتْلِ الْعَاشِقِينَ لَهَا خُبْرُ
سَرَتْ فَأَسْرَتْ فِي فَوَادٍ مَجَبَّهَا سَرَائِرُ وَجَدِ يَسْتَبِينَ بِهَا السَّرُّ
وَأَحْيَتْهُ إِذْ حَيَّتْ وَمُنَّتْ بِأَسْنِهَا لِنَفْسٍ كُتِبَ كَادُ يُتْلِفُهُ الْهَجْرُ
لَهَا اللَّهُ مِنْ فَتَانَةِ الْحُسْنِ طَرْفُهَا تَقَاصِرُ عَنْهُ النَّبْلُ وَالْبَيْضُ وَالسُّمُرُ
إِذَا مَا بَدَتْ طَاشَتْ عَقُولُ ذَوِي النَّهْيِ فَتُقْتَحَمُ الْبُلُوبُ وَيُسْتَعَذَّبُ الْمُرُ
فَكُمُ سَلَبَتْ لَنَا وَكُمُ وَلَهَتْ ظُنَا وَكُمُ فَعَلْتَ بِالْعَقْلِ مَا تَفْعَلُ الْحُمْرُ
وَكُمُ نَقَضْتَ عَهْدًا وَكُمُ عَقَدْتَ جَفَا وَكُمُ وَعَدْتَ لَكِنَّ شَيْتَهَا الْغَدْرُ
وَمَهْمَا شَكُوتِ الْحَبِّ قَالَتْ هُوَ الْهَوَى فَاوْلَهُ قَرَبٌ وَآخِرُهُ قَبْرُ

وَمِنْ شُعَرَاءِ الْمَهْدِيَةِ وَعِلْمَائِهَا الَّذِينَ حَدَّثَنَا أَشْيَاخُنَا عَنْهُمْ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَثْمَانَ الزَّنَاتِي الْمَعْرُوفُ بِالْحَنْفِيِّ، وَلَدَ بِهَا وَهُوَ مِنْ
أَعْيَانِهَا وَارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَدَرَسَ بِدِمَشْقَ مَدَّةً ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ
فَانْتَحَلَ مَذْهَبَ أَبِي حَنِيفَةَ وَاشْتَغَلَ بِهِ حَتَّى صَارَ إِمَامًا فِيهِ وَاشْتَهَرَ
بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ فَلَا يَعْرِفُ فِي أُفْرَيقَةِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ
الْعُصُورِ كُلِّهَا بِلَادُ أُفْرَيقَةِ حَنْفِيًّا غَيْرُهُ، وَلَمَّا عَادَ مِنَ الْمَشْرِقِ لَزِمَ
سُكْنَى الْمَنْسْتِيرِ الْمُتَعَبَّدَةِ الْمَشْهُورِ بِالنَّمِضِلِ تَحْتَ جَرَايَةِ مِنَ الْإِمِيرِ
أَبِي زَكْرِيَاءَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ إِذَا وَفَدَ عَلَى الْحَضْرَةِ اجْتَمَعَ بِالْإِمِيرِ أَبِي

(١) بَعْضُ النُّسَخِ « فَتَاة »

زكرياء وجلاسه . جدث عنه أشيأنا الفقيه أبو يحيى بن عبد الكريم
العوفى ، وأبو عبد الله محمد بن أبى القاسم القيسى الأزدي ، وأنشدنا
أبو عبد الله محمد القيسى المذكور قال : أنشدنى الحنفى لنفسه يذم
بلده ويصف أهلها بالبخل الأبيات المشهورة : (طويل)

إذا حل بالمهديّة الضيف نازلاً يروم القرى زفت إليه الكوامل
إذا حسروا عنها المناويل أنشدت وما السيف إلا غمده والحمائل

وبين هذين البيتين بيت أضربت عن ذكره (١)

وكان بالمهدية قاض ذبح قردا لاذايته فقال فيه ابن أبى الحواجب
المهدوى وهو أحد شعرائها نفاه الإمبر أبو زكرياء رحمه الله منها الى
المشرق : (منسرح)

غرائب الدهر قد كثرن ولا اغرب من حكم ذابح القردة
أحل ذبح القروء محتسباً وحرم الفضل بسما اعتمده

فقال الحنفى :

عاب عليه صنيعه نفر وما درى الجاهلون ما قصده
يذبح من كان شبه صورته لكي ترى في الوجود منفردة

(١) يوجد فى طرر بعض النسخ ما نصه « والبيت الذى اضرب عن ذكره هو قوله
صحاف حكى عن ام موسى فؤادها يغالط فيها حسه ويماطل
وانما اضرب عن ذكره لا فيه من التشبيه بالهدية ام موسى عليه السلام وخلط الجد بالهزل

وكانت وفاة الحنفى فى الثالث عشر لصفى من سنة خمس وخسين وستمائة

ومن شعرائها ورؤسائها المنسوبين الى بعض منازلها الكاتب الاديب أبو العباس أحمد بن ابراهيم القيسى اللليانى وهو منسوب الى قرية من قرى المهديّة تعرف بلليانة - بضم اللام الاولى وكسر الثانية - هكذا تعرف وكان أبوه مشغلا بأعمال المهديّة ونشأ أبو العباس نشأة طلب وأدب فتفقه بالمهديّة على البرقى وتأدب ثم نهض الى الحضرة ، فولى بها الاعمال الجليلة وساعدته الدنيا فبلغ من الرئاسة فيها الغاية القصوى وكان يحدث نفسه بأمر كبير يدل عليها قوله : (مجث)

فى أمّ رأسى حديث لسامع ليس يذكّر
فإن تطاول عمري وساعد الجّد يظهر
أرى جموعا صحاحا ومذهبي أن تكسر

وشاع فى كلام العامة : ويل للامة ، من سبع جمة فلما كان فى شهر المحرم من سنة تسع وخسين دخل أبو العباس أحمد بن ابراهيم الغسانى على الخليفة المستنصر وكان ذلك اليوم يوم مطر فقال السلطان مستدعيا للاجازة « اليوم يوم المطر ، أجزى يا أحمد فقال « واليوم رفع الضرر ، فتنبه السلطان لما سمع وقال : ايه ، فما بعد هذا ، فقال : (رجز)

والعام عام تسعة كمثل عام الجوهري

وكان القبض على الجوهري وقتله في عام تسعة وثلاثين فكانت هذه الاجازة سببا في القبض على الللياني ، وطولب بدفع الاموال وكان يدفعها شيئا فشيئا فلما استخلص ما عنده عذب الى أن مات وذلك كله في شهر المحرم من العام المذكور، ومن شعر الللياني قوله:

(كامل)

هذا المذيبُ وهذه نجدُ	أين الذي يقضي به الوجدُ
ما هكذا حال المحبِّ اذا	أعلام ربيع حبيبه تبدو
سرح دموع العين مبتدراً	وبذ كر ماضي عهدهم فاشدُ
والثَّم على شغف مواطئهم	ان عاق عن مقصودك البعدُ
لم أنس يوم وداعهم سحرأ	والدمع أسلم درّه العيقدُ
هز الصبا اغصاناً بانهم	فتعانقت وتواجد الرندُ
هذا المذيبُ بدت له عذبُ	في ظلها قد خيم المجدُ
لا يخفق المسعى إذا خفقت	أعلامها بل ينجح القصدُ
فغسى اللقاء يكون مقترنا	ان انجذت كلفاً بها نجدُ
ولعل ما نرجو تجود به	كف الزمان ويسعد الجدُ

وقوله (خفيف)

خَلِيَانِي يَا صَاحِبِي وَنَجْدَا هَجْتُمَا بِالْمَلَامِ شَوْقَا وَوَجْدَا
 فَلِنَجْدَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَدَّ مُسْتَجِدَّ مَا دَامَ رَبْعًا لِسُفْدِي
 لَا تَقُولُوا مَرَامَ سَعْدِي بَعِيدَ رَبِّ سَعْدٍ أَتَى فَقَرَّبَ بُعْدَا (١)
 أَهْلُ وَدِّي مَا حَلَّتْ عَنْ حِفْظِ عَهْدِي وَهَوَاكُمْ مَا غَيَّرَ النَّبَأُ عَهْدَا
 كَيْفَ انْسَى عَهْدًا كَرِيمًا وَأَنْسَا بَدَلًا لِي مِنْ خَالِصِ الْوَدِّ شَهْدَا
 ارْشَفَانِي مَا شَفَّنِي وَشَفَّانِي مِنْ بَرُودِ أَحْبَابٍ بِذَلِكَ وَرِدَا
 خَيْرَ عَيْشٍ مُصْقُولُ تِلْكَ اللَّيَالِي حَبَّاهُ مِنْ طَيِّبِ عَيْشٍ مُفَقَّدِي
 إِذْ يِعَاطِنِي الْمَدَامَةُ بِدَرٍ يُخْجِلُ الْبَدْرَ نَوْرُهُ إِنْ تَبَدَّدِي
 إِنِّ دِينِي وَمَذْهَبِي لِلتَّصَابِي لَا أَرَى غَيْرَهُ مَدَى الدَّهْرِ رُشْدَا
 فَاغْتَنِمْ رَاجِحًا مَسْرَّةَ يَوْمٍ وَلِتَبَادُرَ سِيرَ الزَّمَانِ مُجْدَا

وقوله : (مديد)

شَادَنَ فِي الْقَلْبِ مَرْتَعَهُ حَظَّهُ فِي الْحَسَنِ ابْدَعُهُ
 لَا مَنِّي فِيهِ أَخُو سَفْهِ بِمَلَامٍ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
 رَدَّ قَلْبِي لِي لَتَعْدِلَهُ فَهَوِيَ فِي كَفِّهِ أَجْمَعُهُ

(١) في نسخة « رب سيد لنا بقرب »

هل ترى دهرى يجوده بعد ما قد كان يمنعه
وشقيق النفس يتحفنى بحديث جلّ موقعه
لفظه در يساقطه ونطاق السمع يجمعه

وكتب اليه أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفسائى المقدم الذكر
عن نفسه وعن حضر مجلسه من اخوانه : (سريع)

ياسابق الناس الى غاية في ذيلها يعثر صوب الغمام
إخوانك الكتاب يرجون ان يلقى بكم شملهم ذا انتظام
فاطلع على الشرب فيهم انجم مرتقيات منك بدر التمام
وسرهم منك بسير المنى وزرهم عند اختلاط الظلام

فبعث اللليانى اليهم دنا وشما وكتب مع ذلك من نظمه :

دام لاخوانى بلوغ المنى في خفض عيش وحميد انتظام
وقرب الدهر لهم كل ما راموه من انس بغير انصرام
في لذة معسولة المجتنى وغبطة موصولة بالدوام
ما اشوق الصب الى انسكم واشغف اللب بذاك المقام
لكنه عاق الفتى عذره فالشيخ منه عوض والسلام

فراجع الفسائى بقوله :

قد اقبل الشيخ بعذر الفتى فتى المعالي والرئيس الهمام
وأمرتنا من سماء الندى يد له يضاء تجلو الظلام
لا زال يهدي لأودائه اسنى الايادي واجل النظام
ومن شعراء المهدي وفضلاتها الفقيه القاضى أبو عمرو عثمان بن
عتيق بن عثمان القيسى المعروف بابن عربية أحد العلماء الاعلام ،
كان حافظا للحديث مقدما فى علوم الادب مجتهدا من فحول الشعراء
وله تصانيف مفيدة منها كتاب « جوامع الكلم النبوية » ، على طريقة
الشهاب وكتاب « الزهرة » ، فى مسند العشرة ، وكتاب « آثار السحابة
فى أشعار الصحابة » ، وكتاب « سنن القوم » ، فى آداب الليلة واليوم ،
و « المستوفى » ، فى رفع أحاديث المستصفى ، وديوان نظمه المسمى
« بقصائد المدح » ، ومصائد المنح ، وغير ذلك من التواليف ، وكان
الامير أبو زكرياء رحمه الله استدعاء مع جماعة من خواصه وشعرائه
لتزهة فى رياضته المسمى (١) بأبى فهر فنظموا فى وصفه قصائد
ورفعوها الى الامير أبى زكرياء فأجابهم بأبيات تتضمن تفضيل
شعر أبى عمرو هذا على شعر جميع من حضرها وفيهم ابن البار
وغنيره

وأبيات الامير أبى زكرياء رحمه الله تعالى هي : (طويل)

(١) كذا فى جميع النسخ

الا ان مضمار القريض لمتد به شعراء السبق اربعة لشد
فأما المجلي فهو شاعر جمّة اتى اوّلا والناس كلهم بعد
وأما النصلي فهو حبر قضاة بأدابه تزهو الإمارة والمجد
وأما المسلي فالعادي أمّه اتى ثالثا لكن يلين (١) ويشد
وبعدهم الكومسي اقبل تاليا وكم جاء سباقا مسومه النهدي
هم علماء الناس ما منهم غنى وهم شعراء الملك ما منهم بد

حبر قضاة هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر
القضاعي ابن الأبار ، والمعادي الفقيه الخطيب أبو القاسم بن معاوية
اليحصي ، كنيته اسمّه ، ويكنى أيضا أبا الفضل ، والكومسي أبو زكرياء
يحيى بن محمد بن الفليظ.

وأصل اتصال أبي عمرو بالأمير أبي زكرياء أن بعض الصلحاء
من أهل القيروان ممن كان معارفا بالصدق والأمانة في ذلك
الأوان رفع إلى الأمير أبي زكرياء أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم وأمره أن يبلغ إليه أن يستوصي خيرا بمخمس « القصيدة
الشعرطسية ، فبحث الأمير أبو زكرياء عن خريستها من أدباء ذلك
الوقت فلم يجد غير أبي عمرو ، وسأل عن الرؤيا فشهد فيه
بالصلاح والخير ، فاستدعى أبا عمرو وأكرمه وأمر له بمر كروب وصلة

(١) في بعض النسخ « يليق »

سنة وقال له لا تشكر أحدا ، ولا تجعل لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك يدا ، وهذه القضية تشبه قضية صفوان بن ادريس في الرؤيا التي رثيت له

مولد أبي عمرو ببلده المهدية في سنة ستمائة ورأيت ذلك بخطه ، توفي بتبرسق وهو متولى القضاء بها في الثامن والعشرين لمحرّم من سنة تسع وخمسين ودفن بجبل الرحمة هنالك ، وشعره مدون مشهور ، وهو القائل يذكر المهدية ويتشوق اليها والى من خلف بها من أهله وذلك بعد انتقاله منها الى حضرة تونس : (طويل)

أقول لركب قافل عن معرس بجمّة تردي بالحمول مشاحجه
لك الله أمتعنا عن البلد الذي اكابره اسلافنا وابالجه
وعن وطن لولا العلى وطلابها لعز على مثواي اني خارجته
وعن رسم ايوانه تداعت عراصه ودكت حناياه وحزرت معارجه
وما صنع القصر العبيدي والحمى وسور المصلى والكثيب وعالجه
وشاطئه انسى تنوع حسنه وخضرمه انى تدفع مائجه
سلام على المهديتين فقهيما اب بنت عنه قاصر الخطو هادجه

وله في ذلك من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويطلب توليته قضاء بلده : (بسيط)

ذكرت جمّة والذكرى تهيج اسى واين جمّة مني والمستـير
وما مناي ليا ليمـا التي سلفت ولا هواي مجانيها المعاطر
لكن بها رَحِمٌ مخفوفة يئست من ان تقربني منها المقادير
فان راى من ادام الله نعمته عليه لي خطّة فيها فماجور

وأنشد عبد الرحمان بن ابراهيم الاصولي في كتابه المسمى
«تبيكيت» (١) الناقد ، قال أنشدني لنفسه : (طويل)

نسيم الصبا حدّث عن البان والحمى

وعن ساكني حزوى من الخرد الدمى
وعن معهد اقوى من العفر والمها وعن ركب جيران القضا اين يما
أيّم ذات البان ام بطن رامة ام الجزع ام بالاجرع الفرد خيّمًا
الا فرعى الله الحمى ونسيمه وان جلّ ما القاه من ساكن الحمى
وتيمّمكم يا اهل نجد فإنني اراكم تلومون المشوق المتيمّا
اما ولمى لفس الدمى لو لحظتم طلاب الحمى ظلت لواحظكم (٢) دما
وذيّا كم الثغر الذي يستبي النهى تبسمه ما كنتم لي لومًا
هجمتم ومن لي بالهجوم فربّا الهم به منكم خيال مُسليّمًا

(١) في جميع الاصول « تنكيت »

(٢) في بعض النسخ « ظلت جوانبه » وفي بعضها « لواحظه »

ايطرُق جفنا بات مني ساهرا ويترك اجفانا لكم بتن نوما
اغر شيب ما أعذب ثغره واحلى أليفاظاً واندى وارخما
هو الظبي لكن لا اسميه باغماً إذا رشا ناغاه بل متكلماً
تبدي لنا والبدر ليلة تـمـه فلم ادر من بدر الدجّة منهما
هل البلج الاضوا الذي استكمل السنّى

ام الغنج الاحوى الذي راق مبسماً
ولما استطار البرق قلت لصاحبي اقلبي هما ام ثغره قد تبسماً
اعار وميض البرق حسن ابتسامه وماذا عليه لو اعار له اللمى
او البرد العذب الذي لن تذيبه (١) حرارة انفاس امرى قبل الفما
تعلم منه خلّب البرق خلفه فمن ايّما برق تراه تعلّماً
تجنّى فجئنا خضماً لجماله عسى عطفة نحظى بها ولعلّماً
فهزّ الصبى والدّل معطفه كما تهزّ الصبا الغصن الرطيب المنعماً
فابنا وخلفنا طيور قلوبنا على ثغر العذب المقبل حوماً
وكان لابي عمرو ولد يسمى عتيقا ويكنى أبا يحيى برع فى
الطلب وتقدم فى حفظ مسائل الفقه وتوجه الى المشرق فتخطط
هنالك وله شعر حسن منه قوله : (بسيط)

(١) فى بعض النسخ « تدينه »

يا واحد الحسن أنت السمع والبصر عطفاك إن فتكت عينك لي وذر
أبعد ما كان لي كده سحراً صيرته بالتجني ما له سحر
قد رقت لي في الهوى كل الانام سوى من حاز رقتي ومالي عنه مصطر
فإن شكوت له يفتر مبتسماً عن عشرة قد حواها ثغره العطر
طلع أقاح صباح جوهراً برد در حباب لجين بارق زهر

ولما قضى فريضة الحج وأقام مجاوراً بمكة كتب الى أهله بتونس :
(طويل)

حجبت وزرت المصطفى خاتم الرسل نبي الهدى ذا المجد والجود والفضل
ومرغت خدي في مواطىء نعليه وقابلت ذاك العز منى بالذل
ومتعت الحاظي برؤية سيد سري كريم طاهر الذات والاصل
وبوأت نفسي من معادن مكة مكاناً عن الدنيا بأجمعها يسلي
أقام بها قوم ينجون ربهم وقد نبذوا كل العلائق والشغل
فدغوتهم مقبولة وصلاتهم بألف كما قد جاء عن سيد الرسل
وما زلت فيها داعياً متضرعاً لنفسي والإخوان والضخبات والأهل

ومنهم : الفقيه الاديب الصالح أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد
الملك بن السباط البكري المهدوي ، وأخوه هو الشيخ الصالح أبو

على يونس الكبير القدر العلى الهمة العالى الدرجة فى الصلاح والفضل ، وكان أبو يعقوب هذا قد قصر شعره على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يوجد له فى غير ذلك شعر الا التافه النزر مما قاله فى صباه ، ويذكر أن أخاه الشيخ أبا على رحمه الله تعالى أخبره أنه رأى النبىء صلى الله عليه وسلم فى النوم فسأله عن حال أخيه وكسائه حلة ، وهو على الطبقة جدا وشعره مدون مشهور

وقد أخبرنى بجميعه الشيخ الفقيه أبو القاسم بن أبى محمد (عبد الوهاب) بن قائد بن على الكلاعى (١) بقراءتى عليه قال : سمعته يقرأ على ناظمه رحمه الله تعالى وكانت وفاته رحمه الله تعالى بالمهدية فى العشر الاواسط من شهر شعبان سنة تسعين وستمائة ، ومولده بها سنة ثلاث عشرة وعنوان شعره قوله من قصائد ربما اختصرنا من كل واحدة منها أبياتا منها قوله : (طويل)

سريت طرقي من كرى العزم ما هبّا

وطرف انتهاضي فى مدى الحزم ما خبّا

وثرتم طلاب العز من دون ناصر قصاراه ذيل الذل يسجبه سخبّا

وأخلتكم هالاتكم من بثورها فما عوّضت إلا الغياهب والسخبّا

وعانى هواكم لا معين له سوى صدى صوته فى الربيع ما ردّ الندبّا

(١) فى جميع النسخ ورد هذا الاسم هكذا : الشيخ الفقيه بن محمد بن على بن قائد الكلاعى وقد صححناه كما أورده المؤلف نفسه فى شرحه للشفاء

وما كان ندب يستلذ وإنما يلذ سماع الندب من فارق الندباً
ولي مهجة تفنى لتذكركم أنسى وجفن يراعي في مراكزها الشهباً
ليالي تسري لي صباكم علية فيا لعليل منه ألتبس الطيباً
رحلتكم وغادرتكم غريباً غروبه تصب مصون الدمع مذ بتم صباً
وخلفتم داء التواني محالفسي وأنى لبادي السقم أن يضحب الركبا
وهيجتكم هيج (١) الغرام فانتجت لكم من فحول الصدق في قصدكم نجباً
فسارت وحاديها احتدام زفيرها فما ميزت وعرا ولا فدفا رخباً
وسيقت وما قاست كلالاً ولا وجى وقد سقم مع كل راحلة قلباً
وما أدلت تشني إلى العشب ليتها ولكن في وادي العقيق لها عشباً (٢)
فهم جيرة أخلق براجي جوارهم ولو بباد في البداء ان يحمد القبا
منيف على السبع الطباق علاؤهم وان اسكنوا فيما يراه الورى الترباً
دعوكم ولم يرضوا سماعي دعاءهم ولو أسمعوني كنت أول من لبى
ومن كان حفظ العهد سيماء (٣) أقبلوا عليه وإلا أسبلوا دونه الحجباً
ومن كلفت عين العناية رغيه حمته المقام الدحض (٤) والمرتقى الصعبا

(١) وفي بعض النسخ « هوج »

(٢) وفي بعض النسخ « شعبا »

(٣) وفي بعض النسخ « شيمته »

(٤) وفي جميع النسخ « الرخص »

ومن عاقه نيل المقادير لم تطق بأرض المنى أقدام إقدامه ضرباً
على أنني لا أنزل اليأس ساحتني وقلبي على بعدي يهيم بهم حباً
وقد جاء ان المرء مع من أحبّه عن الصادق المصدوق فيما به أنبا
فحسبي رجائي ان يمنوا بعطفهم وأن يُعقبوا للبعد من وصلهم قُرْباً
ولم لا ونيران القرى في ذراهم تنادي إلى ناديتهم العُجَمَ والعُرباً
ولا غرو ان يلقي الطفيلي ماجد بوجه به يلقي المعارف والصَّحْباً
وإن هم جفوني سوف أهدي إليهم سلامي لعلني بالرضى منهم أحبّي
ومن صدّ عنه الحب فليُفش مدحه فإن امتداح الحب يستزل الحُبّاً
وما القصد والمعني بالرمز والكُنَى سوى من على كلّ النيين قد أربى
ومن شاهدت عيشاء من مُلك ربّه وآياته ما يعجز الكتب والكتباً
فسبحان من اعطى النبي محمّداً من الفضل ما لم يمطه قبل من نبأ
فيا غوث من غال احمام حماته (١) ويا خير من آوى اليتامى ومن ربّي
أحاشيك يا كلّ انى ان تذودني عن الحوض يوم العرض أوأمنع الشرباً
ورد كريم غَض عن ورد واغل حياء إذا وافاه يتبع السرباً
لئن قصرت خطوي إليكم خطيئي وذبتني الأوزار عن بابكم ذباً

فَمِنْ شَيْئَةِ الْعَبْدِ الْفَرَارُ لِرَبِّهِ وَمِنْ شَيْئِ السَّادَاتِ أَنْ يَغْفِرُوا الذُّنْبَا
وَمِنْهَا قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ : (كامل)

رَغْنِي الْحَقُوقَ كَمَا عَلِمْتَ حَقِيقُ وَالصَّبْرَ عَنْ وَادِي الْعَقِيقِ عَقُوقُ
وَلِأَهْلِ ذِيكَ الْحَمَى بَقْلُوبَنَا شَفَفُ يَسُوقُ نَفُوسَنَا وَيَشُوقُ
وَلِذِكْرِهِمْ بَرْدٌ عَلَى طَيِّ الْحَشَى تُشْفَى بِهِ مَرْضَاهِمُ وَتُفَيِّقُ
وَإِذَا ثَنَى عَطْفَ النَّزِيفِ (١) صَبُوحُهُ فَلَنَا صَبُوحٌ بِاسْمِهِ وَغُبُوقُ
قَوْمٍ لَهُمْ طَابَ النَّسِيمُ بِطَيْبَةِ حَتَّى انْثَنَى كَالْمَسْكَ وَهُوَ فَتِيقُ
وَعَدَا ثَرَاهَا لِلشِّفَاءِ مَرَاشِفَا وَبَقَاعُهَا كُلُّ الْبَقَاعِ تَفُوقُ
وَمَزَارِعُ أَشْهَى إِلَى عُشَاقِهَا مِنْ شَاطِئِءٍ يَأْوِي إِلَيْهِ غَرِيقُ
شَرَفًا بِأَشْرَفِ مُرْسَلٍ وَاعَزَّ مَنْ شَرَفَتْ بِهِ قُتَّةٌ وَعِزَّ فَرِيقُ
هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ الشَّفِيعُ وَمَنْ لَهُ خُلُقٌ بِكُلِّ الْمَكْرَمَاتِ خَلِيقُ
سِنْدُ الْمَصَادَةِ إِذَا الصَّحَائِفُ أَفْصَحَتْ وَنَبَا أَبٍ وَأَخٍ وَفَرَّ رَفِيقُ
هُوَ أَحْسَدُ وَمُحَمَّدٌ وَالْمُصْطَفَى وَالْمَجْتَبَى وَالصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ

وَمِنْ أَيْاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

كَمْ ذَا أَوْمَلُ أَنْ أَزُورَ ضَرْيَحَهُ وَالْحِظُّ يَكْبُو وَالْقَضَاءُ يَمُوقُ

(١) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : النَّزِيبِ ،

وَيْدُ الْمَشِيبِ تَنَاوَلَتْ حُلُلَ الصَّبَا فَاخْلَوْلَتْ وَفْشَا بِهَا التَّمْزِيقُ
لَعَنَهُ ذَخْرِي لِمَوْقِفِ فَاقْتِي وَمُضَاجِعَاءِ الصِّهْرِ وَالْفَارُوقُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ ثُمَّ عَلَيْهِمَا مَا زَانَ جِدَ حَمَامَةٍ تَطْوِيْقُ
وَأَرَتْ تَبَاشِيرَ الصَّبَاحِ تَبَسُّمًا وَانْقَادَ غَضَنٌ لِلنَّسِيمِ وَرَيْقُ

وقوله : (طويل)

لَعْلَ نَسِيْمَاتِ الضُّحَى وَالْإِصْائِلِ تُوْدِي إِلَى مَغْنَى الْحَيْبِ رَسَائِلِ
وَتَهْدِي إِذَا مَرَّتْ سَحَابًا بِرَبْعِهِ سَلَامِي إِلَى بَدْرِ بَطِيْبَةٍ آفَلِ
عَلَيَّ لَدَى الْأَعْلَى لَذَلِكَ (١) أَصْبَحْتُ مَنَازِلُهُ تَعْلُو مَجَرَّ الْمَنَازِلِ
وَكُلَّ الْأَمَانِي فِي عُذُوِّ رِوَاسِمِ إِلَى رَسْمِهِ أَوْ فِي رِوَاحِ رِوَاحِلِ
إِذَا يَسَّمُ الْهَادِي بِهَا حَضْرَةَ الْعَلَا أَرْتَكُ أَنْسِيَابَ الْفُلْكِ تَحْتَ الْمُحَامِلِ
وَأَلْقَتْ إِلَى كَفِّ السَّرِيِّ مَقُودَ الْكُرَى كَمَا بِالطَّوْرِ طَابَتْ لَطْفِي الْمَرَاحِلِ
وَأَنْ مَالُ ذُو وَجْدٍ إِلَى شَعْبِهِ هَوَى تَجْدُهَا لِذَلِكَ الشَّعْبِ أَوَّلَ مَائِلِ
وَمَا سَوَّقَهَا بَلْ شَوَّقَهَا يَسْتَحْشَهَا حَيْثُ أَخِي الْإِمْلَاقُ يُنْدَعَى لِنَائِلِ
وَمَنْ عَجَبٌ هُوجٌ تَهِيْجٌ لَهَا الصَّبَا صَبَابَةٌ عَذْرَى لَطِيفِ الشَّمَائِلِ
وَتَهْوَى بِرُوقَا بِالْعَقِيقِ تَأَلَّقَتْ كَمَا جُرَدَتْ يَضُّ بِأَيْدِي الصِّيَاقِلِ

(١) وفي بعض النسخ « منواه »

حيناً لمن في كفه سُبْحُ الحصى

وانسى خطابُ النُصبِ (١) سَخْبَانِ وائلٍ

وكم آية دلت على صدقه فما أَلْب لها البانكار في لب عاقلٍ

وكم قاصد اقصى مدى معجزاته تلقاه بحر لا يُحد (٢) بساحلٍ

رسول اتى والفي وارت غيومه نجوم الهدى والرشد عن كل غافلٍ

ووافى ودين الكفر قامت دُعائه بإبطال تحقيق وتحقيق باطلٍ

فلما بدت آياته وهباته بدا النقض فيما ابرموا في المحافلِ

وضاق الفضا ضيق اللحد عليهم فلا بال إلا وهو رهن البلايلِ

تلقى كتاباً شرع ذي العرش شرعه وحَدُ المناص فيه حد المناجلِ (٣)

تولّى امين الوحي جبريل حمّله فأكرم بحمول اليه وحابلٍ

حوى وعد وهاب وانفاذ قاهر وتنزيه قدوس واحكام عادلٍ

ووعظاً باهوال البعاد مخوفاً وعلماً بأنباء القرون الأوائلِ

ودبنا الى دار المقامة مذنياً وبشرى بشكر السعي من كل عاقلٍ

وزجراً بما يلقاه من زاغ من لظى اذا قيد قوم نحوها بالسلاسلِ

وفي كل ما يتلو الرسول دلالة على صدقه من واضحات الدلائلِ

(١) وفي بعض النسخ « الصبب »

(٢) وفي بعض النسخ « يحاط »

(٣) وفي بعض النسخ « المحاصل » ولعل الصواب « الخاصل »

هو المصطفى من قبل تكوين آدم على الخلق من آبائهم والحلائل
حبيب وحبّات القلوب ككنّاسه اذا بؤىء المحبوب خير المنازل
له غابة من صحبه هو لثـها لديهم مرير الموت عذب المناهل
صدور اذا حلوا بناد وفي الوغى صدورهم تلقى صدور العوامل
اشداء والهجاء حام وطيسها ذوو رحمة بالبائسات الارامل
فكم من عديم صار فيهم كمترف وكم من غريب صار فيهم كآهل
كذا فليكن حسن الثناء لسادة متى أمّلوا لم يخلقوا ظنّ آمل
على من به سادوا الورى وعليهم سلام كثر (١) الروض بين الخائل
فحنى متى اشتاقهم وتفرّني امانى وامهال بتسويق باطل
وما المرء الا ظاعن مترحل معارء لاوقات تمر قلائل
واسفار صبح الشيب عن ليل لمتي دليل على ظل من العمر زائل
ولما تقضت في التواني شيتي واصبحت من جرائها في جائل
ولم يبق لي الا التفاني بادمع على طول تفريطي هوام هوامل
وكل يرى ان المديح وسيلة لكل كريم من اجل الوسائل
مدحت الشفيع المصطفى غير قائم بمشار ما يخصى له من فضائل

وما المدح فيمن يحسن المدح باسمه واوصافه الا كتحصيل حاصل
ولكنه جُهد المقل لقاصر عن الفرض في تعظيمه والنوافل
الم يك (١) قول الله في رفع ذكره وهل بعد قول الله قول لفائل
وقوله : (كامل)

اعيد الحديث فليس بالملول عن خير مبعوث وخير رسول
واملاً مسامعنا بطيب حديثه فهو الشفاء لحر كل غليل
وادأب عليه مصلية ومسلماً فكذا اتى في محكم التنزيل
واخصص بترديد السلام ضريحه في كل شارقة وكل اصل
واذا رايت العيس تُحدى (٢) نحوه فاخر مواضعهن للتقبيل
واشفع بمن حلت على اكوارها من حامل لغرامه محمول
واصحبهم بالقصدان ونت (٣) الخطى وزايت باع الطول غير طويل
فعسى ينالك من زكاة زكائهم ما قرّر القرآن لابن سيل
ومن اقتدى بالصدق في انجائه قاداته عزمته بغير دليل
ومن اشرب الى لقاء حبيبه جذب المقادة من يد التعليل
واما طسوف ومنج ريقه (٤) بلها العزيمة من فم التاميل

(١) وفي بعض النسخ « نرو »

(٢) وفي بعض النسخ « تخذى »

(٣) وفي بعض النسخ « وصب »

(٤) وفي بعض النسخ « ريقه »

حتى يرى اليداء وثبة خائف والميل من قصر دوين الميل
كلُّ الجمال متى ارى لك زائراً متبوّثاً بذراك خير مقـلـ
فرحاً بمنفك المقدس تزبه فرح المحبّ مبشراً بقبول
مترنحاً طرباً ترنح منتش هزت معاطفه شمال شمول
فهنالك اظفر بالاماني والمنى وعلى الوجود أصول حين وصولي
وتهزني من طيب طية نفحة فيطيب لي مـرحي وجر ذيولي
واذا اسات تأدبا بحماكم عفوا فياني غبت عن معقولي
من ذا يرى حرم الحيب فيتهدي لتميـز المعلوم والمجهول
قمر له هضبات مكة مطلع والروضة الفيحاء افق افول
جاءت نعوت كماله منصوصة في الذكر والتوراة والانجيل
وبه تشفع آدم لإلاهيه أما احس بحالة التجويل
واتى ببعثه المسيح مبشراً يوصي به للجيل بعد الجيل
وبليلة الإسراء اكمل فضله ناهيك من فضل ومن تكميل
واليه نلجأ في المعاد لأننا نأوي لظـلّ للنجاة ظليل
ما زال في الاصلاب ينقل نوره حتى تبلج في اعز قبيل
من نعمة للوجود روض نبتها وفروع مجد فارع واصول

صيد تحل من الاكابر هامها وتحل منها مفرق الياكليل
فانجاب غيم الغي عند ظهوره كالشمس في جو تلوح صقيل
واذل من بالكفر حاول عزة واعز بالايمن كل ذليل
الف الجميل فما يقابل سائلا إلا بوجه كالسراج جميل
لا يعدم السارون ان نزلوا به رياء لصاد او قيرى لتزيل
سميح يشا كل حسنه إحسانه لا تعتريه ملالة المسؤول
يلقى الارامل واليتامى ان نأت عنهم عشرتهم بكف (١) كفيل
ويريحهم من حبه وحبائه ما يحمل المثرى على التطفيل
هذا الفخار ومن يكن ذا وصفه فالمدح فيه كقطرة في النيل
وعلى اولى الالباب طرا ان يروا بذل النفوس له اقل قليل
فعله من ذي المرش كل تحية وعلى صحابته ذوي التفضيل
ما امرع (٢) الروض الحيا وتضوعت رياء نسيم في الغدو عليل
وقوله وذكر شهر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ،
ومجد وعظم : (كامل)

اعلمت انك يا ربيع الاول تاج على هام زمان مكلل

(١) وفي بعض النسخ : بغير ،

(٢) وفي بعض النسخ : ابدع ،

مستعذب الالمام مرتقب اللقا كل الفضائل حين تقبل تقبل
 ما عدت الا كنت عيداً ثالثاً (١) بل انت احلى في القلوب واجل
 شرفاً بولد مصطفى لمّا بدا اخفى الاهلة نوره المتهلل
 وحويت مذاصحت ظرف زمانه ظرفاً به في برد حسنك ترفل
 وملكت انفسنا بلطف شمائل بنسبها نفس العليل تعال
 واذا حدا الحادي (٢) بمنزلة الحمى فالقصد سكران الحمى لا المنزل
 فطل الشهور علا وفاخرها فان شمت باطولها فانت الاطول
 واستن منها ليلة القدر التي بشائها نزل الكتاب المنزل
 واصبح لقول الله فيها انها من الف شهر في الانابة افضل
 واستكمل البشرى فانك لم تزل لك في القلوب مكانة لا تجهل
 لنم لا وعشرك واثنائه اريننا قمر به شمس الضحى لا تعدل
 ومن العجائب بدز تيم يستوي لتام عشر واثنين ويكمل
 ويفوت اعمار السماء لانهما للنقص من بعد الزيادة تنقل
 وكمال هذا البدر لا يعزى الى نقص ولا عن حاله يتحول
 بل نوره يزداد ضعفا كلما طفق المحاق سنى البدور يبدل

(١) فى بعض النسخ « ثانياً »

(٢) فى بعض النسخ « شدا الحادى » والتصحيح عن المدخل لابن الحاج ٢ - ص ٤٤

ويقي غمارَ الغيِّ وضـ ... شا ... وبين من سبل الهدى ما يشكِل
وتراع افئدة العداة له كما يرتاع من شاكي السلاح الاعزل
فمتى تحيط بوصف بدر نبوة وافى وليل الكفر داج الليل
فجلا عن الآفاق غيبتها كما يجلو صدا العضب الحسام العيقل
وهدى إلى كف النجاة سراجـه فعشا المحق به وضل المبطل
وتظافرت ايدي الرفاق فصيرت شيع النفاق وضعفهن مدلل
وشدت بالسن حالها الاكوان من طرب له هذا النبي المرسل
هذا الذي هو للمناصب علقم ولما حض الود الرحيق السلسل
وعلى الأرامل واليتامى إن خشوا أن تبدو الصفحات ستر مرسل
وإذا اتنى الأقران عن وقع القنا فهو الملاذ لمن كبا والمعقل
وهو الشفيع المستجار بجاهه والأم عمن ارضته تذهل
قبساً برسله إلينا رحمة إني عليه معول وممول
لا ادعى علما ولا عملا ولكني بجاه محمد أتوسل
فلربما صد الكريم حياؤه ان كان في ندمائه متطفل
صلى عليه الله ما هبت صبا لئلا وما تفتت سحيرا شئال
وعلى صحابته وصفوة آله ما لاح برق او ترنم بلبل

فأقمنا بالمهدية يوم الوصول اليها وهو يوم الاثنين الثاني عشر
من صفر كما تقدم ، وارتحلنا عنها من الغد فنزلنا بمدينة سوسة ومنها
يوم الاربعاء الى الفلاحين ثم منها يوم الخميس الى رادس ومنها
صبح يوم الجمعة الى الوطن تونس حرسها الله تعالى ، فكان أمد الغيبة
عنها من يوم الخروج الى يوم الدخول اليها عامين اثنين وثمانية
اشهر وأياما التي هي بحسب كمال الاشهر ونقصها تسعمائة يوم
 وخمسة وسبعون يوما

وهنا انتهى الغرض المقصود من هذا التقييد والحمد لله أولا وآخرا
وباطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسلما كثيرا طيبا مباركا

ورأيت أن اخته بقصيدة كنت نظمتها بطرابلس لما طال بنا
هناك أمد المقام ، أمتدح بها النبي، محمدا صلى الله عليه وسلم خير
الانام ، وأتوسل به الى الله تعالى في تيسير المرام : (كامل)

كم أنت في اللذات ذو استغراق ونذير شيك مؤذنب بفراق
ولقلما يجدي المتأب إذا أتى داعي الحيام وقيل هل من راقبي
يا صاح دعوة ناصح لك مشفق والنصح يُقبل من ذوي الإشفاق
بادر إل التقوى بدار مسارع وانهض إلى الطاعات نهض سباق
واغنم من الأيام مهلة ساعة قبل التفاف السق منك بساق

حَدَّثَ نَفْسَكَ بِالْبَقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَبْقَى بِأَقْي
كُلِّ بِهَا فَاِنْ وَمَنْ قَرَضَ وَلَا بَقِيَا لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الْخَالِقِ
وَاتْرَكَ اناساً آثَرُوا لَذَاتِهِمْ وَاسْتَمْتَعُوا مِنْ دَهْرِهِمْ بِخُلُقِ
عَلَقَتْ نَفْسَهُمْ بِنَزَرٍ عَاجِلٍ فَاسْتَبَدَّلُوهُ بِأَنْفُسِ الْإِعْلَاقِ
عِوَضَ كَلَا عِوَضٍ وَيَعِ كَلَّهُ غُبْنٍ وَسَمِي ظَاهِرِ الْإِخْفَاقِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ كَذْحَا وَانْتَ لَمَّا كَدَحْتَ مَلَاقِي
وَالْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا هُوَ فَاعِلٌ وَجَزَاؤُهُ جَارٌ عَلَى اسْتِحْقَاقِ
فَنَعِيمِ ذِي الطَّاعَاتِ غَيْرِ مَكِيفٍ وَعَذَابِ ذِي الْعَصِيَانِ غَيْرِ مَطَاقِ
لِلَّهِ أَقْوَامٌ اطَّاعُوا رَبَّهُمْ وَوَفَّوْا بِمَا أَغْطَوْهُ مِنْ مِثَاقِ
عَظُمَتْ لَهُمْ هِمَمٌ وَعَزَّتْ نَفْسٌ فَسَمَتْ بِهِمْ نَحْوَ الْمَحَلِّ الرَّاقِي
قَوْمٌ لَوْ اطَّلَعَ الْمَلُوكُ عَلَيْهِمْ لَسَعَوْا لِيُخْدِمَتَهُمْ عَلَى الْإِحْدَاقِ
مِنْ كُلِّ بَدْرٍ أَفْقُهُ مَحْرَابُهُ لَا يَخْشِي أَيْدَا لِحَاقٍ مِحَاقِ
يَسْمُو إِذَا نَامَ الْإِنْسَامُ نَوْرَدَهُ فَيَعُودُ مِنْهُ اللَّيْلُ ذَا إِشْرَاقِ
خَطَبُوا النِّعَمَ بِبَذْلِهِمْ لِنَفْسِهِمْ وَالْخِطْبُ لَا تُعْطَى بِغَيْرِ صِدَاقِ
لَمْ تَحْصِلِ الْآخِرَى لَهُمْ إِلَّا وَقَدْ خَرَجُوا عَنْ الدُّنْيَا خُرُوجَ طِلَاقِ
أَنْ لَمْ أَكُنْ بِالْفِعْلِ مَلْتَحِثًا بِهِمْ فَالْحُبُّ فِيهِمْ مُقْتَضٍ لِلْحَاقِي

يَا رَبِّ بِالْهَادِي الَّذِي أَرْسَلْتَهُ نوراً افضت سناه في الآفاق
هَادِ اتَى وَالْجَهْلُ قَدْ عَمَّ الْوَرَى والكفر قد غطاهم بِسِرِّوَاقِ
فَجَلَّا لَهُمْ سُبُلَ الْهَدَى وَأَوَالِهِمْ من غِرَّةٍ كَانَتْ بِهِمْ وَشَقَاقِ
وَلَقَدْ حَبَاهُ اللَّهُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَاَنَالَهِ الْعِلْيَا عَلَى الْإِطْلَاقِ
بَنَزُولٍ طُسْتُ فِيهِ طُهُرَ فُؤَادُهُ وعروج جسم وامتطاء بُرَاقِ
وَكَفَى لَهُ شَرْفاً بَانَ اللَّهُ قَدْ اثنى على ما حاز من اخلاقِ
يَسِّرَ لَنَا فِيمَا بِهِ كَلَّفْنَا عوناً لَنُمَثِّلَ امْتِثَالَ وَفَاقِ
وَأَمْنُنْ عَلَيْنَا بِتِلْكَ الْوُصُولِ لِقَبْرِهِ فهو الشفاء لِقَلْبِي الْمَشْتِاقِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ ارَانِي سَاعِيَا فِي شَدِّ اكْوَارِ وَحْدُو نِيَاقِ
فَلَکُمْ تَوَخَّرَ عَزَمَتِي الْاِقْدَارُ مِنْ فِرْقِ تَسِيرِ لِقَبْرِهِ وَرَفَاقِ
قَسَماً بِعِزَّتِهِ وَرَفْعَةِ قَدْرِهِ إِنِّي لَزُورْتَهُ لِبِالْإِشْوَاقِ
لَكُنْ سَيِّئاً مَا جَنَيْتُ أَقْرَبْنِي عَنْهُ وَقَيْدَ عَزَمَتِي بُوْثَاقِ
لَا هُمْ إِنَّا لَا نَذُنُّ بِجَنَاحِهِ فهو الشفيع لنا وانت الواقِي
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا وَتَرَنَّمْتَ وَرُقَ عَلَى أَوْرَاقِ



الفهارس

تنبيه

الأنهارس الابجدية التالية شاملة لا في الاصل والتعليقات

فهرس

اسماء الرجال والقبائل

- أ -

آدم ٢٦٧ - ٣٨٧ - ٣٨٩

آل سالم ٢٢٠

آل غالب ٣٠٩

ابراهيم بن عبد الله ١٢٥

ابراهيم بن قـراتكين (سلاح دار) ١١٢ - ١١٤ - ١٣٨

ابراهيم بن محمد الصنهاجي ٩٦ - ٩٧ - ٣٣٠ - ٣٣١

ابراهيم بن مطرف (ابوزدارة) ١٩٧

ابراهيم بن يوسف بن زيري ٩٦

الابراهيميون ٢١٧

ابن الابرار ٨٤ - ١٠٦ - ٢٧٠ - ٢٧٢ - ٢٧٨ - ٣٦٥ - ٣٧٥ - ٣٧٦

ابن ابي حفص . ابو علي بن ابي موسى (انظر : ابو علي)

ابن ابي حفص ، ابو محمد عبد الله بن عبد الواحد (انظر : ابو محمد عبد الله)

ابن ابي حفص . ابو محمد عبد الواحد (انظر : ابو محمد عبد الواحد)

ابن ابي الحواجب للمهدوي ٣٧٠

ابن ابي سلام (ابو عبد الله بن ابي بكر بن ابي زاكي البلوي) ٢٢٨ -

٢٩٨ - ٢٩٩

ابن ابي زيد (انظر : ابو محمد)

ابن ابي عامر (انظر : ابو حفص عبد الله)

ابن الاثير ١١ - ١٤ - ١٥ - ٢٤ - ٩٢ - ١٢٤ - ١٣٥

ابن الاغلب ٢٣ - ٢٤ - ٨٠ - ٨٥ - ٢٢٠

ابن باديس ٢١

ابن بديل ٣٢٤

ابن البراء التنوخي (انظر : ابو القاسم بن علي ٠٠)

ابن البراء المهدوي (انظر : محمد بن البراء)

ابن بزريق ، ابوبكر (انظر : ابو بكر)

ابن بزريق ، ابويحيى (انظر : ابو يحيى)

ابن بسام ١٦ - ٢٢

ابن بشكوال ٥٥ - ٧٩

ابن بشير (انظر : محمد بن بشير)

ابن بلبل (انظر : حسن بن بلبل)

ابن بياضة (انظر : مفرج بن بياضة)

ابن اليساني (انظر : الفاضل اليساني)

ابن البيطار ٣١٤

ابن تافراجين ١٠٦

ابن تغري بردي ١١

ابن الجلاب ٢٥٦

ابن الحاج (صاحب المدخل) ٣٩١

ابن حبيب (انظر : محمد بن حبيب)

ابن حجّاج ٧٩

ابن حجري الاشبيلي (انظر : ابو الحسن)

ابن الحداد (ابو الحسن علي بن محمد) ٣٣٢

ابن الحذاء (انظر : ابو عمر)

ابن حُسَيْنَة (انظر : ابو ابراهيم)

ابن حَشْرُون المهدوي (انظر : عثمان بن ابي القاسم)

ابن الحكيم الزندي ١٦٤ - ١٦٥

ابن حمّاد (انظر : محمد بن علي بن حماد)

ابن حَمْدُون (انظر : مطرف بن علي)

ابن حَمْدُون ، مَيْمُون (انظر : ميمون)

ابن حَمْدِيس الصقلّي ٩٥

ابن حَيَّان الأَوْسَيّ ، ابو عبد الله محمد بن احمد ٢٧٩

ابن حَيَّون (انظر : محمد بن حيون)

ابن خالد (انظر : احمد بن خالد)

ابن الخباز اللواني ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن علي)

ابن خُراسان ٣٤١ - ٣٤٦

ابن الخُراط ٣٤٧

ابن خُزرون (انظر : سعيد بن خُزرون)

ابن الخطيب ٢٥٧

ابن خلدون (المؤرخ) ٥ - ٢٠ - ١١١ - ١١٣ - ٢٦٥ - ٣٥٠

ابن خلفون الحسّاني (انظر : ابو عثمان)

ابن رأس الحجلة ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن عمر)

ابن رشيد (انظر : محمد بن رشيد)

ابن رُشيق ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ -

٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ - ٣٦٦

ابن الرومي ٤٠

ابن زنون ، ابو عبد الله ١٥٧

ابن زُهر ٨٤

ابن زناد الفادعي (انظر : محرز)

ابن سعد (صاحب الطبقات) ١٢٥

ابن سعيد (صاحب خزائن الادب) ٥٢

ابن سعيد، ابو الحسن (صاحب كنز المطالب) - (انظر علي بن موسى)

ابن السمّاط، ابو علي ٢٦٠

ابن السمّاط البكري المهدوي، ابو يعقوب (انظر: يوسف بن علي)

ابن السكّك، ابو بكر (انظر: ابو بكر)

ابن السّيرافي ٦٤ - ٦٥

ابن الشّباط ١٦٢

ابن شبرين الجذامي السبّتي ١٦٤ - ١٦٨ - ١٧٠

ابن شدّاد ١٤ - ١٥ - ٣٤١ - ٣٤٦ - ٣٤٧

ابن شرف ٢٩ - ٣٣ - ٧٩ - ٨٣

ابن صخر، (انظر: ابو الحسن)

ابن الصّغير الازدي ٨٩

ابن الصّفار السوسي (انظر: علي بن احمد)

ابن الضابط (انظر: ابو عمرو عثمان)

ابن عبّاد (المعتد) ١٩٧

ابن عباس ٨ - ٩

ابن عبد البرّ، ابو عمر ٢٦

ابن عبد الحكم ١١

ابن عبد السلام الكومي ، (انظر : محمد بن عبد السلام)

ابن عبد الكريم الرجراجي (انظر : محمد بن عبد الكريم)

ابن عبد الكريم الغماري (انظر : عبد الله بن عبد الكريم)

ابن عبد الكريم العوفي (انظر : ابو يحيى)

ابن عبدون السوسي (محمد) ٣٨ - ٤١

ابن عبيد ، ابو فارس (انظر : ابو فارس)

ابن عدي ، (انظر : ابو احمد)

ابن عذاري ١٢ - ٢٨

ابن العربي ٢٥٦

ابن عرية القيسي ، ابو عمرو (انظر : عثمان)

ابن عصفور ٣٥٥

ابن العطار القرطبي ١٧٨

ابن عفيف ٢٧٢

ابن علوان الصخري (مالك) ٣٣١

ابن عمر ٣١

ابن عميرة (انظر : ابو المطرف)

ابن العنبر ٦٢

ابن عَيَّنة ٨٧

ابن الغطاس السوسي ٣٧

ابن الغليظ الكومي (أبو زكرياء يحيى بن محمد) ٣٧٦

ابن فاضل البكري الافريقي (انظر : محمد بن فاضل)

ابن فتح الغماري النفزاوي (انظر : ابو بكر بن فتح)

ابن فرج الكومي . ابو عبد الله محمد (انظر : محمد بن الفرّج)

ابن فرج الهواري الطرابلسي . ابو مسلم (انظر : مؤمن بن فرج)

ابن فُرسان (انظر : عبد البر)

ابن فطيس (محمد) ٢٧٢

ابن قائد الكلاعي (انظر : الكلاعي)

ابن قتيبة ٨٧

ابن القطبان (أبو الحسن) ٨ - ٩

ابن قطن ١٣

ابن كلدين ١٢٥

ابن لبابة (انظر : محمد بن عمر)

ابن اللمطي (انظر : علي بن اللمطي)

ابن لُقمان ٩٦

ابن ماكولا ١٤٢

ابن المثنى (انظر : ابو الحسن)

ابن مثنى (انظر : عبد الله بن ابراهيم بن مثنى)

ابن مجبر ، ابوبكر ١٣٧ - ١٣٩

ابن مرزوق السالمي (انظر : غلبون)

ابن مطروح التميمي (ابويحيى) ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٥

ابن معاوية اليخصبي ، ابو الفضل (انظر : ابو الفضل)

ابن معاوية اليخصبي ، ابو القاسم (انظر : المعاوي)

ابن معمر ، ابو موسى ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٧٤ - ٢٨٠

ابن معمر الهواري الطرابلسي ، ابو علي (انظر : الحسن بن موسى)

ابن معين ٩ - ٣٢

ابن ملحوم (انظر : ابو القاسم)

ابن المناصف ٢٥٧

ابن المنمر ٢٥٠ - ٢٥٧ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٣١٧

ابن ميخائيل القرشي ٣٣ - ٣٤

ابن ميمون ، علي (انظر : علي بن ميمون)

ابن ميمون ، محمد ، (انظر : محمد بن عبد العزيز)

ابن نخيل ١٠٨ - ١٤٧

ابن نزار (انظر : ابو زيد)

ابن هانش الطرابلسي ، ابو محمد ٢٦٣

ابن هشام ٥٩

ابن هود ٣٦٤

ابن يعيش ، ابو عبد الله محمد ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٣٠٣ - ٣٠٤

ابن يغمور الهنتاتي ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن يغمور)

ابن يملول ، ابو العباس احمد بن محمد ١٦٣ - ٢٣٩

ابن يوجاق (انظر : ابو زيد)

ابو ابراهيم احمد بن الاغلب ٢٦

ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن حُسَيْنَة ١٥٦ - ١٧١ - ١٨٩ - ١٩٢

٢٠٤ - ٢٣١ - ٢٣٢

ابو احمد بن عَدي ٨ - ٩

ابو اسحاق (السيد ابو اسحاق) ١٣٦

ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن علي بن سالم الجبائي ٦٧ - ٦٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٣

ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد ٥٤

ابو اسحاق الاجدابي (انظر : الاجدابي)

ابو اسحاق الرقيق (انظر : الرقيق)

ابو البركات بن ابي محمد بن ابني الدنيا ٢٥٣

ابو بكر الصديق (الصهر) ٢١٩ - ٣٨٥

ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب ٦٦

ابو بكر بن بزنق ٢١٩

ابو بكر بن عبد الرحمان اللبيدي ٨٣

ابو بكر بن عبد العزيز بن السكاك ٣٥٥

ابو بكر بن فتح الغماري النفزاوي ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٣ - ١٥٤

١٧٣ - ١٧٤

ابو بكر بن مجبر (انظر : ابن مجبر)

ابو بكر بن محمد بن احمد بن شبرين الجذامي السبتي (انظر : ابن شبرين)

ابو ثابت عامر بن عبد الله المريني ١٩٧ = ١٩٨

ابو جبارة عبد السلام بن موسى ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٧

ابو جعفر المنصور ٢٠٩

ابو الجيش محمد بن ابراهيم الاندلسي البسطي ٢٥٧

ابو حامد الفزالي ١٤٣ - ٢٥٥ - ٢٥٦

ابو حازم الكلبي ١٣٥

ابو الحجاج ١٥٥

ابو الحجاج يوسف بن زيري ٢٤١ - ٢٤٢

ابو الحسن بن ابي محمد عبد الوهاب ٢٦٢

ابو الحسن بن ابي مروان ٢٧٦

ابو الحسن بن حجري الاشيلي ٣٥٩

ابو الحسن بن السيد ابي محمد ٣٦١

ابو الحسن بن صخر ٥٤ - ١٢٥

ابو الحسن بن المثنى ٥٤

ابو الحسن بن يحيى بن تميم بن المعز (انظر: علي بن يحيى)

ابو الحسن البارزي ٢٤٩ - ٢٥٠

ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم (انظر: حازم بن محمد)

ابو الحسن السيقاطي ٢١٩

ابو الحسن الشاطبي ٣٤٧

ابو الحسن القريناني ٧٥

ابو الحسن القابسي ٢٦٦

ابو الحسن علي بن ابراهيم التجاني ٢٥٨ - ٢٧٠

ابو الحسن علي بن احمد بن الحبيب (انظر: علي بن احمد)

ابو الحسن علي بن ابي بكر بن بلال ٢٧١

ابو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي ، كُراع ٢٦٣

ابو الحسن علي بن محمد بن المنر الطرابلسي القرظي (انظر: ابن المنر)

ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد (انظر: علي بن موسى)

ابو الحسن علي بن محمد بن الحداد (انظر: ابن الحداد)

ابو حفص (جد الحفصيين) ٢٠٣

ابو حفص بن مكى ٢٦٢

ابو حفص عبد الله بن محمد بن عامر بن ابي عامر ٢٧٢

ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة ٩٢

ابو حمراء ٢٧٥

ابو حنيفة ٣١٣ - ٣٦٩

ابو حيان ٢٧٢

ابو الخيبري ٣١١ - ٣١٢

ابو زُرارة (انظر : ابراهيم بن مطرف)

ابو زكرياء ٧ - ١١٩ - ٢٦٣ - ٢٦٧ - ٢٦٩ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٣٦٣

٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧

ابو زكرياء البرقي ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٣٦٨ - ٣٧١

ابو زكرياء بن ابي الحسن علي التجاني ١٩٠ - ١٩١

ابو زكرياء بن يعقوب ١٧٩ - ٢٠٤

ابو زكرياء يحيى بن محمد الغليظ (انظر : ابن الغليظ)

ابو زياد المغربي ١٥

ابو زيان محمد بن عثمان بن يَغْمُرَاسِن بن زيان ١٩٨

ابو زيد بن السيدابي حفص ١٠٤ - ٢٤٣ - ٢٨٢ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤

- ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨

ابو زيد بن يوجاق ٣٦٣

ابو زيد عبد الرحمان بن ابي القاسم بن نزار السَّهْمِي ١٣٩ - ١٤٠ - ١٨٩

ابو ساكن عامر بن محمد بن مكِّي بن كامل بن جامع ١٠٢

ابو سالم (بن ابي يعقوب المَرِينِي) ١٩٧

ابو سعيد بن ابي حفص ١٠٥ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣

ابو سَفَّانة (انظر : حاتم الطائي)

ابو سليمان الخطابي ٨٠ - ٢٠٨

ابوشامة ١٥

ابوشنَّب ١٢

ابو صبيرة مسعد بن الازرق الضريسِّي ١٠٤

ابو الصلت أُمَيَّة بن عبد العزيز ٤٢ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤

٩٨ - ١٢٥ - ٣٣١

ابو طالب محمد بن عبد الله الانصاري ٢١

ابو الطاهر بن ابي اسحاق الجنياني ٨١

ابو الطاهر السلفي ١٦١

ابو الطيب المتنبى ٦٣ - ٧٢

ابو العباس الاعرجي ٢٥٧

ابو العباس الشيعي ٢٤٠

ابو العباس اللحياني ١٩٣

ابو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب ٢٦

ابو عبد الله بن ابي يعقوب يوسف ٢٦٧

ابو عبد الله الخشاب ٢٥٠

ابو عبد الله الخبّاري ٢٤٨

ابو عبد الله الشيعي ٢٤٠

ابو عبد الرحمان يعقوب بن يوسف بن محمد الهرغي ٢٦٨ - ٢٦٧

٢٦٩ - ٢٧٠

ابو عبد السلام مفرج بن ياضة (انظر : مفرج بن ياضة)

ابو عبّيد ١٣٥

ابو عبّيدة ٣١١

ابو عثمان بن خلفون الحساني ٢٥٠ - ٢٥١

ابو العرب محمد بن احمد بن تميم ١٢ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢

ابو العلاء (الموحدي) ٣٦٣ - ٣٦٤

ابو العلاء الدمري ٦٠ - ٦١ - ٦٣

ابو علي بن ابي موسى ابن ابي حفص ٢٧٥

ابو علي القالي ٦١ - ١٨٣

ابو علي النفطي ١٤٣

ابو عمر بن الحذاء ٧٩

ابو عمران بن عيسى بن عمران (انظر موسى بن عيسى)

ابو عمرو عثمان بن ابي بكر بن حمود الصدفي (ابن الضابط) ٧٨ - ٨٠

ابو عيسى (سهيل) ٢١٣

ابو عيسى العموري ١٣٢

ابو غرارة (سلام) ١٨٠ - ١٨١

ابو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبيد ١٠٦ - ٢٥٤ - ٢٥٦

٢٥٨ - ٢٦٢ - ٢٨٠ - ٣٠٦ - ٣٠٧

ابو الفتح زيان الصقلي (انظر : زيان)

ابو الفتوح بن محمد ٣٥

ابو الفتوح بن يحيى بن تميم ٧٣

ابو الفرج احمد بن علي ٦٦

ابو الفضل بن معاوية اليحصبي ٣٧٦

ابو الفضل محمد بن علي التجاني ٨٨ - ٢٢١ - ٢٨٠ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٩٥

ابو القاسم (القائم العبيدي) ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٤٠ - ٢٤١

٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧

ابو القاسم بن أبي عبد الله محمد الخباز ٣٦٨

ابو القاسم بن بَشْكُوَال (انظر ابن بَشْكُوَال)

ابو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي ٣٦٧

ابو القاسم بن محمد بن ملجوم ٣٠٠ - ٣٠١ -

ابو القاسم السهيلي ٥٩

ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله الجوهرى (انظر : عبد الرحمان)

ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد الحضرمي اللبيدي ٦٧٠ - ٦٩ - ٨٣

ابو القاسم نصر بن احمد الخُبَزْأُ رُزِي (انظر : نصر)

ابو قيس (سعد بن مالك) ٢٨٣

ابو لبابة الانصاري ٩١ - ٩٢ - ٩٤

ابو محمد بن أبي البركات بن ابي الدنيا الصدفي (انظر : عبد الحميد

ابن أبي البركات)

ابو محمد بن أبي زيد ٢٥٠ - ٢٦٥

ابو محمد بن شبرين الجذامي السبتي (انظر : ابن شبرين)

ابو محمد بن يعقوب ١٣٦

ابو محمد عبد الله بن ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص ٥٢

ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ١١٠ - ١٢٠ - ٢٤٠ - ٣٥٧ - ٣٦٠

٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣

ابو محمد (مؤلف هذا الكتاب) - (انظر : عبد الله التجاني)

ابو المجد الصوفي المهدي ٢٧٨ - ٢٧٩

ابو مروان بن مكّي ١٧٨

ابو مطرف بن عُمَيْرَة ٩٠ - ٩١ - ٩٢

ابو الممالي ٢٥٥ - ٢٥٧

ابو موسى عيسى بن ابراهيم السوسي ، القطان ٣٦

ابو نزار خطّاب البرقي ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١

ابو نعيم الحافظ ٧٨ - ٧٩

ابو نواس ٣٤

ابو الوليد الباجي (سليمان بن خلف) ٢٧٦

ابو يحيى زكرياء بن اللحياني (انظر : مخدومنا)

ابو يحيى (الممريني) ١٩٧

ابو يحيى بن ابي بكر بن بزريق ٢١٨

ابو يحيى بن عبد الكريم العوفي ٣٧٠

ابو يحيى بن مطروح التميمي (انظر : ابن مطروح)

ابو يحيى عتيق بن ابي عمرو (انظر : عتيق)

ابو يزيد مغلد بن كيداد النكارى ، صاحب الحمار ٢٢ - ٢٤ - ٢٥

٢٧ - ٢٨ - ١١٩ - ٢٠٨ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٣٢١ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥

٣٢٦ - ٣٢٧

ابو يعقوب بن عبد المؤمن ٢٤٣ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٦١

ابو يعقوب الحساب ٢٦٠ - ٢٦١

ابو يعقوب الطري ١٤٣ - ١٤٤

ابو يعقوب المرنى ٤ - ٥ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٢٠

ابو يوسف الدهمانى ٥٦

الاثبج (قبيلة) ١٨ - ٧٠

الاجدابى ، ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل ١٤١ - ٢١٦ - ٢٦٢ -

٢٦٣ - ٢٦٤

احمد (اخو المؤلف) ١٩٨

احمد باشا باى ٨

احمد بن ابراهيم الفسانى ٣٧١ - ٣٧٤

احمد بن ابراهيم القيسى اللباني ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٤

احمد بن أفلح ٢٨

احمد بن حنبل ٩

احمد بن خالد ٢٧٢

احمد بن دياب بن ربيعة بن زغب ١٣٤

احمد بن زريق البغدادي ٢٦٥

احمد بن عبد الله الرصافي ٢٩٩ - ٣٠٠

احمد بن عبد السلام الأموي التاجوري ٨٣ - ٢١٧ - ٢٥٤ - ٢٥٨

٢٧٠ - ٣٠٨

احمد بن علي بن سالم ٨٠

احمد بن عيسى الفماری ٢٥٧

احمد بن محمد بن يملول (انظر : ابن يملول)

احمد بن يحيى ٢٧١

احمد الواعظ ٦٦

الادريسي (الشريف) ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣

الارموى (انظر : تاج الدين)

أسد بن القسرات ٢٦

اسد الدين شركوه ١١١

اسرائيل بن روح الساحلي ٦٦

اسكندر آصاف ٣٤

اسماعيل بن حصن ٦٦

اسماعيل الشيعي (المنصور بن القائم) ٢٨ - ٣٢٧ - ٣٢٨

اسماعيل بن ربّاح ١٢

الاشبيلي (انظر : ابو الحسن بن حجري)

الاصابة (قبيلة) ١٣٤

الاصولي (عبد الرحمان بن ابراهيم) ٢٦٩ - ٣٧٨

الاعجمي (انظر : ابو العباس)

الاعمى الفهمي ١٣٨

الامير الازدي (انظر : ابن الصغير)

ام سالم بن مرغم ٢١٥

ام محمد بن سحنون ٦٩

ام موسى ٣٧٠

أمية بن ابي الصلت ٣١٤

أنس بن مالك ٦ - ٢ - ٣١

اولاد سهيل ٢١٢

أيوب بن خيران الزويلي الككاري ٢٤ - ٢٥

- ب -

الباجي ، ابو الوليد (انظر : ابو الوليد الباجي)

باديس بن يوسف بن زيري (باديس بن المنصور) ٩٦ - ١٨١ -

١٨٢ - ٢١٨

البارزي (انظر : ابو الحسن البارزي)

البخاري ١٤٢ - ٢٥٦ - ٢٥٨

برغواطية (قبيلة) ٩٦

البرقي ، ابو زكرياء (انظر : أبو زكرياء)

بُشْرِى الصقلبي ٢٤ - ٢٥

البكري ، ابو عبيد (صاحب السالك) ٦ - ٧ - ٨ - ١٠ - ١٣ - ٢٨

٥٧ - ٨٩ - ٩٤ - ٩٦ - ١٥٥ - ٢٤٧ - ٢٥٩ - ٢٧١ - ٣٢٢ - ٣٢٦

البكري ، ابو يعقوب يوسف بن السباط (انظر : يوسف بن علي)

البلوي ابو عبد الله بن ابي سلام (انظر : ابن ابي سلام)

بنو ابي زاكي ٢٣٠

بنو احمد ١٣٤ - ١٤١

بنو أسد ١٦٠ - ١٦١

بنو الاغلب ١٣ - ٨١ - ٢٤٩

بنو أمية ٢٣٩

بنو تاسا ٢١٦

بنو التجاني ٢٥٦

بنو تميم (انظر : تميم)

بنو تيجان ٢٢٨ - ٣٠٦

بنو جارية بن وشاح ٢٠٦

بنو جامع ٥٥ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٦٣

- بنو حَسَيْن ٢١٧
بنو خُراسان ٣٤٥
بنو خُزْدُون ٢٤١
بنو خطاب الهواريون ١١٢
بنو خِيار ٨٥ - ٣١٦
بنو دَبَّاب ٨٥
بنو دَبِير ١٦٠
بنو دَلَّاج ١٥
بنو رِحاب ١١٨
بنو رِزْق ٢١٧
بنو الرُّنْد ١١٤
بنو زيري ١٧ - ٣٢٨
بنو سلام ٢١٧
بنو سَمُومَن ١٢٣
بنو سِنان بن عامر ٨٦ - ٢١٤
بنو سَهْم ١٤٠
بنو صَلْتان ٢٢
بنو عامر الصنهاجيون ٩٦

بنو عامر بن صَفَصَةَ ١٨

بنو عبد السيد ٣٤٥

بنو عبد المؤمن ١١٣ - ١١٤

بنو عَبِيد ١٦ - ٢٥٣ - ٢٦٦ - ٣٢٨

بنو عَبِيد الله ١٩

بنو عزو ١٢٣

بنو عشرة ٣٤٤

بنو عَنُوف بن سَلِيم ١٥ - ٨٥

بنو عيسى ٣١٠

بنو فارة ٣١٦

بنو فَقْمَس ١٦٠ - ١٦١

بنو قَرِيظَة ٩٢

بنو لُقْمَان الكَتَامِيُون ٩٦

بنو مالك بن النَجَّار ١٢٤

بنو مجريس ٢١٦

بنو مُنْدَلِج ٢٣٩

بنو مِدْنِين ٢١٧

بنو مِرْدَاس ١٦٣

بنو مزبلة ٢١٧

بنو مطروح ٢٣٧

بنو مَناد ٧٠ - ٩٩

بنو نِفزاو ١٤٣

بنو نقاد ٢٦٤

بنو وشاح بن عامر ٨٦ - ١١٨

بنو ولول ٢١٠

بنو يزيد ١٣٤

البهلول بن راشد ٣٢

البيساني (انظر : الفاضل البيساني)

- ت -

تاج الدين الازموي ٣٦٨

التاجوري ، ابو العباس احمد بن عبد السلام الاموي (انظر : احمد

ابن عبد السلام)

التاجوري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحسيني (انظر : محمد بن

عبد الله)

تاسا (زوجة وخيم) ٢١٦

التاسيون (قبيلة) ٢١٦

تاشفين بن غازى ٢٤٥

التجاني ، ابو الحسن (انظر : ابو الحسن على)

التجاني ، ابو الفضل (انظر : ابو الفضل)

التراب السوسي ٤٣

التركى ٧٠ - ٧١

تقي الدين (الملك المظفر) ١٠٣ - ١١٢ - ١١٣ - ١٤١

تمام بن المبارك ٢٤٠

تميم (قبيلة) ٣٠٧

تميم بن المعز ٢٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠

٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣

تميم بن الحسن (الصنهاجى) ٣٤٢

التوخى ، ابو القاسم بن البراء (انظر : ابو القاسم بن علي)

توران شاه بن ايوب ١١٢

تيجان ١٦٥ - ٢٢٨

- ث -

ثقة الدولة (يوسف بن عبد الله) ٣٨ - ٣٩ - ٤٠

الثريّا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الاصغر بن عبد شمس ٦٠

الثعالبي ٤٢ - ٥٤ - ٩١

- ج -

جابر بن مالك ٢١٧

جارية بن وشاح بن عامر ٢٠٦ - ٢١٢

جالوت ١٤٣ - ١٦٠

جبارة (أخو الميورقي) ٣٥٧

جبارة بن كامل بن سرحان بن الغين الفادعي ٣٠ - ٤٣ - ٤٧ - ٥٠

جيريل ٣٨٦

جيران العود ٦٠

الجزجرائي ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢

جرجي بن مخائيل الانطاكي (جرجير) ٢٤١ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٤٠

٣٤١ - ٣٤٢

جرجير (صاحب سيطلة) ٥٨

جرجير. ٧٢

الجزري ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد الجزري)

جعفر بن حبيب ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٢١٨

جعفر بن شرف ٥٣

جعفر بن يوسف بن عبد الله ٣٨ - ٣٩ - ٤٠

الجلندي (ملك قرطاجنة) ٨

جواب ٢١٢

الجَوَّاري (شاعر) ١٣٧

الجَوَّاري (قبيلة) ١٠٤ - ١١٨ - ١٧٩ - ١٨٧ - ١٨٨ - ٢٠٦ - ٢١٣

٢١٧ - ٣٠٧

الجَوَّارِبَة ١١٨ - ٢١٢ - ٢١٣

الجوهري ، ابو القاسم (انظر : عبد الرحمان)

- ح -

حاتم الطائي ٢٠٣ - ٣١١ - ٣١٢

الحاجب الموفق (انظر : مجاهد بن عبد الله)

حاجبي خليفة ٣٣

الحارث (صاحب بؤنة) ٣٤٤

حازم بن محمد بن حازم ١٨٤

الحافظ المبيدي ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٤

الحاكم (المبيدي) ١٨٢

حبر قضاة (انظر : ابن الابار)

حسان بن ثابت ١٦١

حسان بن النعمان الفسّاني ٦ - ١٠ - ١١ - ٥٧ - ٥٨ - ١٦١ - ١٦٢

الحسّاني . ابو عثمان (انظر : سعيد بن خلفون)

حسن بن بُلبل ٣٦

الحسن بن علي بن يحيى ٧٤ - ٩٩ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ -

٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٨ - ٣٤٩

الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن ابي طالب ٢٠٩

الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة (انظر : ابو الحكم)

الحسن بن العزيز ٣٤٤

الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٧

٢٧٨ - ٢٧٩

حسن حسني عبد الوهاب ٦ - ٥٦

الحسين بن علي بن أبي طالب ٣٢٤

الحسيني ، ابو عبد الله التاجوري (انظر : محمد بن عبد الله)

حصن (قبيلة) ٦٥

حفص بن حميد الجزري ١٢

حكيم (قبيلة) ٥٥ - ٦٥

الحكيم بن عمر البهراني الاعمى ٦٢

الحكيمى ، ابو محمد (انظر : عبد الجليل)

الحكييون ٢١٩

حتادي المالقي ٣٥٨

الْحَمَارِثَةُ (قَبِيلَةٌ) ١٣٤

حُمُرَانُ بْنُ جَابِرٍ ١٣٤

حَمْزَةُ بْنُ حَمْزَةَ ٣٤٥

حَمُو بْنُ مَلِيْلٍ الْبَرْغَوَاطِيُّ ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٩٧ - ٣٣٠

حَمِيدُ بْنُ جَارِيَةٍ ١٠٤ - ٣٠٧ - ٣٠٨

الْحَمِيدِيُّ ٥٣ - ٥٤ - ٧٩

حَنَشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَعَانِيُّ ١٢٤ - ١٢٥

حَنَشُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّنَعَانِيُّ ١٢٤ - ١٢٥

الْحَنْفِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ (انظر : الزناتى)

- خ -

الْخَارِجِيُّ (انظر : محمد الخارجي)

خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ٣١

الْخُبْرَاءُ زَيْدِي (انظر : نصر بن احمد)

الْخُرَاجَةُ (بَطْنٌ مِنْ بَنِي يَزِيدٍ) ١٣٤

خَزْرُونُ بْنُ خَلِيفَةَ ٢٦٧

الْحُثَابُ (انظر : ابو عبد الله)

الْحُثَابُ (انظر : ابو يعقوب)

الخَضِر (عليه السلام) ٢٤٨ - ٨

خَطَّاب البرقى (انظر : ابو نزار)

الخطَّابى (انظر : ابو سليمان)

الخطَّابيون ٢١٧

الخليل (ابراهيم عليه السلام) ٣٠٨

الخليل بن احمد ٨٧

خليل بن اسحاق ٢٤١ - ٢٤٦ - ٢٥٣ - ٣٥٤

الخليلى (انظر : محمد بن عبد الله الحسينى)

الخيَّارى (انظر : ابو عبد الله)

- ٥ -

داود (عليه السلام) ١٤٣ - ١٦٠

داود بن ابى داود ، ابو سليمان ٨٤

دباب بن ربيعة بن زغب ٨٥ - ١١٣ - ١٣٤ - ١٤١ - ١٨٠ - ٣١٠

الدبابيون (قبيلة) ٨٦ - ١٠٤ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣ - ١٤١ - ٢١٣

الدَّبَّاغ (صاحب معالم الايمان) ٥٦ - ١٢٤

الدَّعِى ، ابن أبى عِمَّارة ١٠٤

دَلَّاج (قبيلة) ١٦ - ٥٥

- ٤٢٩ -

- ذ -

ذبيان (قبيلة) ٩١

ذو الرّمة ٣١٣

- ر -

رافع بن مكى بن كامل ٩٥ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ٣٣٣ - ٣٣٤

ربيعة ١٤١

رَجَّار (انظر : لجار)

الرجراجى (انظر : محمد بن عبد الكريم)

رحاب بن محمود بن طنوق بن بقيّة بن وشاح ١١٨

الرُّشَاطَى ٢٦ - ٦٦ - ٨٣ - ٨٦ - ١٤١

رُشَيْد بن مدافع بن جامع ٩٥

الرشيّد ٢٣٩

الرصاصى ابو العباس (انظر : احمد بن عيد الله)

الرقيق (ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم) ٦ - ٧ - ١١ - ٣٢ - ٨٣ -

٢٤١ - ٣٢٠

رويفع بن ثابت الانصارى ١٢٤ - ١٢٥

ريناح (قبيلة) ١٨

الرياحيون ١٥ - ١١٣

الريفي ٢٧٣

- ز -

الزبير بن أبي بكر الزبيري ٢٦٤

زعب الاصغر ١١٣ - ١٤١

زعب الاكبر ١٤١

الزعيون (زعب ، قبيلة) ١٤١ - ١٤٢

زغبة (قبيلة) ١٨ - ٢٦٧

زكرياء بن قادم ٢٤٠

زناتة (قبيلة) ١٤٣ - ٢١٦ - ٢٦٧ - ٣٢٧

الزناتى ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن ابراهيم)

الزناتيون ١٨٣ - ٢٤١

زهير بن قيس البلوي ٥٧

الزوارى (انظر : عبد الرحيم الزوارى)

زيادة الله بن الاغلب ٢٤٠

زيان الصقلي ٢٤٠

زيد بن ثابت ٦ - ٧

زيري بن مناد الصنهاجى ١٦ - ١٧ - ٣٢٨

- ۴۳۱ -

- س -

ساکن بن عامر ۱۰۲

سالم بن رافع ۱۳۴ - ۲۲۰

سالم بن مرغم ۱۷۹ - ۱۸۳ - ۲۰۶ - ۲۱۵

سالم الفتی ۳۶۱

سبا بن یثجب بن یعرب بن قحطان ۲۵۵

سحبان وائل ۳۸۶

سحنون بن سعید ۵۶ - ۶۹ - ۲۵۱

سعد بن معاذ ۹۲

سُفدی ۳۷۳

السعید خلیفہ مراکش (علی بن یوسف بن تاشین) ۸۲ - ۸۴

سعید بن خزرون ۲۶۷

سعید بن خلفون الحسانی ۲۴۹ - ۲۵۰ - ۲۵۱

سفیان بن عیینة ۳۰ - ۳۲

سیلاح دار (انظر : ابراهیم بن قراتبکین)

سلام بن فرحان ۱۰۱

سُلیم ۱۱۵ - ۲۰۶

سلیمان بن خلف (انظر : ابو الولید الباجی)

سليمان بن رافع بن دباب ١٣٤

سليمان بن محمد المهدي الصقلي ٥٣

سَمْدُونَة ٢٥١

سنان بن عامر بن جابر ٢١٣

سهل الوراق ٢٨

سُهَيْل بن عبد العزيز بن مروان ٦٠

سهيل (انظر : ابو عيسى)

سهيل (انظر : اولاد سهيل)

السهيلى (انظر : ابو القاسم السهيلى)

السِّيَاقَطِى (انظر : ابو الحسن)

السيوطى ، جلال الدين ١١ - ١٤١

- ش -

الشاطبى (انظر : ابو الحسن)

شرف الدين (انظر : قراقوش)

الشريف الادريسي (انظر : الادريسي)

شَرِيكَ العَبْسِي ١١

الشَّعَاب (انظر : عبد الله الشعاب)

شُكْر الصَّقْلَبِي ٢٥٤

الشمخ بن ضرار ١٨٣

شمس الدولة (انظر : الملك المعظم)

شهوان بن عيسى بن عامر .. بن دباب ٣١٠ - ٣١١

- ص -

صاحب الحمار (انظر : ابو يزيد مغلد)

الصدفى (انظر : عبد الحميد بن ابى البركات)

الصفراوى ٢٧٣

صفوان بن ادریس ٣٧٧

صلاح الدين يوسف بن أيوب ١٤ - ١٠٣ - ١١١ - ١١٢ -

١١٣ - ١١٤

صنهاج بن لمنط ٢١٦

صنهاجة ١٦ - ٣٠ - ٦٩ - ٩٥ - ٩٦ - ٣٢٧ - ٣٣٣ - ٣٤٤

الصنهاجيون ٢٤١

صهّب بن جابر .. بن دياب ١٣٤

الصهبة ١٣٤

الصهر (انظر : ابو بكر الصديق)

- ٤٣٤ -

- ض -

ضَرِيس بن الاصفر بن نِفزاو (جالوت) ١٤٣
ضريسة (قبيلة) ٣٢٥

- ط -

طَرَفَة ٣١٣

طِرود (قبيلة) ٥٥ - ٦٥

الطَّرِي (انظر : ابو يعقوب)

طَي (قبيلة) ٣١١ - ٣١٢

- ظ -

الظَّاهِر العَبِيدِي ٢١

- ع -

عَاد ١٧٣

عاصم ٦٠

عامر (ابو قبيلة وشاح) ٢١٤

عامر بن محمد بن مكى بن كامل بن جامع (انظر : ابو ساكن)

عباد بن كثير ٣١

العباس بن الاحنف ٤١

عبد الله ٣٣

عبد الله (التجاني المؤلف) ١٣ - ٩٢ - ١٤٠ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٦٨

١٧١ - ١٨٩ - ١٩٠ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٨١

٢٨٥ - ٢٩٤ - ٢٩٦ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠٣ - ٣٠٦ - ٣٨١

عبد الله بن ابراهيم بن أبي مسلم القابسي ٢٥٧

عبد الله بن ابراهيم بن المثنى ٣٦٦

عبد الله بن ابي الطاهر الجبنياني ٨١ - ٨٢

عبد الله بن أبي مسلم ٢٤٦

عبد الله بن احمد بن زياد ٦٦

عبد الله بن احمد الازدي العسيلي (ابو محمد) ١٣٠ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦

عبد الله بن الاغلب ١١

عبد الله بن دباب ٢١٤

عبد الله بن دينار ٣١

عبد الله بن الزبير ٢٧ - ٥٨ - ٢١٢

عبد الله بن سعد بن ابي سرح ١٣ - ٥٨ - ٦٥

عبد الله بن عبد الرحمان بن علي القرياني ٨٣ - ٨٤

عبد الله بن عبد الكريم الفمري ٢٥٧

عبد الله بن عبد المؤمن ١٠١ - ٣٤٥ - ٣٤٧

عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن هانش الطرابلسي (انظر : ابن هانش)

عبد الله بن محمد بن عبد الكريم ٣٥٣ - ٣٥٤

عبد الله بن محمد بن عامر بن أبي عامر (انظر : أبو حفص)

عبد الله بن محمد العطار ٧٣

عبد الله الشَّعَاب ٢٤٧ - ٢٤٨

عبد الله الميورقي ٢٤٤

عبد البر بن فرسان ١٠٦ - ١٠٨ - ٢٤٤

عبد الجليل الحكيم (ابو محمد) ٢١٩

عبد الحق (طاحب الاحكام) ٨ - ٩

عبد الحق بن عثمان الكومي ٣٠

عبد الحق يحيى بن عبد الحميد الحماني (انظر : يحيى بن عبد الحميد)

عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسي ٤٢

عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدي ٢١٨ - ٢٥٢

٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٧٢

عبد الرحمان بن ابراهيم الأصولي (انظر : الاصولي)

عبد الرحمان بن حبيب ٢٣٩

عبد الرحمان بن زياد بن إنعم الافريقي ٣١ - ٣٢

عبد الرحمان بن عبد الله الجوهرى ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٣٧٢

عبد الرحمان بن عتاب ٨٠

عبد الرحمان بن عمر القرىانى ٧٦

عبد الرحمان بن محمد الحضرمى الليدى (انظر : ابو التامم عبد
الرحمان)

عبد الرحمان بن عيسى ٣٦٦

عبد الرحمان النصراني (الصقلي) ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦

عبد الرحيم الزوارى ٢٠٧ - ٢٠٩

عبد الرفيق ٣٥٥

عبد السلام بن عثمان الفيتوزى ٢١٩ - ٢٥٩

عبد السلام الكومى ٣٤٥

عبد السيد بن عبد السيد ٣٤٥

عبد السيد الزمىدينى ٥٦

عبد العزيز بن مروان ٦

عبد العزيز القمودى ٣٤٥

عبد العزيز بن عبيد (انظر : ابو فارس)

عبد العزيز بن عمار ٧٤

عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر (انظر : الحافظ العيىدى)

عبد الملك بن مروان ٦ - ٧ - ١٣ - ٥٧ - ٥٨ - ١٦١ - ١٦٢

عبد المؤمن ٣٠ - ٧٦ - ١٠٠ - ١٠١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤

٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٦١

عبد الواحد (المخلوع) ٣٦٣

عبد الواحد بن ابي حفص (انظر : ابو محمد عبد الواحد)

عبد الواحد بن أبي يَغْمُور الهتاتي ١٧١

عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسي (انظر : ابن الفطاس)

عبد الوهاب بن محمد الهنزوتي ٢٥٦

عبد الوهاب القيسي ٢٥٩ - ٢٦٢

عيد الله الشيعي (المهدي) ٥٦ - ٢٤٠ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ -

٣٢٤ - ٣٢٦

العبيديون ٢٤١ - ٣٢٠

عتيق بن أبي عمرو (ابن عربية) ٣٧٩

عتيق بن المنصور ٣٤٥

عثمان بن ابي القاسم بن عبد الرحمان بن حشرون المهدوي ٣٦٦

عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي (ابن عربية) ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٩

عثمان بن عثمان ١٠ - ٥٨

عدي بن حاتم ٣١١

عدي (قبيلة) ٧٠

العرجاء ، أم صنهاج ٢١٦

العزير بالله ٣٨

العُسَيْلي ، ابو محمد عبد الله بن احمد الازدي (انظر : عبد الله)

العطار ٧٩

عقبة بن نافع القرشي ١٦١ - ١٦٢

علي بن ابراهيم التجاني (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن ابي طالب ٩١ - ٢٠٨

علي بن ابي بكر بن بلال (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن احمد (ابن الصفار السوسي) ٣٤

علي بن احمد بن الحبيب ٢٥١

علي بن أحمد بن خراسان ٣٤٦

علي بن اسحاق الميورقي ١٤ - ١٥ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٦٢

علي بن حبيب التنوخي ٦٨ - ٧٦

علي بن الحسن (الصنهاجي) ٣٤٢

علي بن حسن بن الحسين الهنائي ... كراع (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن رزق الرياحي ٢٧١

علي بن زياد ٢٧١

علي بن سالم (جدابي اسحاق الجبنياني) ٦٩ - ٨٠

علي بن عبد الكريم بن أبي غالب ٣٦٦

علي بن الغازي ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٥٩

علي بن اللَّمطي ٣٥٧

علي بن محمد بن المنمر (انظر : ابن المنمر)

علي بن المديني ١٢٥

علي بن مغيث ، ابو الحسن ٢٦٤

علي بن موسى بن سعيد ٢٥٢ - ٣٠٨

علي بن ميمون ٣٣٥

علي بن يحيى ٧٤ - ٩٨ - ٩٩ - ١٢٥ - ٣٣٣ - ٣٣٤

علي بن يوسف بن تاشفين ٣٣٤ - ٣٣٥

عماد الدين الاصفهاني ٤٣ - ١٠١ - ١٠٦ - ٣٦٧

عمار بن علي بن الحسين ٢٢

عمر بن أبي الحسن الفرياني ٧٥ - ٧٦

عمر بن أبي ربيعة ٦٠

عمر بن الخطاب (الفاروق) ٩ - ٣٨٥

عمر بن عبد السيد ٣٤٥

عمر بن عيسى بن الشيخ أبي حفص ٣٦٣ - ٦٤

عمر بن المغز بن باديس ٩٧

عمران بن حصين ٣١

عمران بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي (انظر : ابن معمر ،
ابو موسى)

عمر و ١٤٦ - ٢٠٣

عمر و بن العاص ٢٧ - ٢١٢ - ٢١٥ - ٢٣٩ - ٢٤٥

عَمُور بن وشاح ٢١٢

الْعَمُور (قيلة) ١١٨ - ٢١٢ - ٢١٣

الْعَمُوري ، (انظر : أبو عيسى)

عوف ٣١٣

العوفي (انظر : أبو يحيى بن عبد الكريم)

عيسى (المولى ، اخو يوسف) ١٠٠

عيسى بن أحمد ١٣

عيسى بن جعفر ٨٧

- غ -

الغازي بن اسحاق الميورقي ٣٥٥

الغبريني (صاحب عنوان الدراية) ١١٦

الغَزَّ ١١٣ - ١٣٧ - ١٤٧

الغزالي (انظر : ابو حامد)

الغزولي (صاحب مطالع البدور) ٥٥

الفساني ، ابو العباس (انظر : احمد بن ابراهيم)
غلبون بن مرزوق السالي ٢٢٠
غليّام بن أجمار ٧٥
الغماري ، ابو محمد (انظر : عبد الله بن عبد الكريم)
الغماري ، ابو العباس (انظر : احمد بن عيسى)

- ف -

الفادعي (انظر : جبارة بن كامل)
الفادعي (انظر : مُحَرِّز بن زياد)
فارس بن الفَيْث ٣٢٩
الفاروق (انظر : عمر)
الفاضل البيسانى ١٤ - ١٥ - ١٤٧ - ٢٤٣
الفتح بن محمد ٣٥٧
الفرزدق ٧٢ - ٧٣ - ١٦٠
فرعون ١٤٢
الفريرياني (انظر : عبد الله بن عبد الرحمان)
الفريريانيون ٨٣
فضل بن أبي المنبر ١٢
الفضل بن ابي يزيد صاحب الحمار ٣٢٥
الفضل بن أبي علي المردي ٣٢٩ - ٣٣٠

الفضل بن يحيى ٣٤

الْقُضَلِ بن عِيَّاض ٢٥١

الْقُضَلِي ، ابو عبد الله (انظر محمد بن يحيى)

قُلْفَل بن سعيد الزناتي ١٨٣

- ق -

قائد بن العزيز ٣٤٣

القائم ، ابو القاسم الشيعي (انظر : أبو القاسم)

القابسي ، ابو الحسن (انظر : أبو الحسن)

القابسي ، ابو محمد (انظر : عبد الله بن ابراهيم)

قاضي بن محمد الصنهاجي ٩٦ - ٩٧

القاضي عياض ٢٥٦

قدامة ٣٣

قُرَّة بن شريك ١١

قَرَّاقُوش الارمني (المظفري ، او الناصري) ١٥ - ١٠٣ - ١٠٤

١٠٥ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١٣٦ - ١٤٧

٢٤٣ - ٢٤٤

الْقَرَوِي ٢٥٤

الْقَرَوِيون ٢٥٣ - ٢٥٥

قَرِيظَة ٢٨

قِرَاح ٦٣

القَضَاعِي (انظر : ابن الابار)

القَطَّان (انظر : ابو موسى عيسى)

القَلَانِسِي (انظر : محمد بن حبيب)

القياد ٢١٧

قيس بن ذريح ٧٢

- ك -

الكاهنة (كاهنة لواتة) ٥٧ - ٥٨

الكناميون ٢٢ - ٣٢٥

كُراع (انظر : ابو الحسن علي)

الكلاعي (ابو القاسم بن أبي محمد بن علي بن قائد) ٣٨١

- ل -

اللبيدي (انظر : ابو القاسم عبد الرحمان)

لجَار ١١ - ٧٤ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣ - ٢٤١

٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠

لحيان (قبيلة) ١٦١

لسان الدين بن الخطيب ٣٨

اللُّبِّيَّانِي (انظر : احمد بن ابراهيم القيسي)

لنط ٢١٦

النَّبَوَاتِي ' ابو عبد الله ، ابن الحجاز (انظر محمد بن علي)

لُويْس شيخو ٣١٤

لَيْث بن أَبِي سَلِيم ٣١

- م -

مالك بن أنس ٦٦ - ٢٠٩

مالك بن علوان الصخري (انظر : ابن علوان)

المتنبّي (انظر : ابو الطيب)

المتوكل على الله (انظر : محمد بن عبد الكريم)

مُجاهد ٣١

مجاهد بن عبد الله (الحاجب الموفق) ٨٢

مجريس ٢١٦

المجريسيون ٢١٥ - ٢١٦

المحاميد - ١٠٤ - ١١٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٧ - ٢٠٥ -

٢٠٦ - ٢١٢ - ٢١٣

مُحَرِّز بن خَلْف ٢٥١ - ٣٢١

محرز بن زياد الفادعي ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣

محمد (الخارجي) ٣٤٥

محمد (رسول الله - المصطفى - احمد - الهادي - النبي صلى الله

عليه وسلم) ٣ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ٣١ - ٣٢ - ٥٠ - ٩٤ - ١٤٦

١٥٠ - ١٥٣ - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٥٣ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٧٤

٣٦٤ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٧ - ٣٩٠

٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٥

محمد بن أبان بن صالح ٨

محمد بن ابراهيم بن جامع المرداسي ١٥٥

محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتى (الحنفى) ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١

محمد بن أبي بكر البلوي (انظر : ابن ابي سلام)

محمد بن أبي تميم المعز بن سليمان ٦٩

محمد بن أبي الحسن التجاني : (انظر : ابو الفضل)

محمد بن أبي عمران بن عيسى بن عمران ٢٦٨

محمد بن أبي القاسم القيسي الازدي ٣٧٠

محمد بن أبي محمد عبد الوهاب القيسي ٢٦٢

محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري (انظر : البخاري)

محمد بن الاغلب (انظر : ابو العباس محمد)

محمد بن البراء المهدوي ١٤

محمد بن بشير ٩٩ - ٣٣٤

محمد بن حبيب (القلائسي) ٣٢٩ - ٣٦٦

محمد بن الحسين بن أبي الفتح (انظر : ابن ميخائيل القرشي)

محمد بن الحسين الارموي (انظر تاج الدين)

محمد بن حيون ١٥٤

محمد بن خطاب بن عبد الله ١١٢

محمد بن رشيد ١٠٠ - ٣٤٠

محمد بن سحنون ٦٩

محمد بن عبد الجبار الرُّعيني ٥٢

محمد بن عبد السلام الكومي ٣٥٢

محمد بن عبد العزيز بن ميون ٣٣٩ - ٣٤٧ - ٣٤٨

محمد بن عبد الله بن أبي عامر (انظر : المنصور)

محمد بن عبد الله الحسيني التاجوري ٣٠٨

محمد بن عبد الله الكاتب ٩٩

محمد بن عبد الله الهواري ٢٢٧ - ٢٣٠ - ٢٩٥ - ٢٩٨

محمد بن عبد الكريم الرُّجراجي ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٦

محمد بن المطاز القرطبي (انظر : ابن المطار)

محمد بن علي بن ابراهيم بن الخباز اللواتي ٣٦٧ - ٣٦٨

محمد بن علي بن حماد ١١٦

محمد بن علي التجاني (انظر : ابو الفضل)

محمد بن علي المصري ١٣٥

محمد بن عمر بن رأس الحجلة ٣٠١

محمد بن عمر بن لبابة ٢٧٢

محمد بن فاضل البكري الاقريقي ٢٦٣

محمد بن فرج الكومي ٣٤٩

محمد بن فطيس (انظر : ابن فطيس)

محمد بن محمد المزدوري الهنتاتي ٨٦

محمد بن يحيى العدل ٢٦٩

محمد بن يحيى الفضلي ٢٧٦ - ٢٧٧

محمد بن يعيش (انظر : ابن يعيش)

محمد بن يغمور الهنتاتي ٣٦٠ - ٣٦٣

محمد الجزري ، ابو عبد الله ٣٠٢

محمود بن طوق بن بقية ٣٠٤

محمود مقديش ٣١

مخلد بن كيداد (انظر : أبو يزيد)

مَخْدُومُنَا ، (ابن اللحياني ، السلطان الحفصي) ١٢٩ - ١٤٧ - ١٥٠

١٥٥ - ١٦٣ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٩١ - ١٩٣ -

١٩٨ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١٣ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٧ - ٢٥٥ -

٢٨٠ - ٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣١٦ - ٣١٧ -

مُدَافِعُ بْنُ رَشِيدٍ ١٠٠ - ١٠١ -

مُدَامُ (الخادم) ٢٦ -

مُدْلِجُ ٢٣٩ -

المُدْلِجِي ٢٣٩ -

المَرَاغِمَةُ ٢٥٦ - ٢١٧ -

مَرْبَعُ ٧٣ -

مَرْغَمُ بْنُ صَابِرٍ ٢١٧ -

مُرْنَاقُ ١٠ - ١١ -

مُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ٧ -

المُزِينِي (انظر : ابو يعقوب)

المُزْدُورِي ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد بن محمد المزدوري)

مُساوِرُ بْنُ هِنْدٍ ١٦٠ - ١٦١ -

المُسْتَنْصَرُ (العيدي) ٢١ -

المُسْتَنْصَرُ (الحفصي) ٩٠ - ١١١ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٣٧١ -

مستوية النكارى ٢٢ - ٢٣

مسعود بن رُمَّان ١١٣

مُسلم بن حجاج القُشَيْرِي النِّسابوري ٢٥٥

المسيح (عيسى عليه السلام) ٣٨٩

المشاركة ٢٠٦ - ٢٢٠ - ٢٦٥ - ٣٠٦ - ٣١٦ - ٣١٧

المشْرِقِيَّون ٢٦٤

المصاميد ١٤٣

مضر بن تميم الفَرَّاري ٧٧

مطَرَف بن عبد الله ٣١

مطَرَف بن علي بن حَمْدُون ٣٤٠

مُظَفَّر بن علي ٧١ - ٧٢

المعاوى (ابو القاسم بن معاوية اليحصبي) ٣٧٦

معاوية (بن ابي سفيان) ١٢٤ - ١٦١

معاوية بن حَديج ٢٦ - ٣٢

معاوية بن عبد السَّيد ٣٤٥

مَعَدَّ بن اساعيل (انظر : المعز لدين الله)

معروف الكَرَّخي ٨٤

المَعْرِي (انظر : ابو العلاء)

مُعَلِّمُ الْقِتْيَانِ ٣٢١

المعز لدين الله ١٦ - ١٧ - ٣٢٨

المعز بن باديس ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٨ - ٢٩ - ٧٠ - ٩٦

٩٧ - ١٢٥ - ٣٢٤ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠

المعز بن محمد الصنهاجي ٩٦

المغاربة ٢٢٠

المَغْرِبِيُّونَ ٢٦٤

مفرج بن يَاضَة ١٣ - ٢٤٩

المفرجي (انظر : ابن العطار القرطبي)

المَقْدُمُون ١٨٧

المَقْرِي (صاحب تفح الطيب) ٩٠

مكي بن كامل الرياحي ٧١ - ٩٧

الملثم ٣٣٩

الملثمون ٣٣٤

الملك المعظم ، شمس الدولة ١١٢

الملك الناصر (انظر : صلاح الدين)

المنتصر بن خزرون ٢٦٧

المنصور العبيدي (انظر : اسماعيل الشيعي)

المنصور (يعقوب بن يوسف) الموحدى ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٤ - ١٣٦

١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٢ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٦١

المنصور بن ابي عامر (الحاجب) ٢٧٢

منصور بن اسماعيل ٣٤٥

المنصور بن ماواس ٩٦

المنصور بن مليل البرغواطى ٧٠

المنصور بن الناصر ٠٠ بن حماد ١١٥

المهدوى (انظر : ابن ابي الحواجب)

المهدوى (انظر : أبو المجد الصوفى)

المهدي (ابن تومرت) ١٢١ - ٢٤٥

المهدى العيذى (انظر : عبيد الله الشيعى)

المَمَوَّارِقَة ١٣٦ - ١٦٢

الموحدون ٧٦ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٠ - ١٣٦

١٤٧ - ٢٣٧ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٣

٣٥٥ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٣

موسى (عليه السلام) ٨ - ٣٧٠

موسى بن عيسى بن عمران ٢٦٨

الموفق (انظر : مجاهد بن عبد الله)

مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي ٢٦٥ - ٢٦٦

مؤنس بن يحيى الهلالي ٩٦ - ٩٧

ميمون بن حمدون ٣٤٢ - ٣٤٣

الميسورقي ٧٦ - ٨٥ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١١٠ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٠

١٣٦ - ١٤٧ - ١٨٠ - ٢١٥ - ٢٤٤ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦

٣٥٧ - ٣٦٢

- ن -

النايفة الذبياني ٩١

ناصر (مملوك الناصر) ٣٥٩

الناصر (الخليفة الاموي بقرطبة) ٢٧٢

الناصر (الموحدي) ١١٠ - ١٤٧ - ١٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩

٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢

الناصر بن عتّاس بن حماد ١١٥

نائل بن عامر بن جابر (جد قبيلة النوائل) ٨٦ - ١١٨ - ٢١٤

نيل ٣٦٠

نصر بن احمد الخبزأرزي ٥٤

النضير ٢٨

النفاتيون ١٨٨

نَفْزَاو ١٤٣

النَّفْطَى (انظر : ابو علي)

نَفُوسَة (قيلة) ٢٣٩

النَّقَاد ٢٦٤

النَّكَارِي (انظر : ابو يزيد مغلد)

النَّكَارَى (النائر على المعز بن باديس) ١٢٥

النَّوَائِل ٨٦ - ١١٨ - ٢١٤

نُوح (عليه السلام) ١٦١

نُور الدين محمود بن زَنْكِي ١١١

هَرَاغَة ٣١٦

هَرَثَمَة بن أَغِين ٢٣٩

الهِرَغَى (انظر : أبو عبد الرحمان يعقوب)

الهِرَوِي ١٣٥

الهَلَالِيُون ٩٥

الهُنَائِي (انظر : ابو الحسن علي)

الهُنَاتِي ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن محمد المزدوري)

الهنزوتى ، ابو محمد (انظر عبد الوهاب)

هوارين المثنى بن المسورين يخصب ٢١٦

هواره ٨٥ - ٢١٦ - ٢٢٩ - ٣٢٧

الهوارى ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن عبد الله)

الهوارى ، ابو على (انظر : الحسن بن موسى)

الهواريون ٢١٦

- و -

الواثق بن المستنصر ٢٧٥

والد التجانى المؤلف (أبو عبد الله محمد التجانى) ١١٧ - ١٢٩ - ١٩٤

١٩٨ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٨١ - ٢٩٤ - ٢٩٦

وخيع ٢١٦

الورانيز ٣١٦

الوردانيون ٥٦

الورغمييون ١٨٢

وشاح بن عامر ١١٨ - ٢٠٦ - ٢١٤

الوشاحيون ٢١٢ - ٢١٤

الوليد بن عبد الملك ٢ - ٨ - ١١

- ي -

الْيَازُورِي ٢١ - ٩٦ - ٣٢٨

ياقوت (نائب قراقوش) ١٤٧ - ٢٤٤ - ٢٤٥

ياقوت الحَمَوِي ٤٩ - ٥٥ - ٨٧

يانس الصقلى ١٨١ - ١٨٢ - ٢١٨

يحيى بن اسحاق الميروقي ١٤ - ١٥ - ٥٩ - ١٠٤ - ٢٦٢ - ٢٤٤ - ٢٤٥

٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٥٨

يحيى بن تميم ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ - ٩٧ - ٩٨ - ٣٣٠ - ٣٣٣

يحيى بن الحسن (الصنهاجي) ٣٤٢

يحيى بن عبد الحميد الحماني ٨

يحيى بن العزيز صاحب بجاية ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤

يحيى بن المعز بن باديس ٣٣٩ - ٣٤٠

يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن ١٣٦ - ١٦٢

يعقوب بن أبي يعقوب الهرغي (انظر : ابو عبد الرحمان يعقوب)

يعقوب بن عطية امير المحاميد ١٧٩ - ٢٠٥ - ٢٠٦

اليعشي (انظر : ابن يعيش)

يوسف المستنصر ٣٦١

يوسف مولى محمد بن رشيد ١٠٠

يوسف بن أبي موسى عمران ٢٧٦

يوسف بن زيري ١٧

يوسف بن زيري ، أبو الحجاج (مؤلف الكافي في الوثائق) (انظر :

أبو الحجاج)

يوسف بن عبد الله (انظر : ثقة الدولة)

يوسف بن عبد المؤمن (انظر : أبو يعقوب)

يوسف بن علي بن عبد الملك بن السمّاط (انظر : ابن السمّاط ،

أبو يعقوب)

يوسف بن المنصور (انظر : الناصر الموحدي)

يونس بن السمّاط (انظر : ابن السمّاط ، أبو علي)

يونس بن الشيخ أبي حفص ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢

يونس بن محمد الورداني ٥٦

فهرس

اسماء البلدان والمعالم

- أ -

آبارزلوا ٣٥٠

الأبرق ٤٣

أبو الخير ٢٠٥

أبو سهيل ٨٥

أوفهتر (رياض) ٣٧٥

أبو نصر (انظر : منزل ابي نصر)

أجأ (جبل) ٣١٨

أجاس (قرية) ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٢٠٦ - ٣١٩

الأجرع ٣٧٨

الأجم (الجم) ٥٧ - ٦٥ - ١٦١

آجيم ١٢١

الاسكندرية ١٥ - ٢٣ - ٢٣٠ - ٢٣٩ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٣٦٧

اشينلية ٨٤ - ٣٦٣ - ٣٦٤

أصنهان ٧٨

الاصنام (بالقروان) ١٦٨

الاصنام (بين قبلي والحامة) ١٧٧

اطرابلس (انظر : طرابلس)

افريقية ٨ - ١٠ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ٢٠ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨

٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٥٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٥ - ٧٦

٨٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٦ - ١١٩ - ١٢٢

١٢٤ - ١٢٦ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣

١٨٢ - ٢١٢ - ٢١٦ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٩ - ٢٦٥

٢٦٦ - ٢٧٥ - ٣٢٨ - ٣٤٠ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥١ - ٣٥٤ - ٣٥٦

٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٩

اقلبية ١٣

أم الاصابع ٦٦ - ٦٧

الاندلس ٩ - ٤٢ - ٥٣ - ٥٩ - ٦٠ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ٢٦١

٣١٤ - ٣٤٣ - ٣٥٩ - ٣٦٠

انطاكية ٩ - ٣٣٣

افريقية ٢٤ - ٢٥

أوثان ١٨٥

أوجلة ١١٢

الائلة ٩

إيوان كسرى ١١٢

- ب -

الباب الاخضر (بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥ - ٢٤٦

باب البحر (بطرابلس) ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٥٢

باب البحر (بصفاقس) ٧٥

باب الجزيرة (بتونس) ٣٥٥

باب الحديد (بالمهدية) ٣٢١

باب زناتة (بطرابلس) ٢٦٤

باب السُّوَيْقَة (بتونس) ٣٥٥

باب عبد الله (بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥

باب قرطاجنة (بتونس) ٣٥٥

باب المنشر (بتوزر) ١٥٨

باب النساء (بقرطاجنة) ١٠

باب هَوَّارة (بطرابلس) ٢٤٥ - ٢٦٤ - ٢٦٨

بابل ٨٠

باجة ٢٤ - ٢٥ - ٢٧٥ - ٣٤٥ - ٣٦٢ - ٣٦٣

الباطن (بطرايلس) ٣١٨

بَالِرْمُو ٣٨

بئر الزكرة ٣١٩

بئر الشهداء ١٦٢

بئر طُشانة ٣١٠

بئر العقلة ٢٠٥

بئر الكاهنة ٥٨

بئر الكُنُود (بئر أبي الكنود) ٢٥٩

بئر ينوت ٣١٢

بجاية ١١٦ - ١١٩ - ١٦٢ - ٢٧٥ - ٣٣٩ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٦

٣٥٦ - ٣٦٤

البُحيرة (برادس) ٧

البحيرة (بتونس) ٣٥٢ - ٣٥٥

بحر رادس ٨ - ٩

بحر الزقاق ٢٣

البحر المحيط ١٨٥

بذر ٩١

برشانة ٦٧

برفة ٩ - ٥٨ - ١٢٤ - ١٦١ - ١٨٢ - ١٨٥ - ١٩١ - ٢٢٠ - ٣٤٤

بِزْكَة الخَدَم ٢٤٥

بَسْطَة ٣٦٣ - ٣٦٤

بِشْرِي ١٤٢ - ١٥٣ - ١٧٣

البَصْرَة ٥٤ - ٥٥ - ٨٧

الْبَطْحَاء (بِقَابِس) ١٧٨

بَغْدَاد ٨٤ - ٢٥٧ - ٣٤٤ - ٣٦٨

بَنُو يَوْسُف ١٥٣

بَوْلَاق ٣٥٠

بَوْنَه ١١٩ - ٣٤٤ - ٣٥٤ - ٣٦٤

الْبَيْت الْحَرَام ٥٠ - ١٧٠

بَيْش ٣٣١

- ت -

تَاجِرَا ١٢٠ - ٣٥٧ - ٣٥٨

تَاجُورَة ١٥٣ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٦

تَآذَر ٢٠٦

تَاسِرًا ١٧٧

تاغیرت ٣١٨

تاکیزت ١٥٤ - ١٥٦ - ١٧٢ - ٢٠٢

تامسنا ٣٤٩

تبرسوق ٣٧٧

تسۃ ٣٥٤

تلبو ١٧٩

تبوك ٩٢

تجفت ١٣٣

ترشيش (تونس) ١٥٢ - ٢٠٣

ترنوط ٣٢٦

تفاضلات ٢٠٢

تلنسان ١٩٨

تلیل ٢١١

تودرنت (انظر: عين ودرس)

توزر ١٠٣ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨

١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٧١ - ١٧٢ - ٢٠٢ - ٢٣٨

تونس ٤ - ٥ - ٦ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٥

٥٢ - ٥٣ - ٥٦ - ٥٩ - ٨٦ - ١٠٤ - ١١٣ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٦١

١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٩ - ١٧٩ - ١٩٢ - ١٩٤ - ٢٠٤ - ٢٣٤ - ٢٤٣

٢٥٦ - ٢٥٨ - ٢٦١ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٣ - ٢٧٤

٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٨٥ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣٢٠ - ٣٤١

٣٤٢ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧

٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٧٧ - ٣٨٠ - ٣٩٣

- ج -

الجامع الاعظم (بتونس) ٢٧٣

الجامع الاعظم (بطنابلس) ٢٥٣ - ٢٦٤ - ٢٦٦

الجامع الاعظم (بالمهدية) ٣٢٣

جامع قابس ٩٤ - ١٧٨

الجيل الاحمر ٣٥٥

جيل درن ١٨٥

جيل دمر ١٤٧ - ١٨٥ - ١٨٩ - ٢٠١ - ٣٥٧

جيل الرحمة ٣٧٧

جيل الرصاص ٢٣

جيل زيري ٣٤٤

جبل سُهَيل ٥٩

جبل الفتح ٢٦١

جبل كيانة ٣٢٧

جبل المُعسكر ٣٨

جبل مَمطور ٣٢

جبل نفوسة ١١٣ - ١٨٥ - ٣٥٦

جبل وسلات ٣٢

جنيانة ٨٠ - ٨١

جربة (جزيرة) ٤ - ٥ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩

١٣١ - ٢١٥ - ٢٦١

جربة القديمة (مدينة) ١٢٣ - ١٢٧ - ١٢٨

الجرداء (سبخة) ٢٣

الجُرف ١٢١

الجريد (البلاد الجريدية) ٤ - ١٠٥ - ١١٩ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٤٧ - ١٥٣

١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٢ - ٢٤٤ - ٣٢٠ - ٣٥٤

الجزائر ٥ - ٢٠ - ٢٤ - ٣٢ - ٥٦ - ٣٢٦ - ٣٤٣ - ٣٥٠

الجِزْع ٣٧٨

جزيرة الأحاسي ٣٣٥ - ٣٣٦

جزيرة باشو ١٥ - ٢٤٩

جزيرة جربة (انظر : جربة)

الجزيرة الخضراء ٩

جزيرة شريك ١١ - ١٣ - ٢٣

جزيرة العرب ٥٩

جزيرة قوسرة ١٣

جمال ٥٥ - ٥٦

جمّة (المهدية) ٣٦٨ - ٣٧١ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨

جنوة ٣٣١

جيان ٣٦٤

- ح -

الحامة (انظر الحمة)

حامة الجزيرة (انظر حمام الالف)

الحجاز ٧٩ - ٢١٦

حجاي ٣٢٠

الحجر ٣٩

الحرم ٣٦٥

الحَرَمَان الشَّرِيفَان ٣٦٧

حَزْن عَزَّة ٦١

حَزْوَى ٣٧٨

حَسَّاف (قرية) ٢٤٩

حصن تلّيل ٣١٩

حصن الخليل ٣٠٨ - ٣٠٩

حصن سلّمة ٣١٨

الحَضْرَة (تونس) ٥ - ١١١ - ١٢٦ - ١٢٨ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٥ - ٢٨٠

٢٨٥ - ٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣١٧ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٧١ - ٣٧٧

الحَضْرَة (طرابلس) ٢٥٨

الحَضْرَة (القيروان) ٨٢

الحَضْرَة (مراكش) ٣٤٤ - ٣٦١ - ٣٦٢

حَلَق الوادى ٣٤٥ - ٣٥٢ - ٣٥٥

حَمَام الَانْف (حامة الجزيرة) ١٠

الحَبَامَات ٢٣

حَمَص (بالشام) ٧٢

حَمَص (اثبيلية) ٣٦٥

الْحَمَّة (حمة مطبأة) ١٠٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٦٢

١٧٧ - ٣٥٦

حمة البهايل (حمة توزر) ١٣٤

حمى زويلة ٣٢٤ - ٣٧٧

الحنايا ٥٧ - ٣٤٥

حندران ١٨ - ٢٠

- خ -

خربة جميل (بالمهدية) ٣٢٥

الحرية ٨٧

خنافس ٣١٩

الخوزنق ١١٧

خينبر ١٢٤

- د -

دار الاشراف (بتونس) ٢٧٦

دار الصناعة (برادس) ٧

دار الصناعة (بالمهدية) ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٤٨

دار الحيات ١٦١

دار المحاسبات (بالمهدية) ٣٢٣

دار ين ١٢٩ - ١٩٤ - ٢٩٩

درن (انظر : جيل درن)

دمر (انظر : جيل دمر)

دمشق ١٤ - ٥٨ - ٨٦ - ١٠٢ - ٣٠٩ - ٣٦٩

دَيْر الزجاج ٢٤٥

دَيْر سيمان ٤٩

- ذ -

ذات البان ٣٧٨

ذو سَلَم ٤٤ - ٤٩

- ر -

رادب ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١٣٦ - ٣٩٣

رأس تاجرا (جيل) ١٢٠

رأس المنخبز (مرسى) ٣١٩

رامة ٣٧٨

الرَّجِيع ١٦١

رَحْرَحَان ٣١٣

رقادة ٢٤٠ - ٣٢٣

الرُّقَّة ٦٦

الرملة (بطرابلس) ٢٣٨
الروضة (بالمدينة) ٣٨٩
الرياض (بطرابلس) ٢٣٧

- ز -

الزارات ١١٩

زاوية اولاد سنان ٢١٤
زاوية اولاد سهيل ٢١٢
زمردين ٥٥ - ٥٦
زريق ١٠٠ - ١٨٠
زلة ١١٢
زمرم ٥٠

زنزور ١٨١ - ١٨٢ - ٢٠٦ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢١٩ -
٢٢٠ - ٢٢١ - ٣١٩

زواردة ٥٩ - ١٢٠ - ١٨٧ - ٢١٠ - ٢١١

زواردة الصغرى (وطن - وطن المرابطين) ٢٠٧ - ٢١٠ - ٣١٩

زواردة الكبرى (كوطين) ٢١٠

زواغة ٢١١ - ٢١٢

زويلة (بالمهدية) ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٣١ - ٣٣٥ - ٣٤٠ - ٣٤٧ - ٣٤٩

زويلة بنى الخطاب ١١٢

- س -

السابرية ٢١٢

الساحل ٦٥ - ٦٦ - ٢١٤

ساحل البر (بجربة) ١٣١

ساحة عنبر (بقابس) ٨٨

سَبْتَة ١٧ - ٢٣ - ١٦٤ - ٢٢٠ - ٣٥٩

الستارة (سور بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥

سجلماصة ٢٤٠

السدير (قصر) ١١٧

سطيف ٣٤٤ - ٣٤٧

سلا ٣٤٤

سلقطة ٥٧ - ٥٩

سلمى (جبل) ٣١٨

سترية ١١٢

سواني خلف الله ١٣٢

السوس ١٨٥

- ٤٧٣ -

سوسة ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧

٣٨ - ٤١ - ٤٣ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٥ - ٣٢٧ - ٣٩٣

سوق الاحد ٣٢٥

السَّوَيْق ٩١

سُوفُجَيْن (انظر : فحص سوفجين)

سيقاطة (مسجد) ٢١٩

- ش -

الشام ١٤ - ٦٣ - ٧٩ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٦٠ - ٢٥٣ - ٣٣٣

شِينِكْس ٣١٨

- ص -

صبرة (صبراتة بطرابلس) ٢١١

صبرة (بالقيروان) ٣٢٨ - ٣٢٩

صرمان ٢١٢ - ٣١٩

صعيب ٨٥

صعيد مصر ١٦ - ١٨

الصفا ٥٠

- ٤٧٤ -

صفاقس ١٥ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦

٧٧ - ٧٨ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩٧ - ٢٤١ - ٣١٦ - ٣٢٠

٣٣٠ - ٣٥٤

صيفين ٣٤

صقلية ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٨ - ٧٥ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٦٠ - ٢١٢ - ٢٤١

٣٣٣ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٨ - ٣٤٩

صنتان ٢٢ - ٢٣

صنعاء الشام ١٢٥

صنعاء اليمن ١٢٥

ميجار ٣١٠

- ط -

طبرية ٣٤٥

طيرة ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٥٣ - ١٧٣ - ١٧٧ - ٣٥٦

طرابلس ٨٣ - ٨٥ - ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٣ - ١١٤

١١٩ - ١٢٤ - ١٥٣ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٥ - ١٩١

٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩

٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤

٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤

- ٤٧٥ -

٢٥٥ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦١ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ -

٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٧ -

٢٨٠ - ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣١٤ - ٣١٦ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٥٤ - ٣٩٣ -

طرابلس الشام ٢٧١

طليطلة ٧٩

طُنْبُذَة (المحمدية) ٨

الطواحين ١٣٣

طَبَّة ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٩

طَبِينَة ٨٤

- ظ -

الظاهر: (بالجنوب التونسي) ١٧٧

الظاهر (بطلرابلس) ٣١٨

- ع -

عبد رب (ارض) ٣٠٧

العُذَيْب ٣٧٢

العراق ٧٩ - ٨٠ - ٢٥٧

العروسان (بقابس) ٩٥ - ٩٧ - ١٠٤ - ١١٥ - ٣٢٠

العروسان (بقلعة بنى حماد) ١١٥ - ١١٦

عسقلا ٣٢

المقبة ٩١ - ١١٢

المقلة ١٨٣

العقيق (انظر : وادى العقيق)

عَمْرَة (واقعة عمرة) ١٣٦ - ١٦٢

عين الامير (بقابس) ٨٩

عين تاميدنت ٣١٢

عين تاوَزغا ١٥٣

عين سَلام (بقابس) ١١٥

عين سلام (بقلعة بنى حماد) ٨٩ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧

عين طُرّة ١٤٢ - ١٥٣

عين فارة ٣١٥

عين ودرس (تودرس) ٣١٦

الميون (بطرابلس) ٢٤٦

عيون رَحّال ١٤١

- ٤٧٧ -

- غ -

غافق ٣٠٩

غانية ٢٦٥ - ٣١٧

الغرب ٢٢٠

غرناطة ١٦٤

غُمراسن ١٧٩ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٧ - ١٩٨ - ٢٠٤ - ٢٠٦

- ف -

فاس ١٩٨

فحص سُوْفَجِين ٢٥٩

فَرَان ١١٨

فَرَان ١١٢

الفسطاط ٥٤

فَسِي ٢٠٥

الفلّاحين ٢٣ - ٣٩٣

فلسطين ١٦٠

- ٤٧٨ -

- ق -

قابس ٥٨ - ٦٨ - ٧١ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ٩٤

٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤

١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٣٤

١٣٥ - ١٣٧ - ١٦٠ - ١٦٣ - ١٧٢ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠

١٨١ - ١٩٨ - ٢٤٤ - ٣١٦ - ٣٢٠ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٣ - ٣٣٤

٣٤٠ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧

القاهرة ٣١٤ - ٣٦٧

قبلي ١٧٧

قرطاجنة ٨ - ١٠ - ٢٣ - ٥٧ - ٥٨ - ٣٢٠ - ٣٥٢

قرطبة ٨٠

قرقنة ٦٧ - ١٢٢

قرقوزة ٢١٤

القرنف ٣٣

قرية حسان (انظر: حسان)

القُسطنطينية ٧٩

قُسطنطينة ١١٩ - ٣٤٤ - ٣٥٤

القشتيل ١٢٦ - ١٢٨

القَصَبَة (بتونس) ١٣ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٦٣

القَصَبَة (بطنابلس) ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٨٠

قَصَبَة جَرَبَة ١٢٧

قَصَبَة الحَامَة ١٣٦

قَصَبَة قَابِس ٩٤ - ٩٥

القَصَار ٢٠٥

القصر (بالمهدية) ٣٤١ - ٣٥١ - ٣٥٢

قصر أبي القاسم (بالمهدية) ٣٢٣

قصر بني خيار (انظر : قصور بني خيار)

قصر الديماس ٣٣٦

قصر زياد ٦٧

قصر صالح ٢٠٦

قصر طارق ٣٨ - ٣٩

قصر عيد الله المهدى (بالمهدية) - القصر العيدي ٣٢٣ - ٣٣٢ - ٣٧٧

قصر العروسين (انظر : العروسان)

قصر عيسى بن جعفر ٨٧

قصر فارة ٣١٦

القصر القديم (بنزور) ٢١٥

قصر قراضة ٣٥٤ - ٣٥٩

قصر كَتَاة ١١٩

قصر مَلِيَّة ٥٩

قصور بني خيار ٨٥ - ٣١٦

قصور بني عشرة ٣٤٤

قصور حسان (ببرقة) ٥٨

قصور المباركة ٨٥ - ٣٢٠

قصور الورانيز (انظر : الورانيز)

قصور الوردانين (انظر : الوردانين)

قطيس ٢٤٤

قفصة ١١٤ - ١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٧ - ٣٥٣ - ٣٥٦ - ٣٥٧

الْقُل ٣٥٤

القلعة (قلعة بني حمّاد) ١١٥ - ١١٦

قلعة حَمْدُون ١٨٥

قلعة نَفِيق ١٨٥

قماطة (شغراء) ٣١٧

قَمُونِيَّة (المنستير) ٣١

القيروان ١٨ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٩ - ٣٣ - ٣٨ - ٧٩ - ٩٩ - ١٠٠ - ١١٨

١٤٧ - ٣٥٣ - ٣٦٦ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣١ - ٣٥٤ - ٣٥٦

- ك -

الكانم ١١١

كتانة ١١٩ - ١٣٤

كليكل ١٥٣ -

كنبريج ٣١٣

كوطين (انظر : زوارة الكبرى)

الكوفة ٣٠٩

- ل -

لا لة (قصور) ٣٥٣

لبيدة (لبيدي) ٨٣

لُك ٧٦

لُليانة ٣٧١

لماية ٢١٤

اللوي ١٩٨

ليزيك ٣٣ - ٣١١

ليدن ٣٦٨

مارث ١٨١

مَالَقَة ٥٩ - ٨٣

المباركة (انظر : قصور المباركة)

متيجة ٣٤٣

المجاز (بطرابلس) ٢٥١

مجاز الجرف ١٢١

مجاز سُبَّة ٢٢٠

مجزم ١٤١

المحرس ٨٥ - ٣١٦ - ٣٢٠

محرس على (المحرس الجديد) ٦٩

مُحْسِن (بطرابلس) ٢٤٤

المحمدية ٨ - ٩

المدرسة المنتصرية (بطرابلس) ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣

المدفون (قصر) ٢٤

المدينة ٩١ - ٢٠٩

المدينة البيضاء (طرابلس) ٢٣٧ - ٢٦٨

مَرَاكِش ٨٣ - ٨٤ - ١٠٤ - ٢٤٥ - ٢٦٨ - ٣٠٩ - ٣٤٤ - ٣٥٩

٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٣

الْمَرْبَد ٥٤ - ٥٥

مَرْسَى الْبَرْج ٣٥٣

الْمَرْصَد ٢٣ - ٢٥

مُزْنَق ١٠

مَسْجِدُ ابْنِ فَرْج (بَطْرَابِلِس) ٢٦٥

مَسْجِدُ الْبَارْزَى (بَطْرَابِلِس) ٢٤٩

مَسْجِدُ الْجُدُود - أَوْ الْجَدَّة (بَطْرَابِلِس) ٢٤٩

مَسْجِدُ خَطَّاب (بَطْرَابِلِس) ٢٤٨

مَسْجِدُ سَيْقَاطَة (انظر : سَيْقَاطَة)

مَسْجِدُ الشَّعَاب (بَطْرَابِلِس) ٢٤٧ - ٢٥١

مَسْجِدُ الْعَشْرَة (بَطْرَابِلِس) ٢٣٧

مَسْجِدُ غَانِم ٥٦

مَسْجِدُ الْمَجَاز (بَطْرَابِلِس) ٢٥١

مَسْرَاتَة ٣١٧

مَسْلَاة ٨٥ - ١٣٤ - ٢٦٥ - ٣١٨

المشرق ٤ - ٥ - ٦ - ٦٠ - ٧٠ - ٧٨ - ٩٤ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٧٩

١٨٥ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢٤٠ - ٢٤٣ - ٢٤٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٧٢

٢٧٣ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣٣٣ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٩

مِصْر ٦ - ١١ - ١٦ - ١٧ - ٢١ - ٧٩ - ٩٤ - ٩٦ - ١١١ - ١٢٤

١٢٧ - ١٨١ - ١٨٢ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٣٠٩ - ٣١٤

٣٢٨ - ٣٣٣ - ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٦٧

المصلى (بشري) ١٥٤

المصلى (بتوزر) ١٦٣

المصلى (بطرابلس) ٢٤٦

المصلى (بالمهتية) ٣٢١ - ٣٢٦ - ٣٧٧

المصيصة ٣٢

المعلقة ٣٤١

المغرب ٤ - ٨ - ١٣ - ٣٢ - ٥٩ - ١٠٤ - ١١٢ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٥

١٣٦ - ١٦٠ - ١٨٥ - ٢٠٦ - ٢١٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٣٠٨ - ٣٠٩

٣٣٤ - ٣٣٩ - ٣٤٢ - ٣٤٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢

المغرب الاوسط ٣٢٨ - ٣٤٣

المغرب الاقصى ٣٤٣

المقام (بكة) ١٧٠

مكة ١٤٢ - ٢٤٩ - ٢٦٢ - ٢٦٥ - ٣٨٠ - ٣٨٩

ملعب سوسة ٤١

مليانة ٣٤٣

مَمَطُور (جبل) ٣٢

المنار (بقابس) ٩٤ - ١١٥

المنار (بقلة بني حماد) ١١٥ - ١١٦

المنارة ٢٣

منزل أبي نصر ٣٦٠

منزل باشو ١٣ - ١٤

المنستير ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٦٩ - ٣٧٨

المنصورية (انظر : صبرة)

المهدية ١٥ - ١٨ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٠ - ٤٢ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٦

٩٦ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٣٦ - ١٨١ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٧٤ - ٢٧٥

٢٧٧ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨

٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٩

٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠

٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠

٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٥

٣٧٧ - ٣٨١ - ٣٩٣

المهديتان ٣٣١ - ٣٤١ - ٣٧٧

الموصل ٣٦٩

موقف الغنم (بطرابلس) ٢٤٥

مَيُورِقَة ٢٤٤ - ٣٥٤

- ن -

نَبْش الذئب ٣١٩

نجد ٤٩ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٨

نخيل فِرْعَوْن ١٤٢

نِفْرَاوَة ١٢٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤

١٥٦ - ١٧١ - ٣٠٨ - ٣٥٦

نَفْطَة ١٢٠

نَفُوسَة (انظر جبل نفوسة)

نَقْطَة ٨٤

النيل ١٨ - ١٩

- و -

وادي إِضْم ٤٩

وادي جِراوَة ١١٥

وادي الجوى ١١٦

- وادی الرمل (بتونس) ٢٣
- وادی الرمل (بترابلس) ٣١٠ - ٣١٢ - ٣١٨
- وادی الزرکین ٣٢٠
- وادی زرود ١١٨
- وادی عباس ٧٥
- وادی العقیق ٣٨١ - ٣٨٤ - ٣٨٥
- وادی الفجاء ١٢٠
- وادی القرى ٤٩
- وادی القصر ٨٧
- وادی مجسر ١٢٠ - ١٣٣
- وادی ملیان ٩
- ودان ١١٠ - ١١١
- ودرس (انظر : عین ودرس)
- وذرف ٨٦
- الوردانیین (قصور) ٥٦
- الورانیز (قصور) ٣١٦
- وزدر (قصر) ٢٠٩
- وطن - وطن المرابطين (انظر : زوارة الصفري)

- ٤٨٨ -

ولؤل ٢١٠ - ٢١١ - ٣١٩

- ي -

ياسك ١٥٣

الياقوتة (بالمستير) ٣٢

يشر ٣٦٥

يغمراسن (انظر : غمراسن)

اليمن ١١١ - ١١٢ - ١٢٥

فهرس

اسماء الكتب

- أ -

آثار السَّحابة في أَسْمار الصَّحابة : لابن عريية ٣٧٥

الاحكام : لعبد الحق ٨ - ٩

اخبار ابي اسحاق الجبنياني ٦٧ - ٦٩

الادوية : لابن البيطار ٣١٤

الارشاد : لابي المعالي ٢٥٧

اسد الغابة ٩٢ - ١٢٤

الاشارات : لعبد السلام الفيتوري ٢١٩ - ٢٥٩

اعمال الاعلام ٣٨

الاجاني : للاصبهانى ٦٠ - ٨٢ - ٣١٣

اقتباس الانوار : للرشاطى ٦٦ - ١٤٢

الإكمال : لابن ما كولا ١٤٢

الإكمال على صحيح مسلم : للقاضي عياض ٢٥٦

أَمْثالُ أَبِي عُبَيْدٍ (انظر كتاب الامثال)

أمثلة الغريب : لابي الحسن الهنائي ٢٦٣

الامالي : لابي علي القالي ٦١

الانجيل ٣٨٩

انساب قريش : للزبير بن أبي بكر ٢٦٤

الانموذج : لابن رشيق ٣٣ - ٣٤ - ٣٦ - ٧٦ - ٧٨ - ٨١ - ٣٦٦

الانواء (انظر : كتاب الانواء)

- ب -

البخلاء : للجاحظ ١٦١

البرهان : لابي المعالي ٢٥٧

بغية الوعاة : للسيوطي ١٤١ - ٢٦٣

البيان المغرب : ١٢ - ٢٨

- ت -

تاريخ ابن خلدون ٥ - ٢٠ - ٢٤ - ١١١ - ٢٦٥ - ٣٥٠

تاريخ ابن شداد : ١٤٠ - ٣٤٦

تاريخ ابن شرف ٣٣ - ٥٣ - ٨٢

تاريخ ابن نخيل : ١٠٨ - ١٤٧

تاريخ أبي الصلت : ١٢٥

تاريخ ابي الطاهر السلفي : ١٦١

تاريخ الرقيق ٦ - ٧ - ٣٢ - ١٢٥ - ٢٤١ - ٣٢٠

تاريخ الرزكشي ٢٥٢

تاريخ الفاضل (انظر : ميناو مة ابن البيهاني)

تاريخ معلم الفتيان ٣٢١

تبكيت الناقد : لعبد الرحمان بن ابراهيم الاصولي ٣٧٨

تثقيف اللسان : لابي حفص بن مكي ٢٦٢

تخفة القادم : لابن الابار ٨٤ - ١٠٦

التفريع : لابن الجلاب ٢٥٦

التكملة : لابن الابار ٢٧٢

التنوير (شرح سقط الزند) ٦٠ - ٦١ - ٦٣

التهذيب ٢٥٦ - ٢٩٦

التوراة ٣٨٩

- ث -

ثمار القلوب : للثعالبي ٩١

- ج -

جذوة المقتبس : للخميدى ٥٣

- ٤٩٢ -

جلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس : للصدي ٢٧٣

جوامع الكلم النبوية : لابن عرية ٣٧٥

- ح -

الحاصل : لتاج الدين الازموي ٣٦٨

الحديقة في شعراء الاندلس : لابني الصلت ٤٢

حسن المحاضرة ١١

الحصار في علم الحساب ٢٥٧

الحلة السيرة : لابن الابار ٣٦٥

الحلل السندية ٤١ - ٧٨ - ١٦٥

الحيوان : للجاحظ ١٦١

- خ -

خريدة القصر ٤٣ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٦ - ٣٦٧

خزانة الادب : لابن سعيد ٥٢

- د -

الدر النظيم (للمؤلف) ٣٦٦

ديوان ابي نواس ٣٤

- ٤٩٣ -

ديوان أمية بن أبي الصلت ٣١٤

ديوان حاتم (الطائي) ٣١١ - ٣١٢

ديوان حسان بن ثابت ١٦١

ديوان ذي الرمة ٣١٣

ديوان عمر بن عيسى بن أبي حفص ٣٦٤

- ذ -

الذخيرة: لابن بسام ١٦

- ر -

رسالة أبي على النفطى ١٤٤

رسالة أبي يعقوب الطبري ١٤٣

رسالة الحول: للاجدابي ٢٦٣

الروض الأنف: للسهيلى ٥٩

الروضة الموشية فى شعراء المهديّة ٣٦٦

- ز -

الزهرة فى مسند العشرة : لابن عريّة ٣٧٥

- ٤٩٤ -

- س -

سنن القوم فى آداب الليلة واليوم : لابن عريية ٣٧٥
السيرة النبوية : لابن هشام ٥٩

- ش -

الشرح والتفصيل لمسائل المدونة : لليدى ٨٣
شرح العكبرى على المتنبى ٦٣ - ٧٢
الشعر والشعراء : لابن قتيبة ٨٧
شعراء النصرانية : للاب شيخو ٣١٤
الشقراطسية ١٦٢ - ٣٧٦

- ص -

صحيح البخارى ٢٥٨

صحيح مسلم ٢٥٥

الصلة : لابن بشكوال ٥٥ - ٧٩

صلة ابن شرف لتاريخ الرقيق (انظر : تاريخ ابن شرف)

صلة السبط : لابن الشباط أبى عبد الله محمد بن على المصرى ١٣٥

- ٤٩٥ -

- ط -

الطبقات : لابي العرب ١٢ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٢٧١
طبقات ابن سعد ١٢٥

- ع -

العقيدة الدينية : للصدفي ٢٧٣
عنوان الدراية : للغبريني ١١٦ - ٢٥٢

- غ -

غريب الحديث : للخطابي ٨٠
غريب الهروي ١٣٥

- ف -

فتوح مصر ١١ - ٦٦
الفصيح ٢٦٣

- ق -

القرآن (الذكر الحكيم) ٨ - ٩ - ٢٦ - ٨١ - ١٣٨ - ١٦٠ - ٢٧٣
٣٦٣ - ٣٨٨ - ٣٨٩

قصائد المِمدَح ومصائد المِنَح (ديوان) : لابن عريية ٣٧٥

- ك -

الكافي في الفرائض : لابن المنر ٢٥٧ - ٢٦٥

الكافي في الوثائق : لابي الحجاج يوسف بن زيري ٢٤٢

الكامل : للجرجاني ٨

الكامل : لابن الاثير ١١ - ١٤ - ١٥ - ٢٤

كتاب الامثال : لابي عبيد ١٣٥

كتاب الأنواء ٦٠

كتاب في الرد على ابي حفص بن مكى في تثقيف اللسان : للاجدابي

٢٦٢

كتاب الروضتين ١٥

كتاب في ما آخره ياء مشددة : للاجدابي ٢٦٢

كتاب في العروض : للاجدابي ٢٦٢

الكشاف : للزمخشري ١٣٥

كشف الظنون ٣٣ - ٣٦٨

كفاية المتحفظ : للاجدابي ١٤١ - ٢٦٢

كنوز المطالب : لابن سعيد ٣٠٨

- ٤٩٧ -

- ل -

لسان العرب ١٨٣ - ٣١٣

- م -

المحصل : لابن العربي ٢٥٦ - ٣٦٨

المختار : لابن حشرون ٣٦٧

مختصر في الانواء : للاجدابي ٢٦٣

مختصر لكتاب أنساب قريش : للاجدابي ٢٦٣ - ٢٦٤

المدخل : لابن الحاج ٣٩١

المُدَوَّنة ٨٣

مذكر القواد في الحض على الجهاد ٢٧٣

المذهبة : لابن المناصف ٢٥٧

المسالك : لابي عبيد البكري ٦ - ٧ - ١٠ - ١٣ - ٢٨ - ١٥٥ - ٢٧١

٣٢١ - ٣٢٦

المستصفى : للنزالي ٢٥٦ - ٢٥٧

المستوفى في رفع أحاديث المستصفى : لابن عريية ٣٧٥

مطالع البدور ٥٥

معالم ابي سليمان الخطابي ٢٠٨

- المعالم الفقهية : لابن الخطيب ٢٥٧
المعالم الدينية : لابن الخطيب ٢٥٧
معالم الايمان : للديباغ ٥٦ - ١٢٤ - ١٢٥
مُعْجَم البلدان : لياقوت ٤٩ - ٥٥ - ٨٧
المنتخبات التونسية : لحسن عبد الوهاب ٦
منتهى السؤل فى امتداح الرسول ٩٢
المِياومة : لابن اليساني ١٤ - ١٥ - ١٤٧ - ٢٤٣
ميزان الاعتدال ٣١ - ١٢٥

- ن -

- الناسم : لابی الفضل التجانى ٢٢٣ - ٢٢٤
النبد المحتاجة فى اخبار صنهاجة ١١٦
النجوم الزاهرة ١١
نزهة المشتاق : للادريسي ١١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣
نُزهة النظّار ٣١
نفح الطيب : للمقري ٩٠
نفحات السرّين فى مخاطبة ابن شبرين : للمؤلف ١٦٤
نقائض جرير والفرزدق ٧٢

- ٤٩٩ -

النهاية : لابن الاثير ١٣٥ - ٢٤٦

- و -

الوتريات : لابي الحسن بن بلال ٢٧١ - ٢٧٢

الوفاء ، بيان فوائد الشفاء (شرح الشفاء : للمؤلف) ٣٨١

الوهم والايهام ٨

- ي -

يتية الدهر : للثعالبي ٤٢ - ٥٤

فهرس

موضوعات الكتاب

الموضوع	صحيفة
مقدمة استاذ الجيل العلامة ح - ح - عبد الوهاب	٣ م
الخروج من تونس	٤
الحديث عن رادس	٥
الحديث عن حامة الجزيرة (حمام الانف)	١٠
الحديث عن مرشاق	١٠
الحديث عن جزيرة شريك	١١
الحديث عن منزل باشو	١٣
الحديث عن الزحفة الهلالية	١٦
الحديث عن قرية صلتان	٢٢
الحديث عن اهريقلية (هرقلة)	٢٤
الحديث عن سوسة	٢٥
الحديث عن المنستير	٣٠
الحديث عن شعراء سوسة	٣٣
الحديث عن الوردانيين وصالحها ابي محمد يونس الورداني	٥٦
الحديث عن قصر الجسم	٥٧
الحديث عن زيتون الساحل	٦٥
الحديث عن جزيرة قرقة	٦٧
الحديث عن صفاقس	٦٨
الحديث عن ولاية صفاقس	٧٠
الحديث عن شعراء صفاقس وعلمائها	٧٦
الحديث عن جبنيانة وصالحها ابي اسحاق الجبنيناني	٨٠
الحديث عن قرية لبدة وشيخها ابي القاسم اللبيدي	٨٣
الحديث عن المحرس	٨٥

صحيفة

الموضوع

٨٦	الحديث عن قابس
٩١	الحديث عن الصحابي ابي لبابة
٩٦	الحديث عن ولاة قابس
١٢١	الحديث عن جزيرة جربة ، سكانها ومذاهبها
١٢٨	الحديث عن حصن القشتيل
١٣٤	الحديث عن حامة قابس
١٤٢	الحديث عن طرة (قاعدة نفاوة)
١٥٣	الحديث عن بشري
١٥٤	الحديث عن سبخة تاكرت
١٥٧	الحديث عن توزر (قاعدة الجريد)
١٨٥	الحديث عن غمراسن
٢٠٧	الحديث عن زوارة الصغرى
٢١٠	الحديث عن زوارة الكبرى
٢١١	الحديث عن زواغة
٢١٤	الحديث عن زنزور
٢٣٧	الحديث عن طرابلس
٢٣٩	الحديث عن ولاة طرابلس
٢٥٤	الحديث عن فضلائها وعلمائها
٣٠٧	الحديث عن تاجورة
٣١٧	في طريق الرجوع
٣٢٠	الحديث عن المهدية
٣٢٤	الحديث عن ملوك المهدية وولاتها
٣٦٦	الحديث عن شعراء المهدية وعلمائها
٣٩٩	فهرس أسماء الرجال والقبائل
٤٥٩	فهرس أسماء البلدان والمعالم
٤٨٩	فهرس أسماء الكتب
٥٠١	فهرس الموضوعات
٥٠٣	جدول التصويبات

شركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر انتهى طبع هذا الكتاب في ديسمبر 1980
مطبعة جريدة "لابراس"

4 شارع الحبيب بورقيبة - تونس عدد الناش ٨٠ - ١٩ - ٣٠٠

